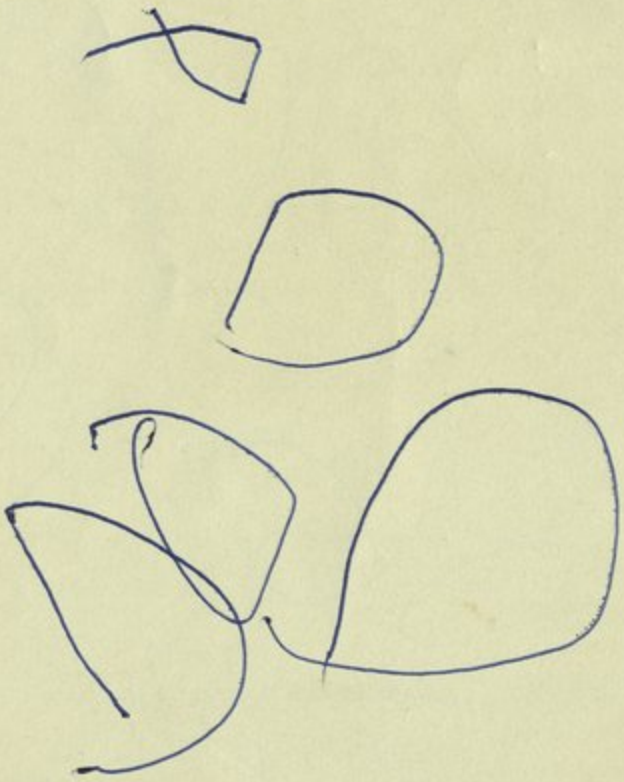
A.U.B. LIBRARY

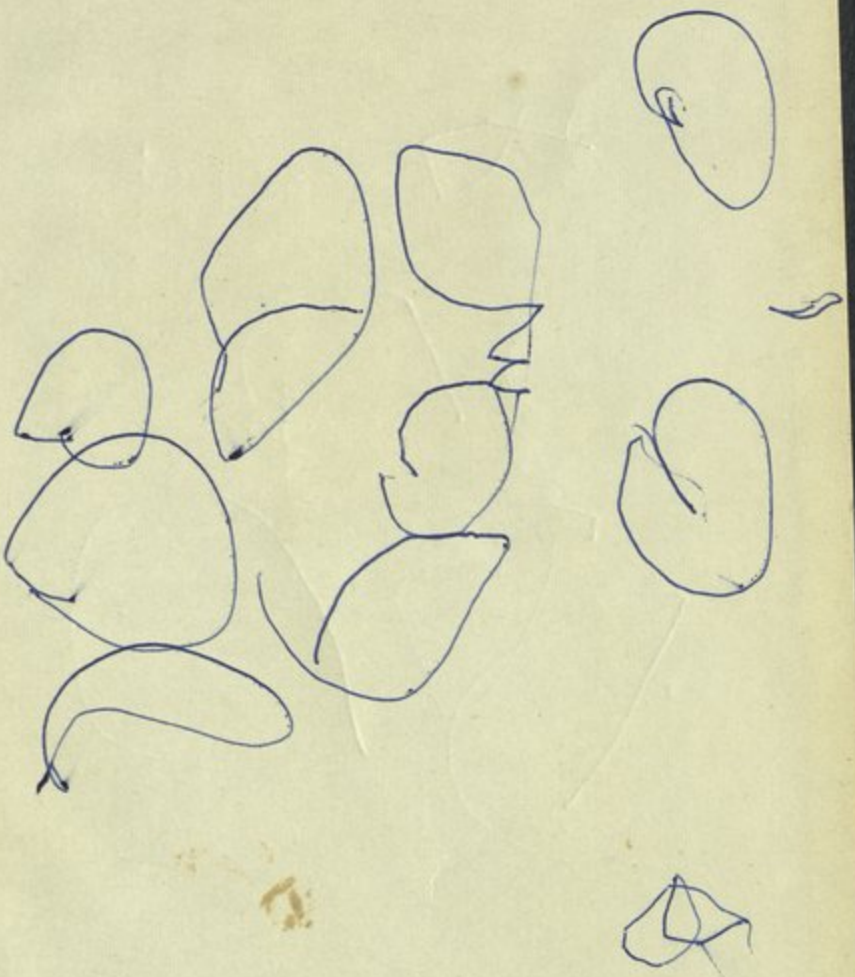
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



تجليد صالح الدقر
تلفون ٢٢٠٧٠

A.U.B. LIBRARY





هدية المؤلف الى الاستاذ الكبير
الشيخ محمد حمادة مع دائم الاحترام

الدولة والتعليم

نظم التعليم في الدول الديمقراطية والشيوعية

379
D876dA
v.2
c.1

(٢)

حسن الدجيلي

شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة - بغداد
١٩٥٣

المقدمة

تختلف صور التنظيم الاجتماعى فى كل قطر من الاقطار ؛ وتختلف تبعا لذلك نظم التعليم واهدافه وأساليبه . ولكن المجتمعات وان تباينت أهدافها فانها تشترك فى مجموعة من المثل الاجتماعية العليا العامة بحكم انسانيتها ، وبحكم علائقها الاقتصادية والثقافية ، وتطور سبل الاتصال والمواصلات بينها ؛ وتنشأ فى مثل هذه الحالات اهداف مشتركة ومشاكل عامة ، ومن اجل هذا فان دراسة نظم التعليم دراسة مقارنة تساعدنا على بحث مشاكل التعليم العامة ؛ فيتعاون المربون على شرح العوامل التى يقوم عليها كل نظام تعليمى ، وعلى تقويم نظرياتنا التربوية وأساليبنا التدريسية وفلسفتنا الاجتماعية ، لاسيما وان كثيرا من تنظيماتنا التعليمية وأساليبنا التدريسية فى العراق والبلاد العربية الاخرى قد ترعرعت فى بيئات اجنبية ،واقتبسناها من ثقافات غربية ؛ واستقرت بيننا ، واصبحت مألوفة لدينا ؛ فكأنها من صنع ايدينا ومن نتاج ثقافتنا . وحينما يألف الانسان نوعا واحدا من المؤسسات الاجتماعية ، كالمدارس ، يتعلق بها ، وينصرف عادة عن دراسة غيرها ؛ ويتعذر عليه فى كثير من الاحيان ان يدرك المشاكل التى تنطوى عليها والعوامل التى تتأثر بها ، فتتلاحق مشاكلها وتتعقد حلولها ؛ وقد لا يستطيع ان يتلمسها ويعددها لافتقاره الى المبادىء والنظريات التى تقوم عليها عند مقارنته بغيرها ؛ تلك المؤسسات التى قد نشأت لتحقق اغراضا مثلها او خلافها .

وكثيرا ما يطالب بعض المعنيين فى شئون التربية والتعليم ، كلما اشتدت وطأة مشاكل التعليم ، وكلما تفجرت اقطار أخرى عن مثل وخطط تعليمية جديدة ، باقتباس بعض الخطط والاساليب التربوية منها واستنباتها فى تربتنا الاجتماعية . ولا يخفى ان جميع العوامل الاساسية التى

تجعل من اى نظام تعليمى نظاما مستقلا لا يمكن ان « تنقل » من بيئة الى أخرى نقلا كليا ، ولا يمكن ان تستنبت استنباتا • وقد برهنت التجارب التربوية على خطل نظرية الاستنبات •

فى ضوء هذه الحقائق قلت فى الجزء الاول من كتابى « الدولة والتعليم» ان لكل مجتمع حديث « دولة » ، ولكل دولة « فلسفة » سياسية وتربوية خاصة ، ولها « نظام » تعليمى خاص ، واخترت نوعين من الدول الحديثة : الدول « الديمقراطية » كبريطانية والولايات المتحدة وفرنسة ، والدول « الكلية » كالاتحاد السوفياتى وايطالية الفاشية والمانية النازية •

وكنت ارجو ، فى محاولتى هذه ، ان يطلع المربون والسياسيون والمثقفون على هذه الحقائق ، وان يتحروا العقائد السياسية التى يتفجر عنها مجتمعهم القريب ، ويوصلوا واقعهم الثقافى المتسيب بحاضرهم السياسى المضطرب ، ويتخذوا لانفسهم فلسفة اجتماعية جديدة يستنيرون بها عند تأدية واجباتهم الوطنية والمهنية • وكانت تلك المحاولة تتصف ، دون شك ، بطابع التجريد والتعميم ، وتقتصر على بسط النظريات والمبادىء العامة ، وتفتقر الى التدليل والتطبيق • وقد ذكرت فى حينه ان الجزء الثانى من كتاب « الدولة والتعليم » سيتناول دراسة « نظم التعليم » فى الدول الديمقراطية والكلية دراسة وافية شاملة • فيسرنى أن أضع هذا الجزء بين يدى المربين والمثقفين تنفيذا للوعد الذى قطعته على نفسى بعد ان بذلت جهدا غير قليل فى الحصول على احدث المعلومات والاحصاءات المتيسرة راجيا ان يسد بعض الفراغ الذى نشعر به فى حياتنا الثقافية • •

بغداد ـ ايلول سنة ١٩٥٣ — حسن الدجيلى

الفهرس

الدولة والتعليم

الموضوع	الصفحة
نظرة تاريخية	١
تعليم القلة	٣
تعليم الكثرة	٤
تعليم الاكثرية	٤
ظهور الدولة القومية	٥
المعبرات التربوية	١٠
تطور التعليم الابتدائى	١٠
تاريخ التعليم الثانوى	١٢
التمايز الاجتماعى والتعليم	١٣
مكانة المدارس الخصوصية فى النظام القومى	١٥
الحركات الاصلاحية	١٧

١ – التعليم فى انكلترة

جذور التربية الانكليزية	٢٩
أثر الثورة الصناعية	٣٥
المدارس الحكومية	٣٧
المدارس الابتدائية	٤٠
المدارس الثانوية العلمية	٤٣
تقاليد المدارس الثانوية واهدافها	٤٧
انواع المدارس الثانوية	٥٣
المدارس المستقلة	٦٢
مدارس الخاصة	٦٤

المدارس الحديثة ٧٤
تعليم الراشدين ٧٦
ادارة التعليم ٨١
الخدمات الصحية والطبية ٨٨
التعليم فى اسكوتلندة ٩٠
التعليم فى شمالى آيرلندة ٩٧
التعليم العالى فى بريطانية ١٠٠

٢ ـ التعليم فى الولايات المتحدة

التعليم الابتدائى ١٢٥
التعليم الثانوى ١٤٥
تعليم الراشدين ١٥٢
التعليم الخاص ١٥٢
اعداد المعلمين ١٥٦
ادارة التعليم ١٥٧
التعليم العالى ١٦٨
الكليات والجامعات ١٧٥
البحث العلمى ١٨٥

٣ ـ التعليم فى فرنسة

المركزية فى التعليم ١٩٧
اهداف التعليم ٢٠٠
الاصلاحات التربوية الحديثة ٢٠٤
انواع المدارس ٢٠٨
رياض الاطفال ٢١٠
المدارس الابتدائية ٢١١
الدراسة المتوسطة ٢١٤
الدراسة الفنية والمهنية ٢١٧
الدراسة الثانوية : الليسة والكوليج ٢٢١
ادارة التعليم ٢٢٧
الامتحانات ٢٢٧

ميزانية التعليم ٢٢٨
اعداد المعلمين ٢٢٩
التعليم العالى ٢٣١
اصلاح التعليم العالى ٢٤٤

٤ ـ التعليم فى الاتحاد السوفياتى

لمحة تاريخية ٢٥١
اهداف التربية السوفياتية ٢٥٤
نظام التعليم العام ٢٥٨
رياض الاطفال ٢٦٢
التعليم الابتدائى ٢٦٤
المدارس الثانوية الناقصة ٢٦٩
المدارس الثانوية التامة ٢٧١
مناهج الدراسة الثانوية ٢٧٢
التعليم المختلط ٢٧٥
مدارس سوفوروف وناخيموف ٢٧٧
التعليم المهنى والفنى ٢٧٨
عصبة الشباب الشيوعى والرواد الشباب ٢٨٧
ادارة التعليم ٢٨٧
اعداد المعلمين ٢٩٠
التعليم العالى ٢٩٤
الجامعات ٢٩٧
المعاهد الفنية العليا ٢٩٩
شروط القبول والتخرج ٣٠١
خاتمة ٣٠٣

٥ ـ التعليم فى المانية

التطورات السياسية وأثرها فى التعليم ٣٠٧
الطغيان الهيكلى ٣٠٩
موقف الطبقة الوسطى من التعليم ٣١٠
موقف طبقة اليونكر من التعليم ٣١١

المدارس الابتدائية	٣١٧
المدارس الثانوية	٣٢٣
الاصلاحات التربوية النازية	٣٢٨
المدارس الداخلية النازية الخاصة	٣٣٠
اعداد المعلمين	٣٣٣
جمعيات المعلمين	٣٣٧
ادارة التعليم	٣٣٨
المناهج والكتب المدرسية	٣٤١
تدريس الدين	٣٤٧
تعليم الراشدين	٣٥١
التربية البدنية	٣٥٣
نظريات يان فى التربية البدنية	٣٥٣
التعليم العالى	٣٥٨
خصائص الجامعات الالمانية	٣٦١
حياة الطلبة	٣٦٤
الاستشراق فى الجامعات الالمانية	٣٧٠

الدولة والتعليم

نظرة تاريخية

ضرب الاغريق مثلين رائعين من امثلة علاقة الدولة بالتعليم فاتبع الاسبارطيون نظرية سيطرة الدولة على شئونه ، بينما اتبع الاثينيون « سياسة التسيب » ، وحسبوا التعليم عملا من اعمال الناس لا وظيفة من وظائف الدولة . واتخذت هاتان النظريتان مظهرا فلسفيا فى السياسة والتعليم ، وتجلتا فى كتابات افلاطون وارسطو . فأعطى افلاطون فى « جمهوريته » التربية منزلة خطيرة ، وحسبها أولى القضايا التى ينبغى ان تنصرف اليها الدولة . وقال ان وحدة الدولة لا تتحقق الا اذا ادرك رجالها ان التربية والتهذيب قضيتهم الكبرى ، وان المواطنين يصبحون ، بالتربية الصالحة ، اناسا عاقلين ، ويدركون الامور التى يتوقف عليها استقرار الدولة ادراكا حسنا . وقال اذا ما كانت باكورة اعمال الدولة حسنة فانها ستضمن لنفسها تقدما مطردا ، وان اتباع الطرق الصالحة فى التربية والتطبع تخلق ولا شك طباعا حسنة ، وان التطبع الصالح يسير الى نهايات صالحة سيرا مطردا ، وينمو نموا متواصلا . وقد جعل افلاطون فى كتابه « القوانين » منصب «وزير معارف الشباب » فى دولته المثالية أهم وظيفة من وظائفها . واقترح ان يكون تعليم البنين والبنات الزاميا ، ونظر الى الطفل من حيث هو مخلوق يعود الى الدولة . وتعد كتابات افلاطون التربوية اعظم الكتابات التى عرفها العالم[1].

وكانت الخطة التربوية التى اقترحها افلاطون تؤمن بأهميته التقاليد

---

١ — Kandel, I. L., Comparative Education. P. 45

الاجتماعية وتنكر فائدة التجريب • وكان يرى ان السيطرة والمراقبة ينبغى ألا يمتدا الى المدارس واعداد الشباب حسب ، بل الى دين الشعب نفسه • واعتقد ان انحطاط مدينته يرجع الى نبذ عادات الاجداد[٢]• ان هذا الموقف المحافظ الذى اتخذه افلاطون قوى فيه نزعة حب الاجداد وعاداتهم ، ونظر اليها من حيث هى اعظم وسيلة من وسائل « التكييف » Conditioning فى التربية • وكاد افلاطون فى نزعته هذه ، كما يقول الاستاذ روبرت أوليش Ulich يقترب من النظرية « الكلية » الحديثة Totalitarion

أما ارسطو فلا يختلف فى آرائه التربوية كثيرا عن استاذه افلاطون • وكل ما ذكره فى كتاب « السياسة » عن علاقة الدولة بالتعليم تظهر تأثير آراء افلاطون فيه ظهورا بينا • فكلاهما حسب التعليم فرعا من فروع فن الحكم ، وأهم وسيلة من وسائل صيانة المدينة Polis وانتقدا نظام التعليم فى أثينا واظهرا حاجة الاثينيين الى نظام تربوى موحد ، وأوصيا باجراء اصلاحات اساسية فيه • وكان ارسطو يعتقد ان مطابقة التربية لمبدأ الدستور أهم ناحية من نواحى استقرار الدول ، وان انفع القوانين ••• تصير لغوا اذا كانت الاخلاق والتربية لا تطابق المبادىء السياسية الديمقراطية فى النظام الديمقراطى والاوليغرشية فى النظام الاوليغرشى • وفى هذا يقول:

« لا يستطيع احد حينئذ ان ينكر ان تربية الاولاد يجب ان تكون احد الموضوعات الرئيسة التى يعنى بها الشارع • فحيثما كانت التربية مهملا امرها اصاب الدولة من ذلك مصيبة مشئومة • ذلك بان القوانين يجب ان تكون دائما مناسبة لمبدأ الدستور وان اخلاق الافراد وعاداتهم فى كل مدينة هى الكفيلة بقوام الدولة ، كما انها وحدها هى التى صورت للدولة صورتها الاولى • فالاخلاق الديمقراطية تحفظ الديمقراطية ، فان كانت اوليغرشية

2 — Ulich, Robert, History of Educational Thought, P., II, American Book Company, 1945.

فانها تحفظ الاوليغرشية . وكلما كانت الاخلاق اطهر كانت الدولة اثبت[٣] ».

ثم يقول : « كل العلوم وكل الفنون تقتضى ، لينجح المرء فيها ، مبادىء أولية وعادات سابقة ، والامر كذلك بالبداهة في مزاولة الفضيلة . وبما ان الدولة بتمامها ليس لها الا غاية واحدة بعينها فيجب بالضرورة ان تكون التربية فيها واحدة متماثلة لجميع اعضائها ، ومن هذا ينتج ان تكون موضوع الرعاية العامة لا الخاصة ولو ان هذا النحو الاخير هو المتبع ، وان كل احد اليوم يعلم أولاده في بيته بالبرامج والموضوعات التى تعجبه . على ان ما هو مشترك يجب ان يعلم بالاشتراك . ومن الخطأ العميق ان يظن كل مواطن انه هو سيد نفسه ، فانهم جميعا يدينون للدولة ، ما داموا هم كل عناصرها وما دامت العناية التى توجه الى الاجزاء يجب ان تأتلف مع العناية الموجهة للمجموع ».

تعليم القلة :

ولكن تراث الاغريق التربوى لم ينتقل الى أوروبا الا بعد مرور قرون عدة ؛ ولم تحتل نظريات افلاطون وأرسطو مكانتها فى عالم التربية الا فى عصر النهظة والعصور المتأخرة . وارتبط التعليم بمشيئة السلطة السياسية ارتباطا كليا ؛ ولم ينل من الطغاة والمستبدين عناية ما . « فعندما كانت السلطة السياسية مركزة بيد رجل واحد ، كان تعليمه هو وحده أمرا لازما لا غنى عنه . وحيث انه هو الذى يصدر جميع القرارات السياسية المهمة كان من الضرورى جدا ان يكون عاقلا وحكيما بقدر ما يستطيع معلمو الملوك ان

---

(٣) احمد لطفى السيد ـ « السياسة لارسطوطاليس » صفحة ٢٨٧ـ ٢٨٨ لمترجمها عن الاغريقية بارتلمى سانتهيلير ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة ١٩٤٧ . انظر كتاب اوليش Ulich المار ذكره صفحة ٢٧ للحصول على النص الانكليزى . لقد بحث ارسطو موضوع التربية (ترجمة احمد لطفى السيد) فى الكتاب الخامس (التربية فى المدنية الفاضلة) وفى الباب ١٣ ، ١٤ ، ١٥ من الكتاب الرابع لكتاب « السياسة » .

يجعلوه كذلك . اما تعليم رعيته فقد كان ضئيل الاهمية ، ان لم نقل معدوم الاهمية تماما ، فحسبهم ان يسيروا تحت قيادته وينفذوا أوامره . وعندما أخذ النبلاء يشاركون الملك سلطانه اصبح من الضروري جدا ان يتعلم أولادهم ، ويعدوا الاعداد الكافي لتحمل أعباء مسئولياتهم السياسية المقبلة في النظام الارستقراطي ، اي حكم الطبقة الممتازة ... ولكن نظرية التعليم الملكي والارستقراطي تذهب الى ان المقدرة على الحكم ليست قضية تعلم وتدريب . ان مقدرة الملك والنبلاء على الحكم ، هذه المقدرة الممتازة ، شيء خلقي ، او فطري ، مولود معهم ، ويرثه ابناؤهم عنه ، واولادهم حسنو الولادة ، well - born كما يقول الاغريق ، أو رفيعو الولادة ، Hochgeborn كما يقول الالمان . ان باستطاعة التعليم ان ينمي هذه المقدرة الممتازة ويطورها ، ولكنه لا يستطيع ان يمنحها للناس العاديين .»[٤] .

تعليم الكثرة :

وانهارت اكثر هذه الآراء التربوية الضيقة بظهور الطبقة البورجوازية ، واستطاع « الرجل الاعتيادي » ان يؤسس لابنائه مدارس شعبية بعد ان كانوا محرومين منها ، وان يشق طريقه الى مراكز القيادة في المجتمع الجديد التي اخذت تزداد سنة بعد أخرى بعد ان كان بعيدا عنها . وبدأت ملكية الاراضي تتراجع في عصر النهضة امام ملكية البورجوازيين ، وتضاءل نفوذ الملوك والنبلاء ، وانتقلت السلطة السياسية من القلة الى الكثرة ، ومن الكثرة الى الاكثرية . وبفعل المتناقضات والانشقاقات في المجتمع الاوروبي اخذ نفوذ البورجوازيين الذين « يملكون » وسائل الانتاج يتضاءل ايضا ، ومهدوا

---

(٤) من محاضرة القاها الاستاذ جون اس بروباخر John S. Brubacher استاذ التربية في جامعة ييل Yale الامريكية في الجامعة الامريكية ببيروت وعنوانها « التعليم والاتجاهات المتضاربة في العالم الحديث » . راجع صفحة ٢٨٠ من مجلة الابحاث البيروتية ، الجزء الثالث (السنة الخامسة) سنة ١٩٥٢ .

السبيل لانتقال السلطة من ايديهم فى بعض الاقطار الى « العمال » الذين « يسيطرون » على وسائل الانتاج .

تعليم الاكثرية :

وقد تأثر التعليم ايضا بخصائص البورجوازيين وفلسفتهم . فاحتفظوا، كما احتفظ الاغريق ، بنظامين للتعليم يسيران مع الانقسامات الطبقية جنبا الى جنب : نظام تعليمى حر (زخرفى) خاص بالمترفين ، ونظام تعليمى مهنى (عملى) خاص بالعمال والفلاحين الكادحين . وبعبارة أخرى نظام يستهدف تهذيب العقل للاحرار الاغنياء وآخر يستهدف تدريب الجسم للعبيد الارقاء . ومع ان الثورات الامريكية والفرنسية والصناعية قد سببت تبدلات كبرى فى النظم السياسية والاقتصادية الا انها لم تحدث تبدلات مماثلة فى نظم التعليم الا فى أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . وبظهور الدولة القومية فى المانية ، والنظم الكلية من شيوعية ونازية حدثت تطورات أساسية فى أهداف التعليم ومحتوياته ، وفى تنظيمه وادارته ، واحتلت الدولة فيه مكانا مرموقا .

ظهور الدولة القومية

وبنمو الحركة القومية فى اوروبا ظهرت الدولة القومية ، واتخذت اشكالا مختلفة ، واهتمت فى شئون التعليم اهتماما كبيرا ، وزادت سيطرتها عليه . وكان من شعارات الثورة الفرنسية « ان الطفل يعود الى الدولة » . وذكر لا شالوته La Chalotais فى مقالاته التى كتبها عن التربية القومية ان ابناء الدولة ينبغى ان يتعهدهم رجال الدولة ، وردد تاليران Talleyrand فى اصلاحات سنة ١٧٩١ الفكرة نفسها ، وأقر كوندورسه Condorcet مبدأ سيطرة الدولة على التعليم فى فرنسه ، الا انه طالب بفصل السياسة عنه ، وأراده أن يكون بعيدا عن التيارات السياسية ، وان يخضع الى سيطرة اعضاء الهيئة التدريسية وحدهم .

وقد تبنت الدولة القومية التعليم العام ، وانتشرت المدارس فى فرنسه عقب الثورة الفرنسية ، وفى المانيا بعد معركة « ينا » Jena انتشارا عظيما ، حتى قيل ان مدارس المانيا كانت أحسن مدارس عرفها العالم آنذاك • واهتم نابليون اهتماما شديدا فى شئون التربية والتعليم ، وذهب الى ان التعليم قد يكون أهم قضية سياسية تواجهها الدولة ، وانه يتعذر على كل دولة سياسية ان توطد اركانها ما لم يتيسر لها المعلمون الذين يؤمنون بمبادىء ثابتة ومستقرة • فالدولة التى لا تعلم طفلها ان يكون منذ طفولته جمهوريا او ملكيا ، او كاثوليكيا او رجلا حرا لا تؤلف أمة ، ولا تقوم أركانها على اسس ثابتة وتتعرض دائما الى الفوضى والتبدل[٥] • وانتقلت مبادىء الثورة الى نظام التعليم الفرنسى جيلا بعد جيل ، واستمرت فيه حتى يومنا هذا • ويعتقد الفرنسيون ان التضامن القومى والسلامة القومية تتوقفان على هذه المبادىء التربوية القومية • وطغت سيطرة الدولة على المؤسسات التعليمية فى بروسية ايضا قبل سنة ١٨٠٠ ، واصبحت « المدارس والجامعات مؤسسات حكومية تتوخى تزويد الشباب بالمعارف والمعلومات العلمية ، ولا يمكن تأسيسها الا بمعرفة الدولة وموافقتها » كما يقول الاستاذ الكسندر T. Alexander فى كتابه « المدارس الابتدائية البروسية » Prussian Elementary Schools وان للدولة رسالة خاصة تستهدف تنظيم التعليم لتحقق « ثقافة » Kultur الامة ، ولا مكان للفرد فيها •

أما فى انكلترة فلم تلق نظرية سيطرة الدولة على التعليم تأييدا كبيرا • ففى الوقت الذى كان الفرنسيون يطالبون بضرورة سيطرة الدولة على شئون التعليم سيطرة تامة كان احرار الانكليز الذين ناصروا الثورة الفرنسية يعارضون فى فرض سلطان الدولة على التعليم • ومن هؤلاء جون براون John Brown وجوزيف بريستلى Joseph Priestly وآدام سمث

5 – Kandel, I. L., Comparative Education, P. 49

Adam Smith • وقد كان الاحرار يعتقدون ان نظم التعليم الحكومية ترمى الى التوافق والتلقين والمحافظة ، وانها تحول دون التجريب والابداع ، وتقف حجر عثرة فى سبيل تقدم المؤسسات الاجتماعية تقدما مطردا • ومع ان آدام سمث كان يوافق بريستلى فى آرائه بصورة عامة ، الا انه اقترح ان تفرض الدولة التعليم الالزامى ، وان تقدم مساعدات مالية الى تعليم الفقراء « للحيلولة دون فساد القسم الاعظم من السكان وتفسخهم » ، وان يساهم الاغنياء فى تعليم ابنائهم ، ويتمتع به من لا يستطيع تحمل نفقاته • ومما قاله جون ستيوارت مل John Stewart Mill الاقتصادى الانكليزى المعروف فى كتابه المشهور « فى الحرية »On Liberty المطبوع سنة ١٨٥٩ :

« معاذ الله ان تتولى الدولة تعليم الناس او قسما كبيرا منه • ان كل ما يقال عن أهمية الـ Individuality of Character وتباين الناس فى آرائهم ونواحى سلوكهم ينطبق على أهمية اختلاف الافراد فى تعليمهم • وما التعليم الحكومى العام الا اداة مجردة تستخدمها الحكومة فى صب الافراد فى قوالب متشابهة ما دامت القوة الحاكمة المسيطرة مسرورة بهذا القالب ، وسواء أكانت هذه القوة ملكية ، أم كهانة ، ام ارستقراطية ، أم كثرة من الجيل المعاصر • وبقدر ما يتصف به النظام الحكومى من كفاءة وما ينال من نجاح فانه سيطبع العقل بطابع العبودية ، التى تؤدى بصورة طبيعية الى فرض عبوديته على الجسم • واذا كان لا مفر من تأسيس نظام حكومى للتعليم فلا ينبغى ان تتعهده الدولة الا ليكون ، اسوة بالتجارب الاخرى ، حافزا على العمل ومثلا صالحا يحتذى ، حتى ترتقى بسببه التجارب الاخرى الى مستويات رفيعة » •

وكان هربرت سبنسر Spencer أحد الذين عارضوا تدخل الحكومة فى امور التعليم ، وشجبوا فكرة فرض ضرائب على الافراد من اجل انفاقها على التعليم ، وعد هذا التدخل تهديدا لمسئوليات العائلة •

« وهكذا انحدرت الى القرن العشرين نظريتان رئيستان تتصلان بعلاقة الدولة بالتعليم : الاولى تقول بحق الدولة فى احتكار التعليم وفرض سيطرتها التامة على انواعه المختلفة ، العام منه والخصوصى ، والثانية ، وهى نظرية التسيب ، تقول بان التعليم عمل من اعمال الناس ، وان الدولة قد تتدخل بغية سد النواقص الموجودة فيه »[٦] .

وبظهور الدول الكلية بعد الحرب العالمية الاولى حدثت تبدلات اساسية فى نظم التعليم ، كما مر بنا فى الجزء الاول من هذا الكتاب ؛ فقد جعلت الدولة الشيوعية فى روسية والفاشيستية فى ايطاليا والنازية فى المانية الشعب هو « الوحدة الاجتماعية » لا الفرد ، وحسبت التعليم وظيفة اساسية من وظائف الدولة ، ان لم يكن اهم وظائفها ؛ وفرضت سيطرتها عليه بشكل لم يعرف من قبل فى تاريخ التربية والتعليم .

فبعد ان كانت الجمعيات الدينية والخيرية هى التى تؤسس المدارس وتشرف عليها اصبحت الدولة اليوم ، وفى اكثر اقطار العالم ، هى التى تؤسسها وتنفق عليها وتتولى ادارتها ، وتعين اهدافها وطرائق التدريس فيها ، واصبح التعليم فيها « الزاميا » وحكوميا لا خيريا ، وعلمانيا لا دينيا . وبعد ان كان « هبة » يمنحها رجال البر والاحسان الى الفقراء « الاشرار » أصبح « حقا » من حقوق المواطنين العامة ، وواجبا من واجبات الدولة الحديثة . وبعد ان كان ارستقراطيا « طبقيا » أصبح ديمقراطيا شعبيا . وبالرغم من حدوث هذه التطورات فلم تستطع بعض الدول ان تجعله مجانيا والزاميا ، ولم تتدخل فيه الا تدخلا محدودا . ففى الوقت الذى أصبح التعليم فى الاتحاد السوفياتى ، مثلا ، وظيفة اساسية من وظائف الدولة ويقوم على التلقين والتوجيه ، واصبح « الدين والشيوعية تتعارضان نظريا وعمليا بعضهما مع بعض » نجد ان لبنان تحسبه « أهليا » لا حكوميا ، و « طائفيا »

---

6 – Kandel, I. L., Comparative Education, P., 53

لا علمانيا ! .

ويتميز القرن العشرون اليوم بنزعتين أساسيتين : نزعة ترمى الى تحرير الفرد من عبوديات الافراد والمؤسسات الاجتماعية والاعتراف بقيمته وانماء قابلياته ، واخرى ترمى الى تحديد حرياته ومجالات نشاطه وفرض سيطرة الدولة عليه بغية ضمان سلامة الدولة واستقرارها . وتتأثر نظم التعليم ، ولا شك بهاتين النزعتين ، ويصبح لكل نظام طابعه الخاص يميزه عن غيره من النظم التربوية ، وتصبح مشكلة السيطرة على تربية الطفل واضحة لدرجة كبيرة . فاذا كان بقاء المجتمع يستند ، كما يقول الاستاذ كاندل ، الى تربية الافراد على تحمل المسئولية والمبادءة فى العمل فان نفقات نشر التعليم تقع على عاتق المجتمع ، وعندئذ يساهم الافراد مساهمة فعالة فى تنظيم التعليم وادارته. اما اذا كان بقاء ذلك المجتمع يستند ، على العكس ، الى اخضاع الافراد لمشيئة سلطة عليا هى « الدولة » أو « الزعيم » أو « الطاغية » فان نفقات التعليم تتحملها السلطة العليا نفسها لضمان استمرارها وتدريب مواطنيها على الطاعة والنظام ، وتقوم هى وحدها باحتكار التعليم واعداد الناس فى معاهد واحدة ليكونوا مواطنين متشابهين .

وليست المشكلة هينة كما قد يتبادر الى الذهن أول مرة . فلقد اصبحت كلمة الدولة مرادفة لكلمة الشعب او مفهوم الامة . وكلاهما ، اى الدولة والامة ، قائمتان لتحقيق بعض الاهداف والمثل العليا . فاذا كانت الدولة تهدف من نشر التعليم تنمية الفرد وبعث قابلياته ومواهبه فقد تطغى الروح الفردية وتضيع المثل العليا فى بحر من الانانيات الشديدة او يتعذر تكوينها ورعايتها . اما اذا كانت تهدف الى خدمة مصالح الدولة وفرض سيطرتها على التعليم وعلى سلوك الافراد فقد تطغى الروح الكلية او الجمعية وتبعثر قابليات الافراد وتضيع مواهبهم .

ان هذا التباين فى الاتجاهات العامة جعل لكل دولة فلسفة اجتماعية خاصة ، وفلسفة تربوية منتزعة من الفلسفة الاجتماعية نفسها . ومن أجل

هذا فان العمليات التربوية تتأثر فى كل أمة بعوامل كثيرة منها : القومية ، والنظريات السياسية ، والدين ، والعادات والتقاليد • وتؤثر هذه العوامل فى كل ناحية من نواحى التعليم : فى الادارة ، والتنظيم والمناهج والطرق التعليمية • ويصبح لكل امة نظام تعليمى « قومى » خاص يميزها عن غيرها من الامم ، ويستند الى مقوماتها الاساسية • ولدراسة نظم التعليم دراسة مقارنة لابد من فهم الخصائص القومية لكل امة ، والعوامل التى كونتها ، والمثل التى لونت حياتها ونفسيتها ، وأثر ذلك فى تطور نظم التعليم • ولا شك ان الامة تصوغ بالتعليم شخصيتها القومية • والقومية ظاهرة اجتماعية وسياسية • وهى للامة كالشخصية للفرد ـ انها الاداة التى تعبر بها عن حياتها وثقافتها •

المعبرات التربوية

ولقد اخترت للتعبير عن هاتين الفلسفتين التربويتين دراسة نظم التعليم فى خمسة اقطار غربية ، ثلاثة منها « ديمقراطية » وهى : بريطانية ، والولايات المتحدة الامريكية ، وفرنسة ، واثنتان « كلية » وهى الاتحاد السوفياتى والمانية القيصرية والنازية ، وآثرت ان أمهد لها بنظرة عامة عن تطور التعليم الابتدائى وتقدمه والثانوى وتوسعه وعلاقة ذلك بالتمايز الاجتماعى ، وأختمها بدراسة نظم التعليم فى البلاد العربية •

تطور التعليم الابتدائى :

ان تاريخ التعليم الابتدائى ، بالنسبة لغيره من فروع التربية ، صورة مصغرة للتاريخ السياسى والاجتماعى الذى مرت به كل أمة من الامم الاوروبية • ويبدو ذلك جليا فى الدور الذى قامت به المؤسسات الدينية ، لاسيما الكنيسة ، وفى تفوق سلطان الدولة على سلطان الكنيسة ، وفى التبدلات الاجتماعية التى انتابت الحياة الاوروبية ، وفى ظهور فجر القومية وما رافق ذلك من دعاية وتلقين ، وفى تطور الطبقات العاملة وكفاحها من اجل حريتها وتنظيمها وتنويرها ، وفى تقدير أهمية الفرد من حيث هو انسان

ينطوى على امكانيات عظيمة • وبعبارة أخرى يرينا تاريخ التعليم الابتدائى التطور التدريجى الذى مرت به الديمقراطية الغربية • هذا من جهة ، اما من الجهة الثانية فلا تتمثل فى نشوء التعليم الابتدائى ، كما يقول الاستاذ كاندل فى كتابه التربية المقارنة ، جميع التبدلات التى حدثت فى القيم الاجتماعية حسب ، بل يتمثل موقف المجتمع من المعرفة نفسها ، وفى القسم الذى تكون الاستفادة منه أعظم ، وفى معنى الذكاء وطريقة انمائه ، وفى علاقة الفعاليات العقلية والجسمية ، وفى عملية التعلم نفسها • وبكلمة أخرى تتمثل فى نشوء المدرسة الابتدائية : المقومات التى تكون الفرد الكلى •

وكان التعليم الابتدائى فى القرن التاسع عشر يرمى الى تعليم ابناء الفقراء الكادحين ليكونوا فى المنزلة التى يسر « الرب » ان يكونوا فيها ، ويقنعوا بها ، ويرضوا عنها • وقد ظن ان تعليم هؤلاء الاطفال مبادىء المعرفة الاساسية (وهى القراءة والحساب والكتابة) ودروس الدين سيصون المجتمع من الجرائم والخرافات والاوهام • وحينما دب الوعى القومى اصبح تدريب الاطفال على ولائهم للدولة وللقومية غرضا آخر من اغراض التعليم الابتدائى• وصارت المدرسة الابتدائية تسعى الى تنمية حب المعرفة من حيث هى قوة ومن حيث هى فضيلة • وعدت العلاج الشافى لجميع الامراض والعلل واعتقد الناس بما قاله كويزو Giuzot « افتح مدرسة تغلق سجنا »، وذهبوا الى ان الفرد لا يحصل باكتساب المعرفة على المهارات والفنون التى ستكيفه الى بيئته حسب وانما يحصل على تدريب خلقى • وكانت نظرية التربية هى النظرية التى وضعها هيربارت Herbart المربى الالمانى ، وفحواها : ان المعرفة تهىء اسس الآراء ideas والآراء تصنع الرجال •

وقد شاهد مطلع القرن العشرين بداية تحول جوهرى فى مفهوم النظرية العامة للتعليم الابتدائى • فقد حدثت فى اسسه ومحتوياته وطرائقه وتنظيمه ووظائفه تبدلات شملت اكثر اقطار العالم وخاصة المانية والولايات

المتحدة • واخذت المدرسة الابتدائية نتيجة نشوء المؤسسات الديمقراطية تتبدل الى مؤسسة تختص بنشر التعليم بين جميع الطبقات واصبحت الحد الادنى من التعليم فى جميع الشعوب المتحضرة • ولم يقتصر السن الالزامى على سنوات قليلة بل امتد حتى تداخل فى مرحلة الدراسة المتوسطة والثانوية• ولم يقبل المربون النظام « الثنائى » فى التعليم الابتدائى بل طالبوا تأسيس مدرسة « موحدة » تضم جميع الاطفال مهما اختلفت اصولهم الاجتماعية •

تاريخ التعليم الثانوى :

وربما كانت مشكلة التعليم الثانوى اهم جميع المشاكل التى يواجهها المربون والسياسيون بل واكثرها صعوبة • فمهما كانت الاختلافات التى تظهر عند بحث مشاكل التعليم الابتدائى فان المعنيين فى شئونه قد يتفقون كما يقول الاستاذ كاندل على محتوياته وطرائقه أكثر مما يتفق المتخصصون حول محتويات التعليم الثانوى واساليبه • وذلك لسببين (اولهما) ان تعميم التعليم الابتدائى قد اصبح من حيث المبدأ فكرة مقررة مقبولة فى جميع الاقطار المتحضرة (وثانيهما) ان اولاع الاطفال ليست متنوعة كما هو الحال مع طلاب المدارس الثانوية ، وان التعليم الابتدائى قد اصبح فى الاعم الاغلب اكثر جدة واعظم استجابة لمقتضيات الحياة المتبدلة من التعليم الثانوى • وان اصحاب النظريات التربوية قد وجهوا عنايتهم اليه اكثر من التعليم الثانوى •

وقد كان هدف التعليم الثانوى عند اليونان والرومان اعداد الفتيان الى المشاركة الفعلية فى واجبات المواطنة • الا ان هذا الهدف لم يواكب الزمن• فقد ظهرت اهداف أخرى ، وابتعد التعليم الثانوى عن حقائق الحياة شيئا فشيئا • ثم ظهرت المدارس العلمية الثانوية فى القرون الوسطى • واستمرت الى عصرى النهظة والاصلاح • وكانت تتصل اتصالا وثيقا بالكنيسة • وحينما تبدلت الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية وخاصة فى القرن الثامن عشر اخذت

المناهج الكلاسيكية تفقد مكانتها المرموقة • ولكنها ظلت تسيطر على مناهج الجمنازيوم Gymnasium الثانوية فى المانية والليسه Lyce الثانوية فى فرنسه و « الخاصة » الثانوية Public فى انكلترة •

وكان من اثر نمو الطبقات الوسطى نموا تدريجيا وتقدم الصناعة والتجارة تقدما سريعا ، واهم من هذا كله تقدم العلوم وانتشارها انتشارا عظيما ان ظهرت الحاجة الى انواع جديدة من المدارس التى تلى الدراسة الثانوية •

ولكن ما ان أطل القرن العشرون الا وظهرت حركات جديدة فى كثير من جميع اقطار العالم ، وخاصة فى الولايات المتحدة استهدفت تجديد نظم التعليم الثانوى ـ تجديد اسسه وطرائقه واهدافه وتنظيمه •

التمايز الاجتماعى والتعليم :

ان هذه الاتجاهات قد ظهرت فى الميدان السياسى منذ الحرب العالمية الاولى ونمت وترعرعت فى الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين • وطبقت فى أكثر اقطار العالم المتمدن بعد الحرب العالمية الثانية • ولم تحدث الانجازات التربوية فى العالم وفق خطة مرسومة ولا وفق نظام معين • فقد نشأ التعليم الثانوى والعالى تاريخيا لاعداد القادة فى ميادين العلم والسياسة والاجتماع • ولم ينشر التعليم الابتدائى الا فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ولم يستهدف ناشروه ايصاله بالتعليم الثانوى • وقد عممته الكنيسة والدولة معا • فقد كانت الاولى تريد ان تثقف الناس ثقافة دينية روحية تسيطر بها على عقولهم وكانت الثانية تريد ان تثقفهم ثقافة مدنية تضمن ولاءهم الى الدولة ومصالحها واهدافها القومية • ثم تأسست بعد ذلك دور الرضاعة ورياض الاطفال ثم المدارس المهنية والفنية • وقد نشأت الاقسام المختلفة التى تؤلف نظاما تعليميا قوميا من الناحية التاريخية مستقلة نوعا ما بعضها عن بعض • وقد تأثرت بقوى اجتماعية وغير اجتماعية

مختلفة ولم تنشأ هذه الاقسام وفق خطة مرسومة • وفى الحقيقة ان تصميم التعليم تصميما منظما لم يكن موضع العناية ، ولـم يجـد له طريقـا الا فى طوبيا Utopia « المدينة الفاضلة » وفى مقترحات كومينوس وفى النظريات التربوية للثورة الافرنسية وفى نظرية الميثاقيين Chartists الانكليز • وحتى فى الولايات المتحدة نفسها كان المثل الاعلى السائد عند تأسيس الجمهورية هو اقامة نظام تعليمى ديمقراطى عام • غير ان هذا المثل الاعلى لم يجعل التعليم الثانوى قسما اساسيا من نظام التعليم العـام الا فى سنـة ١٨٧٤ وفى قضيـة كالامازو Kalamazoo ومن اجل هذا فان نظم التعليم اليوم تضم بين دفتيها فى اكثر أقطار العالم دورا للرضاعة او رياضا للاطفال لا تنسجم فى علاقتها مع المدارس الابتدائية كل الانسجام • وتضم مدارس متوسطة لا ترتبط بنظام التعليم كل الارتباط وتضم مدارس ثانوية تتصل بها مدارس تحضيرية خاصة تتداخل مع التعليم الابتدائى • وتضم مدارس ابتدائية عالية لطلبة فى سن الدراسة الثانوية لا يتمتعون بنفس الامتيازات التى يتمتع بها طلاب المدارس الثانوية • وتضم انواعا من التعليم المهنى ، سواء اكان تعليما كليا أم جزئيا ، فى مستويات مختلفة ليس لها اتصال بالاقسام الاخرى من نظام التعليم(٧).

ولا يقتصر الامر عند ضعف الانسجام والاتصـال فى انظمـة التعليم حسب • وانما قد تجمعت حول الاقسام التى يتألف منها كل نظام تعليمى عدة امور • وتراكمت حولها جملة مشاكل تعكس علينا اصولها التاريخية فقد عد التعليم الابتدائى فى الاعم الاغلب خاصا بالعامة وعد التعليم الثانوى خاصا بالخاصة • وكانت اسباب هذه النظرة الى التعليم الثانوى تعود الى جملة امور منها : ان التعليم الثانوى لا يلائم عامة الناس وانه اعد لاصحاب المكانات الاجتماعية والاقتصادية المرموقة التى ستتبوأ كراسى القيادة والتوجيه•

---

7 - Kandel, I. L, Comparative Education, P., 86

اما الدراسة المتوسطة فقد اعدت لتؤدى بعض الخدمات التى تحتاجها الطبقة الوسطى ـ هذه الطبقة التى اخذت تزداد وتنمو يوما بعد يوم • والتى تستطيع ان تتحمل مقدارا من نفقات التعليم الذى يلى الدراسة الابتدائية والتى تعجز من الاستفادة من نعم التعليم الثانوى • وقد افتتحت المدارس المتوسطة وغيرها ولا سيما المدارس المهنية لتحل محل المدارس الثانوية •

ان هذا التمايز الاجتماعى فى انظمة التعليم قد ترك اثرا فى طبيعة كل فرع من فروع التعليم • فاهتم التعليم الثانوى وكان غرضه اعداد قادة المستقبل بتقديم ثقافة حرة • واهتم التعليم الابتدائى ، وكان غرضه تدريب عامة الناس على الاذعان والطاعة الى القانون وانتشالهم من حمأة الفساد والشعوذة والدجل وانقاذهم من القلق والتذمر والاعتياد على الاجرام بتعليم مبادىء القراءة والكتابة والحساب • وتميز بهذا الطابع • وقد سببت هذه الانظمة التعليمية انقسامات اجتماعية وقسمت ابناء الامة الواحدة الى طبقة متعلمة واخرى شبه متعلمة وثالثة جاهلة وباعدت بين المعلمين انفسهم وجعلتهم طوائف متباينة فى ثقافتها ومنزلتها الاجتماعية •

وسنجد عند دراستنا القادمة لنظم التعليم ان كثيرا من هذه المشاكل وكثيرا من هذه النواقص فى الاتصال والانسجام ما زالت قائمة حتى الآن • وسنجد ان اكثر الامم والشعوب قد اخذت تعنى بدراسة مشاكلها التعليمية واخذت تدرك ان كل نظام تعليمى قومى ينبغى ان يكون موحدا Unitary فى طبيعته ومنوعا فى تنظيمه وديمقراطيا فى اهدافه •

مكانة المدارس الخصوصية فى النظام القومى

ان مكانة المدارس الخصوصية والخاصة والاجنبية (او الاهلية) فى نظام التعليم القومى ينبغى ان تقرر فى ضوء المفهوم العام للقومية • فاذا

كانت القومية تهدف الى احداث تماثل كلى فى الافكار والآراء والعادات وتنزع نزعة تسلطية authoritarian فى نظام الحكم فعندئذ اما ان يمنع تأسيسها ، او تبقى ضمن شروط معينة ، وتسير وفق الطرق التى تسير عليها المدارس الحكومية . ويتم هذا السير اما عن طريق تطبيق الانظمة والقوانين المدرسية الرسمية تطبيقا مباشرا واما بواسطة الضغط الذى تتركه الامتحانات العامة والامتيازات التى تضفيها عليها هذه الامتحانات(٨) . والفرضية الاساسية فى كلتا الحالتين هى ان الدولة قد وضعت لها مثلا اعلى فى القومية وفى الثقافة القومية ـ مثلا ثابتا معروفا تستطيع ان تغرس القومية فيه جذورها .

ولا شك ان نظم التعليم القومية التى تسير فى هذه الاتجاهات وتنظر الى المدارس الخصوصية هذه النظرة لا تستطيع ان تعطى القوى الكثيرة المتنوعة التى تنطوى عليها الحياة القومية ميدانا تتسابق فيه ، ولا حيزا تتداخل به . كما لا تستطيع ان تواصل المدارس الاجنبية ولا الطائفية عملها فى ظل هذه النظم القومية كما هو فى تركيةوايران . ولكن حينما تعبر المدارس الخصوصية عن الفعاليات والمثل القومية العليا تعبيرا جديدا ، وحينما يؤدى هذا التعبير التجريبى الى تنوع فى طرائق التعليم دون الاضرار بالمثل القومية العليا فينبغى ان يشجع تأسيس المدارس الخصوصية لانها تحقق هذا التقدم الناتج من تنوع الاساليب التربوية . وليس من الضرورى ان تؤدى حرية العمل الى التسيب والانحطاط فى المستويات المدرسية . ولكن ينبغى ان تتوفر فى المدارس الخصوصية الشروط التى تتوفر فى المدارس الحكومية نفسها : فى ابنيتها ومرافقها ومستوى مدرسيها ؛ ومعنى ذلك على المدارس الخصوصية ان تخضع للرقابة والتفتيش والتسجيل ، لا رغبة فى التماثل والتقنين ، وانما حفظا لمصالح الاطفال الذين يتعلمون فيها . اما اذا ارادت المدارس الخصوصية

---

(٨) المصدر الانكليزى السابق نفسه ، صفحة ٩١ .

ان تتمتع فى حريات غير الحريات التى ذكرناها فعليها ان تتحمل بعض المسئوليات الاجتماعية والتربوية حفظا للمصلحة العامة كما تقررها القوانين والانظمة والتعليمات • ولكن الخطر الحقيقى الذى ينطوى عليه تأسيس المدارس الخاصة والخصوصية لا يأتى من اعراضها عن المقاييس العامة ولا من صعوبة وصولها الى مستوى المدارس الحكومية وانما الخطر يأتى من تنشأتها للفوارق الطبقية والطائفية وحيلولتها دون تفاعل صور الحياة الاجتماعية لتكوين نمط اجتماعى جديد •

ان تجديد نظم التعليم القومية ينبغى ألا ينحصر فى فتح المدارس والاشراف عليها والتدريس فيها بل فى مساعدة الطلاب على ان يستفيدوا اعظم استفادة ممكنة منها • فأى فائدة اجتماعية او تعليمية ينالها من كان لباسه لايقيه وطعامه لا يكفيه • ان هذا الطالب لا يجد فى عمله المدرسى الا الضجر والملل ولا يستطيع ان يستفيد من الفرص التعليمية استفادة حقيقية •

الحركات الاصلاحية :

ويلاحظ دائما انه ما من قلق سياسى او اقتصادى او دينى الا ويواكبه شعور عميق بوجوب احداث اصلاح جذرى فى نظم التعليم • وفى التاريخ الحديث امثلة كثيرة على ذلك • فحينما تميد الرؤوس بالافكار الجديدة وتأبى المؤسسات الاجتماعية ان تتبدل وتنساب فى مجرى التقدم الفكرى والانقلاب الاجتماعى تتصادم القيم الجديدة بالقيم القديمة وينشأ من هذا التصادم نزاع او صراع ؛ وقد يشتد فينقلب الى ثورة اجتماعية •

وقد اخذت حركة اصلاح نظم التعليم اليوم مظهرا قويا لم تعرفه من قبل ؛ فقد كان ظهورها فى الغرب بطيئا اول الامر ، وفى فترات من الزمن متقطعة ، كما يقول الاستاذ كاندل • فقد اعيد تنظيم التعليم الثانوى مثلا فى « عصر النهضة » ، واعدت الخطط لتعميم التعليم الابتدائى فى « عصر الاصلاح » ؛

ولكنها لم تنفذ الا فى القرن التاسع عشر وبعد ان حدثت الثورة الصناعية ، وانتشرت حركة الاحرار السياسية ، وظهرت الدولة القومية .

وبتقدم العلوم الطبيعية وتطور العلاقات الدولية حدث تجدد فى حقل التعليم الثانوى . وبتطبيق الطرق العلمية فى فنون الصناعة والتجارة وظهور القومية الاقتصادية تقدم التعليم المهنى والفنى . الا ان هذه الاصلاحات كانت كلها عفوية ، ولم تحدث وفق خطة مرسومة . ولم تظهر حركة الاصلاح فى سلم التعليم كله ابتداء من رياض الاطفال وانتهاء بالمعاهد العالية الا فى فرنسة وفى بعض الاقطار الاخرى .

وفى اعقاب الحرب العالمية الاولى ظهرت اهمية التعليم وخطورته فى التكوين الاجتماعى . فلقد كانت هذه الحرب والتى جاءت بعدها اعظم امتحان مر به الفرد وأعظم اختبار لنوعيته ، لما كانت تتطلبه من شجاعة وصبر على الشدائد وعزيمة ماضية ووطنية صادقة . وقد بدأت أول حركة تعليمية اصلاحية مهمة فى المانيا متمثلة فى حركة مدرسة Einheitsschule وبعدها فى فرنسة متمثلة فى حركة المدرسة الموحدة Ucole Unique وفي بريطانية متمثلة بقانون فيشر سنة ١٩١٨ وفى الولايات المتحدة متمثلة فى تقرير « المبادىء السبع الاساسية » لسنة ١٩١٨ الذى وضعته لجنة خاصة فى « رابطة التربية القومية » .

واكتسب التعليم اهمية اخرى فى البناء الاجتماعى بعد الحرب العالمية الثانية . فلم تكن الحرب الثانية الا ثورة من الثورات الاجتماعية الكبرى . فقد هزت كثيرا من المؤسسات القائمة وحورت كثيرا من المقاييس المقررة ، وايقظت كثيرا من الامم والشعوب نحو تحقيق مثل عليا جديدة . فكان لابد من التوجيه والتصميم فى حياة الناس الثقافية سواء اكان ذلك فى امريكة وبريطانية والاتحاد السوفياتى ام فى مصر والعراق وسورية . فما كادت الحرب تضع اوزارها بل حتى قبل ذلك التاريخ الا وتمخض العالم عن

اصلاحات تربوية شاملة . ففى انكلترة بدأ حديث الاصلاح فى غمرة الحرب وفى وطيسها واقر البرلمان قانون معارف ١٩٤٥ . وفى فرنسة وضعت « اللجنة الوزارية لاصلاح التعليم » تقريرها عام ١٩٤٧ وتناول جميع مراحل التعليم من رياض الاطفال الى المعاهد العالية . وفى الولايات المتحدة الفت « رابطة التربية القومية » لجنة فرعية لدراسة التعليم الثانوى بصورة خاصة ووضعت تقريرها المعروف بـ « تعليم الشباب الامريكى كافة » سنة ١٩٤٥.

وتجرى الآن كما ـ بينا ـ فى مختلف أقطار العالم تبدلات عظيمة فى نظم التعليم . ولاسيما التعليم الثانوى وتعمل قوى جديدة على تحويرها وتبديلها وتنظيمها لتساير وعى الشعوب المتحفزة . وتستجيب الى مطالب الحياة الحديثة المتبدلة . وتستهدف هذه التبدلات وضع التعليم على اسس ديمقراطية عادلة وعلى مبادىء نفسية وتربوية مقررة ونستطيع ان نرد هذه التبدلات كما يقول الاستاذ كاندل الى : عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية وتربوية ونفسية :

اولا ـ فمن الناحية السياسية والاجتماعية نجد ان نمو الحكومات الديمقراطية وتجديد مفهوم الديمقراطية نفسها ادى الى ضرورة تحقيق المساواة فى الفرص بين الافراد ، واصبح واجبا من واجبات كل دولة ديمقراطية واعية ، ويعد الحد الفاصل بين العبودية والاستقلال والحرية والانعتاق . وتتطلب المساواة فى الفرص التعليمية ان تراعى الدولة قابليات الافراد وقدراتهم وحاجاتهم ، حتى يستطيع كل واحد منهم ان يبلغ اقصى مراحل الاستفادة من مؤهلاته ، وان يتخطى جميع الحواجز الاجتماعية المضروبة حواليه . فالتعليم « حق » يجب ان ينال كل فرد نصيبه منه لا «امتياز» لطبقة من الطبقات . واذا ما ارادت الحكومات الديمقراطية ان تثبت اقدامها لتصاول التيارات المتطرفة فينبغى ان تحقق العدالة الاجتماعية بتطبيق المساواة فى الفرص التعليمية ، وان تزيدها ثراء وتنوعا وان تتعدى تعليم « المبادىء

الاساسية » . فلم يعد التعليم الابتدائى قادرا على ان يجعل الافراد عارفين بحقائق الحياة الاقتصادية والاجتماعية . فقد صارت الحياة الحديثة معقدة لدرجة لا يستطيع التعليم الابتدائى وحده ان يسد حاجات الناس كثيرا ؛ وأصبح تمديد سن التعليم الالزامى وتنظيم دراسات نهارية او مسائية تكميلية للراشدين والراشدات من الامور الضرورية فى حياة الدولة والافراد . وكان من جراء الحركات الجديدة ان ارتفعت اصوات الناس ايضا بوجوب تهيأة فرص تعليمية مجانية فى مراحل التعليم العليا تتناسب وقدرات الافراد .

ثانيا ـ ان شدة التنافس الاقتصادى فى الميدان الداخلى والخارجى اى منافسة الانتاج بعضه مع بعض فى الاسواق المحلية والعالمية ادى ايضا الى ادراك ما لاعداد الافراد فى النواحى الصناعية والتجارية من اهمية عظيمة للقيام بواجباتهم الاجتماعية من حيث هم منتجون ومستهلكون ليكونوا « مواطنين » صالحين وعمالا ماهرين ، بشرط ان يرعى هذا الاعداد مستلزمات الثقافة العامة التى يحتاجها كل مواطن .

ثالثاً ـ اما من الناحيتين التربوية والنفسية فان كل نظرية تربوية تنظر الى الحياة نظرة واسعة وشاملة تساند قيام اية حركة ترمى الى توسيع الفرص التربوية وزيادتها وتنوعها . يضاف الى ذلك انه كلما قلت عناية التعليم بالنواحى النظرية تعددت المجالات الحيوية ووجه التعليم عنايته الى هذه المجالات الجديدة ، وسعى الى التنويع . واذا كنا نعتقد ان التربية هى الحياة فانها لا تستطيع ان تحصر عملها الواسع فى مجال ضيق وفى سنوات قليلة من سن التعليم الالزامى كما هو حادث بالفعل . بل ينبغى ان يتسع عملها ويمتد باتساع الحياة وامتدادها مهما استطعنا الى ذلك سبيلا .

وقد اثرت العوامل النفسية ايضا فى تجديد التعليم وتنظيمه فى الاتجاهات الآنفة الذكر . وحيث ان الانسان يعيش فى بيئة معينة ، وان هذه البيئة تحيطه بطائفة من المؤثرات التى لابد وان يستجيب اليها استجابة صحيحة ، فان نموه الجسمى والاخلاقى والعقلى والفنى لا يتقدم تقدما ملموسا فى مرحلة

ضيقة قصيرة هى مرحلة الدراسة الابتدائية ، ولا ان يتقدم فى مرحلة الدراسة الثانوية كما هى عليه اليوم • ولذلك وجب توسيع مدى فرص التعليم لاسيما وان علم النفس الحديث يدرس الطفل من دور الرضاعة الى دور المراهقة ، ويدرس طريقة تعلمه ، ويعد التربية عملية مستمرة مع حياة الانسان • وهذا ما يتطلب اعداد بيئة صالحة يعيش فيها الفرد • وحيث ان قابلية الانسان على التعلم لا تقتصر على مرحلة دراسية معينة او على عمر معين فان تعليم البالغين اصبح واجبا مهما من واجبات المجتمع • ثم ان دراسة الفروق الفردية وفشل عدد كبير من طلبة المدارس الثانوية فى دراساتهم وتخلفهم عن اقرانهم ادى فى كثير من اقطار العالم الى اعادة النظر فى اسس التعليم الثانوى لدراسة عوامل الرسوب والتخلف هذه ، والى « تنويع » الدراسة الثانوية •

واخيرا فان مكانة الوسائل التربوية غير المقصودة سواء اكانت هذه الوسائل قسما من نظام التعليم نفسه او مستقلة عنه (كالنوادى والجمعيات والمتاحف والاذاعات ودور السينما والفنون الجميلة وغيرها) وجميع الفعاليات اللاصفية الاخرى قد اخذت تزداد سنة بعد أخرى • وقد احتلت فى بعض الاقطار الاوربية (وخاصة فى الاتحاد السوفياتى والمانية النازية وايطالية الفاشية) منزلة عظيمة ، وصارت تؤلف جزءا اساسيا من نظام التعليم القومى نفسه •

مراجع البحث الاساسية

١ ـ المراجع العربية :

١ ـ أحمد لطفى السيد ـ « السياسة » لارسطوطاليس . ترجمه عن الاغريقية بارتلمى سانتهيلير ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة ١٩٤٧ .

ب ـ مجلة الابحاث (تصدرها الجامعة الامريكية ببيـروت) الجـزء الثالث (السنة الخامسة) سنة ١٩٥٢ ، محاضرة الاستاذ جون بروباخر .

٢ ـ المراجع الانكليزية :

A - Kandel I. L., Comparative Education, 1933
راجع مقدمة الكتاب ، والفصول الرابعة والسادسة والثامنة .

B - Ulich, Robert, History of Educational Thought, American Book Company, 1945.

التعليم فى انكلترة

ظهرت فى المجتمع الانكليزى طوال القرون الوسطى ثلاث طبقات اجتماعية : طبقة حاكمة ، وطبقة دينية وأخرى عاملة . وكانت « الطبقة الحاكمة » تعنى باعداد الجسم اعداديا عسكريا ؛ فتدربه على الطاعة والنظام والقوة . وفى هذه الطبقة ترعرع المحاربون ، ومنها نشأ العسكريون ، واليها فتحت مدارس « الخاصة » لتنمية مثل هذه الخصائص الجسمية والفضائل الخلقية . وكانت « الطبقة الدينية » تعنى فى الدين كثيرا وتهتم فى شرح الامور الدينية وتفسيرها وتطبيقها وتعليمها ؛ ومن أجل هذا فقد أخذت على عاتقها مسئولية نشر التعليم وادارته شيئا فشيئا . وكان لابد لها ان تقوم بتدريس اللغة اللاتينية وهى لغة الدين وتفسير النصوص ؛ فأسست المدارس « الثانوية » الكلاسيكية . وكانت « الطبقة العاملة » بحاجة الى تعلم عملى يساعدها على تعلم الصناعات واتقانها بصورة فنية ، فنشأت المدارس الصناعية . ومع ان هذا الضرب من التعليم كان يقوم به « الاستاذ » نفسه فى أول مرحلة من مراحل نشوئه الا ان تبدل الاساليب الفنية ادى الى تبدل اساليب التعليم نفسها . فظهر الانتاج الآلى ، الذى تطلب من المجتمع عاملا يقوم « بتشغيل » آلات الانتاج اكثر مما تطلب عاملا يجيد صنعته بدقة ومهارة . وحينما حدثت تبدلات كبيرة فى النظم السياسية ، وانتقلت السلطة السياسية من القلة الى الكثرة ومن الكثرة الى الاكثرية طالب الناس بذلك النوع من التعليم الذى يهدف الى اعداد مواطن يستطيع ان يفكر وينتج فى الحقلين السياسى والصناعى معا ، لا الصناعى وحده .

وقد نشأت هذه الانواع الثلاثة من المدارس لدرجة كبيرة كل بمعزل عن الاخرى ، وانقسمت انقساما عموديا . وكان الانتقال من مدرسة الى

أخرى أمرا صعبا بل نادرا • وحيث ان مجتمع القرون الوسطى كان يتسم بالثبوت والجمود فان النظم التعليمية التى ظهرت فى تلك القرون اتسمت بالجمود كذلك • وحينما اخذت الانقسامات الطبقية تتضاءل شيئا فشيئا ، ودبت فى مجتمع القرون الوسطى الحركة والحياة صارت نظم التعليم اكثر مرونة من قبل وأعظم تكيفا للحاجات الجديدة • ولكن هذه الانقسامات الطبقية لم تسر فى طريق الاضمحلال او الزوال بل ظلت آثارها ملموسة حتى يومنا هذا فى مختلف ميادين الحياة ، ومنها ميدان التربية والتعليم • واذا كانت هذه الآثار قد أخذت تتضاءل فى المدارس الابتدائية والثانوية فى انكلترة بوجه عام فانها استمرت فى المدارس « الثانوية العلمية » و « مدارس الخاصة » • وما تقرير هادو Hadow عن « تربية المراهق » الا محاولة اريد بها احلال الانقسام الافقى فى المدارس الاولية Primary والثانوية Secondary محل الانقسام العمودى فى المدارس الابتدائية Elementary والثانوية • وما قانون معارف سنة ١٩٤٤ الا محاولة اخرى جديدة اريد بها الحد من هذه الانقسامات الاجتماعية فى سياسة التربية والتعليم • وليس بمستغرب ان تجد فى البلاد التى خرجت حديثا من عهود الاقطاع وصارت امة متكونة من صناع ريفيين ومن اصحاب حوانيت ومصانع ومعامل مجموعة من المتناقضات لم تزل حية فى نظامها التعليمى الحالى ـ هذه المتناقضات التى ترجع الى حب المحافظة على التقاليد الموروثة والى بقايا رواسب ثقافية قديمة فى الثقافة الحديثة[1] •

ومع ان نظام التعليم الابتدائى والثانوى فى انكلترة معقد وغير متناسق ، بل ومتناقض فى بعض صوره واشكاله ، ولا يؤلف « نظاما » بالمعنى المعروف؛ ومع ان المدارس « العامة » Public ليست عامة بل « خاصة » ، والمدارس

1 - Stead, H. G., Modern School Organisation, P., 5, London, 1945.

الثانوية لا تتصل بالمدارس الابتدائية ولم تتطور عنها الا انه « نظام قومى » يتناسب وتقاليد الانكليز وخصائصهم القومية • ولقد اشار الى ذلك الاستاذ سيريل نورود Norwood المربى الانكليزى المعروف حينما قال : ان نظام التعليم فى انكلترة لا يقوم على منطق ، ولا هو متناسق • فلم يفكر فيه المشرعون ولا السياسيون ويفرضونه على الامة فرضا • وهو فى الوقت نفسه لم يأت عرضا ، بل انبثق عن حاجات الشعب العملية ، وارتبط بالحياة القومية كل الارتباط • ولا يستطيع أحد أن يدرك حقيقته دون ان يفهم التاريخ القومى الانكليزى • فنظام التعليم نتج الخلق القومى العام National Character هذا الخلق الذى من احدى خصائصه قدرته على اخراج التسوية غير المنطقية من حيزها النظرى الى حيزها الواقعى التطبيقى• فهو لايضفى على النواحى النظرية اهمية كبرى[٢] •

ويدرك الانكليز ان الحياة الاجتماعية تحدث فيها تبدلات مستمرة بواسطة المخترعات والمكتشفات الحديثة وان الاساليب التربوية والنظرية التربوية ينبغى ان تتبدل وتتطور ، الا انهم لا يحدثون تبدلات كلية وسريعة فى نظمهم التعليمية كما تفعل غيرهم من الامم ، بل يفضلون التطور البطىء ، والاصلاح التدريجى • « والتعليم فى انكلترة شأنه فى ذلك شأن المؤسسات الانكليزية الاخرى نتيجة نمو بطىء ويقدم مثلا جيدا على الطريقة التى تتطور بها المؤسسات الانكليزية • فهو لا ينفصل عن الماضى انفصالا تاما ، ولكنه يبدل نفسه ويكيفها ليواجه اوضاعا جديدة ؛ ويرينا ان الانكليز يفضلون الاشياء العملية على النظرية ، والنظرة القريبة على البعيدة • ويعكس نظام التعليم التكوين الطبقى للمجتمع الانكليزى انعكاسا كبيرا • ويتبدل بسرعة فائقة اسوة بالمؤسسات الانكليزية الاخرى »[٣] •

---

2 - Briggs, T., Secondary Education, P. 4-5

3 - Stephens. W. E. D., English Education, P., 7

ولم يزل التعليم فى انكلترة يحمل فى ثناياه التطور التاريخى الذى أصاب اقسامه المختلفة • فهو يمثل مزيجا من المدارس العامة والخاصة ، ومن المدارس الطائفية وغير الطائفية ، ومن المدارس الرسمية والمساعدة ماليا والمدارس غير المساعدة ، ويمثل تداخلا فى الوظائف • ومن ناحية التنظيم لا يؤلف نظاما خاصا • فقد نشأ هذا النظام من الموقف التقليدى الذى اتخذته الدولة نحو التعليم من جهة ، ومن تردد الانكليز انفسهم من تعكير صفو المصالح المركزة التى نشأت حول التعليم بفضل الاعمال التى قامت بها بعض الجماعات المنظمة والهيئات التطوعية من الجهة الثانية(٤) •

و « يتبدل كيان انكلترة الاقتصادى والسياسى تبدلا اساسيا • وتقترب انكلترة القديمة التى تعتنق النظرية الفردية فى الاقتصاد والاجتماع من نهايتها شيئا فشيئا ، وذلك بتأثير تبدل العلاقات الداخلية والخارجية ، وبتأثير المبادىء الاشتراكية • ومع ان تقاليدها الاجتماعية تقوم على نظام الطبقات الاجتماعية ، وان تقاليدها الاقتصادية تقوم على التنافس الاقتصادى الحر فقد تعرض كيانها المادى والروحى الى الخطر حينما اضطرت على خوض حرب كلية • وقد تطلب المجهود الحربى ان تخضع جميع المصالح الجمعية والطبقية خضوعا كليا الى قضية واحدة عليا ـ هى قضية بقاء الامة الانكليزية • وفى سبيل هذه القضية العليا عطلت الحريات الفردية التقليدية وسيطرت الدولة على النظام الاقتصادى ووجهته نحو اهدافها • واصبحت انكلترة الديمقراطية ، والالم يحزها ، دولة تشبه عدوها صاحب النظرية الكلية • وساور الناس بعد هذه السيطرة الكلية شك فى امكان عودة انكلترة بعد هزيمة عدوها الى الحال الذى كانت عليه قبل نشوب الحرب العالمية الثانية • وبفقدان استثمار رؤوس الاموال الانكليزية فى الاقطار الاجنبية وبفقدان التجارة الخارجية اضطرب ميزانها الاقتصادى • وفقدت الطبقات العليا امتيازاتها ؛ وهيأت الحرب للسكان الصناعيين

4 - Kandel, I. L., Comparative Education, P., 94

فرصة المطالبة بتحقيق مطالبهم القديمة واخذوا يلحون فى عرضها للحصول على تكيف اجتماعى واقتصادى ؛ وصار الجو مهيئا لوضع تشريعات اشتراكية • ولم تنهج انكلترة طريقة الانقلاب الثوروى العنيف الذى نهجته روسية • فالتبدل الاساسى يسير يوما بعد يوم • ولكنه يسير بتشريع برلمانى وبالطريقة التقليدية مع الاحتفاظ بكيان الدولة التاريخى القديم • وبرهنت انكلترة الى العالم كما برهنت من قبل على قابليتها الفائقة بادخال الآراء الجديدة والراديكالية فى النظام القديم الموروث دون ان تقلع جذوره قلعا نهائيا • واتبعت الطريقة نفسها فى التعليم كما اتبعتها فى ميادين الحياة القومية الاخرى• فنظام التعليم يتبدل يوما بعد يوم ويحافظ على خصائصه القديمة ؛ ولكن تدخل فيه محتويات اجتماعية جديدة[٥] •

ويعكس علينا نظام التعليم فى بريطانيا التنوع الذى تتألف منه وحدة الاقوام البريطانية والذى يجعل انسجامها حقيقة من الحقائق ـ يعكس علينا وحدة القصد ، ووحدة المصالح بالرغم من جميع الفروق الرسمية والسياسية والمذهبية والطبقية • ويرجع تنوع هذا النظام الى هذه الفروق نفسها ؛ ولكنه يرجع قبل كل شىء الى الخصائص العامة للشعب البريطانى وهى : حبه للحريات الديمقراطية ، ولروح التسامح ، وتعلقه بالفردية[٦] • وليس التعليم وحدة عضوية ، بل هو مجموعة من الاقسام : كل قسم يحتفظ فى قليل او كثير بآثار المراحل التطورية الاجتماعية التى مر بها • ويرجع الى ان بريطانية تتكون من اربعة اقسام متمايزة : تتكون من انكلترة وويلز واسكوتلندة وشمال ايرلندة(*) وقد نمى كل نظام تعليمى نموا فريدا فى بابه • فلا تشرف على

5 - Hans N. , Comparative Education , P., 254

6 - Dent, H.C., British Education, P., 7 London, 1944

(*) تؤلف ايرلنده جمهورية حرة مستقلة ، ولا تدخل فى نطاق المملكة المتحدة • United Kindom

نظم التعليم كما لا تديرها سلطة حكومية مركزية بل تديرها فى الحقيقة ثلاث سلطات : السلطة الاولى تدير نظام التعليم فى انكلترة وويلز ؛ والسلطة الثانية تدير نظام التعليم فى اسكتلندة ؛ والسلطة الثالثة تدير نظام التعليم فى شمال آيرلنده • وهذه الانظمة المختلفة وان كانت مستقلة بعضها عن بعض الا ان العوامل التاريخية التى كونتها البيئة المتقاربة التى احتظنتها اكسبتها بعض الخصائص العامة • غير انها ظلت تنفرد فى بعض الميزات ، وتحتفظ بانظمتها وقوانينها الخاصة •

ويختلف نظام التعليم فى انكلترة وويلز كما تقول احدى النشرات الرسمية عن الانظمة الموجودة فى كثير من الاقطار الاخرى من ناحيتى التنظيم والادارة • ويبدو هذا الاختلاف فى ثلاثة امور اساسية : فى صفة الادارة اللامركزية وفى الدور الذى تلعبه الهيئات التطوعية ، وفى تحرر المدرسين من الاوامر الرسمية التى تتعلق بمناهج التدريس وبطرائق التعليم، ويختلف فى امور أخرى : فلم تبدأ به الدولة ، ولم تتدخل فى شئونه الا منذ مدة قصيرة ، لاسيما فى مطلع القرن التاسع عشر ؛ ولا تهدف الدولة من تدخلها الا ضمان الحد الادنى من التعليم للاطفال • والطفل فى انكلترة لا يعود الى الدولة وانما يعود الى الكنيسة ، وحركة التعليم فيها من حيث الاساس نتاج جهود فردية وخيرية ودينية • وبالرغم من تعدد هذه الجهود فان وحدة القصد تجعل من تعدد صوره والوانه صورة واحدة منسجمة بعض الانسجام • وتنحصر العوامل التى تجعله منسجما فى : حرية المدرس واستقلال المدرسة واستخدامها لتنمية العقل والخلق ، وفى العلاقة الودية بين الطلاب والهيئات التعليمية وفى عناية اكثر المدارس الثانوية وخاصة «العلمية» بالنواحى العلمية والنظرية ، وفى تنشأة الفعاليات التربوية والامتاعية خارج المدرسة وفى اتجاه المربين الى تنظيم التعليم بحيث يفصح عن توضيح اغراض التعليم فى مجتمع ديمقراطى •

جذور التربية الانكليزية

قلنا ان نظام التعليم فى انكلترة قد استمد شكله من طبيعة تكوين الحياة الاجتماعية فى القرون الوسطى وان هذا النظام يعكس علينا لدرجة كبيرة التكوين الطبقى للمجتمع الانكليزى • « فالطبقة الحاكمة » اليوم لم تتغير خصائصها كثيرا وما زالت مدارسها « الخاصة » قائمة و « الطبقة الدينية » ما زال نفوذها فى المجتمع الانكليزى قويا ، وخاصة الكنيسة الانكليزية ؛ وما زالت مدارسها الكنسية الابتدائية والثانوية ثابتة كالطود • وما زالت « الطبقة العاملة » تكافح وتناضل فى سبيل حقوقها وتنمو وتزداد قوة حتى وصلت اليوم الى ارقى مرحلة من مراحل كفاحها السياسى • واستطاعت ان تستولى على الحكم • وتخفف من غلواء « الطبقية » ومن نهم الرأسمالية ومن « تسيب » الديمقراطية • ومدارسها هى المدارس الحكومية الابتدائية والثانوية والمهنية •

وتمتد جذور التربية الانكليزية فى تاريخ انكلترة نفسها ، وتتفاعل مع صور الحياة الاجتماعية والسياسية فيها • ومن المفيد جدا ان نتتبع سير هذا التفاعل ، والمدارس التى انبثقت عنه ، والدور الذى لعبته فى حياتها الثقافية والسياسية • كانت مدرسة ونشستر Winchester أول مدرسة خاصة ظهرت فى انكلترة • فقد اسس وليم اوف ويكام William of Wykeham اسقف ونشستر سنة ١٣٨٢ « كلية ترمى الى اعداد فئة من الطلبة للالتحاق بكلية نيوكولج New College فى مدينة كيمبرج؛ وهى الكلية التى اسسها الاسقف نفسه ؛ وقال ينبغى ان تضم هذه « الكلية » الجديدة سبعين طالبا فقيرا وان يعيشوا عيشة جمعية Community • ولكنه سمح فى الوقت نفسه للراغبين من اولاد الاشراف والنبلاء والمتنفذين ان يلتحقوا بها • وقرر ان يشترك كبار الاولاد فى حفظ النظام داخل الكلية » • واستمر امتزاج هذه الصور المختلفة فى حياة الكلية : صلتها بالجامعة ، وحياتها الجمعية ، والقاء المسئوليات

على كبار الاولاد ، وتباين الطلاب ؛ فمنهم من صار تعليمه مجانيا ومنهم من كان يدفع اجورا مدرسية ؛ واصبح احدى خصائص مدارس الخاصة الانكليزية التى قد تأسست وفق الخطة التى تم بموجبها تأسيس مدرسة ونشستر»[7] التى كان شعارها القديم « الاخلاق تصنع الرجال » Manners Makyth men ويدل هذا الشعار على ذلك النوع من التعليم الذى لا يستهدف التدريس المجرد بل تكوين افراد « متزنين » يصبحون اعضاء صالحين فى المجتمع . ولم يزل هذا الشعار شعار « مدارس الخاصة » الانكليزية حتى يومنا هذا .

وبعد مرور ستين سنة على تأسيس مدرسة ونشستر اسس الملك هنرى السادس مدرسة ايتون Eton الخاصة الشهيرة وسارت على غرارها ، وجعلها تتصل « بكلية الملك Kings College وما زالت هذه الصلة مستمرة الى الوقت الحاضر .

تاثير عصر النهظة :ـ

وفى عصر النهظة Renaissance ازدهرت الحياة فى انكلترا (القرن السابع عشر) ازدهارا عظيما . ووجد الشعور الدينى العميق الذى انبعث فى عصر الاصلاح Reformation طريقه الى اشرف العقول وانبلها . الى عقول جون ملتن Milton والسر توماس مور More مؤلف « طوبيا » وكوليت Dean Colet ولقد ازداد هذا الشعور الدينى ثراء بجمال اليونان القديم ، وبجلال روما ومجدها العظيم ؛ فقد استطاع ملتن ان يمزج التراث العبرى والاغريقى فى شعره مزجا عظيما ؛ واستطاع كوليت ان يؤسس مدرسة سنت

7 - Stephens, W.E.D., English Education, P.,8-9, London 1947

بول St. Paul لتدريس اللغتين اليونانية واللاتينية • وباتحاد التعاليم المسيحية والروائع الادبية القديمة Classics ازدادت العناية بذلك الاتجاه الذى اضفى على التعليم الانكليزى خصائصه التى واكبته اربعة قرون كاملة •

ولقد عاش الانكليز فى عصر الملكة اليزابيث عيشة مليئة بالانجازات العظيمة فى ميادين الشعر والتمثيل والموسيقى ؛ حتى ان العالم الموراقى الكبير كومنيوس كتب ـ نقلا عن ستيفنس ـ وهو فى انكلترة سنة ١٦٤١ ما يأتى :ـ « اخذ الانكليز يتكلمون بحماس وجد فى اصلاح المدارس فى طول البلاد وعرضها • واخذوا يتكلمون بصورة خاصة عن وجوب تعليم الشبان كافة دون اهمال احد منهم » • وبفضل الاستقرار الداخلى والخارجى الذى نتج عن قيادة كرومل وفى العصر الذى عقب عصر اليزابيث ظهر فى انكترة نظام تعليمى شامل •

غير ان فكرة تعميم التعليم لم تخرج فى انكلترة الى حيز التطبيق الا بعد قرنين • ويعد القرن الثامن عشر صفحة سوداء فى تاريخ التربية الانكليزية • فالمدارس الثانوية « العلمية Grammar لم تستطع ان تكيف نفسها الى الظروف المتبدلة • وكان عدد المدرسين قليلا ورواتبهم ضئيلة • ولم يظهر رجال المعارف رغبة فى نشر التعليم • ولم تكن الجامعات فى وضع يغبط عليه • وتأسست مدارس « خصوصية » Private فى هذا القرن فمنها ما كان جيدا ، ومنها ما كان رديئا ؛ كما فتحت لاولاد الفقراء مدارس خصوصية ايضا على جانب عظيم من الانحلال والانحطاط • حتى لقد بلغ الامر ببعض النجارين والاسكافيين ان يفتحوا مدارس خصوصية فى اوقات فراغهم يعلمون فيها مبادىء القراءة والكتابة لقاء بعض الاجور(٨) •

وفى هذه الفترة المظلمة استطاعت بعض المدارس الثانوية العلمية

---

(٨) المصدر السابق نفسه •

Grammar Schools الاعتيادية ان تنال بجهود مديريها شهرة واسعة ؛ فأستهوت عددا كبيرا من الطلاب جاؤا اليها من مختلف نواحى القطر ، مما اضطرها على ان تكون مدارس داخلية(*).

فى القرن التاسع عشر :-

وابتدأ عصر التعليم الحديث فى انكلترة فى مستهل القرن التاسع عشر ؛ وحدثت فيه تطورات وتبدلات سريعة ، ولكنها لم تأت وفق خطة مرسومة ترمى الى تحقيق اهداف بعيدة بل جاءت بها الاحداث المتلاحقة وفرضتها الحاجات الملحة . وكانت كل خطوة تستهدف حل مشكلة معينة ؛ ولم يراع فيها ان تكون جزءا من خطة اكبر . والحقيقة لم توضع للتعليم الانكليزى خطة الا فى السنوات المتأخرة . وقد لعبت الدولة فى نشر التعليم واصلاحه وتخطيطه دورا ضئيلا بينما لعب الافراد الواعون أدوارا مهمة فى نشره وتنظيمه وتمويله . و « انتشرت فى مطلع القرن التاسع عشر مدارس علمية للبنين كثيرة قام بتأسيسها بعض الافراد من جهة وبعض الهيئات الدينية والشركات الوطنية من الجهة الثانية ... وسنحت لبعض هذه المدارس ظروف خاصة ، من ذلك موقعها الجغرافى أو مصادر ثروتها او شهرة مديرها ، فاكتسبت سمعة طيبة اكتسحت بها سمعة غيرها من المدارس ، وامتدت حتى تسربت الى المدن الاخرى ؛ فأصبحت هذه المدارس تعرف « بمدارس الخاصة » . اما المدارس العلمية الاخرى فقد احتفظت بطابعها القديم وحافظت فى اكثر

(*) ومن اهم هذه المدارس التى قد تحولت فيما بعد واصبحت مدارس خاصة هى هارو وشروزبيرى وركبى . وكان ارنولد الذى ظل مديرا لمدرسة ركبى من سنة ١٨٢٨ ـ ١٨٤٢ رجلا دينيا ورعا ؛ وقد ادخل عدة اساليب تربوية فى مدرسته سنذكرها فى غير محل من هذا الكتاب .

الاحايين على اسمها وهو « المدارس العلمية »[٩].

ولم تبذل محولات منظمة فى سبيل نشر التعليم الابتدائى كما يقول الاستاذ دينت H.C. Dent فى كتابه « التربية البريطانية » الا فى مطلع القرن التاسع عشر • فقد نشأت المدرسة الابتدائية فى احضان جمعيات البر والاحسان ، فأسست « جمعية تقدم المعارف المسيحية »(*) فى غضون هذا القرن مئات المدارس الابتدائية ، كما اسست غيرها من الجمعيات الدينية مدارس اخرى كان لها شأن عظيم فى نشر التعليم الابتدائى ، وفى تحريم استخدام الاطفال الصغار فى المعامل ، وفى مناهضة الفكرة القائلة بان « تعليم الطبقات الدنيا » مضر بها ، وقد اسس روبرت ريكس Raikes مثلا «مدارس الاحد» Sunday Schools ، فقد كان يوم الاحد الوحيد الذى لا يشتغل فيه الاطفال • وتأسست مثلها فى مقاطعة ويلز لتعليم اولاد الفقراء القراءة وتلاوة الانجيل • وشرع بعض رجال الاعمال فى تأسيسها فى فى المعامل على غرار ما فعل روبرت اوين Robert Owen فى اقليم لنكشاير • وتألفت فى القرن التاسع عشر جمعيتان دينيتان لتأسيس المدارس الابتدائية بمقياس اوسع وهما : « الجمعية القومية لنشر التعليم بين الفقراء وفق مبادىء الكنيسة الرسمية » و« جمعية المدارس البريطانية والاجنبية »(**) وكان الهدف الرئيس من تأسيسها دينيا واخلاقيا • واطلق اسم « المدرسة

9 - A Guide to the Educational System of England & Wales, Ministry of Education, H.M.O.,P., 48, London 1945.

* Society for the Promotion of Christian Knowledge

** National Society for Promoting the Education of the Poor in the Principles of Established Church, and British and Foreign Schools Society.

البريطانية » . واسم « المدرسة القومية » ايضا على عدد من هذه المدارس الابتدائية . اما اليوم فقد اصبحت هذه التسمية نادرة الوجود .

ولا شك ان هاتين الجمعيتين وغيرها من الجمعيات التى امدتها الدولة سنة ١٨٣٣ بمساعدة مالية بلغت ٢٠٫٠٠٠ دينارا لبناء مدارس « الى الطبقات الفقيرة فى بريطانية العظمى » وارصدت لها فى كل سنة مساعدة مالية بلغت سنة ١٨٦١ حوالى ٨٤٠٫٠٠٠ دينار قد مهدت الطريق لوضع اسس نظام التعليم . وتشكل مجلس ملكى للاشراف على وجوه انفاق هذه المساعدات انفاقا صحيحا وتطور هذا المجلس الى « دائرة المعارف » ثم الى « مجلس المعارف » وأخيرا الى « وزارة المعارف » (*). وصار موضوع السيطرة على التعليم الابتدائى منذ ذلك الحين احدى المواضيع السياسية الجدلية المهمة فى انكترة . فهل تسيطر عليه الدولة أم الكنيسة ؟ .

والقيت مسئولية نشر التعليم الابتدائى كما بينا على كاهل هاتين الجمعيتين فى الفترة الواقعة بين ١٨٣٣ - ١٨٧٠ وعلى غيرها من الجمعيات الخيرية والدينية . وتقدم التعليم تقدما مرضيا بالهبات والاجور المدرسية والمساعدات الحكومية ، وعهد الى «المجالس المدرسية» المحلية School Boards سنة ١٨٧٠ نشر التعليم الابتدائى فى المناطق التى عجزت الهيئات التطوعية ان تقوم بنشره بسبب زيادة اقبال الناس على التعليم . وهكذا ظهرت مدارس جديدة Board Schools متميزة عن المدارس التطوعية الخيرية Voluntary Schools فى الفترة الواقعة بين ١٨٧٠ - ١٩٠٠ . اما فى القرن التاسع عشر فقد تأسست « مدارس جديدة » ومدارس تحضيرية ابتدائية متصلة بها كل الاتصال .

---

* Department of Education, Board of Education, and Ministry of Education.

وحاولت الدولة ان تشرف على وجوه انفاق المساعدات المالية التى تدفعها الى هاتين الجمعيتين بصورة خاصة والجمعيات الاخرى بصورة عامة دون ان تتدخل فى النواحى الدينية • فوضع روبرت لو Robert Lowe ، وكان مشرفا على ادارة التعليم وصار وزيرا سنة ١٨٦٢ ، امتحانا سنويا فى القراءة والكتابة والحساب لجميع المدارس « المساعدة » aided ، وجعل رواتب المدرسين متوقفة على النتائج التى يحصل عليها الطلاب فى هذه الامتحانات • وقد سميت هذه الطريقة « بطريقة الدفع بالنتائج » Payment by Results وتركت اثرا سيئا فى نفوس الطلاب والمدرسين •

وكان من جراء تدخل الدولة فى شئون التعليم ان وقع نزاع شديد بين الدولة من جهة والكنيسة من جهة ثانية • فبينما كانت الدولة تريد المساهمة فى نشر التعليم والاشراف عليه كانت الكنيسة تريد فرض سيطرتها عليه ومحاربة اى تدخل يأتى من سلطة أخرى • وقد أدى هذا النزاع الى ان اخذت الجمعيات الدينية تحصر عملها فى الميدان الدينى وهو الميدان الذى بدأت جهودها فيه واخذت الدولة تنشر التعليم فى الاماكن التى يتعذر على الجمعيات الدينية ان تقوم بنشره • وتكون بمرور الزمن فى انكلترة نظام تعليمى ثنائى : تعليم كنسى وتعليم حكومى •

أثر الثورة الصناعية :

وظهرت فى مطلع القرن التاسع عشر حاجة ملحة لنشر التعليم بين ابناء الطبقة العاملة • فقد تضخم سكان المدن بسبب الثورة الصناعية ، واخذ ابناء العمال يزدادون سنة بعد أخرى ، وأصبحت حاجتهم الى تعلم القراءة والكتابة والتعاليم المسيحية عظيمة جدا ، ونشطت الهيئات التطوعية من ناحية والدولة من الناحية الثانية • « غير ان تزايد عدد سكان المدن المطرد خلق للهيئات

التطوعية مشكلة عظيمة . وتوجهت الانظار الى الدولة ، واتضح انها ينبغى ان تلعب دورا اكبر فى نشر التعليم . فصدر قانون التعليم الابتدائى فى سنة ١٨٧٠ وتشكلت بموجبه « مجالس مدرسية » School Boards انحصرت وظيفتها فى تأسيس مدارس فى المناطق المحتاجة . تلك هى بداية وضع التعليم على اسس قومية . فقد استطاع كل طفل ان يحصل فى اواخر القرن التاسع عشر على عناصر التعليم الاساسية وهى : القراءة والكتابة والحساب ، وكان قسم من نفقات التعليم يستوفى من ضريبة الاملاك Rates محليا وقسم من خزينة الحكومة . وفى سنة ١٩٠٢ خطى التعليم خطوة كبيرة حينما الغيت المجالس المدرسية ، وحلت محلها سلطات التعليم المحلية التى خولت ، بالاتفاق مع وزارة المعارف Board of Education ، صلاحيات تامة لنشر التعليم الابتدائى والثانوى . وقد دلت هذه الاجراءات على انها ناجحة »[١٠] .

* * * * *

اقتفينا فى الصفحات السالفة آثار ثلاث حركات رئيسة فى تطور نظام التعليم فى انكلترة : فقد كان حليفا لنظام الطبقات وهو اليوم عامل من عوامل تخفيف الفوارق الاجتماعية وتحقيق المساواة الاجتماعية ؛ وقد كان خاضعا للكنائس والهيئات التطوعية ، وهو اليوم يخضع الى اشراف الدولة ومساعدتها ؛ وكانت اهدافه ضيقة ، واصبحت اليوم واسعة ، وصار عاملا من عوامل اثراء الحياة القومية[١١] .

وتنقسم المدارس فى انكلترة الى مدارس « حكومية » State و « مستقلة » Independent وكل قسم منها يحتوى على عدة مدارس : ابتدائية وثانوية وعالية وهى :

---

10 - Stephens, W. E. D., English Education, P., 12 - 13
11 - Barker, Ernest, National Character, P, 268 - 9

المدارس الحكومية

State Schools

حالة التعليم قبل قانون ١٩٤٤ :

كان نظام التعليم فى انكلترة حتى سنة ١٩٤٥ يتألف من نوعين رئيسين من المدارس : المدارس الابتدائية العامة والمدارس الثانوية (او المدارس العلمية) Grammar Schools . ولم تقم الدولة بتأسيس المدارس الا فى سنة ١٨٧٠ ولكنها كانت تقدم مساعدات مالية الى بعض الجمعيات الخيرية كما بينا آنفا . وكانت « المدارس الابتدائية » Elementary Schools كما يدل اسمها تقدم «مبادىء» elements التعليم الاساسية من قراءة وكتابة وحساب ودروس دينية وكانت مجانية تستهدف تقديم تعليم « جيد ورخيص » «لاطفال الفقراء الكادحين » . اما العائلات الموسرة فقد كانت ترسل ابناءها الى « مدارس الخاصة » . ولما اخذت الطبقة العاملة فى نهاية القرن التاسع عشر تطالب بتعليم يتخطى حدود التعليم الابتدائى اعطيت « سلطات التعليم المحلية » فى سنة ١٩٠٢ صلاحيات فى فتح مدارس ثانوية ، فأنشأت هذه السلطات مدارس جديدة من جهة وساعدت المدارس « العلمية » الثانوية من جهة ثانية . فازداد عدد المدارس الثانوية(*) وكثر طلابها .

أما المدارس الثانوية فقد كانت تستوفى اجورا مدرسية . وكان بناؤها حسنا وعدد طلاب الصف الواحد قليلا ، ومرافقها جيدة ، ورواتب مدرسيها عالية ، اذا ما قورنت بالمدارس الابتدائية . وفى سنة ١٩٠٧ صار لزاما على المدارس الثانوية ان تحجز مجانا ٠٫٠٢٥ من محلاتها على الاقل للتلاميذ

(*) كان عدد طلاب المدارس الثانوية سنة ١٩٠٤ اقل من ١٠٠٫٠٠٠ طالب وطالبة فصار سنة ١٩٣٨ حوالى نصف مليون طالب وطالبة .

القادمين من المدارس الثانوية والى الذين قد اجتازوا امتحان الشهادة الابتدائية وبلغوا الحادية عشرة من العمر • وقد ارتفعت نسبة الطلاب الذين التحقوا بالمدارس الثانوية سنة ١٩٣٨ حوالى ٠٨١/٠ دفع نصفهم اجورا دراسية وعفى النصف الآخر •

اللجنة الاستشارية :

ولقد ادرك المربون الانكليز منذ حوالى ربع قرن ان هذه الحالة تهدد القابليات، وانها خطة غير حكيمة ، وانه لابد من علاج ووضع خطة جديدة لاصلاحها • فوضعت اللجنة الاستشارية Consultative Committee سنة ١٩٢٦ تقريرها عن « تربية المراهق » The Education of the Adloescent الذى سمى فيما بعد بـ « تقرير هادو » تخليدا لاسم رئيس اللجنة الاستشارية ، واقترحت ان تقسم الدراسة الى مرحلتين يدخلها جميع الاطفال :

١ ـ المرحلة الاولى ـ وتبدأ بالخامسة وتنتهى بالحادية عشرة وسماها التقرير مرحلة الدراسة الابتدائية Primary

٢ ـ المرحلة الثانية ـ وتبدأ بالحادية عشرة وتنتهى بالخامسة عشرة من العمر تقريبا وسماها التقرير الدراسة التى تلى الدراسة الابتدائية Post Primary

وقد اوصت اللجنة ان يدخل الاطفال كلما سنحت الفرصة مدارس متنوعة بعد الحادية عشرة من العمر ليبدأوا بداية طيبة • ولما عرضت توصيات اللجنة الاستشارية على وزارة المعارف اقرتها ، واخذت سلطات التعليم الحالية منذ ذلك الحين تعيد تنظيم المدارس الابتدائية بموجبها وتحول مدارسها الى مدارس اولية Junior وابتدائية Senior •

ونشرت اللجنة الاستشارية سنة ١٩٣٨ تقريرا آخر عن تنظيم المدارس التى تلى المدارس الابتدائية (للطلبة الذين تتراوح اعمارهم بين الحادية عشرة والثامنة عشرة) وخاصة المدارس « العلمية » والمعاهد الفنية وبحثت صلة هذه المدارس بعضها ببعض ـ تلك المدارس التى لم يبحثها « تقرير هادو » وقد عرف هذا التقرير فيما بعد بـ « تقرير سبينس » نسبة الى المستر ويل سبينس Spens رئيس اللجنة .

ومن اهم التوصيات التى قدمها هذا التقرير التوصية بتأسيس مدرسة جديدة سميت « بالمدرسة الفنية العليا » Technical High School واليك قسما من هذه التوصية :

« ان تأسيس نوع جديد من المدارس العليا الفنية مختلفة عن المدارس العالية التقليدية الاكاديمية كل الاختلاف أمر مهم جدا . وهذه هى قناعتنا جميعا . ونقترح ان تكون اول خطوة تخطى لبلوغ هذه الغاية هى تحويل مجموعة من المدارس الفنية المتوسطة التى تعنى بدراسة البنـــاء والهندســة وغيرها من المدارس الفنية التى تؤدى وظيفة متشابهة بحيث تقدم هذه الدراسة (أ) تدريبا عقليا جيدا بغض النظر عن قيمته الفنية و (ب) وتكون لها قيمة فنية لا من حيث صلتها بمهنة واحدة من المهن وانما بمجموعة منها ـ نقترح ان تحول الى (مدارس فنية ثانوية) على غرار المدارس العلمية فى كل ناحية من نواحيها المختلفة . كما نقترح ان تسمى هذه المدارس التى ستكون مدة الدراسة فيها خمس سنوات (اى الى السادسة عشرة من العمر) بالمدارس الثانوية الفنية تمييزا لها عن المدارس الفنية الاخرى التى يلتحق بها الطالب وهو فى الثالثة عشرة او الرابعة عشرة من العمر .

« ونقترح ان يكون سن الدخول هو الحادية عشرة من العمـــر وان ينتخب الطلاب بامتحان انتقائى عام اسوة بالامتحان الذى تستخدمه المدارس العلمية اليوم ... » .

وقد اوجب التقرير استيفاء اجور دراسية من الطلبة متساوية مع الاجور التى تستوفيها المدارس العلمية الواقعة فى الوحدة الادارية نفسها .

وذهب قانون ١٩٤٤ الى ابعد من ذلك فقلب نظام التعليم رأسا على عقب . وقبل ان نتناول التبدلات التى احدثها هذا النظام ينبغى ان نستعرض حالة المدارس قبل صدور هذا القانون .

١ ـ المدارس الابتدائية : Elementary Schools

اسست الجمعيات التطوعية اول مدرسة ابتدائية فى انكلترة واخذت الدولة تهتم فى شئون التعليم منذ سنة ١٨٧٠ اهتماما عظيما . فكان عدد المدارس الابتدائية سنة ١٩٣٨ فى انكلترة وويلز حوالى ٢٠٫٠٠٠ مدرسة وعدد تلاميذها حوالى خمسة ملايين وعدد مدرسيها قرابة ١٦٠٫٠٠٠ ومع ان نصفها مدارس خيرية الا ان عدد تلاميذها لم يتجاوز الثلث . واذا كان عدد المدارس الخيرية هو ١٠٫٠٠٠ مدرسة فان ٩٠٠٠ مدرسة منها تديرها « الكنيسة الانكليزية » اما المدارس الباقية فتدير اكثرها الكنيسة الكاثوليكية. وكانت اكثر نفقات هذه المدارس تسدها سلطات التعليم المحلية . غير ان الكنائس كانت لها سيطرة تامة على تدريس الدين وعلى ادارة المدرسة لحدما.

وتختلف ابنية المدارس بعضها عن بعض اختلافا كبيرا . فالمدارس الحديثة وعددها قليل تكون عادة كبيرة وصفوفها واسعة واضاءتها جيدة وساحاتها كثيرة . وقد بنيت اكثرها قبل اكثر من ثلاثين سنة وبنى بعضها قبل ١٨٧٠ وما زالت مدرسة القرية عادة مدرسة « تطوعية » قائمة بجوار الكنيسة . وهندسة عمارتها « كنسية » ايضا . اما مدرسة المدينة فقد تكون بناية مشيدة بالطابوق وبسيطة تتألف من ثلاث طوابق ولها ساحة صغيرة مبلطة . او قد تتألف من ثلاثة وحدات تعليمية : واحدة روضة للاطفال

وثانية مدرسة للبنين وثالثة مدرسة للبنات . وفى كل وحدة صالة تحيط بها صفوف المدرسة المختلفة .

أما فى المدارس الكبيرة فتتم تربية الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين الخامسة الى السابعة او الثامنة فى اجنحة منفصلة (وغالبا ما يتعلمون فى مدارس مستقلة) تسمى « مدارس الرضاعة » Infant Schools ويسير التعليم فيها اليوم على غرار ما يسير فى دور الحضانة Nurseries او رياض الاطفال ، فلا يتلقى الاطفال دروسا بالمعنى المعروف وانما تكون الفعالية الحرة Free Activity اساس العمل اليومى . وتطبق طريقة منتسورى وطريقة فروبل Froebel فى التدريس(*). واكثر هذه المعاهد مختلطة ويلتحق الاطفال بعد تخرجهم منها فى المدارس الاولية .

وأعدت مدارس الحضانة للاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين الثانية والخامسة من العمر ، وقد كان عددها فى بريطانيا قليلا قبل الحرب العالمية الثانية الا انها اخذت تزداد سنة بعد اخرى بتضافر جهود رواد هذه الحركة وبتأسيس « جمعية مدارس الحضانة Nursery School Association ازداد عددها ازديادا عظيما(**). وقد رافق هذه الزيادة تحسن عظيم فى العناية

(*) ويبدأ العمل المدرسى اليومى فى الساعة التاسعة صباحا حيث يجتمع الاطفال والمعلمات فى ساحة المدرسة ويرتلون بعض التراتيم الدينية . وتتخذ هذه الاجتماعات وسيلة لابداء النصائح والارشادات والتوصيات من المعلمات او من المديرة . ويعفى بعض الاطفال من ترتيل هذه التراتيم اذا شاء اولياء امورهم .

(**) فبعد ان كان عددها سنة ١٩٣٨ قرابة ٤٠٠ مدرسة (٣٥٠ منها خيرية) وعدد اطفالها حوالى ٨٠٠٠ طفلا ازداد اثناء الحرب العالمية الثانية ازديادا كبيرا بناء على اشتغال الامهات فى المعامل فبلغ عددها سنة ١٩٤٣ حوالى ١٥٠٠ مدرسة كل ذلك بفضل جهود وزارات الصحة والمعارف والعمل .

بالاطفال من جميع الوجوه ، وادرك الرأى العام اهمية هذه المدارس من حيث هى وسيلة لتثقيف الامهات بامور تغذية الاطفال والعناية الصحية بهم وتفهم نفسياتهم وغير ذلك • ولا يتلقى الاطفال دروسا معينة وانما يقضون اوقاتهم مع الدمى والادوات وبالالعاب الحرة الاخرى • ويلعب الاطفال افرادا وجماعات ، فيخرجون الدمى من خزانات واطئة اعدت لهذا الغرض ويلعبون بها • وحينما ينتهون منها يعيدونها الى اماكنها الاولى • وينمون جسميا وعقليا واجتماعيا نموا حسنا وينتقلون بعدها الى مدارس الرضاعة Infant Schools

وما زالت مناهج المدارس الابتدائية تتألف من القراءة والكتابة والحساب او ما تسمى بالانكليزية 3R's ولكن المنهج قد توسع اكثر مما كان عليه سابقا • وصار اقرب الى حياة الاطفال فالمدرسة لا تستهدف « ضخ » المعلومات الى اذهانهم بل بعث اولاعهم واثارة حب الاستطلاع فيهم ، وتفهيمهم بعض الاشياء عن العالم الذى يعيشون فيه • « فلم يعد درس التاريخ يستهدف معرفة تواريخ ملوك انكلترة وملكاتها وانما اصبح يتناول دراسة تطور المجتمع او المدينة او القرية التى يعيش فيها الاطفال ، ويتناول التبدلات التى تجرى فى حياة الناس اليومية : فى بيوتهم وفى لباسهم وتجارتهم • وليست الجغرافية استظهار اسماء انهار آسيا واسماء مدن بريطانية وانما دراسة مناخ الاقليم الذى يعيش فيه الاطفال ودراسة تربته دراسة علمية • ولم يعد تدريس اللغة الانكليزية قائما على النحو والاملاء وانما على قراءة الكتب الجذابة وقراءة القصص والروايات وقيام الطلاب بتمثيل بعض فصول الروايات ، وعلى الكتابة والتطبيقات المنبعثة طبيعيا من خبرات الاطفال

واولاعهم .. »[11].

وتحتوى مناهج بعض المدارس الابتدائية على تدريس لغة اجنبية . ولكن التجارب دلت على ان النتائج التى يحصل عليها الاطفال الذين يتخرجون وهم فى الرابعة عشرة من العمر لا تتناسب والوقت الذى يصرف على تدريسها .

٢ ـ المدارس الثانوية العلمية :

حينما طبق قانون التعليم الابتدائى الالزامى وانتشر هذا النوع من التعليم انتشارا واسعا فى كل من انكلترة وويلز اصبحت قضية المتخرجين من هذه المدارس ورغبة بعضهم الشديدة فى الالتحاق بالمدارس الثانوية وعددهم المتزايد مشكلة كبيرة . فلم تستطع المدارس الثانوية « المساعدة » الموجودة ان تحلها لقلة عددها وضعف مستواها . ولم تقبل « مدارس الخاصة » عددا منهم لانها مدارس « طبقية » ؛ كما لم يسمح للمدارس الابتدائية ان تفتح صفوفا ثانوية بعد الدراسة الابتدائية . ولم يكن بمقدورها ان تفعل ذلك لنقص فى مرافقها . وكان من نتيجة ذلك ان عينت الحكومة « لجنة ملكية » برئاسة اللورد برايس Bryce لبحث المشكلة وتقديم توصيات بشأنها . فاقترحت سنة ١٨٩٤ ـ ١٨٩٥ تأسيس سلطة مركزية واحدة لادارة التعليم وتخويل سلطات التعليم المحلية التى نشأت حديثا سلطة فتح مدارس اخرى غير المدارس الابتدائية ؛ فتأسس فى سنة ١٩٠٠ مجلس المعارف Board of Education وصار السلطة المركزية الوحيدة فى انكلترة ، وترأسه وزير فى الوزارة البريطانية . وفى الحقيقة ان هذا المجلس الذى كان « رئيسه » وزير المعارف نفسه لم يجتمع ابدا ؛ وكانت صلاحياته محدودة لم تتعد « الاشراف على شئون التعليم فى انكلترة وويلز » وقد ادت

11 - Stephens, W.E.D., English Education, P., 28-29

الى تكوين رابطة تعاونية بين السلطة المركزية من ناحية وسلطات التعليم المحلية من ناحية ثانية .

وبتشريع قانون معارف ١٩٠٢ الغيت « المجالس المدرسية » chool Boards وحلت محلها سلطات التعليم المحلية فى الالوية والاقضية والنواحى، وخولت فتح مدارس ابتدائية والاشراف عليها واعداد تعليم « عال » Higher فيها ، وبعبارة أخرى اعداد جميع انواع الدراسة التى تلى الدراسة الابتدائية. وهكذا استطاعت السلطات المحلية ان تفتح مدارس ثانوية كثيرة ومتنوعة وتمدها بمساعدات مالية ، وتحور المدارس القديمة . واما « مدارس الخاصة » فقد ظلت كما هى . وقد ادى هذا التنوع فى المدارس الثانوية الى تنوع فى مناهج الدراسة ، فأقر « مجلس المعارف » بعض الانظمة ، واشترط على المدارس التى تتسلم اعانات مالية ان تكون مناهجها « عامة » General فنهضت مناهج المدارس الثانوية الى مستوى مناهج المدارس « المساعدة » وهى المدارس العلمية Grammar Schools ومما زاد فى سيطرة مناهج المدارس العلمية على جميع مناهج المدارس الثانوية الاخرى منزلة « الشهادة المدرسية » الثانوية التى اخذ الناس يبالغون فى اهميتها والتى يحصل عليها الطالب بعد ان يجتاز امتحان الدراسة الثانوية .

وكانت المدارس الثانوية على نوعين(*):-

١ - المدارس العلمية القديمة .

٢ - مدارس الالوية الثانوية - التى تقوم بتأسيسها سلطات التعليم المحلية . ولم تكن المدارس الثانوية « المساعدة » aided خاضعة لسلطات

(*) تستعمل كلمة ثانوى فى هذه الصفحات بالمعنى الذى كان معروفا به حتى اوائل نيسان ١٩٤٥ واسمها الرسمى هو المدارس العلمية الثانوية. Secondary Grammar Schools

التعليم الا قليلا . فكان « حكامها » ومديروها يتمتعون بحرية فى ادارة مدارسهم وتنظيمها . ولما كانت هذه المدارس اقدم من غيرها واكثر استقلالا فى شئونها عظمت منزلتها الاجتماعية .

الاجور :ـ

وكانت اكثر المدارس الثانوية حتى اوائل شهر نيسان ١٩٤٥ تستوفى اجورا مدرسية تتراوح بين ٩ ـ ٣٠ دينارا فى السنة . ولقد قدرت تكاليف دراسة كل طالب ثانوى بنحو ٣٥ دينارا فى السنة . وكانت المدارس الثانوية ملزمة بقبول نسبة محدودة من خريجى المدارس الابتدائية تقدر بـ ٠٢٥/٠ من مجموع طلابها . وكانت هذه النسبة تصل فى المدارس الثانوية التابعة لسلطات التعليم المحلية الى ٠١٠٠/٠ . اما الطلاب الآخرون فتستوفى المدرسة منهم اجورا دراسية(*) .

ويلتحق الطلاب فى المدارس الثانوية وهم فى الحادية عشرة أو الثانية عشرة من العمر ويواصلون دراساتهم فيها حتى يبلغوا السادسة عشرة . وقد يواصل بعضهم حتى الثامنة عشرة من العمر . ويتكون منهج الدراسة من اللغة الاجنبية واللغة الانكليزية وآدابها والجغرافية والتاريخ والعلوم الرياضية والطبيعية والرسم ودروسا للبنات فى تدبير المنزل . وعليه فان الدراسة عامة وليست اختصاصية . ومدة الدراسة فيها ـ كما يتضح ـ اربع سنوات وعدد طلاب الصف الواحد قليل والمدرسون عادة من خريجى الجامعات البريطانية .

(*) الغى قانون بتلر Butler Act نظام الاجور المدرسية فى جميع المدارس الثانوية لسلطات التعليم المحلية وفى المدارس الثانوية العلمية ولبعض المدارس ان تستوفى مقدارا معينا من الاجور ، وهى المدارس التى تتسلم مساعدات مالية مباشرة Direct Grant School من وزارة المعارف الانكليزية .

الامتحانات :ـ

ويختلف المنهج من مدرسة الى اخرى ولكنه يبقى واحدا فى عناصره الاساسية مادام الطلبة يستعدون لامتحان الشهادة المدرسية School Certificate Examination وعلى الطالب الممتحن ان يجتاز امتحانا فى خمسة دروس احدها اللغة الانكليزية وثانيها لغة اجنبية او احدى العلوم الطبيعية وثالثها الحساب • اما الدرسان الرابع والخامس فيستطيع ان يختارهما الطالب من مجموعة الدروس وهي :ـ العلوم او لغة اجنبية ثانية ، او موسيقى ، او فنون ، او تاريخ ، او جغرافية • وفى الحقيقة يؤدى جميع الطلاب امتحانهم فى ستة دروس على الاقل • ويتخصص الطلاب الذين يودون مواصلة دراستهم لمدة سنتين اخريتين فى مدرسة ثانوية عادة فى مجموعة من الدروس عالية ، كالآداب القديمة او اللغات الحديثة ، او العلوم الرياضية والطبيعية ، ويستعدون لاجتياز « الشهادة المدرسية العليا » Higher School Certificate وقد يستعد بعضهم لامتحانات اخرى تفتح امامه سبل الحياة العامة فى المهن والتجارة ؛ كأن يستعد لاجتياز امتحان « الوظائف الحكومية » Civil Service او اجتياز امتحان الصيرفة او التأمين ويستعد عدد قليل جدا من الطلبة الاذكياء لاجتياز امتحان الحصول على «المنح الجامعية Scholarships للالتحاق باحدى كليات جامعتى اكسفورد وكيمبرج • واذا نجح الطالب كان ذلك مفخرة عظيمة له ، ويفتح امامه مستقبلا باسما ويرفع من سمعة مدرسته الثانوية ومكانتها التعليمية(*)• وهذه المنح المالية مفتوحة امام جميع الطلاب والطالبات : سواء أكانوا فى « مدارس الخاصة » أو غير الخاصة •

(*) وينطبق الحال على الطالبات ايضا ولاسيما اذا ما علمنا ان « المنح المالية » المخصصة للتعليم النسوى فى الكليات المختلفة اقل من عدد المنح المخصصة للطلاب وهذا ما يجعل التنافس بين الطالبات على اشده •

وتخصص وزارة المعارف فى كل سنة ٣٠٠ منحة مالية مقدار كل واحدة منها ١٠٠ دينار فى السنة ويستطيع الطالب الذى يحصل على « منحة حكومية » State Scholarship اختيار الجامعة التى يود ان يلتحق بها وتقدم هذه « المنح الحكومية » الى الطلاب (والطالبات) الذين ينجحون فى امتحان « الشهادة المدرسية العليا » على السواء .

تقاليد المدارس الثانوية واهدافها :ـ

واذا ما قورنت « المدارس الثانوية » هذه « بمدارس الخاصة » نجدها حديثة العهد والتكوين . ولكن حداثتها هذه لم تمنعها من تثبيت تقاليدها ومراعاتها ، ولم تمنعها من الاستفادة بخبرة « مدارس الخاصة » وتقاليدها . واذا ما علمنا ان كثيرا من مديرى هذه « المدارس الثانوية ومدرسيها هم من خريجى « مدارس الخاصة » ، وان نسبة كبيرة منهم قد تخرجوا من جامعتى اكسفورد وكيمبرج ادركنا ان اكثر هذه المدارس احتفظ بأحسن تقاليد «المدارس الخاصة » ـ احتفظ باهدافها كما وضعها وارادها آرنولد Arnold تلك الاهداف التى تتلخص بـ: العناية بتربية الخلق Character قبل العقل Intellect وباعداد عضو كامل ونافع فى المجتمع يشعر بالمسئوليات الملقاة على عاتقه تجاه مواطنيه الآخرين . ولقد عدت « مدارس الخاصة » دائما العمل الذى يقوم به داخل الصف .

و « المدارس الثانوية » مدارس نهارية بينما « مدارس الخاصة » مدارس داخلية ؛ ولا يتسع وقتها كثيرا للقيام بفعاليات مدرسية كما يتسع للمدارس الداخلية . وتدرك ادارة المدارس ولا شك هذه المشكلة وتعمل على تذليلها. ولا يقتصر عمل المدارس على الصف وحده بل يصرف قسما منه خارج الصف . ويخصص المدرسون جزءا من اوقاتهم لتنظيم الفعاليات المختلفة .

فمنهم من ينصرف الى تعليم الالعاب المختلفة كالكريت وكرة القدم للبنين والهوكى وكرة الطائرة للبنات ، ومنهم من يقوم بتنظيم المسابقات « البيوت » المدرسية المختلفة . ويرتاد الطلاب احواض السباحة فى المدينة القريبة ويتدربون على الملاكمة . وتوجد بالاضافة الى هذه الفعاليات المدرسية الجمعيات المدرسية : كجمعية المناظرة ، وجمعية المناقشة ، وجمعيات التمثيل ، وفرق الكشافة للبنين او للبنات وغ يرذلك من الفعاليات اللاصفية المعروفة . هذا بالاضافة الى الرحلات والزيارات والسفرات الطويلة التى يلجأون اثناءها الى « بيوت الشباب » Youth Hostels المنتشرة فى مختلف نواحى القطر ، وخاصة ايام العطل المدرسية ولا يكسب المدرسون طبعا من وراء تنظيم هذه الفعاليات والاشراف عليها نفعا ماديا ، بل يقومون بها طوعا ويكسبون بها ذكرا جميلا فالنفع الذى ينالونه هو اللذة المنبعثة من ولعهم بطلابهم وحبهم لهم ومعرفتهم باخلاقهم وقدراتهم وقابلياتهم وامزجتهم فى فرصة لا يتيحها لهم الصف .

ولقد شاهدت انكلترة قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية اهتماما شديدا فى شئون التعليم ؛ مما ساعد على اجراء اصلاحات اساسية فيه . وكان كتاب « الثورة الاجتماعية الصامته » The Silent Social Revolution الذى وضعه الاستاذ لوندس G.A.N. Londes من اهم الكتب الذى بحثت تأثير المدارس الثانوية فى تنظيم التوازن الطبقى فى المجتمع الانكليزى ، وتحقيق « المساواة فى الفرص » . وقد بين انه لم يمر زمن كاف على اصلاح « السلم التعليمى » Educational Ladder فلم يزل قادة المال والسياسة والثقافة ولم يزل اكثر الموظفين فى انكلترة من نتاج « مدارس الخاصة » . ولم تكن « المدرسة الثانوية العامة » موجودة فى ايامهم بعد . وحينما تدفع المدارس

الابتدائية والثانوية الجديدة بنتاجها الى الحياة العامة ، وحينما تنسلخ من تاريخ اصلاحها سنوات طويلة فان نسبة كبيرة من زعماء انكلترة ستكون ولا شك من العمال والفلاحين ومن ذيول الطبقة الوسطى الذين انتجتهم المدارس الابتدائية والثانوية والجامعات الانكليزية .

ويعد كتاب جيوفرى فيكرز Geoffrey Vickers المسمى « التربية من اجل مجتمع حر Educating for a Free Society المطبوع سنة ١٩٤٠ من أهم الكتب التى وجهت الانظار لاصلاح نظام التربية والتعليم فى انكلترة . ان اهمية هذا الكتاب تظهر فى ناحيتين : ففى الناحية الاولى جاء بآراء تربوية لاقت قبولا عند اكثر رجال الاصلاح ، وفى الناحية الثانية اوضح العلاقة بين التعليم والنظام الاجتماعى(*).

المدارس الثانوية
بعد قانون ١٩٤٤

تطلق كلمة ثانوى Secondary فى انكلترة فى الوقت الحاضر على عدة مدارس متنوعة تلى الدراسة الابتدائية . تطلق على مدارس « الخاصة » الممتازة Public Schools وعلى المدارس « الخصوصية الاهلية » Private Schools وعلى المدارس الرسمية المجانية County Schools فمن الاولى هارو وايتون وركبى ، ومن الثانية المدارس المذهبية او الطائفية Denominational Schools وتسمى احيانا بالمدارس الكنسية Church Schools وتدخل فيها المدارس الثانوية « العلمية » Grammar School ومن

(*) لدراسة خلاصة هذا الكتاب راجع الصفحة ١٦٩ وما بعدها من كتاب:
Dent, H. C, Education in Transition, London 1944

الثالثة المدارس الثانوية « الحديثة » التى تؤسسها وتنفق عليها « سلطات التعليم المحلية » L. E. A.

والمدارس الثانوية فى انكلترة اما ان تكون مستقلة كل الاستقلال عن السلطات الحكومية المركزية والمحلية كمدارس « الخاصة » ، واما ان تقوم بتأسيسها سلطات التعليم المحلية فتصبح شعبية عامة ، واما ان تكون «خصوصية» طائفية او غير طائفية وخاضعة للسلطات الحكومية بعض الخضوع • وتقسم المدارس من حيث ماليتها الى ثلاثة اقسام ايضا : فهى اما ان تكون « مستقلة » فلا تتسلم مساعدة مالية من وزارة المعارف او سلطات التعليم المحلية واما ان تؤسسها سلطات التعليم نفسها وتسمى Maintained واما ان تكون «مساعدة» aided وعندئذ تصبح ميزانيتها متكونة من الاجور الدراسية والهبات الخيرية والاعانات الحكومية ـ المحلية والمركزية او من كليهما معا •

تلك هى حال التعليم فى انكلترة قبل صدور قانون المعارف(*) لسنة ١٩٤٤ • The Education Act of 1944 أما بعد صدور هذا القانون فقد تغير مفهوم التعليم الثانوى بصورة خاصة كثيرا ووضع على اسس جديدة • فبعد ان كانت « المدرسة الثانوية » وقفا على عدد من الطلاب المتفوقين يدرسهم جماعة من المدرسين فى ابنية جميلة تحيطها غابات وساحات واسعة وفى صفوف صغيرة ينتقون اليها انتقاءا عسيرا ان كانوا فقراء وبالاجور ان كانوا أغنياء أصبحت الدراسة الثانوية ـ على اختلاف انواعها ـ حقا عاما لجميع الطلاب لا امتيازا لصفوة مختارة منهم • واصبح الطلاب يتمتعون لاول مرة فى تاريخ انكلترة وويلز بدراسة ثانوية مجانية بعد الحادية عشرة من العمر • فقد اقر قانون معارف ١٩٤٤ وجوب انتقال جميع خريجى المدارس الابتدائية الى دراسة

(*) نفذ هذا القانون فى اول نيسان ١٩٤٥ •

بعد الابتدائية تتفق هى وقابلياتهم وحاجاتهم واولاعهم • واذا كان الماضى قد اعطى معنى خاصا وضيقا للدراسة الثانوية فى انكلترة فان الحاضر والمستقبل قد اعد مدارس ثانوية متنوعة ودراسات متنوعة تلائم حاجات المتعلمين المتزايدة •

وتنحصر التبدلات الاساسية التى جاء بها قانون معارف ١٩٤٤ حول تنظيم شئون التعليم الابتدائى والثانوى بما يأتى[١٢]:-

١ - ينبغى ان يتمتع كل طالب سوى قد اتم الحادية عشرة من العمر بتعليم ثانوى مجانى •

٢ - يصبح التعليم الزاميا من (١٢-١٥) ابتداء من اول نيسان ١٩٤٧ لجميع الطلاب والطالبات •

٤ - ينبغى ان تتوافر فى كل مدرسة ثانوية (فى ابنيتها وسوية مدرسيها وحجم صفوفها) شروط معينة سواء اكانت هذه المدرسة تديرها سلطات التعليم المحلية ام هيئات أهلية •

٥ - تقدم وزارة المعارف مساعدات مالية الى المدارس الثانوية الاهلية كى تنهض الى المستوى الذى قد اقره القانون •

٦ - تعد كل « سلطة تعليمية محلية » مسئولة عن ادارة المدارس الابتدائية والثانوية الواقعة فى منطقتها •

لقد وضع قانون معارف ١٩٤٤ نظام التعليم فى انكلترة وويلز على اسس جديدة فقضى على تلك الانواع من المدارس الابتدائية والثانوية المتداخلة بعضها فى بعض ، واقام محلها نظاما تربويا موحدا ومنسقا لدرجة كبيرة وقسمه الى ثلاثة مراحل :-

---

12 - The New Secondary Education, Ministry of Education, phamphlet No., 9, P., 10., H. M. S. O. London 1944

١ ـ مرحلة ابتدائية Primary

٢ ـ مرحلة ثانوية Secondary

٣ ـ مرحلة اضافية Further

وقد اقر قانون معارف ١٩٤٤ حق الطفل فى الحصول على تعليم كامل من السنة الخامسة الى السادسة عشرة من العمر يتناسب هو وعمره وقدرته وقابليته ؛ وحول جميع الانواع المختلفة من المدارس التى تلى الدراسة الابتدائية الى مدارس ثانوية مجانية ، ونشر الخدمات الصحية ووسعها . فتناولت فحص الاطفال وتغذيتهم وغير ذلك من الاجراءات الصحية ، واخضع المدارس الخصوصية للتفتيش ، ووضع خطة لتربية الراشدين ، وحلا لمشكلة السيطرة الثنائية على المدارس ؛ وترك للمدارس التطوعية حرية الاختيار بين اثنين : اما ان تكون مسيطر عليها Controlled او مساعدة aided . واذا عجز مجلس ادارة المدرسة التطوعية او رغب عن تحمل نفقات تبديل المدرسة او تحسينها بموجب القانون الجديد تصبح مدرسته احدى المدارس « المسيطر عليها » من قبل سلطات التعليم المحلية . اما اذا لم يكن الامر كذلك فلسلطات التعليم المحلية ان تشرف على التعليم الدينى فيها وعلى تعيين المعلمين .

ان هذا الاصلاح التربوى الشامل فى جهاز التعليم العام الذى اقره مجلس العموم البريطانى اثناء الحرب العالمية الثانية يتطلب عددا كبيرا من المدرسين لا تستطيع سلطات التعليم المحلية تهيأته فورا . ولذلك فقد اوصى قانون معارف ١٩٤٤ ان تضع كل سلطة تعليمية محلية « خطة اصلاحية » تذكر فيها حاجات اللواء العاجلة والآجلة ، وتبين الخطة التى ستسير بموجبها فى تطبيق مواد القانون ؛ ثم تبعث بها الى وزير المعارف لتصديقها قبل تنفيذها ؛ وله حق تعديلها . فاذا تمت الموافقة على « الخطة الاصلاحية » صيغ منها « نظام تعليمى محلى » ونفذ .

انواع المدارس الثانوية
التعليم العام

يعتقد المربون الانكليز ان المدارس الثانوية ينبغى ان تقدم فعاليات متنوعة تتناسب وقدرات الطلاب واولاعهم ومراحل نموهم(*) ، وان تتنوع هذه المدارس وتختلف بعضها عن بعض فى مواد الدراسة وطرائق التدريس مثلما يختلف الطلاب فى القدرات والميول والقابليات . ولذلك فقد نصت المادة الثامنة من قانون معارف ١٩٤٤ على ان تكون المدارس الثانوية كافية فى عددها وكاملة فى مرافقها بحيث تستطيع ان تقدم فرصا تعليمية تساوق قابليات الطلاب وقدراتهم ، وتتناسب هى ومدة بقائهم فيها .

ويدخل الطفل الانكليزى وهو فى الخامسة او السادسة من العمر مدرسة ابتدائية عامة ، وهى اما ان تكون احدى مدارس « سلطات التعليم المحلية » ، واما ان تكون مدرسة « مساعدة » والاخيرة على انواع كثيرة . ويدخل اطفال الطبقة الارستقراطية عادة مدارس ابتدائية تحضيرية خصوصية يربو عددها اليوم على ٧٠٠ مدرسة ويتابعون دراساتهم الثانوية فى مدارس « الخاصة » الشهيرة . اما ابناء الطبقة الدنيا والوسطى فيواصلون دراساتهم بعد الحادية عشرة فى مدارس ثانوية متنوعة وهى :-

١ - المدارس الثانوية الحديثة Modern Secondary Schools

٢ - المدارس الثانوية الفنية Modern Technical Schools

٣ - المدارس الثانوية العلمية Grammar Schools

وسنتكلم عن كل نوع من هذه المدارس فى ضوء التطورات والاصلاحات الحديثة التى احدثها قانون معارف ١٩٤٤ معتمدين فى ذلك

(*) لقد شرح هذا المبدأ شرحا وافيا فى الفصل الثانى من « تقرير هادو » عن « تربية المراهق » واعيد شرحه وذكره فى القسم الاول من « تقرير نورروود » .

على النشرة القيمة التى اصدرتها وزارة المعارف الانكليزية فى سنة ١٩٤٧ وعنوانها « التعليم الثانوى الحديث » The New Secondary Education والتى اشرنا اليها سابقا . ان أهم مشكلة يواجهها المربون فى الوقت الحاضر هى ضمان دخول كل طالب الى تلك المدرسة التى تلائم قدراته وحاجاته واولاعه ، ويعتقدون ان حل هذه المشكلة يتوقف على توفر :

أولا ـ نوع من مقاييس الذكاء .

ثانيا ـ نوع من انواع اختبار المعلومات

ثالثا ـ تقرير عن حياة الطالب المدرسية

ويرجع سر هذا التنوع فى الدراسة الثانوية فى انكلترة وويلز (١٣) الى اعتقاد المربين الانكليز ان اقلية ضئيلة من الطلبة ستظهر قابليات واولاعا خاصة وهم فى الحادية او الثانية عشرة من العمر . اما الاكثرية فستبقى « احتمالاتها » مجهولة نوعا ما . ولذلك فان احسن ما تستطيع ان تفعله المدرسة لمثل هؤلاء الطلاب هو تزويدهم بـ « ثقافة عامة » تثير اولاعهم وتنمى قابلياتهم وتعدهم الى بلوغ مستوى ثقافى ارفع . وهذه هى وظيفة « المدارس الثانوية الحديثة » .

ومن الطلاب من يقرر ـ وهم فى هذا السن او قبلها بقليل ـ ان يدخلوا ميدان العمل الصناعى او الزراعى ويربطون مصيرهم بهذا الميدان ؛ فان فعلوا ذلك احتاجوا الى قابليات خاصة فى الرياضيات والعلوم تؤهلهم ان يكونوا مواطنين صالحين وعمالا منتجين . ومن الطلاب من يحتاج دروسا تجارية او فنية اختصاصية . فينبغى والحالة هذه ان تسد حاجتهم . ان جميع هؤلاء الطلاب سيجدون فى « المدارس الثانوية الفنية » مخرجا لحاجاتهم

---

(١٣) اما اسكوتلندة الذى يختلف نظام التعليم فيها عن انكلترة فقد وضع لها البرلمان البريطانى قانونا خاصا للتعليم سنة ١٩٤٥ يماثل قانون معارف ١٩٤٤ .

الاختصاصية وقابلياتهم الخاصة . ومن الطلاب من تظهر قدراتهم وقابلياتهم بالكتب والتعامل بالمجردات فيفضلون الدخول فى « المدارس الثانوية العلمية ».

١ ـ المدارس الثانوية الحديثة :

اخذت اهداف المدارس الثانوية الحديثة فى الآونة الاخيرة تتبلور ، ومناهجها تتعين واهميتها تزداد بعد ان كانت غامضة ومرتبكة . ولعل اهم فارق يميزها عن غيرها من المدارس الثانوية هو « نظرتها الشاملة وهدفها الواسع » . اذ يترتب عليها ان تقدم دروسا كثيرة الى طلاب كثيرين يتفاوتون فى قدراتهم وقابلياتهم ومراكزهم الاجتماعية . فعليها ان تسد حاجات جميع الطلاب الاذكياء « والمعضلين » والراغبين فى العمل اليدوى . ولما كانت طبيعة المدرسة الثانوية تختلف باختلاف مجموع الطلاب المكونين لها وجب ان تكون هذه المدرسة حرة فى وضع مناهجها واتباع طرائقها التعليمية .

« ان هدف المدرسة الثانوية الحديثة هو تقديم دراسة ثانوية عامة جامعة ـ دراسة لا تدور حول الدروس التقليدية المعروفة فى منهج الدراسة الثانوية بل تنبعث من اولاع الطلاب انفسهم . فالولع يحرك قابلية الطالب على التعلم . وستقوم المدرسة الثانوية الحديثة بتفهيم الطالب مشاكل العالم الجديد ، وتعده الى الحياة اعدادا شاملا يتناول حتى تربيته على طريقة استخدام اوقات فراغه والاستفادة منها ؛ كما وتستهدف بعث الاحتمالات المستقرة فيه واخراجها والاستفادة منها ، وتكيفه وتعلمه الدقة والاتقان فيما يقول ويفعل . ومن صفاتها الرئيسية الحرية والمرونة وهما فرصتها العظمى »[١٤] .

ويتألف منهج المدرسة الثانوية الحديثة من : اللغة الانكليزية (او الانكليزية والويلزية) والرياضيات والتاريخ والجغرافية والعلوم ومن لغة

---

14 - The New Secondary Education, P., 29

اجنبية . اما الدروس « العملية » فتتألف من التربية البدنية والفنون(*) ، والموسيقى وتدبير المنزل (للفتيات) والنجارة والبستنة ـ ان امكن ـ ومن اعمال يدوية اخرى . ان منهج الدراسة الثانوية الحديثة وعدد الساعات وطريقة التدريس لا تقررها وزارة المعارف الانكليزية بل تترك ذلك الى المدارس نفسها ، الا فيما يتعلق بتعليم التدين ، فقد اوجب قانون معارف ١٩٤٤ تدريسه في كل مدرسة ثانوية . ولا يخفى ان ادارة شئون التربية والتعليم في انكلترة ليست الا مشاركة فعلية بين وزارة المعارف وسلطات التعليم المحلية من جهة ومديري المدارس والمدرسين من الجهة الثانية .

ان ما ذكرناه آنفا ينطبق بالدرجة الاولى على « المدارس الثانوية الحديثة » الواقعة في المدن ولا ينطبق على المدارس الثانوية الواقعة في الارياف كل الانطباق . ومع هذا فان لمدارس القرى الثانوية فوائدها ومشاكلها . فمن مشاكلها انها اصغر حجما من مدارس المدن مما يجعل « تصنيف » الطلاب فيها اكثر صعوبة ، وان الطلاب يقصدونها « بالباصات » من مسافات بعيدة ، ويتركونها في اوقات مضروبة لا سبيل الى تبديلها ، مما يجعل تنظيم « الاعمال اللاصفية » في داخل المدرسة او خارجها امرا صعبا بل ومتعذرا . ومن مشاكلها صعوبة تحصيل مدرسين اكفاء ، وابتعاد مناهجها عن حياة الارياف . و « تحتاج القرية ان تستمد وحيها دائما من حياة الريف البسيط ان ارادت ان تكون حياتها حقيقية : تستمد وحيها من اريج ترابها وانتظام حقولها وجمال مناظرها ومن الرجال والنساء الذين يسكنون مناطقها الزراعية ويكدحون فيها » كما يقول جورج ستابلدون Stapledon . ويلتحق اكثر الطلاب الذين يتمون دراستهم في مدرسة ثانوية حديثة عادة باحدى

(*) اصدرت وزارة المعارف الانكليزية كراسا عن تدريس الفنون في مدارسها الابتدائية والثانوية اسمته « تعلم الفنون » Art Education, H.M.S.O., 1946 .

كليات الالوية(*) المسائية ويتلقون فيها بعض الدروس المفيدة وسيجيء الحديث عنها .

٣ ـ المدارس الثانوية الفنية :

« لم يدرك الرأى العام فى انكلترة وويلز ان التعليم الفنى الواسع المنظم شرط اساسى من شروط الكفاءة الصناعية الا بعد مدة طويلة ؛ ولم توضع خطة قومية للعناية به قبل ١٨٨٩ بالرغم من ان تفوق بريطانية الصناعى ، وهو ما اتضح فى منتصف هذا القرن ، قد اخذ يفلت من يديها وبالرغم من ان نجاح منافسيها واشهرها المانية والولايات المتحدة الاميركية يرجع قبل كل شيء الى انتظام التعليم الفنى فيها»[١٥] .

وفى سنة ١٨٨٤ تشكلت « لجنة ملكية » لبحث مشكلة التعليم الفنى استطاعت ان تمهد السبيل لتشريع قانون التعليم الفنى لسنة ١٨٨٩ Techincal Instruction Act وقد خول هذا القانون سلطات التعليم المحلية تنظيم التعليم الفنى وتشجيعه ، وفرضت الضرائب اللازمة له . وكانت السنوات الاثنتى عشرة الاولى التى انصرمت بعد سنة ١٨٨٩ سنوات مشهودة فى تقدم التعليم الفنى . ففى لندن وحدها فتحت ١٢ مؤسسة فنية وأسس ١٣ معهدا فنيا فى الاقاليم الاخرى ، ونظمت عدة دورات وصفوف ودراسات فنية فى داخل هذه المؤسسات والمعاهد وخارجها . وبذلك ازداد عدد طلاب المدارس المسائية الفنية الابتدائية ازديادا عظيما فبلغ ستة امثال ما كان عليه سابقا . وتوقف تقدم التعليم الفنى فجأة فى سنة ١٩٠٢ بعد ان بذلت مجالس المعارف وسلطات التعليم المحلية جهودها فى توسيع التعليم الثانوى ولاقى صعوبات جمة ، وانحط مستواه ونقص عدد

(*) راجع كراس وزارة المعارف الانكليزية فى صدد هذا البحث الموسوم بـ « فرصة للشباب » Youth Opportunity المطبوع سنة ١٩٤٥ .

15 - Dent, H. C., British Education, P., 22.

الطلاب ، وعفى الزمن على ابنية المدارس • وقد ترتب على هذا الانحطاط ان اعيد النظر فيه ؛ فأرصدت السلطات المختصة سنة ١٩٣٨ مبلغا قدره ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ دينارا للنهوض به • الا ان الحرب العالمية الثانية حالت دون صرف هذه الاعتمادات وتوقفت حركة تجديد نظام التعليم الفنى ؛ حتى صدر قانون معارف ١٩٤٤ •

وكانت أهم المدارس الخاصة بالتعليم الفنى فى انكلترة وويلز (١) : المدارس الفنية المتوسطة Junior Technical Schools (هى مدارس مستقلة تضم الطلاب الذين تتراوح اعمارهم بين ١٢ – ١٤ سنة • وبلغ عددها سنة ١٩٣٨ حوالى ٢٣٠ مدرسة وعدد طلابها ٢٩٠٠٠ طالبا) و (٢) المدارس المتوسطة للفنون Junior Art Department (وهى شبيهة بالمدارس الفنية المتوسطة الا انها تختص بتعليم الفنون التجارية اكثر مما تعنى بالفنون الاخرى) و (٣) الصفوف المسائية العليا Senior and Advanced Evening Classes (وهى مدارس مسائية كانت تقدم دراسات فنية حقيقية وقيمة، حتى لقد بلغ عدد طلابها سنة ١٩٣٨ اكثر من مليون طالب وطالبة ممن تجاوزوا السادسة عشرة من العمر) (*)•

وكان التعليم « الفنى » فى انكلترة يطلق على عدة مدارس ثانوية

(*) ويختلف نظام الامتحانات فى هذه الدراسات من مؤسسة الى اخرى ، ويستطيع طلاب هذه المعاهد ان يحصلوا على « درجات » Degrees فى الهندسة او التجارة او على شهادات مهنية اخرى فى انواع من الدراسات مختلفة ان استعدوا لامتحاناتها • وتتعاون وزارة المعارف مع المؤسسات المهنية مثل « معهد المهندسين الميكانيكيين » Institute of Mechanical Engineers على تقديم الشهادات القومية National Cartificate والشهادات القومية العليا Higher National Certificates فى الهندسة والتجارة •

للصناعة والتجارة ، وعلى عدة مدارس للزراعة وتدبير المنزل والفنون والموسيقى . واهم ما امتاز به هذا النوع من التعليم صلته بصناعة من الصناعات او مهنة من المهن المعروفة او بمجموعة منها . وهذه الصلة وإن كانت وثيقة الا انها لا تجعل من الدروس حقولا مهنية ضيقة بل اهتمت بالفرد ايضا من حيث هو مواطن عامل وانسان اجتماعى .

وكما ان المدارس الثانوية الحديثة قد تطورت عن المدارس الابتدائية العالية القديمة فكذلك « المدارس الثانوية الفنية » قد تطورت عن المدارس الفنية المتوسطة Junior Technical Schools التى تأسست سنة ١٩٠٥ ، والتى عرفها قانون التعليم لسنة ١٩١٨ بانها تلك المدرسة المؤسسة « لخدمة طلاب المدارس الابتدائية الذين يعدون انفسهم للتجارة او لاعمال صناعية او لخدمات اهلية » .

وما زالت « المدارس الفنية المتوسطة » قائمة فى انكلترة بانواعها المختلفة ؛ ولم يقض عليها قانون معارف سنة ١٩٤٤ . وهى اليوم تمر فى مرحلة انتقال ، وستتحور فى مناهجها واهدافها عملا بقانون معارف ١٩٤٤. ولقد اصبحت هذه المدارس جزءا اساسيا من التعليم الثانوى بعد ان كانت امتدادا للدراسة الابتدائية . وستكون مدة الدراسة فيها اربع سنوات تبتدأ بالحادية عشرة من العمر وتنتهى بالخامسة او السادسة عشرة . وقد اجاز قانون معارف ١٩٤٤ للطالب ان يواظب على دراسته فى هذه المدارس بعد انتهاء السن الدراسية الالزامية ان رغب .

ان مشكلة التنسيق Co-ordination من اهم المشاكل التى تجابهها المدارس الثانوية الفنية فى الوقت الحاضر . اذ يتعذر على الطالب ان ينتقل من مدرسة ثانوية فنية او غير فنية الى مدرسة أخرى ، كما يتعذر عليه ان يواصل دراسته فى جامعة من الجامعات . ولكنه يستطيع ان يواصلها فى احدى كليات الصناعة .

ويصعب تحديد مناهج المدارس الثانوية الفنيـة . الا ان نشرة وزارة المعارف الموسومة « بالتعليم الثانوى الحديث » تقترح الاسس الآتية :

ينبغى ان يحتوى منهج السنتين الاولى والثانية على كثير من الدروس التى تدرس فى المدارس الثانوية الاخرى : يحتوى على تمكين الطلاب فى استعمال اللغة الانكليزية ، والتعامل بالارقام ، ومعرفة القياس والرسم ضمانا لتعليم الدقة فى العمل ؛ وان يحتوى المنهج على تعليم الرسم الحر ، وان يحصل البنون والبنات على معلومات دينية اساسية ، وتمتع بالاشياء الطبيعية ، وتذوق للموسيقى ، وعلى معلومات جغرافية واجتماعية عن أقطار أخرى ، وعلى اشغال يدوية . وقد يحتوى المنهج فى هذه المرحلة على دروس ابتدائية فى تعلم احدى اللغات الاجنبية . ونقترح ان يحتوى منهج السنة الثالثة على بعض المواد المهنية . ثم تزداد العناية بهذه المواد المهنية شيئا فشيئا . ولاسيما فى السنة الرابعة والخامسة (من ١٤ ـ ١٦ سنة) على ان تستمر الدروس الثقافيـة العامة مع الطلاب ولا تنقطع عنه .

٣ ـ المدارس الثانوية العلمية :

واذا قيل « التعليم الثانوى » فى انكلترة فان الذهن ينصرف حالا الى هذه « المدارس الثانوية العلمية » Grammar Schools التى قد تأسست منذ قرون طويلة ، والتى اصبحت الآن وبعد المصادقة على قانون معارف سنة ١٩٤٤ نوعا من انواع الدراسة الثانوية . وتقدم المدرسة الثانوية العلميـة دراسة طولها خمس سنوات بعد الدراسة الابتدائية ، وترتب الدروس فيها او مجموعة منها وخاصة اللغات (الحديثة والقديمة) والرياضيات والعلوم فى سياق منطقى تام ، وتتطور الى دراسة اختصاصية فى الصف الخامس ، وتدور حول عدد قليل من الدروس ، وتؤدى بكثير من البنين والبنات عادة الى دراسة عالية . ولا تظهر هاتان الخاصتان اللتان تتميز بها هذه الدروس العامة والاختصاصية فى محتوياتها بقدر ما تظهر فى طولها وطريقة دراستها

العلمية وفى تدريبها العقلى • ولما كانت الدراسة العلمية تتطلب تفكيرا منظما وقابلية على حل المشاكل العقلية فان طلابها يمتازون بذكائهم وحبهم للدراسة والتتبع ، ورغبتهم فى دراسة القضايا العقلية المجردة • وربما ستكون مدة الدراسة فى المدرسة الثانوية العلمية ست او سبع سنوات وتبتدأ بالحادية عشرة من العمر وتنتهى فى الثامنة عشرة •

ان الاهمية العظيمة التى يعطيها الناس الى « امتحان الشهادة المدرسية»، وهى الشهادة الثانوية ، جعلت منهج المدرسة الثانوية العلمية يسيطر سيطرة عظيمة على مناهج الدراسة الثانوية الاخرى • وهو امتحان يقابل امتحان الدراسة الثانوية العام عندنا • وينال هذه الشهادة الطالب وتؤهله للدخول الى دور المعلمين والكليات المختلفة بعد نجاحه فى الامتحان العام الذى تقوم به الجامعات الانكليزية • ولما كان الطالب الناجح يعفى من امتحان المتريكوليشن ومن امتحانات الدخول المهنية فقد اصبحت هذه الشهادة «جواز سفر» يستعمله الطالب لدخول الجامعات والانتساب الى المهن والخدمات الاجتماعية الاخرى بسهولة •

ولقد وجهت « لجنة نوروود » لدراسة مناهج الدراسة الانكليزية والامتحانات المدرسلة عدة انتقادات الى نظام التعليم كله فى سنة ١٩٤٣ وتوصلت الى ضرورة تبديله او تحويره حتى يساعد كل فرد على تحقيق جوانب شخصيته تحقيقا كاملا : « جسما وعقلا وروحا » • ولقد اظهرت هذه اللجنة عيوب التعليم الثانوى فى انكلترة فكتبت عن المنهج ما يأتى : انه منهج تقليدى لا يتمشى مع ما بلغت اليه مباحث التربية وعلم النفس من التقدم • فالمفروض فى المرحلة الثانوية كلها انها شوط يهيء الطالب للتعليم الجامعى •

ومن اجل هذه الغاية تحددت مواد الدراسة ورتبت على صورتها الراهنة فى نسبة بعضها الى بعض • ومن اجل هذه الغاية ايضا رسمت الطريقة لمعالجة كل مادة على حدة • ومع هذا التحديد والترتيب والتقييد فان عددا قليل من الطلاب يبلغون الغاية المنشودة من هذه المرحلة • اما سائرهم فيقطعونها دون ان يصلوا الى غاياتهم المنشودة ؛ ومن ثم لا يجدون مناصا من ترك المدرسة وهم لم يعدوا للحياة والعمل الذى ينتظرهم اعدادا جيدا • انهم يخرجون الى الحياة وهم يحملون شهادات مدرسية كانت تؤهلهم للالتحاق بالجامعة ، وليست لديهم مؤهلات للعمل سوى تلك الشهادات المدرسية • هذا الى ان مواد الدراسة نفسها تدرس باسلوب جاف • فلا ترتبط اجزاؤها ولا تمس مشاكل الحياة ولا تتناول الحقائق الواقعية ولا تراعى ميول التلاميذ • اما اذا ارتبطت فان ارتباطها يكون بعيدا وقليلا(١٦) •

المدارس المستقلة

رأينا ان الدولة وان كانت قد دخلت ميدان التعليم فى وقت قريب جدا الا انها استطاعت فى فترة قصيرة ان تؤسس نظاما تعليميا مجانيا تتصل اوائله بمدارس الرضاعة وتلتقى أواخره بالكليات والمعاهد العالية • ومع وجود هذا التعليم المجانى الآخذ بالازدياد والتحسن ، ففى انكلترة بل فى بريطانية كلها مدرس ليست حكومية ، ولا تتسلم مساعدات مالية ، وبعيدة عن سيطرة الحكومة • وتسمى هذه المدارس بالمدارس « المستقلة » • وتقسم الى طائفتين:

اولا ـ مدارس خصوصية Private يديرها ، ويملكها شخص واحد

---

(١٦) راجع تقرير نورورد •

هو المدير او المديرة .

ثانيا ـ مدارس « خاصة » Public يديرها « مجلس ادارة » بموجب وثيقة رسمية .

لقد كان بمقدور كل انسان ، قبل صدور قانون بتلر Butler ان يفتح مدرسة « خصوصية » . الا ان هذا القانون اشترط فى فتح المدارس الاهلية عدة شروط تتصل بالمناهج والادارة والبناء والملاك . وتختلف المدارس « الخصوصية » بعضها عن بعض ؛ فمنها ما تديرها وتملكها شخصيات علمية معروفة ، وتقدم تعليميا حسنا ، ومنها ما يتعذر عليها ان تساير التطورات الحديثة وتقدم تعليما يتناسب هو وهذه التطورات . وقد تستأجر هذه المدارس أو تملك قصرا لتتخذه مقرا ، وقد تشغل بنايات تعلوها مسحة القدم ولا تسر الاطفال ولا الزوار كثيرا .

ولكن لماذا يرسل الآباء ابناءهم الى المدارس « المستقلة » فى الوقت الذى اخذت الحكومة تقوم بفتح مدارس ابتدائية وثانوية على جانب عظيم من الرقى والحداثة ؟ وللاجابة عن هذا السؤال لابد من الاشارة الى الظروف الخاصة التى كانت تحيط مدارس الحكومة عند تأسيسها . فحينما وجهت الدولة عنايتها منذ سنة ١٨٧٠ الى تأسيس « المدارس الابتدائية » كان بعض الناس يعتقدون ان الحكومة تؤسسها لتعليم ابناء الفقراء ! وان هذا التعليم لا يليق بالاغنياء ، اذ هو ضرب من ضروب البر والاحسان . ولا شك ان الصاق مثل هذه التهمة اليوم فى المدارس الحكومية ، سواء أكانت ابتدائية أم ثانوية ، لا يستند الى اساس صحيح ، ولا الى منطق سليم . فقد تحررت المدارس الحكومية من طابع العوز الذى كان يشينها ويلاحقها منذ مدة طويلة ؛ واستطاعت ان تكون مدارس شعبية « عامة » .

ان فئة كبيرة من الآباء ، وخاصة افراد الطبقة الوسطى ، الذين قد تثقفوا فى مدارس « خصوصية » أو « خاصة » لم يدركوا التطور الذى طرأ على المدارس الحكومية ، وربما لم يشاهدوا واحدة منها ليحكموا على صلاحها او فسادها • وهم ما زالوا يشعرون انه يكاد يكون « مستحيلا » ان يلتحق ابناؤهم فى مدارس حكومية لم تؤسس الا للاطفال « العاديين » ! وما زالوا يتصورون ان المدرسة التى تستوفى اجورا ينبغى أن تكون أحسن من المدرسة المجانية • وعلى هذا فان اعراضهم عنها يعود فى الحقيقة الى اسباب « طبقية » وشعور بالرفعة والتسامى على ابناء « العامة » ؛ ويعود الى اعتقاد الانكليز بالديمقراطية التى تقوم على حرية الاختيار ، والى حرية الفرد فى اختيار المدرسة التى يود تعليم اطفاله فيها •

مدارس الخاصة

وتؤلف « مدارس الخاصة » التى تسمى خطأ عامة قسما اساسيا من نظام التعليم الابتدائى والثانوى ، وتعد سلما دراسيا مستقلا عن سلم التعليم الشعبى العام ؛ وتعنى بصنع الرجال وتكوين الخلق Character والشخصية واتباع التقاليد الانكليزية الارستقراطية وغرسها فى نفوس الطلاب اكثر مما تعنى فى حشد الذهن بالمعلومات والنظريات • وهى وقف على ابناء الطبقة الارستقراطية • والتعليم الذى يجرى فيها يساعد على تخليد الانقسام الطبقى فى المجتمع البريطانى وقد يؤدى الى تصدع فى الروابط الاجتماعية • وخطب المستر بولدوين فى احدى حملاته الانتخابية ، وكان زعيم المحافظين ، واشار الى خطر التعليم الطبقى فى الديمقراطية البريطانية وقال : « ان التعليم العام من أقوى روابط الاتحاد والالفة بين الناس • وانكلترة تحتاج جدا الى مثل هذا التعليم • ولم تستطع فى نظامها التعليمى القومى ان تغذى هذه الاخوة فى الرأى • واذا لاحظنا تصنيف مدارسنا وجدناه يسير وفق تمايز

اجتماعى لا وفق تمايز تعليمى . فشارة الطالب المدرسية هى التى تدل على طبقته الاجتماعية . »

وتدير كل مدرسة « خاصة » ، عادة ، هيئة مؤلفة من عدة اشخاص يعينون بارادة ملكية . ولكل منها تقاليد خاصة وشخصية مستقلة ، هى من صنع « مديرها » . فكما يكون المدير تكون المدرسة . وهو عضو بارز فى « مؤتمر المديرين » Headmaster's Conference الذى يقرر وحده مما ينبغى ان تكون عليه « مدارس الخاصة » ، وما لا ينبغى ان تكون عليه .

وتلتحق عادة « بمدارس الخاصة » مدارس ابتدائية « تحضيرية » ؛ وهى اما ان تكون متصلة بها وفى بناية واحدة ، واما ان تكون منفصلة عنها وتشغل بناية أخرى . وقد عرف المربى الانكليزى سيريل نوروود Norwood المدرسة الثانوية الخاصة بانها تلك المدرسة التى تتمتع باستقلال صحيح ، فتصنع سياستها بنفسها ، وتحتضن طلابها الى ان يبلغوا الثامنة عشرة من العمر أو أكثر ، والتى تكون متدرجة ومتصلة بالجامعات ، والتى يتراوح عدد طلابها عادة بين ٤٥٠ ـ ٥٠٠ طالبا ، يسكنون فى أقسام داخلية تسمى « بيوتا » Houses ، ويضم كل بيت ٣٠ ـ ٦٠ طالبا ، ويشرف عليه مدير House-Master ؛ وانها تلك المدرسة التى ينتظم طلابها شعور مدرسى قوى ، وقد يولدون شعورا أقوى نحو البيت الذى يسكنون فيه .

ولا تختلف مناهج مدارس « الخاصة » عن مناهج المدارس(*) الثانوية الاخرى كثيرا الا فيما يتعلق باللغة اللاتينية التى تحتل مكانة كبيرة جدا فى مناهجها . وتدرس العلوم فى مرحلة دراسية متأخرة . وتعنى عناية فائقة فى الالعاب الرياضية ، وتحسبها أداة لتنمية الاخلاق وتكوين الصحة والرشاقة ، وبعث البطولة والرجولة ؛ وتدرب الاولاد على ادارة انفسهم

(*) ويقصد بذلك مناهج المدارس الثانوية العلمية .

بأنفسهم ، وتنمى فيهم روح التعاون والخدمة ، وتعدهم اعدادا دينيا ، وتجعل كنيسة المدرسة محور هذه التربية كما يقول سيريل نورود .

ويتألف منهج مدارس الخاصة عادة من اللغات القديمة كاللاتينية واليونانية Classics ، واللغات الحديثة ، والعلوم والرياضيات ، وآداب اللغة الانكليزية ، والجغرافية والتاريخ ؛ كما يتألف من الالعاب الرياضية والفنون والاعمال اليدوية . وتحتوى مدارس الخاصة على معامل وقاعات جمناستيك وغرف للموسيقى ، واحواض للسباحة ومكتبات . وتحتل الالعاب المدرسية Sports منزلة عظيمة فى حياة المدرسة التربوية والاجتماعية . ويؤدى الطلاب فى كل يوم حركات رياضية عنيفة فى قاعات الرياضة والجمناستيك . وأهم الالعاب التى يمارسونها هى لعبة الركبى فى فصل الشتاء والكريكت فى فصل الصيف . واذا كان المدرسة تقع على ضفة نهر فان التجديف يصبح من الالعاب الرياضية المهمة . وبالاضافة الى هذه الالعاب فان الطلاب يشتركون ايضا فى العاب الهوكى وكرة القدم والملاكمة والمبارزة بالسيف ، والسكواش ، والتنس . وقد كانت مدارس الخاصة قبل ثلاثين سنة تقريبا تولى الالعاب أهمية عظيمة جدا فى حياتها المدرسية . اما اليوم فقد ضعفت هذه العناية نوعا ما ، وازدادت فى تدريس الموسيقى والاعمال اليدوية والفنون . بينما حدث على العكس من ذلك فى المدارس الحكومية ، اذ اخذت عنايتها تزداد فى الرياضة البدنية أكثر من ذى قبل .

وتختلف مدارس الخاصة بعضها عن بعض فى مناهجها ودرجة ارستقراطيتها . فمنها ما كانت محافظة جدا ، ومنها ما كانت حديثة فى اساليبها التربوية ؛ وتختلف فى تاريخ تأسيسها ، فمنها ما كانت قديمة كمدرسة : ونشستر ، وايتون ، وهارو ، وركبى ، وويستمنستر ، وميرجنت تيلورز ، وسنت بول ، وجارترهاوس ، وشروزبيرى . ومنها ما كانت حديثة ، كمدرسة الملك King's School الواقعة فى مدينة كانتربيرى ، وسنت بيتر

فى مقاطعة يورك • ويرجع تاريخ تأسيس المدارس الخاصة الحديثة الى القرن التاسع عشر • ففى هذا القرن تكونت طبقة ارستقراطية جديدة أرادت ان تضمن لابنائها تربية تستهدف تكوين السيد او « الفتى » Gentleman، فانشأت لها مدارس ارستقراطية جديدة على غرار مدارس « الخاصة » القديمة ، واطلقت على نفسها التسمية نفسها • غير ان مدارس « الخاصة » القديمة ذات التقاليد والامتيازات المعروفة لم تعترف بهذه المدارس الجديدة الا بعد مدة طويلة(*)•

وبلغ عدد هذه المدارس المستقلة الخاصة فى بريطانية كلها سنة ١٩٣٨ نحوا من ١٨٧ مدرسة ، منها ١٦١ مدرسة فى انكلترة والباقى فى سكوتلندة وويلز وشمالى ايرلنده • وتتسلم جميعها مساعدات مالية من سلطات التعليم المحلية الا ٦٦ مدرسة منها ، وهى مدارس « الخاصة » الحقيقية التى ذاع صيتها فى انحاء العالم • ويزداد الاقبال عليها سنة بعد أخرى وخاصة من ابناء الطبقة الوسطى • وقد زيدت أجور الدراسة فيها مرتين أو اكثر • فبعد ان كانت اجور الدراسة والسكنى تتراوح (١٩٣٨ - ١٩٣٩) بين ١٥٠ - ٢٥٠ دينارا فى السنة اصبحت اليوم (١٩٥١ - ١٩٥٢) تتراوح بين ٢٥٠ - ٣٥٠ دينارا •

(*) ويضرب لنا تقرير فلمنك Fleming Report (والاسم الكامل لهذا التقرير هو « مدارس الخاصة ونظام التعليم العام ») الذى طبعته وزارة المعارف الانكليزية مثالا على ذلك : ارسل رئيس فرقة الكريكت فى مدرسة شروزبيرى الى رئيس فرقة الكريكت فى مدرسة ويستمنستر كتابا يطلب منه فيه ان تتبارى المدرستان • فكان جواب الاخير : « يؤسفنى اننا لانستطيع تلبية طلبكم ، لان مدرسة ويستمنستر لا تتبارى مع اية مدرسة الا اذا كانت هذه المدرسة مدرسة خاصة » • فرد عليه قائلا ان مدرسته كانت موجودة فى انكلترة فى الوقت الذى لم تكن فيه ويستمنستر موجودة ، وانه يأسف على ان يصدر من الرئيس مثل هذا السلوك الشائن الذى يتنافى مع تربية « السيد » فى مدرسة خاصة •

وتقع مدارس « الخاصة » فى القرى والارياف عادة ، وتضم طلابا يتراوح عددهم بين ٤٠٠ ـ ٥٠٠ طالبا وتتراوح اعمارهم بين ١٣-١٨ ، ١٩ سنة • وهى ذات مرافق كاملة ، وتستخدم خيرة الاساتذة والمربين ، ويبلغ عدد طلاب الصف الواحد الثلاثين طالبا ينحدرون معظمهم من طبقة مثرية وعائلات ارستقراطية معروفة •

ومن خصائص هذه المدارس التزامها بنظام المراقبة Prefect System الذى وضعه آرنولد ركبى، مدير مدرسة ركبى المشهورة • ويقضى هذا النظام ان يتحمل كبار الطلاب مسئولية كبيرة فى ادارة المدرسة ، ورعاية الصغار من الاطفال • ويعين المدير المراقبين بعد استشارة مرشد « البيت » • وحيث ان الطلاب يصرفون جزءا كبيرا من اوقاتهم فى الاقسام الداخلية ظهرت الحاجة الى تنظيم هذه الاوقات والاستفادة منها فى توجيه الطلاب ، وتطبيق قواعد الضبط والانضباط فى الاقسام الداخلية ، وفى غرف المطالعة وفى اثناء ذهابهم لزيارة ذويهم مساء ، وعند « دق الجرس » ، واطفاء الانوار فى الاقسام الداخلية • ويستطيع « المراقب » ان ينزل عقوبات بالطلاب المقصرين والمتخلفين • فيستطيع مثلا ان يكلف الطالب المذنب ان يقوم بأعمال اضافية فى اوقات فراغه • ويسمح للمراقب فضلا عن ذلك استعمال العصا ، كما يقول الاستاذ ستيفنس •

ويتمتع « المراقبون » ببعض الامتيازات ؛ فلهم ان يسكنوا فى غرف خاصة ؛ ولهم ألا ينصاعوا الى بعض التعليمات المدرسية و « البيتية » غير المهمة ؛ ولهم ان يرتدوا بزة خاصة ، وغير ذلك من الامتيازات والحقوق • ويستطيع المراقبون فى اغلب مدارس الخاصة ان يفرضوا أوامرهم على صغار الطلاب ، ويسخروهم فى القيام ببعض الخدمات الشخصية ! وهذا ما يسمى عادة « بنظام السخرة »(*) Fagging System فقد يطلب المراقب من طالب

(*) الفك فى اللغة Fag اسم الولد الصغير •

صغير مثلا ان ينظف « غرفته » ، ويرتبها ، وان يوقد النار فى « موقده » ويؤججها ، وان « يصبغ » حذاءه وينظفها ، وان « يخدر » الشاى له ، و « يحمص » قطع الخبز ويعدها ، وغير ذلك من الخدمات الخاصة .

وهكذا يتعلم الولد طوال الخمس سنوات التى يقضيها فى احدى مدارس الخاصة ان يطيع ويطاع ، وان يسمع ويستمع ؛ وتسبغ عليه حياة المدرسة الاجتماعية ، كما يقول بعض المربين ، كثيرا من صفات الرجولة — تسبغ عليه الوفاء للصديق ، والتواضع ، والشجاعة الادبية ، وقوة الحكم والادراك ، وتعلمه فن الحكم عن طريق رضا المحكوم ، وتعده لحياة شريفة ، تتصف بنبل القصد ونبل المنافسة .

ولم يتخذ نظام مدارس « الخاصة » شكله الحقيقى الاحينما تولى الدكتور توماس آرنولد ادارة مدرسة ركبى . وقد كان هذا رجلا ورعا صلبا ؛ وكان يعتقد ان العالم لا يصيبه الخير الا بالتمسك بالدين . وكان يستهدف تربية الاولاد تربية دينية غرضها اعداد « الفتيان المسيحيين » ليصبحوا قادة الامة فى الدين والسياسة والاجتماع . وتشغل التربية الدينية فى مدارس الخاصة فى يومنا هذا حيزا كبيرا فى تربية الاولاد . ففى كل مدرسة كنيسة يرتادها جميع الطلاب ايام الاحد مرة أو مرتين فى كل اسبوع . وقد يكون مدير المدرسة نفسه من رجال الدين ؛ واذا لم يكن فعليه ان يوعظ طلابه أيام الآحاد .

وكان طلاب مدارس « الخاصة » يؤدون الى أمد قريب جدا الامتحانات التى يؤديها طلاب المدارس الثانوية الاخرى نفسها لحصول « شهادة الدراسة الثانوية » و « شهادة الدراسة الثانوية العليا » . اما الآن فقد تبدل نظام الامتحانات ، وحلت محل الشهادتين المذكورتين « شهادة التعليم العامة » General Certificate of Education التى سيجىء ذكرها . ولكن بينما تترك أكثرية المدارس الثانوية المدرسة فى السادسة عشرة من العمر او قرابة

ذلك بعد حصولها على « شهادة الدراسة الثانوية » يواصل اكثر طلاب مدارس « الخاصة » دراساتهم حتى الثامنة عشرة من العمر ، ويواصل معظم المتخرجين منها دراساتهم فى الجامعات القديمة(*).

المدارس التحضيرية :

تؤلف المدارس التحضيرية Preparatory Schools النهاية الصغرى من نظام التعليم الخاص ، وتؤلف جامعتا اكسفورد وكيمبرج نهايته الكبرى. وكما ان قسما من مدارس الخاصة مدارس نهارية وداخلية فكذلك المدارس التحضيرية التى تؤسس عادة فى المدن الواقعة على ساحل البحر من جنوب انكلترة حيث الشتاء الدافىء والصيف الجميل . والمدارس التحضيرية اما ان تكون مستقلة عن مدارس الخاصة أو متصلة بها . واكثر المدارس التحضيرية مستقلة عنها ؛ وهى فى الاعم الاغلب مدارس خصوصية يملكها ويديرها شخص واحد ، وتسير على غرار المدارس الثانوية الخاصة . وعددها قليل ؛ ويتراوح عدد طلاب كل مدرسة منها بين ٥٠ ـ ١٠٠ طالب ، وتستوفى اجور دراسية تتراوح بين ١٠٠ ـ ١٨٠ دينارا فى السنة .

وتسعى المدارس التحضيرية الى تحقيق غرضين :

١ ـ نجاح جميع تلاميذها فى امتحان الدخول العام Common Entrance الذى تنظمه وتجريه المدارس الخاصة نفسها .

(*) يبلغ عدد طلبة مدارس الخاصة جميعا حوالى ٣٠٫٠٠٠ طالبا ؛ بينما يبلغ عدد طلبة المدارس الثانوية الاخرى حوالى ٢٥٠٫٠٠٠ طالبا تقريبا. وتقدم مدارس الخاصة مساعدات مالية الى الطلاب المعوزين تتراوح بين ٥٠ ـ ١٠٠ دينار فى السنة . وحيث ان هذه المساعدة لا تسد الا جزءا يسيرا من نفقات الدراسة العامة ، ولما كانت المنافسة شديدة بين الطلاب للحصول عليها ، وانه لا ينتفع بها الا من تخرج من مدرسة « تحضيرية » لا تقل نفقاتها السنوية عن نفقات مدارس الخاصة تعذر على « المعوزين » نيلها.

٢ ـ حصول تلاميذها الاذكياء على المساعدات المالية Scholarship التى تقدمها مدارس الخاصة • مثال ذلك تجد فى مدرسة ونشستر ، وايتون عددا من « طلبة العلم » Scholars الذين فازوا بهذه المساعدات ؛ ويرتدى هؤلاء بزة خاصة تميزهم عن الطلبة الآخرين ، واذا ما استطاع ولد غنى ان يفوز بهذه المساعدة المالية فقد يحتفظ لنفسه عادة بلقب « عالم » ، ويتنازل عنها لطالب معوز •

مساوىء مدارس الخاصة :

تعد هذه المدارس ، بوجه عام ، « خاصة » او طبقية ، وتسعى الى تعزيز النظام الطبقى الموجود فى بريطانية وتستهدف تربية « نوع » Type معين من الطلاب ، وتجعل التضامن الاجتماعى متعذرا • ان هذا « النوع » الذى ينتقده الناس يمثل ، كما يقول الاستاذ سيريل نوروود ، أحسن صفات الرجل الانكليزى • والواقع ان كل شخصية بارزة فى الحياة الانكليزية العامة تقريبا قد تلقت تعليمها فى احدى « مدارس الخاصة » المعروفة •

ان التعليم الذى تقدمه هذه المدارس يعد رفيعا فى اكثر وجوهه ، ويستند الى اسس تربوية سليمة • الا ان هذا النوع من التعليم ينبغى ، كما يقول الانكليز ، ألا يتمتع به اولاد الاغنياء وحدهم ، بل ينبغى ان يتمتع به اصحاب القابليات والمواهب من ابناء الامة مهما كانت سوياتهم الاجتماعية • ولكن ما الطريقة التى يمكن استخدامها فى انتقاء هؤلاء الطلاب الى هذه المدارس ليتعلموا تعليما رفيعا ؟

عينت وزارة المعارف لجنة لدراسة هذه المشكلة برئاسة المستر فليمنك ، وقدمت تقريرها(*) سنة ١٩٤٤ ، وسمى فيما بعد بتقرير فليمنك •وقد اوصت اللجنة ألا ينحصر الدخول فى مدارس الخاصة بخريجى المدارس التحضيرية

---

* The Public Schools and the General Educational System, H. M S. O., 1944,, London

الابتدائية ، بل ينبغى ان يشمل خريجى المدارس الحكومية ، على ان تحجز لهم فيها « محلات خاصة » Special Places ، وتتعهد سلطات التعليم المحلية بدفع نفقاتهم الدراسية والداخلية كافة ، وان يتحمل الآباء المقتدرون قسما من هذه النفقات ، وان تقبل مدارس الخاصة المستقلة ٠٢٥/٠ من مجموع طلابها فى « محلات خاصة » ، وتقبل مدارس الخاصة المساعدة Aided فيها ٠٢٥/٠ ـ ٠٥٠/٠ من مجموع طلابها كشرط اساسى لتقديم المساعدة المالية • وحيث ان التلميذ الابتدائى يلتحق بمدارس الخاصة وهو فى الثالثة عشرة والرابعة عشرة من العمر ، وان التلميذ يتخرج من المدارس الابتدائية الحكومية فى الحادية عشرة او الثانية عشرة من العمر أوصت اللجنة ، حلا لهذه المشكلة ، ان يلتحق هؤلاء الطلاب بعد تخرجهم من المدارس الابتدائية بمدارس « تحضيرية » على نفقة سلطات التعليم المحلية لقضاء سنة او سنتين فيها استعدادا للنجاح فى « امتحان الدخول » الذى تجريه مدارس الخاصة • كما اوصت اللجنة تأسيس مدارس ثانوية داخلية رسمية على غرار مدارس الخاصة الثانوية • ولما كانت نفقات المدارس الداخلية باهظة انصرفت النية الى تحسين المدارس الثانوية القائمة •

ويذهب لفيف من المربين الى انه ما دامت مدارس الخاصة ليست ديمقراطية ، وان التعليم الذى يناله الولد يتوقف على مقدار دخل أبيه اكثر مما يتوقف على قدراته الخاصة ، وانها وسيلة من وسائل تنمية الفوارق الاجتماعية فى المجتمع البريطانى فينبغى ان تلغى هذه المدارس • وهنا تواجه الديمقراطية الحديثة مشكلة اساسية من حيث ايمانها بضرورة المساواة فى الفرص التعليمية • فكيف تستطيع الديمقراطية ان تجمع بين الحرية والمساواة ؟ ان المساواة التامة لا تحصل الا اذا الزمنا جميع الاطفال دخول المدارس الحكومية وحدها • وهذا معناه ان اولياء الطلاب لم يعودوا أحرارا فى اختيار نوع التربية التى يريدونها لابنائهم ؟ وهذا معناه ان المربين الذين

تتقد في اذهانهم افكار تربوية جديدة لا يستطيعون ان يؤسسوا مدارس خاصة ذات فلسفة جديدة ؟ وهذا معناه ان الدولة التي تلزم الآباء بتعليم ابنائهم في مدارس حكومية تقضي على مسئولية العائلة في تربية ابنائها . و « يبدو انه لا سبيل الى ايجاد تسوية عملية بين الذين يطالبون بالغائها والذين يحسبونها اساس عظمة انكلترة . غير ان المشكلة ستحل كما ستبرهن الايام بالطريقة الانكليزية الاعتيادية وهي سلوك التبدل التدريجي »[17] وينبغي في الوقت نفسه ان نتذكر ان التنوع والاستقلال يؤديان الى تفاوت في فرص التعليم .

ويرى اكثر المربين ان الحل العملي هو ان تبذل جهود متواصلة في تحسين المدارس الثانوية الحكومية حتى تصل الى تلك المرحلة التي تستطيع ان تقدم الى الطلاب والطالبات تربية لا تختلف في اسسها كثيرا عن التربية التي تقدمها مدارس الخاصة في الوقت الحاضر وان تحتفظ مدارس الخاصة باستقلالها الذاتي وبحرية العمل لتضرب مثلا رائعا في التعليم ، ولتكون قدوة تحتذى ، وحافزا على تحسين المدارس الحكومية . ويرى كثير من المربين ايضا ان تخفيف الفوارق الاجتماعية بين السكان لا يتم بادخال لفيف من ابناء الفقراء او متوسطي الحال في مدارس ابناء الاغنياء ، بل بتحسين المدارس الحكومية ، وان الامتيازات التي تتمتع بها مدارس الخاصة قد أخذت تتضاءل بعد ان اصبحت بريطانية اكثر ديمقراطية من قبل ، وانها وان كانت قائمة على تمايز طبقي الا انها ليست العامل الاساسي في تكوين هذه الفوارق الطبقية ، وان الغاءها لا يؤدي حتما الى الغاء هذه الفوارق ما دامت الفروق الاقتصادية هي هي لم تتغير ، وما دامت نقطة انطلاق الولد الغني في الحياة احسن عادة من نقطة انطلاق الولد الفقير . وقد بدأت المدارس الثانوية الحكومية منذ عهد قريب تسير نحو هذا الاتجاه الجديد ، واخذت تخطو خطوات محمودة . فلم يعد خريجو مدارس الخاصة يتمتعون وحدهم بالوظائف الحكومية والعمل

17 - Stephens, W. E. D., English Education, P., 18

فى الشركات والمؤسسات الاخرى ، ولم يعودوا يتمتعون وحدهم بالامتيازات التى يضفيها عليهم التعليم الخاص فى الكليات والمعاهد العالية ، بل اخذ ينافسهم لحد ما طلبة المدارس الحكومية . ويلاحظ ان نسبة خريجى المدارس الثانوية الحكومية الذين التحقوا فى جامعتى اكسفورد وكيمبرج ، لاسيما فى اقسامهما العلمية والرياضية ، قد اخذت تزداد سنة بعد أخرى ؛ بينما أصبح جميع طلبة الجامعات « الحديثة » من خريجى المدارس الثانوية الحكومية .

المدارس الحديثة

ومن المدارس الخصوصية المستقلة مجموعة من مدارس مهمة معروفة « بالمدارس الحديثة » Progressive Schools وهى وان كانت « داخلية » الا انها تختلف عن مدارس « الخاصة » الداخلية اختلافا كبيرا . فهى للبنين والبنات معا ، وهى معقل من معاقل التجريب والتجديد فى التربية والتعليم ؛ ويتمتع كل طالب وطالبة بقسط وافر من الحرية ، وتستنكر انزال العقوبات بالطلاب مهما كان نوعها ؛ بينما تكون مدارس « الخاصة » محافظة وتؤمن بقدسية القديم ؛ وتفرض على طلابها ضبطا شديدا ، وتلجأ الى استعمال العصا فى بعض الاحايين . وهى للبنين دون البنات .

وتعد « المدارس الحديثة » مدارس « الخاصة » القديمة رجعية وهوجاء وقاسية ، بينما تحسب الثانية الاولى سخيفة ! وأكثرها حديثة التكوين ، ولم يمر زمن طويل على تأسيسها . وقد اسس قسما منها افراد لم ترقهم مدارس الخاصة القديمة ، واسست القسم الآخر جمعيات دينية . واكثر هذه المدارس فردية ؛ وتختلف الواحدة عن الاخرى باختلاف مديرها وما يتصف به من ثقافة واخلاق وشخصية .

وعلاقة المدرسين بالطلاب علاقة ودية خالية من التصنع وبعيدة عن الشكليات ، ويعاملون بعضهم لبعض معاملة الصديق للصديق ، ويتنادون باسمائهم لا بالقابهم واسماء عائلاتهم ؛ ويساهم الطلاب فى ادارة المدرسة ، ويضعون الانظمة والتعليمات الخاصة بالضبط والانضباط داخل المدرسة

وخارجها . ويعتقد دعاة هذه المدارس ان الطلاب يحصلون فيها على تربية شاملة وموزونة ، وان شخصياتهم تنمو نموا طبيعيا بعيدا عن الزم والكبت والعقد النفسية ، وانهم يتخذون لانفسهم تجاه القضايا الجنسية موقفا معقولا ، وان نتائجهم الدراسية لا تقل عن نتائج المدارس الاخرى .

وتعنى هذه المدارس عناية خاصة بالفنون (الرسم والموسيقى) ، كما تعنى بالاعمال اليدوية المتعلقة بصناعة الخزف والتجليد والنجارة والتطريز . وكثيرا ما يقضى الطلاب عطلتهم الاسبوعية فى التجول أو فى المخيمات . وتهتم بالالعاب ، والحركات السويدية ايضا ؛ ولكن اهتمامها لا يصل الى درجة مدارس « الخاصة » . وتترك جميع هذه المدارس حرية اختيار الدروس الى الطلاب انفسهم بارشاد المدرسين . ولذلك فانها تتطلب ان يكون المدرس على جانب عظيم من الكفاءة العلمية والشخصية ما دامت علاقة المدرسين بالطلاب قائمة على كفاءة المدرسين وقوة شخصيتهم لا على سيطرتهم وسطوتهم .

وتتبع هذه المدارس نظام « المراقبة » ، ويجرى تعيين « المراقب » بالانتخاب لا بتعيين مدير المدرسة كما هو الحال فى مدارس الخاصة . وتجعل بعضها حضور الطلاب الى الصفوف اختياريا . ويستطيع الطالب ان يقضى ثلاثة اشهر او اكثر دون ان يحضر صفا من الصفوف .

ويتطلب التعليم فى « المدارس الحديثة » نفقات لا تقل عن نفقات مدارس الخاصة ؛ ويلتحق بها عادة ابناء الاغنياء وبناتهم . ولا يعرف تماما مدى تأثير هذه المدارس « الحديثة » فى التربية الانكليزية ؛ ولكنها تلعب ، ولا شك ، دورا مهما فى تجديد الاساليب التربوية ؛ وتمثل ثورة على التقاليد التربوية والمؤسسات الاجتماعية التى استعبدت الناس فى كل مكان وخاصة فى بريطانية ؛ انها تمثل روح التجدد التى لولاها لاصبح التعليم جسدا بلا روح .

تعليم الراشدين

لم تتدخل الدولة فى شئون تعليم الراشدين Adult Education بل قدمت مساعدات مالية الى الجمعيات والمؤسسات التى اخذت على عاتقها نشر هذا التعليم • وكانت جامعة كيمبرج اول جامعة انكليزية شرعت بتعليم الراشدين • ففى سنة ١٨٧٣ أعدت منهاجا للمحاضرات ، ونظمت طائفة من الدراسات ، وسرت حركتها فى كثير من مناطق انكلترة ، واخذت اهميتها تزداد ، واكتسبت طابعا شعبيا عاما ، وعرفت فيما بعد بحركة نشر الثقافة الجامعية • University Extension Movement

وتساهم اليوم كل جامعة بريطانية بهذا الضرب من الثقافة الشعبية العامة للراشدين ، وتتعاون تعاونا وثيقا مع الحركة العمالية الجبارة المعروفة « بجمعية العمال التعليمية » Worker's Educational Association التى تعنى بتثقيف العمال والعاملات فى تاريخ بريطانية وثقافتها وفنونها وآدابها وحالة الاقطار الاخرى بالاضافة الى عنايتها فى التدريب الصناعى النافع • وقد وجدت « جمعية العمال التعليمية » هذه فى الجامعات البريطانية خير معين ومشجع على تأدية وظيفتها وانجاز رسالتها الاجتماعية ؛ فأفتتحت صفوفا للعمال يلتحقون بها فى كل اسبوع مرة ، واستخدمت مجموعة من خيرة اساتذة الجامعات يحاضرون فيها مدة ٢٤ اسبوعا فى السنة • وعند تخرجهم منها بعد قضاء فترة قد تمتد الى ثلاث سنوات يشترك العامل اثناءها فى المناقشة والبحث وكتابة الرسائل والمقالات ينال العامل شهادة عالية اختصاصية ترفعه الى مستوى جامعى •

وتقدم « جمعية العمال التعليمية » دراسات تثقيفية أخرى فى مستوى اوطأ من المستوى الجامعى ولمدة سنة او اكثر ؛ وتسلم مساعدات مالية من

وزارة المعارف ومن سلطات التعليم المحلية ، وتشرف عليها لجنة مؤلفة من بعض اساتذة الكليات واعضاء الجمعية نفسها .

ولا تقف « جمعية العمال التعليمية » وحدها فى ميدان تعليم الراشدين تصارع الركود الذهنى بين العمال والعاملات بل تقف وراءها وتلتف حولها مؤسسات أخرى منها « معهد تعليم الراشدين » Institnte of Adult Education ، و « عصبة الدراما البريطانية » British Drama League وتقدم هذه المؤسسات الى العمال والعاملات خدمات تربوية متنوعة وجمة ، كل حسب امكانياتها ومستواها واهدافها(*).

وقبل ثلاثين سنة أو اكثر اخذ «مجلس مقاطعةلندن» London County Council يساهم فى تعليم الراشدين بتأسيس « معاهد أدبية » Literary Institutes يمضى فيها الراشدون جزءا من أوقاتهم فى دراسات أدبية عامة . وتشترك فى هذه المعاهد مختلف الطبقات ، وتستوفى اجورا زهيدة . وتأسست فى لندن « كليات » مختلفة لتقديم بعض الدراسات الاجتماعية وغير الاجتماعية . اشهرها « كلية العمال للرجال » Working Men's College

وفى اقليم « كيمبرج شاير » ابتدأت فى الآونة الاخيرة حركة « كليات الارياف » Rural Colleges ، وغرضها الاحتفاظ بخصائص الريف الانكليزى وصيانته من عدوان المدن ، وتكوين وحدة جديدة هى « المنطقة الريفية » . فالقرية لا تستطيع وحدها تقديم جميع وسائل التعليم الضرورية ، كما لا تستطيع المساهمة فى تقديم الخدمات الكافية الى الافراد ليتمتعوا بأوقات

(*) ومنها « معاهد النساء » Women's Institntes ، ومجالس الحياة الريفية Rural Community Councils ، والاتحاد القومى لمدرسة الراشدين National, Adult School Union و Educational Settlement Association

فراغهم تمتعا حسنا ؟ ولكن مجموعة من القرى تستطيع ان تؤديها اذا ما نظمت حياتها التعليمية والاجتماعية حول قرية كبيرة بحيث تضم « مركزا اجتماعيا » Community Centre ، و « كلية ريفية » عمادها مدرسة ثانوية حديثة يلتحق بها جميع طلبة القرى المجاورة ، ومدرسة للرضاعة ومدرسة ابتدائية لاطفال القرية نفسها ، وعيادة طبية للامهات والاطفال ، وقاعة للاجتماع يمكن تحويلها عند الحاجة الى صالة سينما او مرسح ، ومخزن وقاعات للاشغال اليدوية وتدبير المنزل ، على ان يستعملها الاطفال صباحا والراشدون مساء .

وتحتوى « الكلية الريفية » على مكتبة عامة وقاعة للالعاب والتدريس والتسلية ، وغرف للجمعيات تستعملها المجالس المحلية والمنظمات التطوعية اذا اقتضت الحاجة ، ويشترط ان تكون أبنية « المنطقة الريفية » جميلة تحيطها الحدائق وساحات للرياضة والالعاب .

وقد صادقت « لجنة التعليم » فى مقاطعة كيمبرج شاير على هذه الخطة ، وتأسست أول « كلية ريفية » سنة ١٩٣٠ ؛ ثم تأسست كليتان اخريتان . غير ان نشوب الحرب العالمية الثانية أوقف تنفيذ الخطة كلها ؛ ولم ينجز منها الا القليل . وقد اخذت بريطانية فكرة الكليات الريفية من السويد والدانيمرك . حيث تسمى هناك « بمدرسة الشعب العالية » ، وذكرها الاستاذ ريشارد ليفنجستون Richard Livingstone عميد كلية كوربس كرستى ووكيل رئيس جامعة اكسفورد وبحثها فى كتابه « المستقبل فى التربية The Future in Education .(*)

تلك هى اشهر المؤسسات التعليمية الخاصة بتعليم الراشدين أعدت

(*) راجع الفصل الثالث من الطبعة العربية لهذا الكتاب (صفحة ٣٧) الذى ترجمه كل من وديع الضبع ومحمد بدران بعنوان : (التربية والمستقبل) ، وقامت بنشره وزارة المعارف المصرية ، وطبعته مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة سنة ١٩٤٨ .

للذين يستطيعون ان يخصصوا قسما من امسياتهم للالتحاق بالدورات والدراسات المسائية ؛ اما المؤسسات الاخرى التى يلتحق بها العمال لقضاء بضعة اشهر أو لقضاء سنة ويمضون جل اوقاتهم فيها فعددها كبير اليوم فى بريطانية ، واشهرها كلية رسكن Ruskin College الواقعة فى مدينة اكسفورد • وفى بريطانية عشر كليات أخرى تعنى بهذا النوع من التعليم ، وجميعها آخذة بالنمو والازدهار •

تدخل الدولة :

وتدخلت الدولة تدخلا فعليا فى تعليم الراشدين ؛ وتطلب قانون معارف سنة ١٩٤٤ ، الذى اطلق عليه اسم التعليم الاضافى Further Education من كل سلطة تعليمية محلية :

اولا ـ ان تضع خطة تعليمية كاملة Full - time لتعليم الافراد الذين تخطوا سن التعليم الالزامى ، أو خطة غير كاملة Part - time •

ثانيا ـ وان تضع مثل هذه الخطة للافراد الراشدين الذين يودون الاستفادة من اوقات فراغهم بالوسائل المهيأة لغيرهم تتفق هى وحاجاتهم ، وبفعاليات ثقافية • وتنحصر هذه الفعاليات فى اعداد مهنى ، وغير مهنى للشبان والراشدين ، ودراسة فى كليات الالوية ، وخدمات للشباب •

وقد كان تعليم الراشدين قبل صدور هذا القانون حقا من حقوق سلطات التعليم المحلية تمارسه بالشكل الذى تريده • ولكن قانون معارف سنة ١٩٤٤ جعله واجبا من واجباتها • وحيث ان رفع مستوى التعليم المهنى فى الميدان الصناعى وتنظيم فعاليات الراشدين الثقافية والابداعية كانتا حاجتين اساسيتين من حاجات تعليم الراشدين فقد قام هذا القانون بسد هاتين الحاجتين حينما طالب باتخاذ التدابير اللازمة لضمان دوام الشبان الذين هم دون الثامنة عشرة من العمر بصورة اجبارية وامدادهم بفعاليات ثقافية وابداعية لتمضية

جزء من اوقات فراغهم ، ومطالبة سلطات التعليم المحلية بوضع خطة لنشر التعليم المهنى والثقافى والابداعى ، وتطبيقها فى مناطق خاصة بعد استشارة وزارة المعارف ، واستشارة الهيئات الاخرى التى يعنيها هذا النوع من التعليم ـ كالجامعات .

كليات الالوية :

يستهدف التعليم فى هذه الكليات ، كما جاء فى قانون معارف سنة ١٩٤٤ ، تقديم ذلك التعليم الاضافى الذى يحتوى تربية بدنية وتدريب مهنى وعملى ، والذى يساعد الشباب على تنمية مواهبهم وقابلياتهم المتنوعة ويعدهم الى تحمل مسؤليات المواطنة . وقد نص هذا القانون على ان الشبان الذين تركوا المدرسة ولم يصلوا الى الثامنة عشرة من العمر سيلتحقون بكليات الالوية لمدة يوم واحد فى كل اسبوع ولفترة طولها ٤٤ اسبوعا . اما فى النواحى والمدن التى يتعذر حضور الشبان اليها بسبب مشكلة المواصلات فينبغى ان تؤسس كليات غيرها قريبة يلتحق بها هؤلاء الشبان ، ويدرسون فيها دراسة متواصلة طولها ثمانية اسابيع . وتتلخص اهداف هذه الدراسات بما يأتى : انها تساعد الشبان على ان يتمتعوا بحياة طيبة سعيدة حينما تتيح لهم الفرص فى تنمية اجسامهم بالالعاب ، ومهارتهم بالتدريب ومعلوماتهم ومداركهم بالتثقيف ، والتمتع باوقات فراغهم ليزدادوا معرفة ورغبة فى اكتشاف آفاق جديدة من المعرفة . وتأمل ان تبعث خيالهم بتذوق الموسيقى والتمثيل والفنون والآداب والاختراعات العلمية ؛ وتحاول ان تجعلهم يدركون مكانة العائلة ومسؤولياتها فى المجتمعات الصالحة ، وتزودهم بمعلومات مفيدة عن احوال بلادهم والاقطار الاخرى ، وتحثهم على تطويرها وتحسينها بقيادة صالحة وخدمات تعاونية ضرورية لمواطنة نافعة فى مجتمع ديمقراطى[١٨] .

---

18 - Stephens, W. E. D., English Education, P., 38, London, 1947

وكليات الالوية وان كانت تواجه فى الوقت الحاضر مشاكل جمة الا انها تجربة جديدة فى التربية الانكليزية تنطوى على امكانيات عظيمة . ولا يخفى ان تقاليد بريطانية التربوية فى « تمجيد الروح الفردية والمهارة فى الصنعة وحب العلم والتحرر من القوانين الجامدة ستلتقى بعضها مع بعض وتؤثر الواحدة فى الاخرى بشكل لم يسبق له مثيل ، وستتيح هذه التقاليد امام الشباب فرصة ينتفعون بقواهم احسن انتفاع ، ويؤدون خدمات الى الانسانية أحسن تأدية . وبكلمة مختصرة سيدركون العلاقة الحقيقية بين الحقوق والالتزامات ، وبين العمل والسعادة »[19].

ادارة التعليم

ان شئون التعليم فى انكلترة محلية وفردية : دينية واجتماعية . وليس للسلطة المركزية (اى وزارة المعارف) سيطرة كبيرة عليه ، خلافا لما هو معروف عن اكثر الدول الاوروبية . فلا تؤسس وزارة المعارف المدارس او تمتلكها ، ولا تسيطر على اية مؤسسة تربوية سيطرة مباشرة ؛ كما لا تضع الكتب المدرسية ، ولا تقررها ؛ ولا تستخدم مدرسا وتدفع راتبا .

ولم تتدخل الدولة فى شئون التعليم ، كما سبق ان ذكرنا ، الا فى السنوات الاخيرة ، وتتمتع المدارس اليوم بادارة لا مركزية عظيمة لا تجاريها فى ذلك الا بعض الاقطار الاوروبية والامريكية . ولو قارنا بين ما كانت عليه المدارس على اختلاف انواعها ودرجاتها واغراضها قبل تشكيل وزارة المعارف، وما هى عليه الآن واستقصينا سلسلة التشريعات المدرسية التى أقرها البرلمان لوجدنا ان الادارة المركزية قد استطاعت خلال هذه المدة ان تتوغل فى شئون التعليم الابتدائى والثانوى والمهنى سنة بعد اخرى ، وتسيطر عليه سيطرة غير مباشرة .

---

19 - Youth Opportunity, Ministry of Education, 1945

وتخضع شئون التعليم فى انكلترة ، من ناحية ثانية ، الى سلطات مباشرة وهى : « سلطات التعليم المحلية » ، واخرى غيرمباشرة وهى: وزارة المعارف، والبرلمان البريطانى • فبعد ان يشرع البرلمان قوانين التعليم ويضع الخطة العامة تتولى سلطات التعليم المحلية تنفيذها باشراف وزارة المعارف •

١ ـ سلطات التعليم المحلية :

تتمتع سلطات التعليم المحلية فى ادارة شئون التعليم باستقلال كبير ؛ وحيث ان لكل منطقة (او لواء) سلطة خاصة فان تقدم التعليم يختلف من منطقة الى اخرى • ومع ان هذا الاختلاف يولد بعض المشاكل الا انه فى الوقت نفسه يثير المنافسة بين المناطق ، والحماسة بين الناس ، ويصيب التعليم من جراء هذه المنافسة تقدما وتحسنا • وقد لوحظ ذلك بصورة خاصة بعد صدور قانون سنة ١٩٤٤ •

وتتألف سلطات التعليم المحليـة(*) من مجـالس الالويـة County Councils وتفرعاتها الادارية التى هى شبيهة بالقائمقاميات عندنا County Boroughs ويتطلب قانون مجالس الالوية ان يعين كل مجلس لجنة تربوية Education Committee قوامها من موظفين دائمين ومن مدنيين مشهورين بحبهم للتعليم ، ويخول المجلس كل « لجنة تربوية » صلاحيات تمارسها فى ادارة شئون التعليم • وتتألف « سلطة التعليم المحلية » من اعضاء « اللجنة التربوية » ولجنتها الفرعية ، ومن الموظفين الدائمين • وهى مسئولة عن ادارة شئون التعليم كافة الا التعليم الجامعى • فهى التى تشيد المدارس و «تساعدها» وهى التى تتعاقد مع المدرسين وتدفع رواتبهم • وتعين كل « لجنة تربوية »

(*) بلغ عددسلطات التعليم المحلية فى انكلترةوويلز١٤٥ سلطة ادارية؛ ٦٢ منها تابعة الى ما نستطيع تسميته بالالوية و٨٢ منها تابعة الى ما نستطيع تسميته بالاقضية •

مديرا للمعارف يسمى تارة Director of Education واخرى بـ Chief Education Officer ومع انه هو الذى يهيمن على ادارة التعليم الا ان وضع السياسة العامة للتعليم لا يعود اليه وحده بل يعود الى « اللجنة التربوية » .

وقد حدد قانون معارف سنة ١٩٤٤ واجبات سلطة التعليم المحلية ، فهى بالاضافة الى واجباتها التعليمية ينبغى عليها ان تتيح الفرص الكافية للافراد لينتفعوا بأوقات فراغهم احسن انتفاع ، ويتدربوا تدريبا بدنيا واجتماعيا . وتحقيقا لهذه الاغراض فان لسلطات التعليم المحلية ان تؤسس المخيمات الصيفية وتديرها ، وتفتح الدورات الصيفية وتنظمها ، وتشرف على ساحات الالعاب واحواض السباحة وقاعات الجمناستيك وتصونها ؛ وتقوم بتقديم المساعدات المالية للطلاب المعوزين وتجهيز طلاب المدارس الابتدائية والثانوية وكليات الالوية بالحليب والطعام والمرطبات ، وتقديم الخدمات الصحية للاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين الخامسة من العمر والثانية عشرة من العمر ؛ من ذلك اجراء الفحوص الطبية السنوية ، والتمتع بعلاج مجانى ؛ وفتح مدارس خاصة للصم والعميان وضعاف العقول والمقعدين جسميا .

٢ ـ وزارة المعارف :

كانت « سلطة التعليم المركزية » تعرف قبل صدور قانون ١٩٤٤ بـ « مجلس المعارف » Board of Education ؛ وكان يطلق على الوزير المسئول « رئيس مجلس المعارف President of theBoard of Education غير ان قانون معارف ١٩٤٤ بدل اسم السلطة المركزية وجعلها « وزارة المعارف » Ministry of Education وسمى رئيسها « وزير المعارف » ، وصارت واجباته : « ضمان تعليم افراد الشعب فى كل من انكلترة وويلز ، وتطوير المؤسسات التعليمية تطورا متواصلا ، وقيام سلطات التعليم المحلية التابعة لسيطرته وتوجيهه بتنفيذ السياسة القومية ، وامداد كل منطقة من

المناطق بخدمات تعليمية شاملة ومتنوعة » . وقد أقر القانون المذكور المبادىء العامة ورسم الاهداف الكبرى ، وأعطى صلاحيات واسعة الى كثير من سلطات التعليم ، وترك لوزير المعارف حرية وضع التعليمات اللازمة لتنفيذها .

ويتألف ديوان وزارة المعارف من موظفين مدنيين و « مفتشين » يعرفون عادة « بمفتشي جلالة الملك » . ويحتل هؤلاء المفتشون منزلة كبيرة جدا ، ويعدون عيون الوزارة وسفراءها في المدارس المختلفة ، وتستند سياسة وزارة المعارف الى خبرتهم وآرائهم التربوية ، ويتمتعون بنفوذ عظيم ، ويشرفون على « الدورات » التربوية التي تنظمها وزارة المعارف للمعلمين اثناء العطلة المدرسية في جامعتي اكسفورد وكيمبرج لدراسة مشاكل التعليم وتبادل وجهات النظر بينهم وبين المدرسين حولها ، وبحث طرق التدريس المتبعة في الالوية المختلفة ونقدها ، وتبديلها او تحويرها كلما اقتضى الامر الى ذلك .

وقد كان عمل المفتشين يقتصر لاسيما في الفترة الممتدة بين سنة ١٨٧٠ الى ١٨٩٥ على امتحان طلبة المدارس الابتدائية وتسجيل عدد الناجحين منهم وتقديم المساعدات المالية التي تخصصها الدولة للمدارس « المساعدة » . وكانت هذه الطريقة تسمى طريقة « الدفع بالنتائج » . وبالغائها تبدل عمل المفتشين ؛ فبعد ان كانوا ممتحنين أصبحوا مرشدين وناصحين . وحينما يقوم المفتش بجولته التفتيشية ويطلع على حالة المدارس في منطقته يرفع تقريره الى وزارة المعارف ، ويرسل صورة منه الى « سلطة التعليم المحلية » المختصة ، ثم يتدارس المشاكل التعليمية مع المعنيين ويقترح الحلول المناسبة ؛ ويسعى الى تنوير المدرسين بالطرق التربوية الحديثة التي تطبقها بعض المدارس ، ويتباحث واياهم عن الاتجاهات الجديدة في النظريات التربوية . وبعبارة يصبح المدرس « همزة وصل » بين وزارة المعارف وسلطات التعليم المحلية . ويتوقف مستوى التعليم في كل منطقة على قابلية المفتش ونشاطه وحماسه .

ان وظيفة وزارة المعارف تنحصر بالدرجة الاولى فى اعداد ميزانية التعليم • ولا يخفى ان نفقات التعليم فى انكلترة تأتى من مصدرين رئيسيين : من الضرائب المحلية (رسوم الاملاك Rates) ، ومن المساعدات المالية التى تخصصها وزارة المالية • وتعد وزارة المعارف مسئولة امام البرلمان عن كيفية انفاق هذه المبالغ • ومن اجل هذا فان سلطات التعليم المحلية تقدم ابواب ميزانياتها الى وزارة المعارف لاخذ موافقتها قبل صرفها •

ادارة المدارس :

يدير كل مدرسة ثانوية « مجلس حكام » Board of Governors وتشرف على ادارة كل مدرسة ابتدائية هيئة من المديرين Managers تتكون على الاقل من ستة اعضاء • ويختلف عدد اعضاء كل مجلس من مدرسة الى أخرى ؛ ويكونون عادة من اناس مشهود لهم بالفضل والمنزلة الاجتماعية • ويتمتع « حكام » المدارس العلمية القديمة بحرية كبيرة ، ويتحملون مسئوليات عظيمة فى ادارة مدارسهم ، اذا ما قورنت صلاحياتهم بصلاحيات « مجالس حكام » المدارس التى تشيدها سلطات التعليم المحلية •

ويكون مدير المدرسة عادة حرا فى ادارته مدرسته • فهو الذى يقرر نوع الدروس التى ينبغى ان تدخل فى منهج الدراسة ، وهو الذى يخصص لكل موضوع عدد ما يحتاجه من الساعات ؛ وهو الذى يختار اعضاء الهيئة التدريسية بالتعاون مع الحكام او سلطات التعليم المحلية ؛ ويترك الى المدرسين حرية انتقاء الكتب المدرسية وطريقة تدريس المواضيع المختلفة • وتختلف العلاقة بين مدير المدرسة والحكام وسلطات التعليم طبعا باختلاف المدرسة والاشخاص •

وينبغى ان نتذكر انه مهما اختلفت الاسس التى تقوم عليها ادارة المدارس فى انكلترة فان نجاح نظام التعليم يتوقف على « الروحية » السائدة

فى النظام كله . فاذا صح ان الانكليز يحرصون على تطبيق قواعد الدستور الانكليزى فى حياتهم ، وان خلقهم السياسى يستند الى قاعدة اساسية هى : ان الحكومة من صنع المحكوم ، وان ارادة الاكثرية ينبغى ان تسود ، وان للاقلية حقوقا ينبغى ان تجل وتصان ، جاز لنا ان نستنتج ان مثل هذه الروحية تسود ادارة التعليم . ولعل هذه « الروحية » تبدو بجلاء فى مجموعة « الاقتراحات »(*) التى اعتادت وزارة المعارف طبعها فى كتاب خاص بشئون التعليم الابتدائى . فقد جاء فيها :

« ان التماثل الوحيد فى طرق التدريس الذى تود تحقيقه ادارة المعارف المركزية فى المدارس الابتدائية هو ان يعمل كل مدرس حسب ما يراه مناسبا ، وان يجرب الطرق التربوية الى الحد الذى يستطيعه ـ تلك الطرق التى توافق حاجات المدرسة وظروفها الخاصة احسن موافقة ، وان تماثل الطرق التربوية فى كل ناحية من نواحيها التفصيلية (الا الاعمال الرتيبة المجردة الخاصة بادارة المدرسة) لا يعد مرغوبا وان كان ميسورا . ولكن استعمال الحرية يتطلب تحمل مسئوليات متقابلة » .

نظام الامتحان الجديد :

أوصى « مجلس امتحانات المدارس الثانوية » Secondary School Examination Council فى تقرير رفعه سنة ١٩٤٧ تبديل نظام الامتحانات للمدارس الثانوية المتبع فى انكلترة وويلز ، واقترح ان يحل الامتحان الجديد، وهو امتحان « شهادة التعليم العامة » General Certificate of Education محل امتحان الشهادتين السابقتين وهما :

---

* Handbook of Suggestions for the Considerations of Teachers' and Others Concerned in the Work of Public Elemenary Schools.

١ ـ شهادة الدراسة الثانوية School Certificate Examination

٢ ـ شهادة الدراسة الثانوية العالية Higher School Certificate Examination ويختلف الامتحان الجديد الذى اخذت تطبقه المدارس الثانوية الانكليزية عن الامتحانين السابقين فى ثلاثة امور رئيسية :

١ ـ لا يؤدى الطالب الامتحان الا اذا كان قد بلغ فى اليوم الاول من شهر ايلول السادسة عشرة من العمر ، فى حين ان امتحان الشهادة الدراسية الثانوية القديم يجيز للطالب ان يدخل الامتحان فى أية سن كانت .

٢ ـ يستطيع الطالب ان يؤدى امتحان « شهادة التعليم العامة » فى ثلاثة مستويات : اعتيادى Ordinary ، ومتقدم Advanced وعال Scholarship وهى شبيهة بامتحان « شهادة الدراسة الثانوية » و « شهادة الدراسة العالية » والمنح الحكومية State Scholarship . واذا نجح الطالب فى الامتحان الذى يؤديه فلا يذكر انه نجح « بامتياز » او بدرجة « جيد جدا » كما كان سابقا بل نجح او فشل فى اداء ذلك الامتحان فقط .

٣ ـ يستطيع الطالب ان يؤدى امتحان « شهادة التعليم العامة » فى موضوعات مستقلة أو فى « مجموعة » منها بالشكل الذى يريده ؛ ولا حاجة لان يمتحن فى موضوع او اكثر من كل مجموعة موضوعات معينة .

وقد تعرض هذا الامتحان الجديد الى النقد . ولعل أهم انتقاد يوجه هو تحديد سن دخول الطالب فى الامتحان . ويعتقد كثير من المربين ان تحديد السن يستند الى اعتبارات ودوافع سياسية ، وانه يحاول ان يساوى بين مختلف المدارس الثانوية الحديثة والفنية والعلمية فى المكانة Parity of esteem وحيث ان الطالب يترك المدرسة عادة فى الخامسة عشرة من العمر اى بعد انتهاء مرحلة التعليم الالزامى فان تحديد سن دخول امتحان « شهادة التعليم العامة » سيشجع الطلاب واولياء امورهم على تأدية هذا الامتحان الذى يؤهلهم،

فى الاعم الاغلب ، للالتحاق بالجامعات والمعاهد العالية ، ويمهد امامهم سبل الوصول الى المهن الاخرى .

الخدمات الصحية والطبية

تقع على الدولة فى انكلترة مسئولية خاصة تجاه صحة الاطفال ؛ وتتعاون المدارس وسلطات التعليم المحلية ووزارة الصحة فى هذا الشأن تعاونا وثيقا . وقد عالج قانون معارف سنة ١٩٤٤ نظام الخدمات الصحية والطبية علاجا حسنا ، واحدث فيه اصلاحات اساسية . فبعد ان كانت الخدمات الصحية مقصورة على تلاميذ المدارس الابتدائية ، ولا تتعدى معالجة العيون والاسنان واللوزتين والنزلات الصدرية واجراء فحص سنوى عام تطلب هذا القانون ان تمتد الخدمات الطبية والصحية الى طلاب المدارس الثانوية وكليات الالوية وتتنوع ، حتى بلغت عناية سلطات التعليم المحلية بصحة الطلاب درجة عظيمة ، واصبحت تستخدم عددا كبيرا من الاطباء والممرضات .

وقد باشرت سلطات التعليم المحلية منذ سنة ١٩٠٦ بتقديم الحليب والطعام الى الاطفال المعوزين فى المدارس الابتدائية العامة الذين يضطرهم بعد المدرسة عن بيوتهم ملازمتها طوال فترة الغذاء . وحيث ان اكثر هؤلاء التلاميذ المعوزين مصابون بسوء التغذية فقد تتناقص استفادتهم من مدارسهم اذا لم تقم الدولة بتقديم وجبات طعام مجانية لهم . وهكذا فقد اتبعت الحكومة منذ الحرب العالمية الاولى سياسة تقديم كأس من الحليب ووجبة طعام مجانية الى كل طفل يتعلم فى مدارس سلطات التعليم المحلية ؛ واخذت تستوفى اجورا بسيطة من اولياء الاطفال المقتدرين لقاء هذه الخدمات .

وفى سنة ١٩٣٤ وضعت الحكومة خطة لتجهيز المدارس «المساعدة» بالحليب وأجرت تخفيضا خاصا باسعاره ، حتى بلغ سعر الزجاجة الواحدة ثلاثة فلوس ، ولقد ادى هذا التخفيض الى اشاعة استهلاك الحليب فى المدارس ، وارتفعت نسبة الاطفال الذين كانوا يتمتعون بهذا السعر المخفض فى المدارس

الابتدائية العامة وحدها الى ٠٫٥٣ سنة ١٩٣٨ • وقد عممت هذه الخطة على جميع المدارس سنة ١٩٤١ لاسيما بعد ان وضعت الحكومة سيطرتها على انتاج الحليب(*) •

نظام المساعدات المالية

تدفع وزارة المعارف مساعدات مالية سنوية الى (١) سلطات التعليم المحلية و (٢) سلطات اخرى غير محلية و (٣) عدد من طلبة المدارس وفق الاسس الآتية :

تدفع وزارة المعارف :

٠٫٦٠ من مجموع رواتب المعلمين

و٠٫٥٠ من مجموع الخدمات الخاصة كالطعام ومعالجة تلاميذمدارس الرضاعة •

و٠٫٤٠ من نفقات الاطفال •

و٠٫٢٠ من مجموع النفقات •

وتدفع وزارة المعارف مساعدات اخرى خاصة على اساس نسبة دوام الطلاب ، وتخصم مبالغ غيرها فى احوال معينة • وقد حدد قانون معارف سنة ١٩٤٤ مقدار ما تقدمه الحكومة من مساعدات مالية الى كل سلطة تعليمية بالنسبة لنفقات التعليم الابتدائى والثانوى والمهنى والفنى • فبلغت فى سنة ١٩٣٨ – ١٩٣٩ نحوا من ٤٥ مليون دينار ، وفى سنة ١٩٤٤ – ١٩٤٥ نحوا من ٥٧ مليونا من الدنانير •

(*) بلغ عدد الطلاب الذين كانوا يتناولون وجبات طعام فى المدارس الابتدائية والثانوية والفنية المتوسطة فى انكلترة سنة ١٩٣٥ حوالى ١٫٦٥٠٫٠٠٠ طالب وطالبة ، منهم ١٨٥٫٠٠٠ كانوا يتناولونها مجانا •وقد اخذ هذا العدد يزداد سنة بعد أخرى حتى بلغ ١٩٤٤ حوالى ٣٫٨٠٠٫٠٠٠ طالب وطالبة ، منهم ٣٠٠٫٠٠٠ كانوا يتناولونه مجانا • وصارت نسبة اطفال المدارس الابتدائية الذين يشربون الحليب قرابة ٠٫٧٦ ونسبةطلاب المدارس الثانوية ٠٫١٠ •

اما المساعدات التى تقدم الى غير سلطات التعليم المحلية فهى اقل عادة من المساعدات التى تقدم الى المدارس الثانوية ومراكز تعليم الراشدين ، اذ ان كثيرا من المعاهد المهمة التى تديرها مؤسسات تطوعية لا تخضع لسلطات التعليم المحلية ، فمن المدارس التى تتسلم مساعدات مالية مباشرة بعض المدارس الثانوية « العلمية » ، وكليات التربية ، واقسام التربية التابعة للجامعات ، ومنظمات الشباب ، والصفوف المسائية لتعليم الراشدين • وكان مقدار هذه المساعدات التى قدمت وفق شروط معينة سنة ١٩٣٨ ـ سنة ١٩٣٩ حوالى ١ر٦٠٠ر٠٠٠ دينار ؛ وارتفعت فى غضون الحرب العالمية الثانية حتى بلغت ٢ر٠٠٠ر٠٠٠ دينار فى سنة ١٩٤٤ •

وبلغت المساعدات التى تقدم الى طلبة المدارس والكليات قبل الحرب العالمية الثانية حوالى ٢٣٠ر٠٠٠ دينار فى السنة • وكانت تدفع الى الطلاب الذين يواصلون دراساتهم فى الجامعات الانكليزية • وتقدم وزارة المعارف ٣٦٠ منحة مالية الى عدد من الطلاب • وينال منها بعض الطلبة الذين يلتحقون « بكلية الفنون الملكية » Royal College of Art ، والكلية الامبراطورية للعلوم والتكنوقراطية Imperial College of Science and Technology ودور المعلمين •

* * *

التعليم فى اسكوتلنده

تتألف بريطانية او المملكة المتحدة من أربع وحدات سياسية وهى : انكلترة ، وويلز ، واسكوتلندة ، وشمالى ايرلندة (اولستر) • ولكل وحدة سياسية نظام تعليمى خاص يميزها عن غيرها ، ويحتفظ لها بتقاليدها • ومع ان انكلترة وويلز يجمعهما نظام تعليمى واحد ويخضعان لاشراف ادارة مركزية واحدة ، هى وزارة المعارف البريطانية ، الا ان نظام التعليم فى اسكوتلندة مستقل ، ويختلف اختلافا كبيرا عن الانظمة الاقليمية الاخرى ،

فقد « كان الشعب الاسكوتلندى ، ولما يزل ، يؤمن منذ عدة قرون ايمانا عظيما بأهمية التعليم ، ويحرص على نشره كل الحرص • ويستطيع ان يدعى بان البرلمان الاسكوتلندى قد صادق سنة ١٤٩٦ على أول قانون تعليمى الزامى عرفه التاريخ »•[٢٠] ومع ان هذا القانون لم يترك أثرا كبيرا فى نشر التعليم وتنظيمه الا انه عبر تعبيرا صادقا عن رغبة الاسكوتلنديين فى نشره واعتباره مرفقا حيويا من مرافق حياتهم القومية حتى فى هذه الحقبةالاولى من تاريخهم العام • ولقد ذكر المؤرخون ان المدارس الابتدائية والثانوية كانت منتشرة فى اسكوتلندة انتشارا لا مثيل له فى اى قطر من اقطار اوروبا باستثناء هولنده ، وان الاختلافات الدينية والمنازعات السياسية التى ظهرت فى تلك الحقبة لم تعرقل حركة نشر التعليمين الابتدائى والثانوى • ولعل من أهم الاسباب التى ساعدت على انتشار التعليم نشاط الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الذى أدى الى تأسيس جامعتين وفتح عدد من المدارس ، والحركة الدينية الاصلاحية التى قامت بها الكنيسة البروتستانية فى القرن السادس عشر ، وما رافقها من العناية بالتعليم •

وتعد الوثيقة التاريخية المعروفة « بكتاب السياسة » The Book of Policy أو « الكتاب الاول فى القيادة » The First Book of Discipline من الوثائق المهمة التى ظهرت فى تلك المرحلة التاريخية • فقد كان « الكتاب الاول فى القيادة » ، الذى دون سنة ١٥٦٠ ، منهاج الكنيسة الاصلاحية Reformed Church ، قد افرد فصلا خاصا لبحث « المدارس والجامعات » هو الفصل التاسع ؛ وذهب واضعوه ، ومنهم جون نوكس ، الى

---

20 - Dent, H. C., British Education, P., 34

ان الوقت قد حان لكل كنيسة محترمة ان تعين مديرا يستطيع ان يدرس النحو واللغة اللاتينية ، وقسا يعلم الاطفال والشباب القراءة والكتابة والحساب وأصول الدين ، وان تؤسس فى « كل مدينة مشهورة » كلية لتدريس المنطق والخطابة واللغات الاخرى بالاضافة الى المدارس الابتدائية والثانوية . وكان التعليم الذى ذكره « الكتاب » الزاميا ؛ وأوصى ان يجرى لطلبة المدارس الابتدائية امتحان فى كل ثلاثة اشهر مرة لانتقاء احسن الطلاب الذين سيلتحقون بالمدارس الثانوية ، وامتحان عام لطلبة المدارس الثانوية الذين يودون الالتحاق بالجامعات .

ولكن الاضطرابات الاجتماعية التى وقعت فى اسكوتلندة حالت دون تنفيذ هذا المشروع الثقافى العظيم ، فظل مطويا فى نفوس المصلحين ، وصار المثل الاعلى للمعلمين ، واستمروا يتحينون الفرص لتحقيقه عدة سنين ، حتى كانت سنة ١٦٩٧ ، فقد وضع البرلمان الاسكوتلندى اسس نظام التعليم العام ، واقر « قانون تأسيس المدارس » ، وتطلب هذا القانون ، الذى اصبح « ميثاق التربية الاسكوتلندية » ، ان تؤسس الوحدات الادارية المدارس وتستخدم لها عددا من المديرين . فسار التعليم سيرا مطردا حتى صدور قانون معارف سنة ١٨٧٢ .

ولم ينظر الاسكوتلنديون الى التعليم من حيث هو خاص بطبقة معينة من طبقات المجتمع ، بل حسبوه حقا طبيعيا من حقوق الاطفال كافة . فكانت مدرسة القرية ، سواء ابتدائية أم ثانوية ، تضم اطفال الفلاحين والمترفين من طبقة الملاكين . ولم تكن فى اسكوتلندة فى ذلك الوقت مدارس ثانوية منفصلة عن المدارس الابتدائية كما كان الحال فى انكلترة وويلز ، باستثناء عدد قليل منها جدا كانت تعرف بالاكاديميات Academies . وكانت تقدم دراسات حديثة بدلا من الدراسات « اللاتينية » .

وحيث ان قانون معارف سنة ١٨٧٢ اوجب فصل المدارس الثانوية عن الابتدائية فقد خطا التعليم الابتدائى خطوات واسعة بعد وقوع هذا الفصل ، وحافظ التعليم الثانوى على حالته ، وخضع التعليم الى ادارة مركزية بتأسيس « دائرة المعارف الاسكوتلندية » . وكانت هـذه « الدائـرة » التى تأسست بموجب قانون سنة ١٨٧٢ تحت اشراف وزير داخلية اسكوتلندة الذى يقيم فى لندن ، وكانت تضم عددا كبيرا من المفتشين . وفى سنة ١٩١٨ عين لها « مجلس استشارى » .

ويعد قانون ١٩١٨ من القوانين المهمة التى غيرت معـالم التعليم فـى اسكوتلندة . فقد ألغى « مجالس المدارس » School Boards ، وأناط ادارتها بلجان اخرى سميت « بلجان ادارة المدارس » المحلية . الا ان التبدلات التى احدثها قانون معارف سنة ١٩٤٥ كانت اعظم . فقد تضمن هذا القانون أهم المبادىء التى تضمنها قانون معارف سنة ١٩٤٤ الخـاص بتنظيم التعليم فى انكلترة وويلز ، وتطلب من سلطات التعليم المحلية ان تقوم بتأسيس المدارس الابتدائية والثانوية و « الاضافية » ، وان تمتد سن التعليم الالزامى حتى السادسة عشرة من العمر . وتأسست فى اسكوتلندة ، عملا بهذا القانون ، « الكليات المتوسطة » Junior Colleges ؛ وهى شبيهة « بكليات الالوية » التى احدثها قانون معارف سنة ١٩٤٤ فى انكلترة والتى سبقت الاشارة اليهـا ، واهتـم بصحة الاطفال ، وبتقديم الوجبات الغذائية المجـانية ، وبتفتيش المـدارس الخصوصية ومراقبتها .

خصائص نظام التعليم فى اسكوتلندة :

وبالرغم من هذه التبدلات التى احدثها قانون معارف سنة ١٩٤٥ فقد ظل نظام التعليم فى اسكوتلندة محتفظا ببعض الخصائص التى تميزه عن نظام التعليم

فى انكلترة ، واهمها[٢١] :

اولا ـ يعكس نظام التعليم مدى تعلق الاسكوتلنديين بوحدتهم القومية ـ هذه الوحدة التى لا تتجلى فى نظام التعليم حسب بل فى المؤسسات الاخرى المرتبطة به ؛ ففى اسكوتلندة مثلا جمعية واحدة للمعلمين هى « معهد اسكوتلنده التربوى » The Educational Institute of Scotland ويرتبط به « المجلس الاسكوتلندى للبحوث التربوية » ؛ وفيها « لجنة قومية لاعداد المعلمين » تتولى الاشراف على كليات المعلمين ، وعلى الدوائر المختلفة الخاصة باعدادهم فى الجامعات الاسكوتلندية الاربع .

ثانيا ـ تنحى اسكوتلندة فى ادارتها لشئون التعليم نحو المركزية ؛ وقد يكون هذا الاتجاه طبيعيا فى بلد صغير كاسكوتلنده ، ولكنه ليس كذلك فى بلد كبير كانكلترة . مثال ذلك ، ان « شهادة انهاء الدراسة المتوسطة » تعطيها « دائرة المعارف الاسكوتلندية » لا السلطات المحلية .

ثالثا ـ تختلف مناهج الدراسة فيها بالنسبة لانكلترة اختلافا كبيرا ، لاسيما فى المرحلة التى تلى الدراسة الابتدائية ، ويعنى التعليم بالنواحى العقلية والاكاديمية (العلمية) كثيرا ، ويرقى الى مستوى اعلى من مستوى الدراسة فى انكلترة . يضاف الى هذا ، ان جميع المدرسين ، ونسبة كبيرة من المدرسات ، هم من حملة الشهادات الجامعية ، وكثيرون من حملة شهادة الدكتوراه .

رابعا ـ ويحتل التعليم الدينى منزلة كبيرة ، ويجرى وفق مناهج مقررة(*) وفى الفترة الواقعة بين سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٢٩ اشترك « معهد

---

(٢١) المصدر السابق نفسه ، صفحة ٣٩ ـ ٤٠ .

(*) باستثناء المدارس الكاثوليكية .

اسكوتلنده التربوى ، مع « الكنيسة الرسمية » ، و « الكنائس الحرة المتحدة » في وضع مناهج تدريس الدين .

خامسا ـ وقد صنفت المدارس التى تلى الدراسة الابتدائية بموجب قانون سنة ١٩٣٦ تصنيفا عمليا : فمنها « المدارس المتوسطة » ويلتحق بها الطلاب الذين تتراوح اعمارهم بين الثانية عشرة والخامسة عشرة ، وطول الدراسة فيها ثلاث سنوات ؛ ومنها « المدارس الاعدادية » ويلتحق بها الطلاب الذين يواصلون دراساتهم حتى يبلغوا السابعة عشرة او الثامنة عشرة من العمر ، وطول الدراسة فيها خمس او ست سنوات . وهذه الخطة التى وضعت سنة ١٩٣٦ قد اخذ بها قانون معارف سنة ١٩٤٥ ؛ ومع ان نشوب الحرب العالمية الثانية قد اوقف تنفيذ هذه الخطة الا ان كثيرا من المدارس استطاعت ان تكيف نفسها وفق الخطة الجديدة .

سادسا ـ تستهدف التعليمات الخاصة بمناهج الدراسة التى تلى مرحلة الدراسة الابتدائية « تحقيق اطراد نمو التربية العامة فى الناحيتين الجسمية والاخلاقية بصورة لا تقل عن اطراد نموها فى الناحية العقلية . » وقد نصت التعليمات كذلك على انه ينبغى ان يتناول كل درس من الدروس فى المدارس الثانوية اعداد الطلاب فى الواجبات الاخلاقية وواجبات المواطنة ، وفى الموسيقى والتربية البدنية ، فى حين ان التعليمات الصادرة فى مناهج الدراسة الانكليزية قد تطلبت الاهتمام بالتربية البدنية بصورة الزامية ، ولم تتطلبها فى التربية الاخلاقية او دروس الموسيقى . هذا من ناحية ، اما من الناحية الثانية فان المدارس الثانوية الانكليزية تتطلب تدريس لغة اجنبية واحدة على الاقل ، بينما تجعل المدارس الثانوية الاسكوتلندية تعلم اللغات الاجنبية شيئا اختياريا .

سابعا ـ ان المدرسة الاسكوتلندية الاعتيادية نهارية ومختلطة ، وان مجموع طلابها اكثر عادة من مجموع طلبة المدرسة الانكليزية . وقد كان لكل ٢٢٫٠٠٠ نسمة فى سنة ١٩٣٨ مدرسة واحدة(*). ولم تنتشر المدارس « الداخلية » فى اسكوتلندة كما انتشرت فى انكلترة ، ولم تزدهر فيها مدارس « الخاصة » كما ازدهرت فى انكلترة ، ولم يتجاوز عددها اليوم عن سبع مدارس : اربع منها داخلية مستقلة ، وهى فيتس Fettes ، ولوريتو ، ومرشستون كاسيل Merchiston Castle ، وكلينالاموند Glenalamond ولكن هذه المدارس لم تنل الشهرة التى نالتها « مدارس الخاصة » فى انكلترة .

ثامنا ـ ويساهم الآباء فى الاشراف على تربية اطفالهم فى اسكوتلندة . فقد أقر قانون سنة ١٩١٨ ان يشترك الآباء فى ادارة المدارس اشتراكا مباشرا . وكان من جراء هذا الاشتراك ان تأسست فى اسكوتلندة « جمعيات الآباء والمعلمين » وانتشرت انتشارا كبيرا واسعا . ويقوم عدد كبير من هذه الجمعيات بتنظيم حلقات للبحث ، واعداد المحاضرات ، وتنظيم المناقشات .

تاسعا ـ واستطاعت اسكوتلندة ان تنظم التعليم الفنى تنظيما شاملا ودقيقا اكثر مما فعلته انكلترة . ويجرى اليوم فى الصفوف التكميلية والصفوف العليا من المدارس الثانوية ، وفى الجامعات و « المؤسسات المركزية » التى تنشأ فى

(*) كان عدد طلبة المدارس الاسكوتلندية فى سنة ١٩٣٨ نحوا من ٧٨٥٫٩٦٠ طالبا وطالبة ، منهم ٦١٢٫١٩٧ فى المدارس الابتدائية و١٧٣٫٧٦٤ فى المدارس التى تلى الدراسة الابتدائية . وكان عدد المدرسين والمدرسات ٢٩٫٠٦١ (ثلث العدد مدرسات) وعدد المدارس الابتدائية ٢٨٩٥ مدرسة والثانوية ٢٥٢ والمدارس الاخرى ٦٣ مدرسة .

كل منطقة من المناطق . ولكن اكثر الطلاب الذين يستعدون لهذا النوع من التعليم يلتحقون بالصفوف المسائية شأنهم فى ذلك شأن طلبة الصفوف المسائية فى انكلترة .

* * *

التعليم فى شمالى ايرلنده

كان التعليم فى شمالى آيرلنده قبل سنة ١٩٢٠ جزءا من نظام التعليم السائد فى آيرلنده كلها ؛ وكان يسير جنبا الى جنب مع تعليم الدين . وحينما انفصلت الالوية الستة الواقعة فى شمال آيرلنده وتكونت منها مقاطعة شمالى آيرلنده سنة ١٩٢٠ وتشكلت فيها وزارة للمعارف سنة ١٩٢١ نشأ نظام تعليمى وطنى مستقل ، خضع لسيطرة الدولة ، واعتمد على مساعداتها المالية .

ولعبت الجمعيات التطوعية فى آيرلنده دورا كبيرا فى نشر التعليم الابتدائى ، وعين حاكم آيرلنده العام سنة ١٨٣١ « مجلس مستشارى التعليم القومى » ليتولى الاهتمام بشئون التعليم الابتدائى . وقد اشرف هذا المجلس الذى عاش اكثر من ٩٢ عاما على اربعة انواع من المدارس : فمنها ما كانت تخضع الى اشراف المستشارين ، واخرى ما كان يديرها مجلس ادارة يشترك فيه عدد من المستشارين ، ومنها ما كانت مستقلة ، واخرى نموذجية . وكانت نفقات المدارس الاولى والثانية تسدها الحكومة والتبرعات المحلية . اما المدارس المستقلة « الخصوصية » فتسد نفقاتها هيئات خاصة غير رسمية ، فى حين كان المستشارون هم الذين يديرون المدارس النموذجية وينفقون عليها لتصبح مثلا يحتذى ؛ وكانوا يختارون اليها أحسن المدرسين . وقد اسسوا دارا للمعلمين ، واعانوا الدور الاخرى بالمساعدات المالية .

وتأسست المدارس الثانوية فى عهد الملكة اليزابيث منفصلة عن المدارس الابتدائية . وفى سنة ١٨٧٨ صدر قانون تأليف مجلس مستشارين لادارة التعليم العام . وقد أقر هذا المجلس طريقة « الدفع بالنتائج » لتقديم المساعدات المالية ، ولكنها الغيت بعد ان اتضحت مساوئها سنة ١٩٠٠ .

وتقدم التعليم المهنى والعلمى فى آيرلنده قبل سنة ١٩٢٠ تقدما كبيرا ، وبلغ عدد المدارس الفنية فى المقاطعات الست التى تألفت منها شمالى آيرلنده ٣٩ مدرسة تديرها سلطات التعليم المحلية . ولكن حكومة شمالى آيرلنده لم تكتف بالمدارس التى ورثتها من العهد الماضى ، بل شرعت فى تحسينها وتنويعها وتوسيعها . فسنت قانون معارف سنة ١٩٢٣ الذى تناول شئون التعليم الابتدائى والثانوى والفنى ، وشئون اعداد المعلمين وتعليم المقعدين ، والصحة المدرسية ، واستخدام الاطفال والاحداث فى الصناعة ؛ وتناول تنظيم التعليم ، ووضعه على اسس لا تختلف كثيرا عن الاسس المتبعة فى انكلترة وويلز . وكانت « وزارة المعارف » هى التى تضع المناهج وتدير المدارس وتفتشها وتراقب اعمال سلطات التعليم المحلية التى بلغ عددها ثمانى سلطات محلية . وقد اعطيت سلطات التعليم صلاحية تأسيس المدارس الثانوية . وحيث ان المدارس الثانوية كانت مستقلة ، وان عناية سلطات التعليم كانت منصبة على نشر التعليم الابتدائى فقد اتجهت الى توزيع المساعدات المالية على الطلبة المتفوقين .

وكانت عناية قانون سنة ١٩٢٣ بالتعليم الفنى لا تقل عن عنايته بنشر التعليم الابتدائى الذى يبدأ بالسادسة وينتهى بالرابعة عشرة من العمر ؛ وانتشرت المدارس الفنية والتجارية المتوسطة انتشارا كبيرا(*).

(*) توجد فى شمالى آيرلنده اليوم ما ينيف عن ١٧٠٠ مدرسة ابتدائية، يتعلم فيها اكثر من ١٩٣٫٠٠٠ طالب وطالبة ، و٧٦ مدرسة ثانوية (بلغ عدد طلابها ١٤٠٠٠ وعدد المدرسين ٧٩٠) . وفيها ١٣٤ مركزا للتدريب الفنى يضم ١٠ آلاف طالب و١٢٫٠٠٠ طالبة . ومن هذه المراكز ١٦ مدرسة فنية متوسطة و٢٤ مدرسة تجارية متوسطة .

وفى عام ١٩٤٢ عين وزير المعارف لجنة لدراسة مشاكل الشباب . وقد قدمت هذه اللجنة تقريرها سنة ١٩٤٣ ، ونال اهتمام المسئولين فى وزارة المعارف . وفى سنة ١٩٤٤ أقر برلمان شمالى آيرلندة « قانون خدمة الشباب» Youth Welfare Act . وتتعهد تعليم الراشدين عادة هيئات تطوعية أهمها جمعية العمال التعليمية ، ويجرى فى نطاق ضيق فى الوقت الحاضر وتؤدى « لجنة تعليم الراشدين » بالتعاون مع جامعة كوينس(**) فى مدينة بلفاست خدمات مهمة فى هذا الميدان .

وتبذل حكومة شمالى آيرلندة جهودا عظيمة فى تحسين مناهجها الدراسية ، وتنظيم ادارات مدارسها اسوة بما تفعله كل من انكلترة وويلز واسكوتلندة . وفى سنة ١٩٤٤ وضعت الحكومة كتابا ابيض عن التعليم تضمن الاتجاهات الآتية :

١ – ينبغى على سلطات التعليم المحلية ان تؤسس مدارس للرضاعة وتقدم مساعدات مالية الى المدارس الموجودة منها .

٢ – وان تجعل التعليم الالزامى يمتد حتى الخامسة عشرة او السادسة عشرة من العمر .

٣ – وان يعاد تنظيم التعليم ، ويصبح على مرحلتين : مرحلة ابتدائية تنتهى بالحادية عشرة من العمر ، ومرحلة ثانوية تتألف من مدرسة متوسطة Junior واعدادية Senior .

(**) توجد فى شمالى آيرلنده جامعة واحدة هى كوينس . وتتكون من ثمانية اقسام قسم الفنون والعلوم ، والعلوم التطبيقية والقانون ، والطب والتجارة والزراعة واللاهوت . وتضم ايضا كلية للهندسة ومعهدا للتربية . اما كلية الزراعة فترتبط بوزير الزراعة . ويعد الاساتذة موظفون فى سلك الخدمة المدنية . ويدير الجامعة مجلس ادارة يتألف من بعض اساتذة الكليات ، واعضاء يمثلون خريجى الجامعة ، وهيئات أخرى .

٤ ـ وان تقدم مساعدات مالية الى الطلبة المتفوقين لمواصلة دراساتهم في المدارس الاعدادية .

٥ ـ وان تضع خطة لتعليم الراشدين وغير الراشدين للشبان الذين تتراوح اعمارهم بين الخامسة عشرة من العمر والثامنة عشرة .

٦ ـ وان يكون الفحص الطبي ومعالجة اسنان الطلاب الزاميا ومجانيا لجميع الطلبة حتى يبلغوا الثامنة عشرة من العمر ، وأن يعاد فحصهم بين حين وآخر .

٧ ـ وان تقدم الكتب والقرطاسية والادوات المدرسية مجانا الى جميع طلاب المدارس الابتدائية والثانوية والفنية .

٨ ـ وان تكون صلاة الجماعة والتعليم الالزامي الزاميا في جميع مراحل الدراسة الابتدائية والثانوية والفنية المتوسطة .

* * *

التعليم العالي في بريطانية

ليست الجامعات ، كما يقول الانكليز ، معاهد دراسية حسب ، وانما هي ايضا معقل من معاقل الحرية الفكرية ، ومركز من مراكز تقدم المدنية ، وموطن من مواطن الحقيقة ؛ وهي مختبرات يواصل الطلاب فيها بحوثهم ودراساتهم ، والعلماء اختراعاتهم واكتشافاتهم .

وتنحصر واجبات الجامعات في المجتمعات الديمقراطية الحديثة في اكتشاف اصحاب المواهب والقابليات العقلية واعدادهم ليكونوا الصفوة المختارة من رجال الفكر والرأي والصناعة ، وفي ضمان مستوى عال من الثقافة للامة وتحبيب العلوم اليها والتعلق بها ، وفي نشر المعرفة وتشجيع البحث العلمي .

وتقسم الجامعات الانكليزية الى طائفتين(*) : الجامعتان القديمتان ، وهما اكسفورد وكيمبرج ؛ والجامعات الحديثة ، ومنها لندن ، ومانجستر وليفربول • وتتشابه الجامعات الانكليزية والايرلندية والاسكوتلندية تشابها عظيما وذلك فى النواحى الآتية :

١ – لا تؤلف الجامعات قسما من نظام التعليم الحكومى ، ولا تخضع لسيطرة وزارة المعارف •

٢ – ان الجامعات البريطانية معاهد مستقلة تدير نفسها بنفسها ولا دخل لاحد فى شئونها •

٣ – وانها تعين الاساتذة والمدرسين والمعيدين ولا تستطيع الدولة ان تفصلهم او تتدخل فى تدريساتهم •

٤ – كما لا تستطيع دوائر الحكومة ان تفرض أوامرها على الجامعات • والبرلمان هو الهيأة الوحيدة الذى يستطيع ان يلغى او يعدل القوانين التى بموجبها تدير الجامعات نفسها • ولكنه لا يفعل ذلك الا اذا اظهر الاساتذة رغبتهم فى التعديل والاصلاح •

المساعدات المالية واستقلال الجامعات :

لم تباشر الحكومة فى تقديم مساعدات مالية الى المعاهد العالية الا فى سنة ١٨٨٢ ، لاعداد المعلمين وتشجيع البحث العلمى ثم اخذت هذه المساعدات تزداد سنة بعد اخرى • وفى سنة ١٩١٩ خطت خطوة مهمة • فبدلا من تخصيص مبالغ قليلة لجهات متعددة ولاغراض خاصة قررت تخصيص مبالغ كبيرة ، وألفت لجنة لهذا الغرض سميت « بلجنة المنح الجامعية » The University Grant Committee تقوم بتوزيع هذه المساعدات

(*) فى انكلترة احدى عشرة جامعة وفى اسكوتلاندة اربع جامعات وفى ويلز جامعة واحدة وفى شمالى ايرلندة جامعة واحدة ايضا وهى جامعة كوينس •

على الجامعات المختلفة . وما زالت هذه اللجنة التى تتألف من « موظفين مدنيين » لهم خبرة كبيرة فى شئون التعليم الجامعى قائمة حتى يومنا هذا . وليست لهذه اللجنة علاقة بوزارة المعارف ، وانما ترتبط بوزارة المالية ارتباطا مباشرا . وقد بلغ مقدار هذه المنحة السنوية قبل الحرب العالمية الثانية ٢٠٠٠ر٠٠٠ دينار ، وبلغت اليوم حوالى ٦٠٠٠ر٠٠٠ دينار . ومما هو جدير بالذكر ان جميع الجامعات البريطانية معاهد مستقلة فى ادارتها وماليتها ، وفى تعيين اساتذتها . وهى وان كانت تتسلم مساعدات مالية من الحكومة المركزية والسلطات المحلية الا أن هذه المساعدات لم تشترط شروطا قاسية ، ولم تكن طريقا للتدخل فى شئون الجامعات(٢٢) . والجامعات البريطانية هى من صنع الشعب البريطانى لا الحكومة البريطانية .

عدد الطلاب :

بلغ عدد المسجلين فى الجامعات البريطانية سنة ١٩٣٩ حوالى ٥٠ر٠٠٠ طالب وطالبة ؛ ١٠ر٠٠٠ منهم فى جامعة اكسفورد وكيمبرج ، وحوالى ١٢٠٠٠ فى جامعة لندن ، و١٢٠٠٠ فى الجامعات الاسكوتلندية ، و١٥٠٠٠ فى الجامعات الاخرى . ولما كان عدد سكان بريطانية هو ٤٥ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمة فان نسبة التعليم العالى فى السكان هى طالب واحد لكل ٩٠٠ نسمة . وهى نسبة واطئة بالنسبة الى الولايات المتحدة حيث بلغت طالبا واحدا لكل ١٠٠ نسمة . وتختلف النسبة فى الشمال والجنوب . فهى فى اسكوتلندة ١ – ٤٥٠ نسمة ؛ وفى انكلترة ١ – ١١٠٠ نسمة . وبينما يبلغ عدد المسجلين سنويا فى الجامعات الامريكية ٣٠٠ر٠٠٠ طالب وطالبة والمتخرجين ١٦٥ر٠٠٠ فان عدد المسجلين فى الجامعات الانكليزية سنويا ١٥٠٠ طالب

22 - Barker, Ernest, British University, P.,8, Longmans Green & Co., 1946

وطالبة وعدد المتخرجين نفسه تقريبا . ان ٠/٠٧٥ من طلبة الجامعات الانكليزية من الرجال والربع الباقى من النساء . ويبلغ عدد الطلاب الاجانب حوالى ٢٠٠٠ ، وعدد طلبة المستعمرات والدومنيون ٣٠٠٠ طالب وطالبة . ولا يسكن فى الاقسام الداخلية الا ربع عدد الطلاب فقط .

الجامعتان القديمتان :

وتختلف هاتان الجامعتان عن الجامعات البريطانية الاخرى فى تقاليدهما، وتاريخهما الطويل ، وفى طريقة تدريسهما وحياة الطلاب الداخلية . وتتألف كل جامعة من مجموعة من الكليات وتتمتع كل كلية بقسط وافر من الاستقلال الداخلى . ويبلغ معدل عدد الطلاب فى كل كلية من كليات جامعة كيمبرج ٢٧٠ طالبا وطالبة ، وفى كل كلية من كليات جامعة اكسفورد ١٧٠ طالبا وطالبة ؛ كما تتألف الجامعتان من ٢٠ كلية . وهى التى تؤلف « الجامعة » وتتكون نفقات الجامعة من الكليات المختلفة ؛ اذ تدفع كل كلية ٠/٠٢ من ميزانيتها اليها . وتقدر الاجور السنوية التى يدفعها الطلاب فى هاتين الجامعتين بـ ٨٠٠ر٠٠٠ دينار ؛ أى بمعدل ١٥٠ دينارا للطالب الواحد . واذا علمنا ان الحد الادنى الذى يستطيع ان ينفقه الطالب هو ٢٥٠ دينارا فى السنة ، وانه يحتاج الى ٧٥٠ دينارا ليتم دراسته الجامعية التى طولها ثلاث سنوات ادركنا أن هاتين الجامعتين لا يستطيع ان يلتحق بهما الا اولاد الاغنياء . اما الجامعات الحديثة فهى فى الاعم الاغلب معاهد نهارية وليست داخلية ، وتتقاضى أجورا معتدلة . وكثير من طلابها من خريجى المدارس الثانوية المساعدة ، وتضم ٠/٠٢٥ منهم (٢٣) .

لمحة تاريخية :

يرجع تاريخ تأسيس جامعتى اكسفورد وكيمبرج الى القرون الوسطى ، او الى النهضة التى بدت تباشيرها فى مطلع القرن الثانى عشر حينما ظهر

(23) Hans, N., Comparative Education, P., 269

الاهتمام بدراسة القانون واللاهوت وفلسفة ارسطو والآراء الجديدة فى الرياضيات التى اكتشفها الصليبيون عند اتصالهم بالعرب ، والتى حركت عقول الناس ، وطفق الطلاب يجوبون الآفاق فى طلب المعرفة الجديدة ونشرها(٢٤) . وقد شاعت هذه الحركة شيوعا كبيرا ، فحينما كان الطلاب يسمعون بوجود مركز علمى شدوا اليه الرحال . ولم تكن « جامعات القرون الوسطى » مجموعة من الابنية ، وانما كانت تتألف من مجموعات أو حلقات من الطلاب متعددة تتدارس وتجتمع تحت لواء استاذ او اكثر .

وقد سبقت باريس اكثر مدن اوروبا ، وأم جامعتها كثير من الطلبة الانكليز . ولكن حينما ظهرت بوادر الانشقاق السياسى بين انكلترة وفرنسة فى القرن الثانى عشر اخذ الطلبة الانكليز يجتمعون فى انكلترة نفسها ، ويتركون « جامعة باريس » . فاتخذوا مدينة اكسفورد مثابة لاجتماعاتهم ، وأسسوا « جامعة اكسفورد » المشهورة . وحينما شنق سكان اكسفورد عددا من طلبة العلم سنة ١٢٠٩ الذين اتهموا بقتل احد سكان المدينة رحل الطلاب عنها ، واستوطن اكثرهم فى مدينة كيمبرج التى كانت تضم عددا من طلبة العلم ايضا . ويعد المؤرخون هذا الحادث بداية تأسيس « جامعة كيمبرج » .

ولما انتصر « البابا » على الملك جون بعد مرور خمس سنوات من وقوع هذا الحادث أرغمت مدينة اكسفورد على دفع « كفارة » عن الجرم الذى ارتكبته نحو عدد من الطلاب . وقد كان الطلبة فى ذلك الوقت طلبة دين ، ولا يخضعون فى شئونهم الا الى المحاكم الكنسية . وكان مقدار الغرامة ٤٢ درهما ، وظل يدفعها الاكسفورديون فى يوم ذكرى القديس نيقولا St. Nicholas Day وتوزع على الفقراء حتى يومنا هذا ؛ غير ان مسئولية دفعها قد انتقلت من سكان اكسفورد الى « التاج » Crown البريطانى !

---

(24) Stephens, W.E.D., English Education, P., 60 Longmans Green & Co., 1947

وحدثت هجرات اخرى بعد هذا التاريخ أثر نشوب نزاع بين الطلبة وسكان مدينة اكسفورد ، وبين الطلبة انفسهم . ففى سنة ١٣٣٤ هاجر نفر من طلبة « جامعة اكسفورد » الى مدينة ستانفورد Stanford دون رضى الملك فارغموا على العودة اليها ؛ وعندئذ طلب من كل استاذ يعين فى الجامعة ان يقسم بانه لا يذهب الى ستانفورد . وقد استمر العمل بهذا حتى القرن التاسع عشر . وفى سنة ١٣٥٤ حدثت مصادمات دموية بين طلبة الجامعة وسكان اكسفورد سالت فيها دماء كثيرة ، مما اضطر الملك على ان يتدخل فى النزاع ، ويعطى « الجامعة » صلاحية تامة فى السيطرة على شئون المدينة ، وأمر رئيس بلديتها وأعيانها أن يقيموا حفلة تأبينية كبرى فى كنيسة سنت ميرى St. Mary's Church يترحمون فيها على ارواح القتلى . واستمرت هذه الحفلة التأبينية تقام طيلة ست قرون ، ثم قررت « الجامعة » الغاءها تمهيدا لنسيانها .

وهكذا نجد ان « الجامعة » فى ذلك الوقت لم تتألف من مجموعة أبنية ، ولكنها كانت تتكون من « حلقات » دراسية . ولم تكن الحاجة الا الى عدد من البيوت يسكن فيها الطلاب ويتدارسون ، وحانة او اكثر يجتمعون فيها مع الاساتذة يتناقشون ويتساقون . وكان الطلاب يلتحقون بالجامعة وهم فى الرابعة عشرة من العمر . وكان لابد من تنظيم حياتهم الداخلية دفعا للتصرفات الشاذة التى قد يرتكبونها وهم فى هذا السن . ففتحت لهم اقسام داخلية يتولى الاشراف عليها احد الاساتذة Master وقد سميت بـ Halls وكان «الاساتذة» هم الذين يديرون هذه الاقسام فى بادىء الامر ؛ غير ان ادارتها قد انتقلت بعد ذلك الى « الجامعة » نفسها . وحينما أخذت « الكليات » تنمو بدأت الاقسام الداخلية Halls تتناقص سنة بعد سنة . فقد كان عددها سنة ١٤٣٨ قرابة ٧١ قسما فى مدينة اكسفورد . ولم يبق منها الا اربعة فى القرن التاسع عشر ، والا واحد فى الوقت الحاضر هو سنت أدمون St. Edmon's Hall

وكانت أول كلية تأسست فى اكسفورد هى كلية باليول Billiol وميترون Matron وكان سبب تأسيس الاولى هو ان السر جون دى باليول اقترف اثما كبيرا نحو الكنيسة ؛ فقررت المحاكم الكنسية جلده علانية تكفيرا عن ذنوبه ، وتكليفه بالانفاق على الطلبة الفقراء فى اكسفورد • ولكنه لم ينفق الا فى حدود ضيقة ، فخصص لكل طالب اربعة فلوس فقط • ولكن ارملته زادت المبلغ بعد وفاته واسست كلية باليول سنة ١٢٨٢ تخليدا له •

أما كلية ميترون فقد أسسها ولتردى مترون Walter de Matron سنة ١٢٧٤ ؛ وكان رئيس مجلس اللوردات(*) Lord Chancellor of England وقد بذل اموالا طائلة فى سبيل تأسيسها ، وصارت مثالا لغيرها ومع ان وثيقة تأسيسها قد نصت على ان تكون الكلية خاصة بالفقراء ، وان اقرباء المؤسس يفضلون عند الدخول الا انها لم تمنع التحاق الاغنياء بها • قد اوقف ولتردى ميترون مساحات عظيمة من اراضيه على الكلية ، وحصر ادارتها فى الكلية نفسها • وصار هذا التقليد احدى الخصائص الاساسية لكل كلية من الكليات • فقد اصبحت كل كلية تدير نفسها بنفسها عملا بوصية مؤسسها ، وتملك أراضى تستعين بها على سد مصروفاتها •

وبعد مرور قرنين تأسست كليات كثيرة أهمها اوريل Oriel College وكوينز كولج Queen's College (١٣٤٠) ونيو كولج (١٤٤٨) • وفى ١٥٢٥ شرع الكاردنيال ولسى Walsey ببناء أجمل كلية فى اكسفورد ، واراد ان يسميها بكلية الكاردينال ؛ وبسقوطه سنة ١٥٢٩ اخذ الملك هنرى الثامن الخطة والحق الكلية بكنيسة المسيح الكاتدرائية فى اكسفورد ولكن كرايست جيرج ليست كلية بالمعنى المألوف • وتسمى عادة بـ The House وتعد بكاتدرائيتها وقاعتها الجميلة ورياضها من أجمل المؤسسات الموجودة فى انكلترة •

(*) وكان بالاضافة الى هذا وزيرا للعدل •

وسارت كيمبرج فى تأسيس كلياتها فى الطريق الذى سارت عليه اكسفورد نفسه . فتأسست كلية بيترهاوس على غرار كلية ميترون .

وقد مرت الجامعات الانكليزية فى فترة عصيبة سنة ١٥٤٦ حينما انتصر الملك هنرى على سلطان البابوية فى انكلترة . فقد ألغى جميع الاديرة ، واستولى على أراضيها . وقد خوله البرلمان صلاحيات كثيرة ، واطلق يده فى الكليات والمستشفيات وغيرها من المؤسسات الدينية . ولكن زوجته السادسة الملكة كاترين ومستشاريه اقترحوا عليه ان يترك « الكليات » المختلفة حرة طليقة ؛ فقبل اقتراحهم من جهة ، واسس هو نفسه كلية عظيمة . فقد ضم كليتين صغيرتين وجعلهما « كلية » واحدة ، وأوقف عليها أراضى واسعة سلبها من الاديرة ، واطلق عليها اسم « ترينيتى كوليج Trinity College ومن الحقوق التى اكتسبتها هذه الكلية هو حق رفع « العلم الملكى » Royal Standard العلم الخاص بجلالة ملك الانكليز . وعميد كلية ترينيتى يعين دون غيره من عمداء كليات جامعة كيمبرج بارادة ملكية . وفى تعيينه يستشير الملك رئيس الوزراء دائما قبل صدور الارادة الملكية بذلك .

« وتأسست سنة ١٦٠٠ اثنتان وثلاثون كلية من مجموع الاربعين كلية الموجودة فى اكسفورد وكيمبرج . وقد جرت التقاليد ان يقضى اولاد (السادة) ثلاث او اربع سنوات فى احدى الجامعتين . وكل رجل من رجال السياسة يتعلق عادة باحدى كليات هاتين الجامعتين وينظر اليها نظرة اكبار واعجاب . وقد وهب كثير منهم اموالا طائلة الى كلياتهم القديمة ، أو اوقفوا عليها اراضى شاسعة ، أو شيدوا لها ابنية جديدة جميلة . وقد ظل تأثير الكنيسة طوال القرن السابع عشر والثامن عشر عظيما جدا . فلم يقبل الا الطلبة الذين كانوا ينتمون الى الكنيسة الانكليزية . اما الطلبة الذين كانوا ينتمون الى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، او الخارجون على الكنيسة الانكليزية فلم يقبلوا فيها . وحيث ان هؤلاء كانوا يؤلفون نسبة ضئيلة من

السكان فلم يترتب على حرمانهم من الدراسة ضرر كبير • وحينما استطاع جون ويسلى ، وكان نفسه طالبا في لنكولن كوليج (اكسفورد) ، ان يجمع حول مذهبه المعروف بالميثودست Methodist انصارا لم تكن الكليات الانكليزية مفتوحة امام جميع الطلاب أو قومية بأى معنى من المعانى •وبتدخل البرلمان سنة ١٨٧١ فتحت ابواب الجامعتين القديمتين والكليات الى جميع الطلبة بغض النظر عن معتقداتهم الدينية • وحدثت بعد هذا التاريخ اصلاحات أخرى ••• »(٢٥).

الاجور الدراسية :

وتمنح كل كلية مساعدة مالية Scholarship تتراوح بين ٥٠ ـ ١٠٠ دينار فى السنة ، او تمنح مساعدات قليلة تسمى Exhibitions تتجاوز قيمتها الـ ٥٠ دينارا فى السنة • ولا يحصل عليها الطلاب الا بعد النجاح فى امتحان مسابقة عسير • ويبلغ مجموع المنح المالية السنوية ٨٠٠ منحة • ويسمى الطالب الذى يحصل على مساعدة مالية بـ Scholar ويعد هذا اللقب شرفا عظيما له ، ويسعى اليه الاغنياء والفقراء • ويطلق على الطالب الذى يدفع نفقات دراسية بـ Commoner• ويشترط عليه أن ينجح فى امتحان دخول • ولكن لا يشترط هذا الامتحان على خريجى (مدارس الخاصة) او « المدارس الثانوية » •

الحياة الداخلية :

لقد أصبح عدد طلبة الجامعتين كبيرا بحيث لا تستطيع الكليات استيعابهم فى اقسامها الداخلية • وعلى هذا الاساس أجازت الكليات لعدد من

(25) Stephens, W.E.D., English Education, P, 64-65

طلابها أن يسكنوا فى المدينة • ويتناول الطلاب وجبات الطعام فى أى مطعم يشاؤون • الا انه فى الوقت نفسه يطلب من كل واحد منهم ان يتناول وجبة الغذاء فى القسم الداخلى الخاص بكليته عدة مرات فى الاسبوع • اما اذا كان الطالب يسكن فى احدى الاقسام الداخلية الملحقة بالكلية التى يدرس فيها فان احد الخدم (ويسمى فى جامعة اكسفورد بـ Scout وبجامعة كيمبرج Gyp) هو الذى يوقظه فى الصباح ، وهو الذى يحضر له طعام الافطار أو وجبة الغذاء اذا شاء ، وهو الذى ينظف غرفته •

الانضبـــاط :

وقد وضعت كل جامعة مجموعة من الانظمة لمراقبة سلوك الطلاب فى داخل الجامعة وخارجها ، وتعويدهم على الطاعة واحتـــرام النظـام • ومن هذه الانظمة ما هو قديم ، ومنها ما هو حديث • فمثلا ينبغى على كل طالب ان يلبس « جبته » اذا كان خارج الكلية بعد غروب الشمس ، وان يكون فى كليته أو فى غرفة منامه قبل الساعة الثانية عشرة مساء • وتستخدم كل جامعـة لمراقبة الطلبة ضباط خفر خاصين Proctors ومرافقين Bull dogs تنحصر مهمتهم فى حراسة المدينة من تصرفات الطلبة الشـاذة اولا ووجـوب لبس « الجبة » ثانيا • وعلى الطالب الذى « يقيد » اسمه ضابط الحرس ان يراجع « كليته » فى اليوم الثانى وان يحضر امام « العميد » • واذا ظهر انه ارتكب مخالفة بسيطة دفع غرامة قدرها ٣٥٠ فلسا ؛ اما اذا ارتكب جرما كبيرا فيطرد طردا موقتا او مؤبدا •

تنظيم الدراسة :

تتألف جميع الجامعات الانكليزية من المعاهد الستة التقليدية المعروفة وهى : اللاهوت والآداب ، والعلوم، والقانون، والطب، والهندسة ،ويشترط فى الحصول على شهادة الليسانس عادة B. A., B. Sc. دراسة طولهـــا

ثلاث سنوات ، وفى الحصول على الماجستير M. A., M. Sc. دراسة طولها سنتان بعد دراسة الليسانس • ولا يشترط ان يؤدى طلبة الماجستير فى جامعة اوكسفورد وكيمبرج امتحانا للحصول على الشهادة المذكورة ، وانما يشترط عليهم ان يدفعوا الاجور ، ويحضروا المحاضرات •

ويخصص لكل طالب فى جامعة اكسفورد ، وكيمبرج مدرس Tutor يقوم بتوجيهه وارشاده الى نوع المحاضرات التى ينبغى ان يحضرها •ويقضى الطالب عادة فى كل اسبوع ساعة مع مدرسه تعرف بـ Tutorial فى مراجعة بحث أو كتابة موضوع •

ويخصص الطالب ساعات الصباح عادة لسماع المحاضرات وللمطالعة والمختبر • ويقضى ساعات العصر فى الالعاب والرياضة وساعات المساء فى الدراسة ، أو فى حضور احدى الحفلات ، أو يزجيه مع زملائه فى مناقشة المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والادبية ، او غيرها •

وعلاقة الطالب باستاذه (ويطلقون عليه "Don") علاقة وثيقة وودية وطبيعية بعيدة عن التجمل الكاذب والتكلف فى الطباع والكلام • ولا تكون هذه العلاقة فى قاعة المحاضرات حسب ، وانما تكون على المائدة ، وفى ساعات الشاى ، وفى المآدب والحفلات والاجتماعات والجمعيات • ويعيش الاساتذة العزب فى الكليات • اما المتزوجون فيعيشون فى بيوتهم الواقعة داخل المدينة او على مقربة منها •

وتنقسم السنة الدراسية الى ثلاثة فصول ، وطول كل فصل ثمانية اسابيع • ويقضى معظم الطلبة عطلهم فى الدراسة والبحث ؛ ويستطيع الطالب ان يمضى قسما من عطلته الصيفية فى كليته اذا أراد ؛ وتتراوح مدة الدراسة بين ٣–٤ سنوات للحصول على شهادة الليسانس كما بينا • ويواصل اكثر الطلاب الذين يتسلمون مساعدات مالية Scholars دراساتهم للحصول على شهادة

« الشرف » Honours ويقضون سنة اخرى فى الاختصاص بموضوع من المواضيع أو بمجموعة من مواضيع متقاربة ، وينالون بعد نجاحهم فى الامتحان شهادة « الشرف » . وهى على ثلاثة مراتب : مرتبة اولى وثانية وثالثة . وتمتاز مرتبة الشرف الاولى بمستوى علمى عال . وكان عدد الطلبة الذين حصلوا على « مرتبة شرف اولى » فى جامعة اكسفورد وكيمبرج سنة ١٩٣٨م ٢٩٣ طالبا فقط ، اى بنسبة طالب واحد لكل عشرة طلاب . واكثر الطلاب ينهون دراساتهم بعد حصولهم على درجة الليسانس .

وينال الطلبة الذين احرزوا نجاحا باهرا فى الامتحانات ، والذين يودون ان يكونوا مدرسين "Dons" او يرغبون فى مواصلة بحوثهم الخاصة مساعدات مالية من الجامعة كافية لسد نفقاتهم الشخصية والدراسية ، او ينخرطون فى سلك « زمالة الكلية » College Fellowship ويقع هذا الاختيار فى سلك الزمالة من جانب السلطات الجامعية ؛ ويتم اما بامتحان تحريرى او بمعرفة شخصية الطالب نفسه بغية اختيار احسن مدرس Don . وقد تبلغ قيمة الزمالة احيانا ٦٠٠ دينار فى السنة . ولكنها لا تبلغ عادة الا نصف هذا المبلغ . ويتلقى المدرس نظير هذه «الزمالة» سكنا مجانيا فى احدى الاقسام الداخلية ، ويكرس جهوده اما الى التدريس فيكون مدرسا Tutor او محاضرا Lecturer واما الى القيام بالبحوث لاكتشاف آفاق جديدة من المعرفة ، واما ان يقوم بهما معا .

ويستهدف التعليم فى هاتين الجامعتين تحقيق الاهداف التقليدية للتربية الانكليزية ، وهى تربية الخلق وتنمية الشخصية لا عن طريق الفعاليات العقلية حسب ، وانما عن طريق الالعاب والرياضة والنشاط الاجتماعى ، والطالب الذى لا يستطيع ان يتفوق فى دراسته على اقرانه يستطيع ان يجد

فى الحياة الجامعية مجالا لهذا التفوق ، وأن يستفيد منها أحسن فائدة • وأهمها الفعاليات الرياضية والالعاب Sports وينال الطالب « الرياضى » كما هو الحال فى « مدارس الخاصة » ، اعجاب الطلبة واحترامهم • ولكل جامعة شعار رياضى ؛ وليس لاحد ان يحمل هذا الشعار الا طلبة الفرق الرياضية الذين يتبارون بعضهم مع بعض • وتختص جامعة اكسفورد بلون « ازرق غامق » عادة ؛ وجامعة كيمبرج بلون « ازرق فاتح » • وتوزع « الالوان الزرقاء » Blues على جميع الفائزين فى المباريات الرياضية كالتجديف والكريكت ، وكرة القدم ؛ وأهمها المباريات الرياضية Athletics وتوزع الالوان « نصف الزرقاء » Half Blues على الفائزين فى الالعاب الرياضية غير المهمة •

وفى الجامعتين اتحادان شهيران للمناقشة Union Debating Societies يتدرب الطلاب فيهما على المناقشة والجدل فى جو علمى هادىء ؛ ويقال ان كثيرا من رجال السياسة الانكليزية قد اظهروا قابلياتهم الخطابية فى هذين الاتحادين • وقد يشق الطالب الذى يكون « رئيسا President » لاحدهما طريقه فى الحياة العامة بنجاح • وكثيرا ما يدعو الاتحاد بعض رجال السياسة اثناء السنة الدراسية لالقاء بعض المحاضرات العامة فى الشئون الداخلية او الخارجية ؛ ويحضرها عدد كبير من الطلاب من مختلف الكليات • وفى الجامعتين جمعيتان شهيرتان The Oxford & Cambridge Dramatic Societies وقد يجد الطالب الذى يحسن التمثيل فرصة لان يصبح ممثلا محترفا فى المستقبل •

ويطمئن بعض الطلاب رغباتهم فى نواحى اخرى من نواحى الفعاليات الاجتماعية والقومية • فقد يلتحقون بسرب طيران الجامعة University Air Squadron ليتعلموا الطيران، أو ينضمون الى «نادى الجبليين» Mountaineering

ليتسلقوا جبال سويسرا أو انكلترة اثناء العطل الصيفية . ويحصل طلبة هاتين الجامعتين على تربية اجتماعية راقية حينما يعيشون فى كنف أساتذة مشهورين فى ابحاثهم واكتشافاتهم ؛ وفى خلقهم وقابلياتهم العقلية . ولقد قيل ان أهم تربية ينالها طلبة جامعة اكسفورد وكيمبرج هى التربية التى يحصلون عليها بانفسهم ، لا التربية التى يأخذونها عن اساتذتهم . ويرينا هذا القول أهمية الحياة الاجتماعية فى التربية الانكليزية . فالحياة الجامعية زاخرة بالفعاليات الحرة الابداعية . وبمقدور كل طالب ان يتدرب على وجه من وجوهها ، ويتحمل مسئوليات تعينه على استقبال الحياة العامة . ان هذه الحياة الاجتماعية التى يجتمع الطلبة على صعيدها لمن أهم خصائص الحياة الجامعية فى جامعة اكسفورد وكيمبرج .

نفقات الدراسة :

وتتقاضى هاتان الجامعتان أجورا دراسية باهظة بحيث يتعذر على ابناء الطبقتين الوسطى والفقيرة دخولهما . ولقد ذهب بعض الناقدين الى انهما قد اصبحتا جامعتين « طبقيتين » ، وانهما للاغنياء دون الفقراء ويشير غيرهم الى ان هذه « الطبقة » كانت احدى خصائصها الماضية أى قبل ثلاثين سنة تقريبا، اما الآن فقد تبدلت طبيعتهما تبدلا محسوسا ، وذلك بتقديم مساعدات مالية الى الطلبة النابغين المعوزين . ولكن مما لا شك فيه ان نفقات الدراسة فى هاتين الجامعتين ما زالت كثيرة وان الحد الادنى لكل طالب هو ٢٥٠ دينارا فى السنة ؛ وهو حد لا تنهض به الا الطبقة الغنية . ويستطيع ان يلتحق الطالب المعوز فى احدى هاتين الجامعتين اذا ما ظفر « بمساعدة مالية » Scholarship منهما التى كان عددها ٨٩٨ مساعدة فى سنة ١٩٣٨ ؛ وقد ظفر خريجو المدارس الثانوية الاعدادية منها بـ ٤٣٧ مساعدة . يضاف الى ذلك ان عدد المساعدات المالية التى تقدمها وزارة المعارف سنويا والتى تمكن أصحابها من الالتحاق بالجامعات الانكليزية ٣٠٠ مساعدة . وتقدم « سلطات

التعليم المحلية ، مساعدات مالية اخرى الى الطلبة الذين يظفرون بهذه المساعدات التى تمنحها الجامعتان لسد نفقات التعليم الكثيرة . وقد قدر ان نصف عدد طلاب هاتين الجامعتين تقريبا كانوا يتسلمون مساعدات مالية قبل سنة ١٩٣٩ ، مساعدات قلت أو عظمت ، ويلتحق فى جامعة اكسفورد وكيمبرج كثير من الطلبة الاجانب وكثير من طلاب المستعمرات والدومنيون. ويدخل فى جامعة اكسفورد فى كل سنة سبعون طالبا مختارا من طلبة الدومنيون والولايات المتحدة الامريكية بعد ان يحصلوا على مساعدة رودس المالية الشهيرة Rhodes Scholarship نسبة الى صاحبها سيسل رودس الذى كان من كبار رجال الاستعمار البريطانى .

وفى جامعة اكسفورد اربع كليات للبنات ، تضم ٨٠٠ طالبة ، وفى جامعة كيمبرج كليتان تضمان ٥٠٠ طالبة . ولكل كلية ملاك خاص . الا ان الطالبات يستطعن حضور المحاضرات التى تلقى فى الكليات الاخرى الخاصة بالطلاب .

مكتبة بودليان :

ولمكتبة بودليان فى اكسفورد Bodeleian Library و « مكتبة الجامعة» فى كيمبرج University Library شهرة واسعة جدا . وتضم الاولى كتبا خطية نفيسة ، وتحتضنها بناية قديمة . اما بناية مكتبة كيمبرج فحديثة ؛ وتضم آلاف المجلدات الثمينة . وتتمتع المكتبتان بشهرة واسعة لا تختلف عن شهرة مكتبة المتحف البريطانى . وتتسلمان ، اسوة بالمكتبات البريطانية الاخرى ، نسخة من كل كتاب يطبع فى بريطانيا العظمى . ولهما مطبعتان . وقد تأسست مطبعة اكسفورد سنة ١٤٦٨ .

الجامعات الحديثة :

نشأت الجامعات الحديثة قبل قرن ونيف . وقد اريد بها ان تكون

مفتوحة الى ابناء الطبقة الوسطى والدنيا ، وان تنزع نزعة حديثة ، وان تتحرر من التعصب الدينى والطائفى • وقد كانت جامعة لندن اول جامعة حديثة تأسست فى انكترة • فقد شرع جماعة من المصلحين الاجتماعيين وعلى رأسهم جيرمى بينثام Geremy Bentham بتأسيس يونيفرستى كولج Umiversity College سنة ١٨٢٦ لتكون نواة جامعة حديثة تفتح ابوابها الى جميع الطلاب بغض النظر عن معتقداتهم الدينية واصولهم الاجتماعية ؛ اذ كانت كل من جامعة اكسفورد وكيمبرج لا تقبل الا من كان على مذهب « الكنيسة الانكليزية » Church of England كما اريد بها ان تقوم بتدريس العلوم الحديثة جنبا الى جنب مع الآداب الكلاسيكية والرياضيات التى تؤلف منهج الجامعتين القديمتين • ولم تكن هذه الكلية الجديدة داخلية ، بل نهارية ، ولم يخل تأسيسها من معارضة شديدة من حيث أنها لم تعن بالشعور الدينى للطلاب والاساتذة والمحاضرين • وقد شرع جماعة آخرون بتأسيس كنكز كوليج King's College سنة ١٨٢٩ فى حى السترند لمكافحة نزعة الكلية « الالحادية » •

وفى سنة ١٨٣٦ تأسست جامعة لندن ؛ ولم تكن فى هذا التاريخ الا « لجنة امتحانات Examination Board لطلبة كليتى يونيفرستى كوليج وكنكز كوليج ينال الطالب بعد نجاحه فى الامتحان درجته العلمية • ولم تمض مدة طويلة الا واصبحت هذه الامتحانات مفتوحة امام جميع طلبة المعاهد الاخرى بعد ان كانت خاصة بطلبة هاتين الكليتين •

وظلت « جامعة لندن » تتقدم تقدما مطردا ، وتكتسب شهرة علمية فى بريطانية وخارجها ، وتؤثر فى الحياة الجامعية تأثيرا ملموسا ؛ وصارت درجاتها العلمية تدل على مستوى ثقافى عال ، واصبحت مقبولة فى الجامعات البريطانية كلها ؛ وفتحت صفوفا مسائية للطلاب الذين لا يستطيعون مواصلة

دراساتهم فى النهار ، وتوطدت قوانينها وانظمتها فى سنة ١٩٢٦ ، وتمتعت بالاستقرار فى حياتها العلمية • واقدم كلياتها يونيفرستى كوليج ، واحدثها « مدرسة الاقتصاد والعلوم السياسية » •

وتتكون جامعة لندن من المعاهد الموجودة داخل لندن وضواحيها • وقد سارت الجامعات « الحديثة » فى تطورها سيرا متشابها الا جامعة لندن ودورهام Durham فقد تأسست الثانية على غرار جامعة اكسفورد •

وقد يؤسس احد رجال الاعمال « كلية » او معهدا عاليا لتدريس المواضيع العلمية والدروس الفنية والصناعية ، كما فعل السر جوزيا ميسون Mason وهو رجل عصامى ، كلية ميسون Mason College لتدريس المواضيع العلمية وابعاد الدراسات الادبية والدينية ، والتى اصبحت فيما بعد جامعة برمنكهام • وقد تضاف الى هذه الكلية « كلية طب » أو يضاف قسم لاعداد المعلمين ، او قسم للآداب • ثم تأتى المرحلة النهائية حينما تحصل هذه الكلية النامية على وثيقة ملكية Royal Charter لتصبح جامعة لها حق منح الدرجات العلمية • وعلى هذه الشاكلة تطورت بين سنة ١٩٠٠ ـ ١٩١٠ عدة جامعات ، فنشأت اولا جامعة برمنكهام ، وبعدها ليفربول ، ثم مانجستر ، وليدز ، وشيفلد ، وبرستول ؛ واصبحت كلها جامعات مستقلة • وقد حصلت جامعة ريدنك Reading وهى جامعة داخلية كجامعة دورهام ، على وثيقتها الملكية سنة ١٩٢٦ •

وتختلف الجامعات « الحديثة » عن الجامعتين القديمتين فى وجوه كثيرة • فالاولى « اقليمية » Regional (ما عدا جامعة لندن) والثانية «قومية» National وتفاخر كل مدينة فى جامعتها ، وتمدها بالمساعدات المادية والمعنوية • وتقدم البيوتات الصناعية مساعدات عظيمة ؛ فتشيد لها الابنية والمختبرات • وهى مقابل هذا العون المادى توجه عنايتها الى الصناعات

والفنون التى تشتهر بها تلك المدينة او الاقليم وتعنى بدراستها وتنميتها • فمثلا تشتهر جامعة برمنكهام بالتعدين والتقطير ، وجامعة ليدز بالنسيج ، وجامعة شفيلد بالهندسة ، وجامعة ليفربول بالملاحة وكل ما يتعلق بشئون البحار ، وجامعة ردينك بالزراعة • وهذا التجاوب الاقليمى له حسنات وله مساوىء فمن حسناته اتصال الجامعة اتصالا مباشرا بالمجتمع الذى تنتمى اليه وتعتمد عليه ، وينحدر الطلاب منه • ومن مساوئه تحويل الجامعات الى كليات فنية مجردة • الا ان الجامعات الحديثة كما يقول الاستاذ ستيفنس ، استطاعت ان تدفع عنها هذا الخطر ، وان توازن بين الدراسات الفنية والفلسفية او الاجتماعية •

ولا تلعب الرياضة والالعاب فى الجامعات الحديثة نفس الدور الذى تلعبه فى الجامعتين القديمتين لعدم وجود ساحات وافية فى الجامعات نفسها او لوجودها على مسافات بعيدة عنها • والجامعات الحديثة مختلطة ؛ ويبلغ عدد الطالبات ربع عدد الطلاب تقريبا • ومع ان كليات جامعة لندن مفتوحة جميعها الى الطالبات الا ان هناك خمس كليات داخلية خاصة بالبنات ، منها كلية بدفورد Bedford التى تأسست سنة ١٨٤٩ • والجامعات الحديثة ، شأنها فى ذلك شأن الجامعتين القديمتين ، لا تخضع لسيطرة الدولة خضوعا تاما • وتنحصر علاقتها الرسمية الاساسية بالمدينة او المنطقة التى هى فيها • وتظهر هذه العلاقة بوجود بعض الاعضاء فى مجلس Council ادارة الجامعات • وهؤلاء ترشحهم سلطات التعليم المحلية • ويبحث هذا المجلس فى القضايا المالية والسياسات العامة اما القضايا التى تتعلق بالتدريس وبالتنظيم الجامعى فيبحثها مجلس ادارة الجامعة Senate الذى يتكون من كبار اساتذة الجامعة •

وختاما تقدم بعض المعاهد دراسات جامعية اخرى وهذه المعاهد هى : الكليات الجامعية University College والمعاهد الفنية العليا • فمن الاولى اكسيتر ، ونوتنكهام ، وسوثهمبتون وليستر ، وهول • وتؤلف المعاهد الفنية

العليا قسما لا يتجزأ من الدراسات الجامعية . وكثيرا ما تكون هذه المعاهد منفصلة وشبه مستقلة . ولها مشاكل تتميز بها عن غيرها . وقد تشكلت لجنة خاصة لبحث مشكلة المعاهد الفنية العليا ووضعت تقريرها وقدمته الى الحكومة سنة ١٩٤٥ Percy Report ومما جاء فى هذا التقرير ان صلة المعاهد الفنية العليا بالصناعة وحاجاتها وبالفن واساليبه ضعيفة ؛ ولابد من ضمان درجة عالية من التنسيق . ولايجاد هذا التنسيق اقترحت اللجنة تأليف « مجالس استشارية اقليمية » تتوخى تنسيق التعليم الفنى العالى فى جميع الكليات والجامعات مع حاجات الصناعة المختلفة . كما اقترحت احداث «مجلس قومى تكنولوجى » National Council of Technology وقد تقبلت الحكومة هذه المقترحات سنة ١٩٤٧ واخذت تعمل لتحقيقها .

الجامعات الاسكوتلندية :

تأسست فى أواخر القرون الوسطى ، بوثيقة من البابا ، ثلاث جامعات اسكوتلندية أولاها جامعة سنت اندروز St. Andrew's University التى يرجع تأريخ تأسيسها الى سنة ١٤١١ . وتأسست بعدها بقليل جامعتا كلاسگو Glasgow وابردين Aberdeen اما جامعة ادنبرة فقد اسسها « مجلس البلدية » سنة ١٥٨٣ بعد ان حصل على وثيقة من ملك اسكوتلندة . وقد حذت الجامعات الاسكوتلندية فى تنظيمها حذو الجامعات الاوربية ؛ ومع انها قد تبدلت فى القرن التاسع عشر تبدلا عظيما الا أنها ظلت تحتفظ بطابع القرون الوسطى .

والجامعات الاسكوتلندية نهارية ، الا جامعة سنت اندروز فانها جامعة داخلية ، وتقع فى مدينة صغيرة قديمة . اما الجامعات الاخرى فانها تقع فى المدن الكبيرة شأنها فى ذلك شأن الجامعات الحديثة . ويلتحق اكثر الطلبة الاسكوتلنديين فى الجامعات فى سن مبكر اذا ما قيسوا بطلبة الجامعات الانكليزية ، ويتقدمون للحصول على الدرجات العلمية « الاعتيادية »

Ordinary فى دروس عدة بدلا من درجات « الشرف » Honours الجديدة ويواصل بعض الطلاب النابهين دراساتهم فى جامعة اكسفورد وكيمبرج .

وتبلغ نسبة طلبة الجامعات الاسكوتلندية الى السكان ضعف نسبة طلبة الجامعات الانكليزية . وتعزى بعض اسباب هذا التوسع الى ان نفقات التعليم الجامعى قليلة جدا فى اسكوتلندة عما هى فى انكلترة ، والى قيام مؤسسة كارنيكى Carnigie Trust بتقديم القروض او المنح المالية الى الطلاب النابهين ، والى التقاليد الاسكوتلندية القائمة على تبجيل العلم والعلماء ، والى مثلهم العليا فى احراز قصب السبق فى ميادين التقدم ، والى وجوب حصول المدرسين فى اسكوتلندة ، بما فى ذلك معلمو المدارس الابتدائية ، على شهادات عالية ، ولذلك فان كثيرا من نظائر الطلبة الذين يلتحقون بالجامعات الاسكوتلندية يلتحقون فى انكلترة بدور المعلمين(٢٦) .

وتتمتع كليات الطب ، وخاصة كلية طب جامعة ادنبرة ، بشهرة واسعة ، ويقصدها الطلاب من مختلف الاقطار . وهى فى ادارتها وانظمتها وحتى مناهجها لا تختلف كثيرا عن كليات الطب فى الجامعات الحديثة .

* * * *

والانسان يأخذه العجب حينما يدرك من نظرة عامة ما حل بالجامعات البريطانية فى غضون الاربعين سنة المنصرمة . فقد تطورت جامعة اكسفورد وكيمبرج فى هذه المدة تطورا اجتماعيا نقلها من مؤسسات علمية ارستقراطية الى مؤسسات ديمقراطية ، وجعل نصف طلابها تقريبا ينالون مساعدات مالية تتفاوت فى مقاديرها ، واصبح اساتذتها يمثلون كل طبقة اجتماعية . أما الجامعات الحديثة فقد قطعت مراحل النمو كلها ، وما زالت تنمو اليوم فى عدد طلابها ، وفى مستواها العلمى وفى سمعتها العلمية ...(٢٧) .

---

(26) Stephens, W. E. D., English Education P., 78

(٢٧) المصدر الانكليزى السابق نفسه .

كليات جديدة :

وتأسست فى انكلترة سنة ١٩٥١ ، وبتأثير التقدم التكنوقراطى الذى حدث اثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها ، كليات فنية على انقاض معاهد ومدارس فنية وصناعية متنوعة • ولعل من اشهر هذه الكيات المستقلة التى اخذت تمدها بعض الشركات بالابنية والمساعدات المالية : كلية الجلود الوطنية National Leathersellers' College والكلية الوطنية لفن صناعة المطاط National College of Rubber Technology وكلية التدفئة والتهوية College for Heating and Ventilation وكلية فن التغذية National College of Food Technology

* * *

خاتمة

لم يعرف تاريخ التعليم فى انكلترة قانونا غير معالم التربية الانكليزية تغييرا كليا ، ووضعها على أسس جديدة ، وفتح امامها آمالا واسعة مثل ما فعل قانون معارف سنة ١٩٤٤ • فلقد اعطى كل طفل وشاب وفتاة فرصة سانحة للتعليم ، يستطيع كل واحدة منهم ان يتمتع بها ويستفيد منها الى الحد الذى يتفق هو وقدراته وحاجاته • ولكن القوانين وحدها لا تجدى الا اذا أصبحت جزءا من حياة الامة ، وعملت بها ما وسعها ان تعمل ، وضحت فى سبيلها ما وسعها ان تضحى • وهذه هى المسئولية الملقاة على عاتق الشعب الانكليزى اليوم • ويواجه التعليم فى انكلترة وفى كل قطر مشاكل جمة تتصل بفلسفة الشعب واهدافه ومثله العليا ، وتتصل بامكانياته الاقتصادية والانسانية • وتقبع وراء جميع هذه المشاكل والمثل قضية اساسية واحدة وهى : ما هى محتويات تربية الاطفال والمواطنين فى مجتمع ديمقراطى ؟

« لقد آلينا على انفسنا ان تكون الديمقراطية طريقنا فى الحياة ، وان يسير نظامنا التعليمى فى هذا الاتجاه ، وان يتخذ هذا الشكل . وما قانون معارف سنة ١٩٤٤ الا خطوة جبارة فى بلوغ هذا المثل الاعلى »[٢٨].

—:٥:—

28 - Dent, H. C., British Education, P., 58

مراجع البحث الاساسية

1 - Barker, Ernest, British Universities, London, 1946.

2 - Briggs, T. H., Secondary Education, 1937, New York.

3 - Dent, H. C., British Educatien, 1946.

« « « The New Education Bill, 1944.

« « « Secondary Education for All,London, 1949

4 - Education in 1951, H. M. S. O., 1952

5 - Hans, Nicholas, Comparative Education, London. 1949.

6 - Kandel, I.L., Comparative Education, New York, 1933.

7 - Ministry of Education, a Guide to the Education System of England and Wales, H. M. S. O., 1945.

8 - « of Art Education, H. M. S. O., 1946.

9 - « of the Education of the Adolesceuce, H. M. S. O., 1962.

10 - « of Education, Youth Opportunity, 1945.

11 - « « «

12 - « « « the New Secondary Education, 1947.

13 - Norwood, Cycil, the English Tradition of Education, 1931.

14 - Secondary Education, a Report of thc Advisory Council of Education in Scotland, H. *M*. S. O., 1947,

15 - Secondary Education, with Special Reference to Grammar Schools and Technical High Schools (Spens Report) 1938.

16 - Stephens, W. E. D., English Education, Londod,1947.

17 - Stead, H. G. Modern School Organisation, London, 1945.

18 - The Education Act 1944, University of London.

19 - The Public Schools and the General Education System (Fleming Report) H. M. *S*. O., 1944.

20 - W. E. A., The Problem of Public Schools.

التعليم فى الولايات المتحدة

لم تكن الخصائص القومية ولا التقاليد التاريخية عاملا مهما من عوامل نشوء الحياة الامريكية ، كما كانت فى نشوء الحياة الانكليزية والفرنسية والالمانية والروسية مثلا ؛ ولم تحدث فى الولايات المتحدة ثورات او تبدلات او انقلابات عنيفة كما حدثت فى الاقطار الاوروبية الآنفة الذكر . فماضيها قريب ، وحياتها ما زالت فى دور التكوين ، حتى لقد اصبح هذا الماضى جزءا من حاضرها ؛ ولم يعد عاملا من عوامل استقرار الحياة الاجتماعية فيها . ولا يعتز الامريكيون « بالماضى » كما تعتز الامم الاخرى بل يحسبونه « حملا لا ينتفع به » . وتراهم يتطلعون دائما الى الامام ، ويعتقدون ان عالم الغد افضل من عالم الامس .

ان هذه النظرة الى الحياة تعود الى الظروف القاسية التى أحاطت باكثر المهاجرين حينما عبروا المحيط ينشدون سواحل القارة الامريكية واندفعوا وراء حدودها المجهولة ، والى الحشود الكثيرة من المضطهدين الذين كانوا يريدون ان ينسوا ماضيهم الملىء بالمآسى والآلام يوم كانت اوروبا زاخرة بالاضطهادات السياسية والدينية والفكرية . ولقد حملت هذه النفوس البرمة بالحياة فى اطوائها ثورة على الانظمة القائمة ، ووقفت من الماضى وارتباطاته موقفا سلبيا ، وبعثت ظروفها المعاشية والحياتية حينما طفقت تغزو « غرب » القارة الامريكية وتندفع فى سهولها وهضابها سعيا وراء الذهب اندفاعا جنونيا ويسيطر عليها قانون بقاء الاصلح فى نفوس الرواد الاولين حب الاستقلال والنزوع الى المبادءة فى العمل . يضاف الى هذا ان امريكا كانت تزخر بفرص

ذهبية عظيمة استهوت ملايين الناس فى مختلف اقطار العالم ولاسيما فى الاقطار الاوروبية تحدوهم فى ذلك رغبة ملحة للاثراء السريع • وقد اثرت هذه العوامل ، كما اثرت غيرها ، فى تاريخ أمريكا ، ومهدت لهم السبيل الى تكوين مجتمع جديد ، وشجعت على ولادة شعب جديد مستقل • وما من شك ان الفلسفة الامريكية فى الحياة ونظامها التعليمى يعكسان الاحوال التى اكتنفت نمو امريكا ، وانها ادت الى ظهور الفلسفة العملية Pragmatism • ويعد جون ديوى رائد التربية الامريكية الاول ، ورمز الفلسفة الامريكية • لقد عبرت الفلسفة العملية عن روح الحياة الامريكية تعبيرا صادقا ، واثرت فى النظريات والطرق التربوية الامريكية المعاصرة تأثيرا عظيما[1] •

ومع ان الامريكيين كانوا فى مطلع حياتهم ينزعون الى حياة جديدة ، ويحاولون القاء الماضى عن كواهلهم الا انهم لم يستطيعوا ان ينفصلوا عن ماضيهم الثقافى وتاريخهم الاوروبى كل الانفصال • فقد انتقلت معهم الحركة الانسانية Humanism والحركة السلفية فى الدين Puritanism وكانتا عاملين مهمين من عوامل صوغ التقاليد الامريكية ؛ ونقلوا نظم التعليم ، وطفقوا يقيمونها فى وطنهم الجديد ويشيدونه بها ، ويستفيدون منها ، ويحورون فيها لتلائم ظروفهم الحياتية الجديدة ، ويقيمون غيرها ، فتعددت صورها ، وتباينت اهدافها ، وتنوعت مراحلها لاسيما نظام التعليم الثانوى ؛ كما نقلوا عناصر الثقافة والحضارة الاوروبية ، فأقاموا على اسسها بناء عمرانيا وصناعيا وتجاريا على جانب عظيم من الدقة والاتقان •

وقد ظل نظام التعليم حتى اواخر القرن الثامن عشر متعدد الصور والاشكال ، واخذ يعكس فى القرن التاسع عشر حياة مجتمع زراعى بسيط • فلما حدثت تبدلات عظيمة فى الحياة الاجتماعية الزراعية ، وظهرت مدنية

---

1 - Hans, Nicolas, Comparative Education, P., 273

صناعية ميكانيكية معقدة لم تتكيف السياسات التربوية والمناهج التعليمية ، كما يقول الاستاذ جورج كاونتس G. S., Counts ، الا قليلا ، فما زالت هذه السياسات والمناهج تنطوى على أمور جمة هى من ذكريات مدنية سالفة[٢].

ولكن الامريكيين استطاعوا فى فترة ليست بالطويلة ان يعمموا الفرص التعليمية بين مختلف طبقات الشعب ، وان يجلوا التعليم المجانى محلا رفيعا فى نظام التعليم ، وان يحسبوه ركنا من اركان النظام الديمقراطى • و « لقد حسب مشاهير مؤسسى الجمهورية الامريكية ان التعليم عامل ضرورى من عوامل استقرار الامة ، وفى تحقيق مثلها العليا ، وفى قيام المجتمع بواجباته خير قيام • وقد بحثوا وهم فى غمرة هذا الاعتقاد الشديد فائدته ، ووضعوا الخطط له ، وطالبوا بتأسيس معاهد ثقافية تتفق هى وظروف امريكه •• واظهروا بعملهم هذا ادراكا عظيما للقوى التى يتطلبها تكوين مجتمع من المجتمعات ، والتى يحتاجها فى تسيير شئونه • وقد عملوا هذا وغير هذا ، وضربوا الى الاجيال القادمة كافة مثلا رائعا ، وناشدوها ان تبذل جهودها المتواصلة فى نشر التعليم على مقياس واسع ، وعلى اسس سديدة فى السياسة العامة ، واوضحوا ان التعليم يتطلب دائما وابدا اعلى مراتب الذكاء ، واحسن مراحل التفكير ، وانه شديد الصلة دائما بمستقبل الامة الثقافى[٣].

التعليم الابتدائى :

وكانت أول محاولة لنشر التعليم الابتدائى فى الولايات المتحدة هى

---

2 - Counts, C. S., American Road to Culture, PP., 7,8

3 - Educational Policies Commission, The Unique Functions of Education in American Democracy, P., 67, Washington, 1937

محاولة ولاية ماساجوست • فقد شرعت هذه الولاية فى اوائل سنة ١٦٤٢ وسنة ١٦٤٧ قوانين تطلبت فيها ان تؤسس كل مدينة عددا من المدارس لتدريس الاطفال القراءة والكتابة والدين والدستور • غير ان تأسيس هذه المدارس خارج حدود ولايات « انكلترة الجديدة » لم يحدث الا فى النصف الاول من القرن التاسع عشر حينما اخذ الرأى العام فى كل ولاية يؤمن ان التعليم العام وظيفة من وظائف الولاية سنة بعد اخرى • فقد سنت ولاية نيويورك سنة ١٨١٢ قانونا بتأسيس المدارس ، وخولت ولاية اوهايو سنة ١٨٢١ فرض ضرائب خاصة للتعليم ، وتبعتها ولاية الينوى سنة ١٨٢٥ ، وانديانا سنة ١٨٤٩ ، ثم الولايات الامريكية الاخرى •

وفى اواخر القرن التاسع عشر اخذت بعض الولايات تشرع القوانين التى تلزم بموجبها الاطفال الالتحاق بالمدارس فى سن معينة • فكانت ولاية ماساجوست أول ولاية قامت بهذا العمل سنة ١٨٥٢ ، وتبعتها ولاية نيويورك سنة ١٨٥٣ ، وكانت ولاية مسيسبى آخر ولاية • فقد سنت قانون التعليم الالزامى سنة ١٩١٨ • ولم تشرع حكومة الاتحاد قانونا تحدد به النهايتين الصغرى والكبرى للتعليم الالزامى العام ، بل تركت لكل ولاية حرية تحديد هاتين النهايتين • وكان من جراء ذلك ان اختلفت الولايات فى تحديد سن الابتداء والانتهاء • ولكن الدراسة الابتدائية الالزامية تبدأ عادة فى السابعة من العمر (واحيانا فى السادسة او الثامنة) وتنتهى فى السادسة عشرة من العمر (وأحيانا الرابعة عشرة أو الثامنة عشرة) • يتضح من هذا ان الطفل يقضى عادة تسع سنوات فى الدراسة الالزامية : ٦ منها فى مدرسة ابتدائية و٣ فى مدرسة متوسطة •

وفى كثير من الولايات تضم المدرسة الابتدائية الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين الخامسة والرابعة عشرة من العمر • ويلتحق كثير من الاطفال الذين هم دون الخامسة من العمر فى رياض اطفال مجانية • وقد تبدأ المدرسة

الابتدائية بالصف الاول وتنتهى بالصف السادس ، وهى خطة فى التنظيم جديدة ، او قد تتكون من الصف الاول حتى الصف الثامن وهى خطة فى التنظيم قديمة وشائعة فى القرى والارياف • والمدرسة الابتدائية مدرسة شعبية عامة يلحق بها الاطفال مهما كانت الفوارق الاجتماعية والطائفية والرسية الموجودة بينهم • ويصح هذا القول على الكثرة الغالبة من المدارس فقط • فمدارس الولايات الجنوبية تقسم الى طائفتين : طائفة تعنى بتعليم « البيض » واخرى بتعليم « السود » • وللكاثوليك مدارس خصوصية يلتحق بها اطفالهم • واذا كانت نسبة الاطفال الذين يتعلمون فى مدارس خصوصية ابتدائية فى الولايات المتحدة هى ٠/٠١١ من مجموع الاطفال فانها تبلغ ٠/٠٧ فى انكلترة و ٠/٠٢٠ فى فرنسه ، وهى غير موجودة مطلقا فى الاتحاد السوفياتى • ولا تتشدد الولايات المتحدة فى تطبيق قانون التعليم الالزامى مثلما تتشدد انكلترة وفرنسه • وتقدر نسبة الذين لا يدخلون المدارس فى انكلترة ٠/٠١ فقط من مجموع الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ٥ – ١٦ سنة ، بينما تبلغ هذه النسبة فى الولايات المتحدة حسب احصاء سنة ١٩٤٠ قرابة ٠/٠١٠ من مجموع الاطفال • وهذا معناه ان مليونى طفل لا يشملهم التعليم الالزامى • وتبين الاحصائية نفسها ان عشرة ملايين شاب امريكى قد نالوا من التعليم قسطا ضئيلا بحيث يمكن احتسابهم فى عداد الاميين ، وجلهم من زنوج امريكا •

ومناهج الدراسة الابتدائية قد تكون قديمة او حديثة ، وقد تجمع اكثرها بين القديم والجديد فى آن واحد • وتحتوى المناهج التقليدية على الموضوعات المعروفة الخاصة بتنمية المهارات وهى : القراءة والكتابة والحساب والاملاء والجغرافية والتاريخ والموسيقى والفنون • اما المناهج « الحديثة » Progressive فتعنى بتنشأة الطفل فى النواحى العاطفية والاجتماعية والعقلية والجسمية •

والمدرسة الامريكية العامة مدرسة دنيوية لا تعنى بتدريس المواضيع الدينية ، بل تعد التربية الدينية وظيفة من وظائف البيت . وهذا مما ادى بالكاثوليك ان ينصرفوا عن المدارس الحكومية العامة ، ويؤسسوا مدارسهم الخصوصية . وتختلف الولايات بعضها عن بعض فى مدى عنايتها بالتربية الدينية فبينما تجعل بعضها قراءة الانجيل امرا الزاميا فى مدارسها تحرمه الاخرى تحريما تاما . وذلك فليس من المستغرب ان يصادف المرء قسما كبيرا من الشباب الامريكى ممن لم تتح له دراسته فرصة قراءة الكتاب المقدس ! هذا من جهة ، اما من الجهة الثانية فان من احدى خصائص المدرسة الامريكية العامة اهتمامها بالطقوس والشعائر القومية وعنايتها بتدريس التربية الوطنية. ويعتقد المربون الانكليز ان امريكة تبز انكلترة فى ذلك . وتهتم المدارس الامريكية « بالطريقة الامريكية فى الحياة » وبالنظريات السياسية « غير الامريكية » او الدخيلة اهتماما قد يؤدى فى نظر بعض النقاد الى « تلقين » سياسى يتنافى وطبيعة الحركة الديمقراطية .

ويتكون التعليم الابتدائى من نوعين : تعليم عام وتعليم خصوصى غير مجانى . وقد بلغ عدد تلاميذ المدارس الابتدائية العامة ١٩٫٤٠٤٫٦٩٣ تلميذا حسب احصاء ١٩٤٩ - ١٩٥٠ ، وبلغ عددهم فى المدارس الخصوصية ٢٫٧٠٧٫٧٧٧ تلميذا فى المدة نفسها . وتتضمن هذه الاحصائيات ٩٨٨٫٦٨٠ طفلا فى رياض اطفال عامة ، و١٨٢٫٠٠٠ طفلا فى رياض خصوصية .وفى الولايات المتحدة مدارس للحضانة يؤمها الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين السنتين والاربعة . وقد تأسست حديثا ، وكانت الحرب العالمية الثانية عاملا من عوامل انتشارها . ويعد قانون لينهام لسنة ١٩٤٠ Lenham Act التى تأسست بموجبه ١٥٠٠ دارا للحضانة ضمت ٥٢٠٠ طفلا من اهم الاسباب الذى ساعد على نموها .

التعليم الثانوى

المراحل التاريخية :

ينظر الى التعليم الثانوى فى الولايات المتحدة عادة من حيث هو جهد منظم يبذله المجتمع لتربية المراهقين الذين تتراوح اعمارهم بين الثانية عشرة الى الثامنة عشرة ، واحيانا الى العشرين ، ويجرى فى مدرسة ثانوية عامة Public High School تتألف من مدرسة « متوسطة » وأخرى « اعدادية » ؛ ويختلف من ولاية الى أخرى ؛ وقد يمتد التعليم الثانوى ، فى بعض الولايات ، الى مرحلة ثالثة ، هى مرحلة الكليات المتوسطة Junior Colleges

ومع ان « المدرسة الثانوية العامة » هى نتاج أمريكى خاص ، ولكن جذورها تمتد فى تربة أوروبية ، وتنطوى على « طرق وتقاليد » مقتبسة من نظم غربية ؛ فقد تطورت عن الاكاديمية Academy ؛ وهذه عن « المدرسة العلمية اللاتينية » Latin Grammar School . « فلقد جلب المهاجرون الاولون الى العالم الجديد » كما يقول الاستاذان كروسبى شابمن وجورج كاونتس ، « معظم نظم التعليم الثانوى ومناهجه وطرائقه من العالم القديم ، كما جلبوا عاداتهم وتقاليدهم وفنونهم » . وتأثرت المدارس الثانوية الامريكية ، بصورة خاصة ، بتقاليد المدارس الثانوية الانكليزية . فكانت خصوصية ، وكنسية ، ومستقلة عن المدارس الابتدائية ، وللبنين دون البنات ، وتستوفى أجورا ؛ وكانت ، كما يقول الاستاذ برتن W. Burton ، غير نفعية وطبقية ولغوية .

١ ـ المدرسة العلمية اللاتينية :

تعد الفترة الواقعة بين سنة ١٦٣٥ الى سنة ١٧٥٠ اول مرحلة من مراحل تطور الدراسة الثانوية فى الولايات المتحدة ، فقد تأسست فى بدايتها (١٦٣٥)

اول مدرسة ثانوية فى مدينة بوسطون ، وعرفت أولا « بالمدرسة العلمية الكلاسيكية اللاتينية » ، ثم « بالمدرسة العلمية اللاتينية » وبعدها « بالمدرسة العلمية » . وكانت مناهجها تتألف من اللغات اللاتينية واليونانية والانكليزية والرياضيات ، وكانت مدة الدراسة فيها اربع سنوات فقط ، وتأسست فى هذه الفترة كثير من المدارس العلمية ؛ ولما سنت ولاية ماساجوست تشريعا خاصا بتنظيم التعليم الثانوى سنة ١٦٤٧ سارت اثرها كثير من الولايات ، وانتشرت المدارس انتشارا كبيرا . ولا يوجد من المدارس العلمية اللاتينية الا عدد قليل جدا فى الوقت الحاضر ، منها المدرسة التى تأسست فى مدينة بوسطن سنة ١٦٣٥ .

٢ ـ الاكاديمية :

ونشأت فى المرحلة الثانية المدارس الثانوية المعروفة بالاكاديميات . وكان نشوءها اولا فى القارة الاوروبية ، ثم فى ولايات « انكلترة الجديدة » واسس بنجامين فرانكلن Franklin أول أكاديمية(*) فى مدينة فيلادلفيا سنة ١٧٥١ ، وانتشرت حركة تأسيس الاكاديميات فى الولايات المتحدة ، فتأسست أكاديمية فيلبس ـ أندوفر Philips-Andover المشهورة سنة ١٧٧٨ ، وحلت محل « المدارس العلمية اللاتينية » ، ومهدت السبيل لظهور المدرسة الثانوية العامة ، حتى لقد بلغ عددها ٦٠٠٠ مدرسة فى سنة ١٨٥٠ تضم اكثر من ٢٦٣٫٠٠٠ طالبا وطالبة ، وبلغ عدد مدرسيها حوالى ١٢٠٠٠ مدرسا . وتطورت عن الاكاديميات كثير من المعاهد العامة ، كدور المعلمين ، وكليات المعلمين وبعض كليات الآداب(٤) . وكانت أول مؤسسة ساهمت فى حركة التعليم العالى للنساء .

(*) وتطورت بعد ذلك الى جامعة بنسلفانيا .

4 - Edmonson & Others' The Administration of the Modern Secondary School, P., 7, New York, 1948

« وتختلف الاكاديمية عن المدرسة العلمية اللاتينية فى بعض الوجوه الاساسية : (١) فلم تكن مدرسة « اعدادية » تهيء الطلاب للالتحاق بالمعاهد العالية ، ولم تتصل بها كل الاتصال و (٢) كان منهاجها يحتوى على موضوعات يستعين بها الطلاب فى حياتهم اليومية بالاضافة الى الرياضيات والعلوم واللغات الحديثة والتاريخ ، و (٣) كانت تقدم تعليما شاملا ، الى الطلاب الذين أتموا دراستهم اللغة الانكليزية فى المدرسة العامة . و (٤) كانت تعد طلابها الى الحياة الحرة وتهيؤهم الى المهن الكثيرة و (٥) كانت متصلة بالمدارس العامة لا منفصلة عنها ، على خلاف المدرسة العلمية اللاتينية ، ومهدت السبيل لظهور المدرسة الثانوية العامة الحاضرة »[٥] .

لقد كانت الاكاديميات تعبيرا عن الفلسفة الواقعية فى تربية الشباب وتطبيقا لها ؛ وكانت نقطة تحول من المدارس الكلاسيكية التقليدية التى سيطرت عليها الكليات ، كما يقولون ، الى المدارس الثانوية العامة التى عبرت عن رغبات الشعب الامريكى وحاجاته[٦] . غير ان الاكاديمية لم تكن مجانية ، بل كانت خصوصية ، بل خاصة ، وتستوفى اجورا لا يستطيع ان يدفعها اكثر افراد الشعب . وبتزايد الوعى الاجتماعى ، ظهرت حاجة الامريكيين الى مدرسة ثانوية تقدم فرصا تعليمية مجانية الى جميع الطلاب والطالبات . وهكذا انبعثت فكرة التعليم الثانوى المجانى ، وتأسست فى مدينة بوسطون سنة ١٨٢١ أول مدرسة ثانوية مجانية سميت « بالمدرسة الكلاسيكية الانكليزية » The English Classical School ثم « بالمدرسة الثانوية الانكليزية » ويلخص الاستاذ أدمونسون Edmonson خصائص هذه المدرسة بما يأتى : (١) كانت عنايتها باللغة الانكليزية تفوق عنايتها بالدراسات الكلاسيكية ،

---

5 - Rivlin, Harry N., (Editor), Encyclopedia of Modern Education, P., 4 - 5, New York, 1943

6 - Ibid, P., 5

و (٢) كان هدفها اعداد الشباب لتعلم مهنة من المهن و (٣) مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات و (٤) للبنين دون البنات و (٥) كانت متصلة بالمدارس الابتدائية العامة غير منفصلة عنها .

مجانية التعليم الثانوى :

لم يتوصل الامريكيون الى اقرار مبدأ مجانية التعليم الثانوى الا بعد كفاح طويل ؛ فلم تكن المدرسة الثانوية المجانية قسما من تراث امريكا الطبيعى كالارض والغابات ، بل كانت مثلا أعلى استهدفوه وبلغوه بعد كفاح شاق متواصل[٧] . ولم يخل تطبيقه من بعض المشاكل والصعوبات ، من ذلك ما حدث فى ولاية مشيغن حينما امتنع احد المواطنين فى مدينة كالامازو Kalamazoo أن يدفع لسلطات التعليم ضريبة خاصة بالتعليم الثانوى ، وقال :

« لا تستطيع اية سلطة حكومية ان تفرض ضرائب عامة تنفقها على تأسيس مدارس ثانوية مجانية . ان تعليم اللغات الحديثة ودراسة الروائع الادبية فى هذه المدارس ليس تعليما عمليا مفيدا ، ولا هو تعليم ضرورى ، ولا يفيد سواد الشعب ؛ بل هو تعليم تستفيد منه الاقلية الموسرة على حساب الاقلية المعدمة من دافعى الضرائب . ينبغى ان ينفق على التعليم الثانوى اولئك الذين يريدون الاستفادة منه . وليس من المصلحة ان يدخل فى نطاق الضرائب العامة » . وكان ذلك تحديا صريحا لمجانية التعليم الثانوى وهزة كبيرة . وحينما احيلت الدعوى الى المحكمة العليا فى ولاية مشيغن سنة ١٨٧٢ ردت المحكمة الدعوى بما يأتى :

« ليس فى سياسة ولايتنا ولا فى دستورها ولا فى قوانينها ، وهذا ما اقتنعنا به ، ان تحصر مناطق ادارة المدارس تدريسها فى تلك الموضوعات

---

7 - Edmonson, J. B., Bacon, Francis, L., The Administration of the Modern Secondary School, P., 3 (3 d Edition), 1948

التى يراد من رجال التعليم ان يقوموا بتدريسها ، ولا تقتصر على مرحلة معينة من مراحل الدراسة اذا ما وافق الناخبون فى تلك المناطق على تحمل نفقاتها وجباية الضرائب من اجلها » .

وقد كان لقرار المحكمة العليا صدى استحسان عظيم فى نفوس المربين ، وترك أثرا كبيرا فى جميع الولايات الواقعة فى وسط القارة الامريكية وغربها؛ وقبل الشعب الامريكى منذ ذلك الحين مبدأ مجانية التعليم الثانوى ، وكان حجر الاساس الذى قامت عليه حركة المدرسة الثانوية المجانية كما يقول الاستاذ كبرلى E. P. Cubberley ، بل كان نقطة تحول فى تاريخ التعليم الثانوى ، واخذ الناس منذ ذلك الحين يتنافسون فى تأسيس المدارس الثانوية ويفاخرون بها(٨) .

٣ ـ المدرسة الثانوية العامة :

أما المرحلة الثالثة فهى مرحلة تأسيس المدارس الثانوية العامة المجانية ؛ ففى هذه المرحلة التى ابتدأت فى مطلع القرن العشرين أخذت المدرسة الثانوية تسير فى اتجاه جديد ؛ واخذت اللجان القومية تعنى بدراسة مشاكلها واعادة تنظيمها ، وتعيين صلتها بالكليات والمعاهد العالية ، وتحدد وظائفها واهدافها. ومع ان التعليم فى الولايات المتحدة هو وظيفة من وظائف كل « ولاية » الا انه قد تأثر لدرجة كبيرة ، ولاسيما فى ميدان التعليم الثانوى ، بالتقارير التى وضعتها بعض اللجان القومية المعروفة التى تمثل هيئات تعليمية ذات صلة وثيقة بمهنة التعليم . واذا كانت توصياتها لم تكتسب تأييدا كليا من الجهات المسئولة فان عددا منها ولا شك قد أثر تأثيرا عظيما فى نشوء المدرسة الثانوية. وقد قامت « رابطة التربية القومية » National Education Association

---

8 - Burton, W. H., Introduction to Education, P., 219

بقسط كبير جدا فى بحث قضايا التعليم الثانوى • ففى سنة ١٨٩٢ عينت لجنة قوامها عشرة اشخاص لدراسة مناهج المدارس الثانوية ، وخاصة دراسة مشكلة علاقة الكليات بالمدارس الثانوية • فوضعت اللجنة التى سميت « بلجنة العشرة » Committee of Ten تقريرا ذكرت فيه ان المدرسة الثانوية ليست مؤسسة اعدادية ، ولا ينبغى ان تكون كذلك ما دامت اكثرية طلابها لا تروم الالتحاق بالكليات ؛ اما الطلاب الذين يودون متابعة سيرهم فى معاهد عالية فينبغى ان ينالوا مثل هذا الاعداد • واقترحت ان تصنف الموضوعات على هذا الاساس • وقد دافع التقرير عن نظرية انتقال التدريب القديمة، وطالب ان تقدم الرياضيات ودروس الآداب موضوعات تساعد على مثل هذا «التدريب» الى جميع الطلاب ، سواء اكانوا يريدون مواصلة دراساتهم فى معاهد عالية أم لا •

وفى سنة ١٨٩٩ ألفت لجنة أخرى سميت « بلجنة الثلاثة عشرة » Committee of Thirteen عهد اليها اقتراح الوسائل التى ينبغى ان تتبع فى تنفيذ مقررات « لجنة العشرة » • فأوصت اللجنة ان ينص على عدد الموضوعات « الاعدادية » التى تخول الطالب الالتحاق بالمعاهد العالية ، وان تكون بعض الموضوعات من « المختارات » electives وبعضها من الثوابت Constants ، وان تعين مقررات كل موضوع مقرر فى حدود «الوحدات» التدريسية Units ، وان تزداد العناية بالوظيفة الاعدادية وان تكون هدفا من اهدافها الاساسية •

وفى سنة ١٩١٢ عينت « رابطة التربية القومية N. E. A. لجنة لبحث مشاكل الدراسة الثانوية • وقد انبثقت هذه اللجنة عن « لجنة اتصال المدرسة الثانوية بالكلية »(*)• ومما جاء فى تقريرها الذى اتمته فى السنة نفسها انه

---

* Committee on the Articulation of High School and College.

ينبغى على الكليات ان تعيد النظر فى شروط القبول حتى تستطيع المدرسة الثانوية ان تكيف نفسها الى حاجات الطلاب وتؤدى واجبها نحوهم ، وفى الوقت نفسه يبقى الباب مفتوحا امامهم لمواصلة دراستهم العالية • وعلى اثر هذا الفت « رابطة التربية القومية » لجنة لدراسة « تجديد تنظيم التعليم الثانوى »(*) • وكانت جهود هذه اللجنة فى دراسة مشاكل التعليم الثانوى عظيمة جدا ؛ ووضعت تقارير عدة ، منها التقرير الذى سمى بـ « المبادىء الاساسية للتعليم الثانوى » • وقد طبع هذا التقرير سنة ١٩١٨ ؛ فأوضح اهداف التعليم الثانوى ، وقدم خلاصة عن المبادىء التى استند اليها فى تنظيمه ، وهى :

« وعليه نوصى بتجديد نظام التعليم بحيث تخصص السنوات الست الاولى للتعليم الابتدائى ليسد حاجات الطلاب الذين تتراوح اعمارهم بين ٦-١٢ سنة تقريبا ، وان تخصص السنوات الست الثانية للتعليم الثانوى ليسد حاجات الطلاب الذين تتراوح اعمارهم بين ١٢ - ١٨ سنة تقريبا • ونوصى ان تقبل المدارس الثانوية جميع الطلاب الناجحين ، وتعد لهم منهجا يتناسب وقدراتهم ، بحيث تكون الفوائد التى ينالونها من المدرسة الثانوية اعظم من التى يحصلون عليها فى المدرسة الابتدائية •

« وترى هذه اللجنة وجوب اعادة تنظيم التعليم بحيث يشجع كل طالب سوى وطالبة على ان يدرس حتى يبلغ الثامنة عشرة دراسة تستغرق جل وقته أو جزءا منه »(٩) •

---

* Commission on the Reorganisation of Secondary Education

9 - Cardinal Principles of Secondary Education, P., 18 - 19

لدراسة هذه المبادىء دراسة مفصلة راجع صفحة ١٥٠ ـ ١٥٢ من كتاب « اصول التربية الثانوية » للمؤلف •

وقد تمت أول دراسة شاملة للمدارس الثانوية سنة ١٩٢٩ حينما أصدر الكونغرس الامريكى فى شهر شباط من السنة نفسها قانونا لهذا الغرض خول فيه « مكتب التعليم » فى واشنطن القيام بدراسة موضوع «تجديد المدارس الثانوية وادارتها ، ونفقاتها واعمالها واتصالها بالتعليمين الابتدائى والعالى » على ان تتم هذه الدراسة فى غضون ثلاث سنوات • وتألفت لجنة لهذا الغرض برئاسة وليم جون كوبر Copper قومسير شئون التربية والتعليم فى حكومة الاتحاد ، كان من اعضائها الاستاذ ليونارد كوس L. V. Koos استاذ التعليم الثانوى فى جامعة شيكاغو ، يساعده فى ذلك الاستاذ كارل جيسن Jessen مستشار التعليم الثانوى فى « مكتب التعليم » بواشنطن • كما تألفت لجنة استشارية أخرى قوامها تسعة أشخاص سميت « بمجلس المستشارين » ، كان من اعضائها كبرلى ، وشارلز جد ، وجون نورتون ، ووليم رسل (عميد كلية المعلمين بجامعة كولمبيا) • و وتألفت لجان فرعية أخرى كانت مهمتها استشارية • وقد استهدفت هذه الدراسة بحث اربعة امور اساسية : (١) تجديد تنظيم المدارس الثانوية واعادة النظر فى واجبات « النواحى » Districts العديدة التى تتولى ادارة التعليم فى القرى والارياف ، و (٢) بحث مشاكل طلاب المدارس الثانوية وطالباتها و (٣) درس المشاكل الادارية والتفتيشية وقضايا الملاك والفاعليات المدرسية و (٤) بحث المناهج الدراسية وما يتعلق بها من مشاكل • وقد وضعت اللجنة ، بعد ان اتمت عملها ، ٢٨ كراسا ، كل كراس يتناول مشكلة معينة(*)•

لقد اخذت حركة تجديد المدارس الثانوية تزداد وتقوى سنة بعد أخرى، وقامت اللجان المذكورة بقسط كبير فى تنويعها ، وتحديد اهدافها وادخال

(*) تعرف هذه الدراسة بـ « نشرة مكتب التعليم للولايات المتحدة الامريكية لسنة ١٩٣٢ رقم ١٧ » •

U. S. Office of Education Bulletin, 1932, No., 17

طرق تدريسية جديدة فيها ، وتوسيع مناهجها . وقد تميزت الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين (١٩١٤ - ١٩٤٥) باصلاحات كثيرة ، كان من اهمها تنظيم الدراسة الثانوية وفق خطة جديدة ، ونشوء « المدرسة المتوسطة » . وكانت « رابطة التربية القومية » ، كعادتها ، من انشط الجمعيات . وقد وضعت « لجنة السياسات التربوية Educational Policies Commission المنبثقة عن هذه الرابطة عدة تقارير تناولت مختلف المسائل التربوية ، اهمها : التقرير(*) المسمى بـ « تعليم الشباب الامريكى كافة » لسنة ١٩٤٤ ، والتقرير المسمى : « التعليم للشباب الامريكى كافة » الذى يعد متمما للتقرير الاول . وفى سنة ١٩٤٥ وضع لفيف من اساتذة جامعة شيكاغو تقريرا مهما تناول مشكلة التعليم العام فى مرحلتى الدراسة الثانوية والعالية سمى بـ « التعليم العام فى مجتمع حر »(**).

ولم ينحصر اهتمام هذه التقارير فى تنظيم علاقة المدرسة الثانوية بالمعاهد العالية ، ولا فى تنظيمها وتنويع مناهجها حسب بل اهتمت ، كما اهتم غيرها ، بتوضيح اهداف الدراسة الثانوية . فوضعت لجنة دراسة التعليم سبعة اهداف تربوية عرفت فيما بعد « بالمبادىء السبعة الاساسية للتعليم » وهى : (١) الصحة و (٢) اتقان المواضيع الاساسية و (٣) العضوية النافعة فى الاسرة و (٥) المواطنة و (٦) الاستفادة الحسنة من اوقات الفراغ و(٧) الخلق القويم.

ومع ان تقرير المبادىء السبعة الاساسية قد راعى مصلحة الفرد والمجتمع معا الا ان « لجنة تقرير الاهداف الاجتماعية والاقتصادية لامريكا » التى

(*) لدراسة التقرير دراسة مفصلة راجع صفحة ١٥٤ - ١٥٦ من كتاب « اصول التربية الثانوية » للمؤلف .

(**) يرجى مراجعة صفحة ١٥٦ - ١٥٩ من كتاب « اصول التربية الثانوية » للمؤلف للوقوف على خلاصة التقرير .

الفتها « رابطة التربية القومية » نفسها[١٠] حاولت ان يضع خطة سليمة تستند الى ادراك صحيح لاهداف المجتمع الامريكى نفسه . اذ ان تحديد الاهداف عمل اجماعى لا فردى ، ويحتاج الى جهود موحدة لا مبعثرة . وقد استطاعت اللجنة ان تضع عشرة اهداف وهى :

(١) قوة وراثية (٢) سلامة بدنية (٣) المشاركة فى ثقافة متطورة نامية عن طريق المهارات والمعارف والفنون (٤) المشاركة فى ثقافة متطورة عن طريق القيم والمعايير والمفاهيم (٥) شخصية فعالة مرنة (٦) مهنة مناسبة (٧) سلامة اقتصادية (٨) سلامة عقلية (٩) الحرية (١٠) الانصاف .

ومن التقارير الاخرى التى تناولت دراسة اهداف التعليم بصورة مفصلة التقرير الذى وضعته « لجنة السياسات التربوية » سنة ١٩٣٧ المنبثقة من « رابطة التربية القومية » ايضا وسمته « اغراض التربية فى الديمقراطية الامريكية »[١١] وقد أقرت اللجنة اربعة اهداف تربوية تتصل بـ (١) ادراك النفس و (٢) العلاقات الانسانية و (٣) الكفاءة الاقتصادية و (٤) المسئوليات المدنية . وقد لاقى التقرير ، كما لاقت تقارير اخرى كثيرة ، اهتماما كبيرا من المختصين بشئون التربية والتعليم . فقد حاول ان يشرح الامور التى ينبغى ان تقوم بها الولايات المتحدة ، وان يذكر بعض الامور التى لابد من انجازها عند صوغ هذه الاهداف . « وتتناول الفصول الاولى من التقرير بعض الآراء الخاصة بعلاقة التربية بالديمقراطية . فالتربية يعنيها ان تعرف نوع المجتمع الذى يود ان يعيش فيه الافراد . ان الديمقراطية فى الحياة تقرر غرض التربية الامريكية ، وتنازعها قوى داخلية وخارجية . وقد تستطيع هذه القوى

10 - Social - Economic Goals of America, Washington, National Education Association

11 - Purposes of Education in American Democracy, Educational Policies Commission 1934

ان تزعزع أحيانا الطريقة الديمقراطية فى الحياة . ان هذه الحقائق المرة تجعل تحقيق الديمقراطية بالاساليب التربوية اهم مشكلة تواجه مهنة التعليم ، وتتطلب حلا سريعا » .

ومن الجمعيات التربوية التى تقوم بدراسة التعليم ، وخاصة التعليم الثانوى، «رابطة التربية الحديثة» Progressive Education Association التى يرجع تاريخ تأسيسها الى سنة ١٩١٩ . وقد وضعت هذه « الرابطة » سبعة مبادىء تربوية كانت باعثا على اجراء كثير من التبدلات التى طرأت على عدد من المدارس الثانوية ، وسببا فى تحوير الاساليب التربوية فيها وهى : (١) ضمان تقويم الطفل تقويما طبيعيا حرا و (٢) الولع هو الباعث على العمل و (٣) المدرس مرشد و (٤) دراسة تكوين الطالب دراسة علمية و (٥) زيادة الاهتمام بكل ما يؤثر فى تكوين الطفل الجسمى و (٦) التعاون بين المدرسة والبيت استجابة لحاجات الطفل الحياتية و (٧) المدرسة رائدة من رواد الحركة التربوية . ومن الدراسات المهمة التى قامت بها « الرابطة » فى حقل التعليم الثانوى دراسة مناهج الدراسة الثانوية(*) ، والفلسفات التربوية .

وفى سنة ١٩٣٧ نشرت لجنة « ادارة مديرى التعليم الثانوى » التابعة لرابطة التربية القومية تقريرا شاملا عن وظائف التعليم الثانوى ، وأقرت عشر وظائف اساسية . وقد شرحت كل وظيفة منها شرحا وافيا والحقت بتوصيات خاصة(١٢) . وقبل ان تدرس اللجنة وظائف التعليم الثانوى درست

---

* Commission on Secondary Sohool Curriculum, Progressive Education Association, Reorganising Secondary Education 1939.

12 - Committiee on Orientation, Functions of Secondary Education, N. E. A., 1939

سلسلة من مشاكل التعليم الثانوى[١٣] . وقد اشترك فى وضع التوصيات التى توصلت اليها هذه اللجنة فى هذين التقريرين اكثر من ثمانين رجل ادارى ، واشخاص آخرين . وبعد نشر هذين التقريرين تألفت حلقات عدة من رجال الادارة لدراسة مشاكل التعليم الثانوى[١٤] فى مدارسهم ، واجراء الاصلاحات الضرورية فى ضوء هذه المبادىء العامة والتجارب الشخصية . اما الوظائف العشر فهى : (١) الانسجام (٢) وتطمين الحاجات و (٣) كشف التراث الرسى و (٤) استكشاف الاولاع والقدرات والقابليات (٥) وتنظيم المعرفة وتطبيقها و (٦) تكوين الاولاع وتوجيهها و (٧) الارشاد و (٨)ضرورة الاستقلال فى التفكير والحصول على مبادىء اساسية فى البحث فى طرق التعلم والتعليم و (٩) التنويع و (١٠) الاحتفاظ بالطلبة وتوجيههم[١٥] .

ان الدور المهم الذى اخذت تقوم به المدارس الثانوية فى الحياة الامريكية ، وملايين الطلاب الذين تضمهم بين جدرانها ، والمبالغ الطائلة التى تنفق عليها أوجبت توضيح اهدافها وتعيين وظائفها . فبعد ان كان عددهم ٣٥٠ر٠٠٠ طالبا وطالبة اصبح اليوم ٧ر٢٥٠ر٠٠٠ . ويؤلفون ٧٥/٠ من مجموع المراهقين الذين فى سن الدراسة الثانوية ، وتضمهم ٣١ر٥٥٠ مدرسة واكثر ، ويقوم بتعليمهم ٣٣٤ر٠٠٠ مدرس ومدرسة ، وينفق الشعب الامريكى على تعليمهم سنويا نحوا من بليون دولار فى السنة . ويواصل ربع عدد المتخرجين منهم تقريبا دراساتهم العالية .

---

13 - Committiee on Orientation, Issues of Secondary Education, 1939

14 - Committiee on Planning, Talking it Through,N.E. A., 1938

(١٥) راجع كتاب ادمونسون ورفاقه صفحة ٣٩ ـ ٤٢ للتوسع فى شرح الوظائف .

وعلى المربين الذين يشرفون على ادارة المدارس الثانويـة ان يستنيروا بفكرة واضحة عن الاهداف والوظائف الحقيقية التى تتوخاها من تربية الطلاب من جهة ومن بناء المجتمع من جهة ثانية ؛ وعلى المدرسة الثانوية ان تقدم الى الطلاب تلك الخبرات والمعارف التى تساعدهم على أن ينشأوا نشأة صحيحة فى سنوات المراهقة من حيث هم افراد ، وفى سنوات الشباب من حيث هم مواطنون • ولا تحقق هذه الاهداف ولا تلك الوظائف الا اذا ادرك المسئولون وعرفوا ما وسعهم ذلك ، حاجات الطلاب العاجلة منها والآجلة ، والا اذا حولت هذه الحاجات الى اهداف عامة ووظائف خاصة ، والا اذا وجه المنهج الدراسى لبلوغ هذه الاهداف وانجاز هذه الوظائف • وحينما تصل المدرسة الثانوية الى اعلى مراحل تنشأة الطلاب وتكوينهم فانها تساهم فى رفاه المجتمع وتقدمه وذلك بتحسين نوعية المشاركة فى الفعاليات الاجتماعية(١٦).

المدرسة المتوسطة :

ليست حركة « المدرسة المتوسطة » جديدة بل يرجع تاريخها الى مطلع هذا القرن • وجاءت اثر انصراف الجهود الى تجديد نظام التعليم • فقد وجد ان مدة الدراسة الابتدائية طويلة وان مدة الدراسة الثانوية قصيرة وان تنظيم هاتين المدتين امر لا بد منه • وكان اول من بعث فكرة حركة المدرسة المتوسطة هو الاستاذ شارلز ايليوت Charles Illiot رئيس جامعة هارفارد فى خطابه الذى القاه فى « رابطة التربية القومية » • فقد اوضح الرئيس ان (١) معدل سن الدراسة فى الكليات آخذ بالارتفاع سنة بعد اخرى وان (٢) مدة الدراسة الاختصاصية التى تلى دراسة الليسانس قد امتدت وطالت واصبحت ثلاث او اربع سنوات وانه (٣) يستحسن ضغط الدروس بعضها فى بعض للانتفاع بالوقت الفائض ولتحسين كفاءة المدرسين بالتخفيف من اعبائهم الجامعية •

---

(١٦) المصدر السابق نفسه صفحة ٢٦ •

وذكر ان طريقة توفير الوقت وزيادة كفاءة الاساتذة تلخص بما يأتى :-

(١) تحسين ملاك المدارس بزيادة رواتب المدرسين و (٢) وزيادة نسبة المدرسين من الرجال فى المدارس و(٣) اتصال مناهج الدراسة بالحياة وجعلها مفيدة و (٤) الاقلال من عدد المراجعات و (٥) تهيأة الوسائل التى تساعد الطلاب على النجاح سنة بعد أخرى بصورة طبيعية و (٦) تمديد اليوم المدرسى والسنة الدراسية .

وكان هذا الخطاب الذى اشار فيه الى بعض نواقص تنظيم الدراستين الابتدائية والثانوية بداية حركة اصلاحية فى التربية الامريكية . ففى جامعة مشيغن اوصت لجنة مجلس الاساتذة سنة ١٩١٣ بعد موافقة الجامعة ما يأتى:

أ - نوصى سلطات التعليم المختلفة الحاق الصف السابع والثامن الابتدائى بالمدرسة الثانوية لتصبح مدة الدراسة فيها ٦ سنوات .

ب - وتقسيمها الى مرحلتين : مرحلة متوسطة Junior وطولها ثلاث سنوات ومرحلة اعدادية Senior وطولها ثلاث سنوات ايضا ، حيثما تكون الظروف مواتية .

وتقبلت سلطات التعليم هاتين التوصيتين قبولا حسنا لانها ارادت ان تضع مناهج دراسية جديدة ومتنوعة لطلبة الصفوف السابعة والثامنة . ولانها ارتأت أن توصل الفجوة الموجودة بين المدرسة الابتدائية والثانوية بمدرسة متوسطة . وتعرف المدرسة المتوسطة بانها وحدة من نظام التعليم العام ؛ تتألف عادة من الصف السابع والثامن والتاسع وتكون فى تنظيمها وادارتها وحدة منفصلة من نظام التعليم ، ويديرها مدير خاص ويدرس فيها مدرسون خاصون، وتتميز بمرونة فى انتقال الطالب من صف الى آخر وباكتشافهـــا قابليات الطلاب وميولهم ، وبسعيها الى معرفة الفروق الفردية بينهم . على ان تكون

(المختارات) محدودة كلما قاربت مرحلتها الختامية(١٧).

وتتجه اكثر المدارس اليوم الى اتباع الخطة الجديدة وهى :-

اولا - دراسة ابتدائية طولها ٦ سنوات ، تعقبها دراسة ثانوية مدتها ٦ سنوات ايضا ؛ على ان تنقسم الاخيرة الى مرحلتين متساويتين : مرحلة متوسطة طولها ثلاث سنوات ومرحلة اعدادية وطولها ثلاث سنوات ايضا . ويسمى هذا النوع من التنظيم بخطة ٦-٣-٣ .

ثانيا - دراسة ابتدائية طولها ٦ سنوات . تعقبها دراسة ثانوية مدتها ٦ سنوات وتليها دراسة طولها سنتان يقضيها الطالب فى كلية متوسطة . ويسمى هذا النوع من التنظيم بخطة ٦-٦-٢ .

ثالثا - دراسة ابتدائية مدتها ٦ سنوات تليها دراسة متوسطة طولها ٤ سنوات ، تعقبها دراسة أخرى طولها ٤ سنوات ايضا ، يقضيها الطالب فى مدرسة ثانوية عالية او اعدادية Senior High School . ويعرف هذا النوع من التنظيم بخطة ٦-٤-٤ .

وتعد المدرسة المتوسطة مرحلة « التنويع النفسى » Psychological Differentiation ؛ وتراعى مناهجها قدرات الطلاب وميولهم وحاجاتهم . وتتكون من مجموعة مشتركة وهى : اللغة الانكليزية والرياضيات والتاريخ والدروس المدنية ، ومجموعة اختيارية واسعة جدا . وينتقل الطالب بعد نجاحه من مرحلة الدراسة المتوسطة الى المدرسة الاعدادية دون امتحان .

نفقات التعليم العام :

تستوفى نفقات التعليم العام فى الولايات المتحدة من الضرائب العامة ،

---

17 - Edmonson, J. B., and others, the Administration of the Modern Secondary School, P., 13., New York, 1948

وتستوفى نفقات التعليم الخاص من مصادر خاصة . وقد تقوم الحكومة بتقديم مساعدات مالية الى المدارس الخصوصية ولكنها لا تفعل ذلك الا على اسس معينة. ولا يلتحق بالمدارس الخصوصية المذهبية وغير المذهبية الا ٠١١/٠ من مجموع الاطفال الذين هم فى سن التعليم الالزامى . وتدير ٠٩٠/٠ من المدارس الخصوصية تقريبا الكنيسة الرومانية الكاثوليكية .

ولا تشرف الدولة عادة على المدارس الخصوصية فى الولايات المتحدة سواء اكانت ابتدائية أم ثانوية أم عالية ، ولكنها تضع الشروط التى يتم بموجبها تأسيس مثل هذه المدارس . « وفى عدد من الولايات القديمة تمنح المدارس الطائفية بين حين وآخر مساعدات مالية . غير ان اكثر دساتير الولايات تمنع ارصاد مبالغ من الميزانية لاغراض طائفية . وحين لا يصبح الغرض من تأسيس المدارس الطائفية وغيرها من المدارس الخصوصية ماديا تستثنى عادة من رسوم الضرائب »[١٨].

وتجبى نفقات المدارس العامة سنويا من ضريبة الاملاك التى تضعها سلطات التعليم المحلية المختلفة ، ومن حكومة الولاية ، وحكومة الاتحاد . ففى سنة ١٩٤٨ - ١٩٤٩ بلغ ما انفقته الاولى ٠٥٩/٠ ، والثانية ٠٣٩/٠ والثالثة ٠٠٢/٠ من نفقات التعليم العام كلها . ولما كانت الولايات تختلف فى امكانياتها الاقتصادية ، وتختلف كل منطقة عن الاخرى فى داخل كل ولاية ، وحيث ان نسبة زيادة الولادات فى المناطق الفقيرة هى اكبر عادة من المناطق الغنية تفاوتت الولايات فى فرصها التربوية ، واصبح قسم منها يقدم للاطفال تعليما جيدا والآخر رخيصا . ولاجل المساهمة فى تخفيف هذه الفوارق وتحقيق

18 - American Council of Education, (Mary Irwin, Editor) American Universities and Colleges, P., 7, Sixth Edition, 1952

فرص تعليمية متساوية نوعا ما لسكان الولايات المتحدة اخذت حكومة الاتحاد ترصد فى ميزانيتها اعتمادات بل مساعدات خاصة الى الولايات الفقيرة تنفقها على شئون التعليم العام . لقد بلغت نفقات التعليم الابتدائى والثانوى العام ٤ر٣١١ر١٧٦ر٠١١ دولار فى السنة المالية المنتهية فى ٣٠ حزيران سنة ١٩٤٨ . وبلغت نفقات التعليم العالى الذى ارصدته الولايات للسنة نفسها فى ميزانيتها ١ر١٣٤ر٩٨٩ر٠٠٠ دولار ؛ وبلغت نفقات التعليم الخاص ١ر٠٥٤ر٦٥١ر٠٠٠ دولار .

التعليم الفنى والمهنى

يرجع اهتمام الولايات المتحدة بشئون التعليم الفنى والمهنى الى عهد قريب جدا . ومع ان عددا من المدارس الفنية والمهنية كانت قد تأسست فى القرن التاسع عشر الا ان الحاجة الى اناس مدربين تدريبا فنيا لم تظهر الا فى اوائل القرن العشرين حينما اخذت حركة التصنيع تنتشر وازداد الانتاج والاستهلاك معا .

وكانت حركة التصنيع فى الفترة الواقعة بين تاريخ تأسيس الجمهورية وسنة ١٨٦٠ تسير سيرا بطيئا ، ولم تترك فى اقتصاديات البلاد الا اثرا ضئيلا . ولكن الفترة الممتدة بين سنة ١٨٦٠ الى ١٨٩٠ امتازت بانقلاب عظيم ، واحدثت تبدلا اساسيا فى حياة الشعب الامريكى . وتمر الولايات المتحدة اليوم فى اعلى مرحلة من مراحل تقدمها الصناعى ، وتعنى فى شئون التعليم الفنى عناية بالغة جدا .

وحيث ان الصناعة الامريكية قد تأثرت فى اوائل نهضتها وتنظيمها بالصناعة الروسية فقد قام بعض الافراد وقامت بعض السلطات الحكومية بتأسيس مدارس فنية كثيرة لاسيما فى الفترة الواقعة بين ١٨٨٠ - ١٨٩٠

على غرار المدارس الروسية(*). وكان لقانون موريل Morril الذى صدر فى سنة ١٨٦٢ تأثير عظيم فى تعضيد حركة التعليم الفنى والمهنى ؛ فانتشرت فى القرن التاسع عشر الكليات التجارية انتشارا كبيرا ، وبلغ عدد طلابها حوالى ١٠٠٫٠٠٠ طالب وطالبة ، ولكنها لم تكن فى مستوى تعليمى جيد .

ونشطت الولايات المتحدة الامريكية المختلفة ومجالس البلديات الواقعة فى المدن الكبيرة فى نشر التعليم الفنى ، وتأسست معاهد فنية لنشر هذا النوع من التعليم . وكانت ولاية ميشيغن (١٩٠١) أول ولاية وجهت عنايتها اليه ، ثم تلتها ولاية الينوى (١٩٠٣) . وفى وطيس الحرب العالمية الاولى الفت حكومة الاتحاد لجنة لدراسة حالة التعليم الفنى ، وقد وضعت هذه اللجنة تقريرها واظهرت ان البلاد تفتقر الى التعليم المهنى افتقارا شديدا ، وانه يؤلف مشكلة كبيرة تتطلب جهودا قومية عامة لا محلية ، وان فقر بعض الولايات يحول دون حل هذه المشكلة ، وان على الحكومة ان تقوم بالاجراءات المناسبة لتذليل هذه العقبة وحل هذه المشكلة ، وان تحول السكان آخذ بالازدياد لتحسن وسائل المواصلات ، وان اعداد المعلمين اعدادا مهنيا يتطلب نفقات باهضة ، وانهم يتحولون من ولاية الى أخرى(١٩) . ولهذه الاسباب مجتمعة اصدر الكونغرس الامريكى قانون سميث وهيوز لسنة ١٩١٧ Smith & Hughes ؛ وقد تألف بموجبه مجلس اتحادى للاشراف على شئون التعليم المهنى والفنى ، وصنفت المساعدات المالية التى

(*) أسس جماعة من اصحاب معامل النسيج فى ولاية فيلادلفيا سنة ١٨٨٣ «معهد فيلادلفيا لصناعة النسيج» Philadelfia Textile Institute بعد ان احسوا ان امريكا تعتمد فى استخدام عمالها الفنيين على اوروبا . ولم يزل هذا المعهد قائما حتى يومنا هذا ، ويلتحق به عدد من الطلبة الاجانب . ويضم (احصاء ١٩٥٢) ٣٦ طالبا يمثلون ١٨ قطرا .

19 - Hans., N., Comparative Education, P. 283

تدفعها حكومة الاتحاد وغيرها من السلطات الاخرى الى اقسام ثلاثة : (أ) قسم يخصص الى التعليم الزراعى و (ب) ثان الى التعليم التجارى والصناعى وتدبير المنزل و (ب) ثالث الى اعداد المعلمين الذين يتولون تدريس المواضيع المهنية . وقد بلغت هذه المساعدات فى سنة ١٩١٧ - ١٩١٨ نحوا من ١ر٨٠٠ر٠٠٠ دولار ، ثم زيدت سنة ١٩٢٥ حتى بلغ ما خصص للتعليم الزراعى وحده ثلاثة ملايين دولار فى السنة ، وللتعليمين التجارى والصناعى ثلاثة ملايين أخرى ، ولاعداد المعلمين مليون دولار ، وللبحوث الفنية ٢٠٠ر٠٠٠ دولار(*). وفى سنة ١٩٣٤ بلغ عدد طلاب المدارس المهنية حوالى ١ر١٠٠ر٠٠٠ طالب وطالبة يتلقون دراساتهم فى مدارس ثانوية شاملة.

وقد تجلت مشكلة التعليم الفنى ابان الحرب العالمية الثانية ؛ فسارع الكونغرس الامريكى وارصد ١٥ر٠٠٠ر٠٠٠ دولارا لانفاقها على شئون التعليم المهنى التى تتصل بمقتضيات الدفاع الوطنى اتصالا مباشرا ؛ فبلغ مجموع ما أرصد من اعتمادات فى الفترة الواقعة بين ١٩٤٠ - ١٩٤٥ حوالى ٣٢٧ مليون دولار للتعليم الصناعى والتجارى ، و٦٣ مليون للتعليم الزراعى . ويقدر عدد الشبان الذين انتفعوا بهذه الانواع من التعليم طوال المدة المذكورة بـ ١١ر٥٠٠ر٠٠٠ شابا وشابة .

ويجرى التعليم المهنى والفنى فى مستويات مختلفة : فمنه ما يجرى فى مستوى الدراسة الجامعية وهو ما اشرنا اليه ، وما سنتكلم عنه بتفصيل عند التطرق الى التعليم المهنى العالى ، ومنه ما يجرى فى معاهد ترقى الى مستوى

(*) كان عدد المدارس التى تساعدها حكومة الاتحاد سنة ١٩١٨ حوالى ١٧٤١ مدرسة يتلقى العلم فيها قرابة ١٦٤ر٨٦ طالبا وطالبة . وفى سنة ١٩٢١ ارتفع هذا الرقم حتى صار ٣٨٥٩ مدرسة تضم ٣٠٥ر٢٢٤ طالبا وطالبة . وفى سنة ١٩٣١ شرعت ٣١ ولاية من ولايات جمهورية امريكا قوانين الزمت فيها الطلبة الذين تتراوح اعمارهم بين ١٤ - ١٦ (او ١٨) بالالتحاق فى صفوف فنية يمضون فيها بعض الوقت .

الدراسة الثانوية أو يزيد ، ومنه ما يجرى فى مدارس مسائية وصفوف تكميلية ، ومنه ما يجرى فى مدارس ثانوية شاملة • وتتصل بالتعليم المهنى تلك « الدروس التكميلية »Continuation Courses التى ظهرت وانتشرت فى اوروبا ، وانتقلت منها الى امريكا ، فساهمت فى تكوينها وتنظيمها ؛ كما تتصل به تلك « الصفوف المسائية » التى يلتحق بها الشباب فى اوقات الفراغ أحيانا • ان هذه العناية بالتعليم المهنى لمن مستلزمات المواطنة الامريكية• « واذا اراد فرد ان يبرر عضويته فى المجتمع الامريكى فعليه ان يؤدى عملا من الاعمال ، وان يسدى خدمة من الخدمات • ان التعليم من اجل عمل غائى قد أقره الكونغرس الامريكى بصورة قانونية من حيث هو هدف من اهداف الامة »(*) •

وتقدم حكومة الاتحاد الى التعليم الفنى والمهنى (غير العالى) مساعدات كبيرة بموجب قانون سمث وهيوز ، وبموجب قوانين تكميلية اخرى الى الولايات المختلفة لتنفقها على شئون التعليم الزراعى والصناعى والتجارى وتدبير المنزل • كما تقدم الولايات نفسها الى هذه الانواع من التعليم مساعدات تكميلية أخرى • وقد بلغت نفقاتها فى سنة ١٩٥٠ نحوا من ١٢٩ر٠٨٥ر٦٩١ دولار ، وكان ما دفعته حكومة الاتحاد وحدها ومصادر أخرى ١٠٢ر٤٦٢ر٧٣٣ دولار • وقد بلغ عدد الطلاب الذين التحقوا بصفوف زراعية فى السنة نفسها ٧٦٤ر٤٠٨ ، وفى صفوف تدبير المنزل ١ر٤٢٩ر٧٥٧ طالبة ، وفى الصفوف التجارية والصناعية ٨٠٤ر٨٠٧ طالبا وطالبة ، وفى صفوف مهنية أخرى ٣٦٤ر٧١٢ • فيكون المجموع ٣ر٣٦٣ر٦٨٤ طالبا وطالبة • وتقدم حكومة الاتحاد الى الشبان المقعدين واصحاب العاهات مساعدات مالية تنفق على تدريبهم فى اعمال مهنية • وقد بلغت هذه المساعدات ٢١ر٠٠١ر٣٨٨

(*) التقرير السنوى لمكتب التعليم فى مدينة واشنطن سنة ١٩٤٦ •

دولارا فى سنة ١٩٥١ من اصل ٣٠٫٢٧٢٫٨٥٤ دولار .

مدرسة هنرى فورد :

وتعد هذه المدرسة Henry Frod Trade School التى اسسها هنرى فورد صاحب معامل السيارات المعروفة فى مدينة ديربورن الواقعة فى ولاية ميشيغن من اهم المدارس الفنية . فقد كانت تتألف من غرفة واحدة ، ويتولى ادارتها مدرس واحد ، وتضم ستة طلاب فقط . اما اليوم ففيها من الصفوف وقاعات العمل ما تبلغ مساحتها ثلاثة ايكرات ، ومن الساحات ٤٥٠ ايكرا ، ومن البساتين ستة ايكرات ، ومن ساحات الرياضة ستة ايضا ، وتضم من المدرسين ٦٨ ومن الطلاب ٧٠٠ .

تعليم الراشدين

يرجع تاريخ حركة تعليم الراشدين فى الولايات المتحدة الى سنة ١٨٢٦ حينما اسس جماعة من الريفيين والميكانيكيين أول « ليسه » فى ولاية ماساجوست للمداولة فى شئونهم العامة والحصول على ثقافة شعبية ، وتمضية اوقات الفراغ بصورة مجدية . وانتشرت بعد هذا التاريخ انتشارا واسعا . ولكنها سرعان ما تحولت الى مؤسسات تجارية بحيث فقدت طابعها الشعبى العام ورسالتها التثقيفية .

وبتدفق حوالى ٢٥ مليون عامل اوروبى أمى بين سنة ١٨٨٠ الى سنة ١٩١٠ ء لى شواطىء القارة الامريكية اتسعت حركة مكافحة الامية وتعليم الراشدين ، وساهمت فيها بعض المؤسسات الحكومية . وكانت مشكلة تعليم المهاجرين اللغة الانكليزية والثقافة الامريكية تؤلف اهم مشكلة من مشاكل تعليم الراشدين . ولم تزل حكومة الاتحاد تنظم صفوفا لتعليم المهاجرين القراءة والكتابة ، ولم تزل الامية متفشية فى بعض الولايات الجنوبية لوجود عدد كبير من الزنوج الاميين هناك .

وتتنوع الفعاليات الخاصة بتعليم الراشدين ؛ وتتعدد المؤسسات التى تتبناها ؛ فهى اما ان تكون عامة او خاصة • فمن العامة المدارس على اختلافها ، والمدارس المهنية ، والكليات المتوسطة ، والكليات والجامعات ، والمعاهد الفنية ، والمتاحف والمكتبات ، ومدارس المراسلة ، وجمعيات الشبان المسيحيين والشابات المسيحيات وغيرها • وتستهدف تحقيق اغراض متعددة ، تتعلق بالتدريب المهنى واعداد المواطنة ، والنهوض بالصحة العامة ، وتكوين رغبات استمتاعية متنوعة • ولتنسيق العمل بين هذه المؤسسات المختلفة تأسست سنة ١٩٥١ « جمعية تعليم الراشدين للولايات المتحدة »(*)• وتتفرع من « رابطة التربية القومية » N. E. A. دائرة خاصة بتعليم الراشدين تسمى « دائرة تعليم الراشدين » Department of Adult Education للاغراض نفسها(**) •

وساهمت نقابات العمال فى حركة تعليم الراشدين منذ القرن التاسع عشر ، وكافحت الامية فى صفوف العمال الزنوج ، وفتحت صفوفا مسائية لتدريبهم تدريبا فنيا وتزويدهم بثقافة شعبية ديمقراطية • وتعد نقابة « اتحاد العمال الامريكيين » A. F. L. و « نقابة العمال الصناعيين » C. I. O. فى طليعة المنظمات العمالية التى تعنى بهذا النوع من التعليم •

وتقوم مدارس المراسلة بقسط كبير فى تعليم الراشدين ؛ ويشترك بها عدد من الامريكيين رجالا ونساء للتثقيف من ناحية وللتسلية من ناحية

---

* Adult Education Association of the United States of America.

(**) وتقدر الاحصاءات الحديثة ان ٢٨ مليون اى ٠٤١/٠ من الذين انهوا دراساتهم الالزامية المقررة ينتمون الى بعض صفوف تعليم الراشدين لزيادة معلوماتهم •

ثانية . حتى لقد بلغ عددها ٤٥٠ مدرسة خصوصية و١٢٥ كلية . واشهرها « مدرسة المراسلة العالمية International Carrespondence School . وقد سجل فيها منذ تاريخ تأسيسها حتى الآن ، اى فى غضون الستين سنة التى انسلخت من تاريخ حياتها ، قرابة خمسة ملايين رجل وامرأة .

وتساهم فى حركة تعليم الراشدين الاقسام المعروفة بالجامعات بـ « حركة نشر الثقافة الجامعية » University Extension التى بدأت عملها منذ سنة ١٩٠٦ . وتعد هذه الاقسام فى طليعة المؤسسات الشعبية حتى لقد بلغ ما انفقته المعاهد العالية على هذا النوع من التعليم ٨٦٫٦٧٤٫٠٠٠ دولارا ، اى ما يساوى ٠٫٠٥ من مصروفاتها السنوية . وتتولى وزارة الزراعة نشر الثقافة الزراعية بين الفلاحين والزراعيين ، كما تقوم المكتبات والاذاعات والمتاحف ، وجميع الوكالات غير المقصودة الاخرى بدورها فى المساهمة بتعليم الراشدين . ولعل من احدث التطورات التى حدثت فى هذا المضمار تأسيس « مؤسسة فورد » Ford Foundation التى انشأت تخليدا لهنرى فورد صاحب معامل السيارات المعروفة باسمه فى اليوم الخامس عشر من شهر نيسان سنة ١٩٥١ . ومما جاء فى البيان الذى اذيع يوم تأسيسها: « ينبغى ان يستجيب التعليم الى حاجات الانسان الروحية ، وان يساعد الافراد على تكوين فلسفة شخصية مرضية ، وشعور بالقيم ، وتربية اذواقهم فى الآداب والموسيقى والفنون ، وزيادة قابلياتهم فى تحليل المشاكل والوصول الى نتائج سليمة »(*).

(*) فى الولايات المتحدة مؤسسات خيرية عدة تتفاوت فى أهميتها وماليتها . ولكن اشهرها خمسة وهى :

١ ـ مؤسسة فورد ويقدر رأسمالها بـ ٢٠٤٫٨٥٥٫٩٧٦ دولار
٢ ـ مؤسسة روكفلر ويقدر رأسمالها بـ ١٩٨٫٢٢٩٫٩٠٩ دولار
٣ ـ مؤسسة كارنيجى ويقدر رأسمالها بـ ١٧٠٫٦٨٧٫٥٢٠ دولار
٤ ـ مؤسسة ديوك ويقدر رأسمالها بـ ١٣٥٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار
٥ ـ مؤسسة كرسجى ويقدر رأسمالها بـ ٧٥٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار

التعليم الخاص

تحتفظ بعض الطوائف الاجتماعية ذات الامتيازات الاقتصادية بكيانها الخاص بالرغم من وحدة نظام التعليم العام ومجانيته فى الولايات المتحدة . وتعمل المدارس الخاصة على تخليد هذه الامتيازات التى تتمسك بها هذه الطوائف الاجتماعية ، وتعد اطفالها فى مدارس ابتدائية وثانوية وعالية كما تعدهم « مدارس الخاصة » فى بريطانية تقريبا . ولعل من اشهرها «الاكاديميات» والمدارس التطبيقية التى يبلغ مجموعها حوالى ٣٠٠٠ مدرسة ، والتى يؤلف طلابها ٠٧/٠ من مجموع طلبة المدارس الثانوية . وكثير من الاكاديميات مدارس داخلية ، وتسير على غرار مدارس الخاصة الانكليزية . ويلتحق الطلاب الذين يتخرجون منها ، عادة بالجامعات الارستقراطية الشهيرة ، كجامعة هارفارد ، ويل ، وبرنستون .

وفى الولايات المتحدة مدارس « خصوصية » يديرها افراد أو هيئات تسير جنبا الى جنب مع المدارس العامة ؛ وقد تكون أعلى مستوى منها ، أو بالعكس . ولا يوجد تشريع خاص يحول دون تأسيسها . وحينما رفضت ولاية اريكون منح اجازة بتأسيس مدرسة اهلية رفعت القضية الى المحكمة العليا وأقرت فى سنة ١٩٢٥ مبدءا عاما استندت اليه حركة تأسيس المدارس الخصوصية ، وعدت عمل ولاية اريكون عملا غير دستورى . وهذا نص القرار :

« ان النظرية الاساسية التى يقوم عليها مفهوم الحرية والتى تستند اليها ولايات الاتحاد الامريكى قاطبة وتسعى الى تطبيقها لا تخول اية سلطة من سلطات حكومة الولاية تكوين انماط متشابهة من اطفالها بالزامهم على ان يتعلموا فى مدرسة واحدة ، وعلى ايدى مدرسين حكوميين فقط تعليما واحدا . ان الطفل لا يعود الى الدولة ، وعلى هؤلاء الذين يتعهدونه ويرسمون مستقبله

واجب مقدس ، هو الاعتراف بشخصيته واعداده الى واجبات سامية[٢٠] ..

ان معظم المدارس الخصوصية تديرها وتنفق عليها الكنيسة الكاثوليكية ؛ ولكنها تخضع الى رقابة الحكومات المحلية واشرافها . وتسمى بالمدارس الكنسية او الطائفية . ولا تختلف فى مناهجها وتنظيمها عن المدارس الحكومية العامة ، الابتدائية منها والثانوية ، ولكنها تختلف اختلافا اساسيا فى الاجور التى تستوفيها « اذ تستوفى اجورا من طلابها ، وتستهوى صفوة ممتازة منهم ، وهى اكثر ارستقراطية من المدارس الثانوية العامة ، وتقترب من المدارس الثانوية الاوروبية . وهى ، فى الاعم الاغلب ، ليست مختلطة ، شأنها فى ذلك شأن المدارس الاوروبية »[٢١] .

وتنتشر المدارس الكاثوليكية الابتدائية فى ٤٨ ولاية ، ويختلف عددها من ولاية الى أخرى ؛ فهو فى ولاية نيفادا مدرستان ، وفى ولاية نيويورك ٩١٠ ، وهو فى ولايات الاتحاد كلها ٨٥٨٩ مدرسة حسب احصاء سنة ١٩٥٠ . اما عدد المدرسين فقد بلغ ١١٦٫٠٤٣ مدرسا ، منهم ٩٥٫٩٦٨ من رجال الدين ، وعدد الطلاب ٢٫٥٦٠٫٨١٥ طالبا . ويؤلفون ٠/٠١٣ من مجموع طلبة المدارس الابتدائية . اما المدارس الثانوية الكاثوليكية فقد بلغ عددها ٢١٨٩ مدرسة وأكاديمية ، وعدد المدرسين ٢٧٫٧٧٠ ، منهم ٠/٠٨٣ ٤٫٠ من رجال الدين ، وعدد الطلاب ٥٠٥٫٥٧٢ طالب .

ويلتحق خريجو المدارس الثانوية الكاثوليكية عادة بالكليات والجامعات الكاثوليكية التى بلغ عددها فى الولايات المتحدة نفسها ٢١٣ كلية وجامعة سنة ١٩٥٠ ؛ ٢٧ كلية منها للرجال ، و٥٠ ذات اربع سنوات دراسية ، و٥ كليات متوسطة للرجال ، وجامعة واحدة للنساء ، و١٠٨ كليات ذات اربع

20 - Kandel, I.L., Comparative Education, P., 198
21 - Colvin, S.S., An Introduction to High School Teaching, P., 5.

سنوات دراسية ، و٢٢ كلية متوسطة للنساء . ولقد بلغ مجموع اعضاء الهيئة التدريسية حوالى ١٨٫٠٠٠ وجلهم من غير رجال الدين ، وعدد الطلاب ٢٩٢٫٨٨١ طالبا ، ونسبة الذكور ٣٫٠٦٢/٠ .

ومن المدارس الخصوصية الثانوية المدارس « التطبيقية » الملحقة بالمعاهد التربوية . وتعد هذه المدارس مدارس نموذجية ، ويلتحق بها عادة ابناء الاساتذة وموظفى الجامعات ، وينال متخرجوها امتيازات خاصة . ولكنها لا تستطيع ان تصل الى مستوى مدارس « الخاصة » الانكليزية .

المدارس الاختصاصية

فى الولايات المتحدة قرابة اربعة ملايين طفل مصابون بانحراف فى سلوكهم النفسى والاجتماعى والعقلى والجسمى ، بحيث يحتاج كل واحد منهم الى عناية خاصة ؛ ومن هؤلاء الاعمى والابكم والاصم والكسيح والاعرج والمعتوه والجامح . ويجرى تعليمهم اما فى مدارس عامة أو مدارس اختصاصية داخلية ، كما هى العادة ، أو فى صفوف معينة او فى مستشفى من المستشفيات . ومع ان العناية بهؤلاء الاطفال قد اخذت تزداد فى السنوات الاخيرة واساليب علاجهم قد اخذت تتقدم الا ان نسبة الذين يتمتعون بهذه العناية فى مثل هذه المدارس لا تتجاوز ٠٫٠١١/٠ من مجموع الاطفال الشاذين .

لقد وضعت كل ولاية تقريبا خطة لتعليم العميان والصم ، واسست مدارس داخلية تقع فى داخل المدينة أو ضواحيها ، واصبحت جزءا من نظام التعليم العام . وقد بلغ عددها ٤٥٤ مدرسة داخلية فى سنة ١٩٤٨ ، تضم حوالى ٦٣٫٧٦١ طفلا . وكان عدد الولايات التى شرعت قوانين تخول بها مجالس التعليم المحلية لتقديم هذه الفرص التعليمية للاطفال الشواذ ٤١ ولاية فى سنة ١٩٤٨ .

تعليم العبيد والاقليات

فى الولايات المتحدة أقليات عنصرية ملونة لم تزل تحتفظ بطابعها الخاص اشهرها العبيد والهنود الحمر والاسكيمو الذين يقطنون شبه جزيرة ألسكا ، والاقليات التى تتكلم اللغة الاسبانية التى تقطن جنوب غربى الولايات المتحدة • وتؤلف هذه الاقليات مشكلة ثقافية وسياسية واجتماعية •

ويتلقى اكثر ابناء العبيد تعليمهم فى مدارس منفصلة عن مدارس « البيض » ، كما هو الحال فى مقاطعة كولمبيا وفى ١٧ ولاية من ولايات الجنوب • وفى بعض الولايات يلتحق أبناء العبيد والبيض فى مدارس واحدة • وتعانى التربية الامريكية ، بل الديمقراطية الامريكية كلها ، مشكلة كبيرة من جراء هذا الانفصال ، وتتعرض الولايات المتحدة الى كثير من النقد والتشهير • غير ان روح التسامح ونشاط بعض الجمعيات الخيرية فى مكافحة الغرور الرسى وموقف اكثر المحاكم من الخلافات التى تنشأ بسبب هذا الانفصال قد ذلل كثيرا من الصعوبات التى تقف فى طريق تعليم العبيد •

وتدل الاحصائيات التى نشرت فى عام ١٩٤٨ ان نفقات التلميذ «الابيض» قد بلغت ١٣٦٫٧٣ دولارا فى السنة ، بينما بلغت نفقات التلميذ « الاسود » ٧٤٫٦٧ دولارا ، وان مجموع الطلبة العبيد الذين التحقوا بمدارس ابتدائية منفصلة عامة كان ٢٫٠٠٦٫٨٣٦ طالبا ، وبمدارس ثانوية ٢٩٩٫٢٢٦ طالبا •

اعداد المعلمين

ان الرغبة فى اعداد المعلمين « اعدادا خاصا » لمهنة التعليم لم تظهر الا فى النصف الاول من القرن التاسع عشر حينما أخذ لفيف من المربين امثال وليم رسل ، وساموبل هول وجيمس كارتر يدعون الى تأسيس معاهد خاصة باعداد المعلمين • وقد اشتدت هذه الرغبة ، وتضاعف هذا الاهتمام بتأثير حركة اعداد المعلمين فى بروسيا • ويرجع الفضل فى تأسيس أول دار للمعلمين الى الاستاذ جيمس كارتر ومعاضدة هوارس مان • فقد افتتحا أول معهد لاعداد المعلمين سنة ١٨٣٩ فى مدينة لكسنكتون من اعمال ولاية ماساجوست ؛ ومنها انتشرت الى ولايات أخرى •

وبتوسع حركة التعليم الثانوى بعد سنة ١٩٠٥ ارتفع مستوى الدخول الى دور المعلمين واقتصر على خريجى المدارس الثانوية ، وصارت مدة الدراسة سنتين ؛ ثم زيدت الى اربع سنوات ؛ وتحولت بعض دور المعلمين ذات السنتين الى كليات للمعلمين ذات الاربع سنوات • ومع ان اعداد اكثر معلمى المدارس الابتدائية ومدرسى المدارس الثانوية يتم فى كليات المعلمين او كليات التربية وينال الطالب أول « درجة » علمية اختصاصية الا ان بعض سلطات التعليم المحلية فى بعض الولايات الامريكية تتطلب من المدرس ان يكون من حملة شهادة « استاذ علوم » ليكون اهلا للتعليم فى المدارس الثانوية •

لقد مر اعداد المعلمين فى مراحل تاريخية مهمة ؛ فكان يجرى اولا فى دور المعلمين ، ثم فى كليات العلوم والآداب ، وبعدها فى « أقسام التربية » الملحقة بالجامعات ، وأخيرا فى كليات المعلمين او كليات التربية • ويعتقد اكثر المربين الامريكيين ان مهنة التعليم لا تضاهيها مهنة أخرى ، وان المعلم ينبغى ان يعد « اعدادا خاصا » ، وان هذا الاعداد لا يكون الا فى

مؤسسات خاصة تتولى تدريبه المهنى والثقافى ، وان افضل المؤسسات هى « كليات التربية » لا دور المعلمين ولا « دوائر التربية » .

وقد اخذت بعض الولايات تنظر الى التعليم من حيث هو مهنة خاصة ، ومن حيث هو « رسالة » . ولقد تأسست فى الآونة الاخيرة جمعية معلمى المستقبل فى امريكا The Future Teachers of America التى تضم حوالى ٢٠٫٠٠٠ طالب وطالبة منتشرين فى مختلف المدارس الثانوية والكليات العالية ؛ ويعد هؤلاء انفسهم لمهنة التعليم اعدادا خاصا ليصبحوا قادة من قواد المستقبل .

وتختلف الولايات فى نظام اعداد المعلمين ، وفى منح الشهادات والدرجات العلمية ، وفى الطرق المتبعة فى استخدام المعلمين وتحديد رواتبهم . وفيه تنعكس اكثر المفارقات التى تسببها العوامل الاقتصادية والاجتماعية فى حياة الشعب الامريكى نفسه .

ادارة التعليم

كانت الولايات الامريكية المختلفة تخشى من تدخل حكومة الاتحاد فى شئونها العامة ، وتتحاشى كل حركة ترمى الى توثيق اشرافها على شئون التعليم خشية ان يصبح استقلالها صوريا ، وارادتها مفقودة . وبلغت هذه المخاوف شدتها فى الاوساط الدينية التى كانت تتولى شئون التعليم وفى الولايات الجنوبية . ومن اجل هذا فقد ترك دستور حكومة الاتحاد كل ولاية حرة فى تأسيس المدارس التى توافق حاجاتها وظروفها . ومع ان اكثر الولايات الامريكية قد جعلت التعليم وظيفة من وظائفها الا انها ألقت مسئولية تأسيس المدارس على عاتق مجالس التعليم المحلية . وهو عمل يتفق وطبيعة الحياة الامريكية وتقاليدها . فحينما هبطت الطوائف الامريكية وسكنت فى اماكن متباعدة نائية كانت تحيطها ظروف طبيعية قاسية ، وكانت تهددها

اخطار جسيمة ، مما اضطر كل « جماعة » ان تلتف حول نفسها وتدافع عن مراكزها من هجمات الهنود الحمر ، وتصبح مرجعا نهائيا فى علاج شئونها الثقافية والقضائية . وحيث ان كل قرية من هذه القرى كانت فى الاعم الاغلب متجانسة فى معتقداتها ومستوياتها الاجتماعية فقد استطاعت ان تؤسس مدارسها وتخضعها لادارتها ؛ وكانت الوحدة المحلية فى الادارة أصلح لها ولحاجات الرواد الذين عاشوا فى آخر عهد من عهود « حياة الحدود » . وتوارث الامريكيون هذه التقاليد المحلية ، وجعلوا من احدى تقاليدهم التاريخية ان تكون ادارة التعليم ادارة محلية .

وبازدياد عدد سكان الولايات المتحدة وتكتلهم فى مجتمعات كبيرة اصبح ضروريا اجراء تبدل فى « الوحدة المحلية » الادارية يتلاءم والتطورات الجديدة . ولكن جميع المحاولات التى بذلتها الولايات فى جعل ادارة التعليم ادارة مركزية أحبطتها المجالس المحلية وباءت اكثرها بالفشل . فقد كانت هذه المجالس تلتزم بحقها فى استخدام المعلمين الذين ينتمون الى كنيستها، وتعده حقا مقدسا من حقوقها . وقد دعمت هذا الحق مختلف الكنائس ، لانها رأت فيه حماية لها من نزعة الولايات الدنيوية . « وهكذا نجد انه بالرغم من التبدل الكلى الذى طرأ على الاحوال الاقتصادية والاجتماعية فقد ظلت الوحدة المحلية فى الادارة المدرسية حتى يومنا هذا احدى الخصائص الامريكية الذاتية[٢٢] .

ويخضع التعليم الى ادارة « محلية » و « مركزية » و « اتحادية » بدرجات متفاوتة تزداد سيطرة فى الادارة المحلية ، وتضعف فى الادارة الاتحادية . و « يختلف التعليم فى سيطرته الادارية فى امريكا عنه فى اقطار أخرى . واذا كانت الحكومة المركزية او حكومة الاتحاد فى اكثر

22 - Hans, N., Comparative Education, P., 274

امم العالم هى التى تسيطر على شئون التعليم سيطرة مباشرة فان الولايات المختلفة هى التى تسيطر وتنفق لدرجة كبيرة على المدارس . فقد أنشأت كل ولاية نظاما تعليميا عاما بموجب دستورها وقوانينها وصار لها الاشراف على المدارس الخصوصية . وبالرغم من هذا كله فان حكومة الاتحاد لها تأثير عظيم جدا فى شئون التعليم ؛ وازداد بصورة خاصة فى الآونة الاخيرة حينما أخذت تمد الولايات بمساعدات مالية لتنفقها على المدارس العامة . يضاف الى هذا النشاط التعليمى الواسع الذى تقوم به فى الحقول الاختصاصية التى تقع خارق نطاق المدارس العامة »(٢٣) .

واذا كانت نظم التعليم تتفاوت من ولاية الى أخرى فى بعض الامور التفصيلية فانها تتقارب فى خطوطها العامة بفعل عوامل كثيرة منها :

اولا ـ انتقال السكان الذين يحملون عادات واساليب راسخة من الولايات القديمة الى الجديدة .

ثانيا ـ قيام الجمعيات الوطنية والاقليمية والمحلية بتنظيم المؤتمرات والدراسات ونشر المطبوعات العامة .

ثالثا ـ قيام مكتب التعليم التابع لحكومة الاتحاد بتقديم الاحصاءات والمعلومات والاستشارات بين حين وآخر .

رابعا ـ استمرار التقاليد القديمة فى قيام حكومة الاتحاد بتقديم مساعدات مالية الى الولايات المختلفة لاغراض تعليمية معينة .

خامسا ـ انتقال الطلاب من ولاية الى أخرى وضرورة تنسيق العمل بين المدارس لتستقبل أمثال هؤلاء الطلاب .

سادسا ـ هجرة المدرسين والمفتشين ورجال الادارة من ولاية الى أخرى واستيطانهم هناك .

---

23 - American Council of Education (Mary Irwin, Editor) American Universities and Colleges, P. 3.

الادارة المحلية :

لقد وضع مجلس كل ولاية نظاما لادارة المدارس ومساعدتها والسيطرة عليها . واحتفظت كل ولاية لنفسها ببعض الصلاحيات وتحملت بعض المسئوليات والواجبات ، وألقت قسما منها على الوحدات الادارية المحلية تمارسها كما تشاء . ولكن « الاتجاه فى ادارة التعليم يسير فى كل ولاية نحو قيادة مركزية سيرا تدريجيا ، والمساهمة فى تعضيد المدارس العامة ماليا مساهمة كبرى ، وتحمل مسئولية وضع حد أدنى من المقاييس التعليمية التى ينبغى ان تسير بموجبها جميع الوحدات المدرسية المحلية . وبقدر ما يتعلق الامر فى طوال السنة الدراسية والشروط التى ينبغى ان تتوفر فى اعداد المعلمين فقد وضعت جميع الولايات حدودا دنيا»(٢٤).

وفى الولايات المتحدة ٨٥٫٠٠٠ وحدة ادارية محلية ، كل وحدة فيها مسئولة عن ادارة مدارسها . وتتفاوت فى سعتها ففى ولاية ميريلند ٢٤ وحدة مدرسية ، وفى منيسوتا ٧١١٧ ! ومنها ما تكون ريفية صغيرة بحيث لا يعلم فى مدرستها الا معلم واحد ولا يلتحق بها الا عدد ضئيل من الاطفال ، ومنها ما تكون مدنية كبيرة يتولى شئون التعليم فيها آلاف المدرسين ، ويلتحق بها مئات الالوف من الاطفال . ان وحدات المدارس المحلية تديرها « مجالس تعليم » او « مجالس امناء » وينتخبهم الشعب انتخابا مباشرا .

وتخضع ادارة المدارس الى ثلاثة انواع من الانظمة الادارية . ويكاد يكون « نظام الناحية »(*) District System أحبها الى قلوب الامريكيين المحافظين . وحيث ان « نظام الناحية » يلتف حوله سكان تلك الناحية وجلهم من الريفيين ، ويؤدى الى تفاوت فى نوعية التعليم من

---

(٢٤) المصدر السابق نفسه صفحة ٨

(*) نسبة الى الناحية وهى اصغر وحدة ادارية فى العراق .

حيث مرافقه وكفاءة مدرسيه ، والى تأسيس مدارس نائية فى الارياف قد لا يستحسن تأسيسها فقد اخذ رجال الادارة المختصون فى شئون التعليم يعتقدون ان « نظام الناحية » قد صار عقبة اساسية تعترض سبيل اصلاح نظام التعليم .

اما النظام الثانى فهو « نظام القضاء » Township System الذى يسود فى الوسط الغربى من الولايات المتحدة ؛ والثالث « نظام اللواء » County System الذى ينتشر فى الجنوب وفى سواحل المحيط الهادى . وتخضع اكثر المدارس الى ادارة هذين النظامين . وفى كل « ناحية » و « قضاء » و « لواء » مجلس معارف Board of Education يتولى ادارة المدارس وتأسيسها والانفاق عليها . وتعد ولاية دالوير Delaware الولاية الوحيدة التى تتبع نظام الولاية State System فى ادارة المدارس . ومن اجل هذا فانها تسيطر سيطرة مباشرة على جميع المدارس العامة ؛ ويعتقد كثير من المربين انها استطاعت ان تهيء فرصا تعليمية متساوية الى جميع الاطفال احسن من اية ولاية اخرى .

تدخل حكومة الاتحاد

وتبدى الولايات المختلفة ، كما بينا ، معارضة شديدة فى تدخل الحكومة الاتحادية فى شئون التعليم . وتشتد هذه المعارضة بصورة خاصة فى الولايات الجنوبية حيث يخشى « البيض » ان يؤدى تدخلها الى انصاف « السود » ، والاخلال بالتوازن الاقتصادى فى الجنوب الزراعى ، وانتزاع سيادة الرس « الابيض » التاريخية على الرس « الاسود » . ومع ان القانون لا يخول حكومة الاتحاد أبدا التدخل فى شئون التعليم تدخلا سافرا ولكنها حاولت منذ تأسيسها تشجيع نشر التعليم فى الولايات المختلفة وتعضيده ماليا . فقد أقر « مجلس الاتحاد » Congress of Confederation ، حتى قبل

تأسيس الاتحاد سنة ١٧٨٩ ، سياسة منح أراضى ومساعدات مالية الى الولايات لانفاقها على المدارس • وكان قانون ١٨٧٥ الذى شرع لتسوية الاراضى الواقعة فى المناطق الغربية أول خطوة اتخذتها حكومة الاتحاد فى دعم حركة التعليم •

وقد نصت احدى مواد هذا القانون على ان المربع السادس عشر (او المقاطعة) من كل قضاء Township ارض اتحادية تستغل لمنفعة التعليم فى ذلك القضاء • وبانتقال ملكية هذه الاراضى التى تقدر مساحتها بـ ٩٤٫٠٠٠٫٠٠٠ ايكرا من حكومة الاتحاد الى الولايات المختلفة سدت جانبا مهما من نفقات التعليم فى كل ولاية من ولايات امريكا •

وقد وافق الكونغرس الامريكى بعد ان أقر دستور الولايات المتحدة على الاستمرار فى اتباع هذه السياسة ؛ وتسلمت الولايات الثلاثون التى تألف منها الاتحاد اعانات على هيأة أراضى ينفق ريعها على المدارس العامة واراضى اخرى تنفق عوائدها على بعض المؤسسات الخاصة بالتعليم العالى • كما ان حكومة الاتحاد قد منحت بعض الولايات اراضى المستنقعات والاراضى التى يستخرج منها الملح لاستغلالها فى الاعمار الداخلى ، ولتأسيس المدارس •

وأخذ الكونغرس يقدم منذ أوائل القرن التاسع عشر مساعدات مالية الى بعض الولايات لتنفقها على شئون التعليم • ففى سنة ١٨٠٢ منح ولاية أوهايو الجديدة ٠/٠٥ من صافى بيوعات اراضى حكومة الاتحاد لانفاقها على الاصلاح الداخلى • ومنح مثل هذه المساعدات الى ٢٨ ولاية اخرى، واشترط على ١٦ ولاية ان تنفقها على شئون التعليم •

وبصدور قانون موريل سنة ١٨٩٢ حدث تبدل فى سياسة حكومة الاتحاد • واذا كان الكونغرس لم يطالب ان تنفق هذه المساعدات على نوع خاص من انواع التعليم فقد اشترط فى هذا القانون ان تنفق قبل كل شىء

على التعليم الفنى والزراعى • وكان من جراء هذه السياسة ان حظت مجموعة من الكليات والجامعات بهذه المساعدات ؛ حتى لقد اصبح عددها اليوم ٦٩ مؤسسة تتألف من : ٣٦ جامعة ، و٤٧ كلية ، منها ١٧ كلية خاصة بالعبيد •

واستمرت سياسة تعضيد حركة التعليم العملى ايضا حينما اخذ الكونغرس سنة ١٦٨٧ يرصد فى الميزانية فى كل سنة اعتمادات لمساعدة محطات التجارب الزراعية الخاصة بكل ولاية ، والكليات الزراعية والتدبير المنزلى سنة ١٩١٤ • وبصدور قانون سمث وهيوز سنة ١٩١٧ انحصرت هذه الاعتمادات بتشجيع حركة التعليم المهنى التى تسير فى المدارس العامة التى هى دون مستوى الكليات • وقد تطلب هذا القانون تأسيس « مجلس اتحادى للتعليم المهنى »(*) •

وتوالت تشريعات اخرى كان آخرها قانون جورج وباردن سنة ١٩٤٦(**) الذى أرصد ٢٨٫٥٠٠٫٠٠٠ دولار فى السنة لتعضيد حركة التعليم المهنى فى الولايات المختلفة • وفى سنة ١٩٥١ أرصد الكونغرس الاعتمادات الآتية للتعليم العملى :

دولار

٥٫٠٣٠٫٠٠٠ للجامعات والكليات التى تستعين بعوائد الاراضى land-grant

١٢٫٢٦٠٫٢٠٨ للمحطات الزراعية التجريبية •

٣١٫٨٠٣٫٣٧٨ لكليات الزراعة والاقتصاد المنزلى

٢٧٫١٢٧٫٨٨٢ للتعليم المهنى •

ولم تقف لحكومة الاتحاد عند تقديم هذه المنح والمساعدات ، بل كانت

---

* Federal Board of Vocational Education

** George - Barden Act of 1946

تقدم مساعدات أخرى ايام الازمات التى تأخذ بخناق بعض المؤسسات التعليمية المختلفة • فخصصت سنة ١٩٣٣ وسنة ١٩٣٥ قرابة ١٣٣ مليون دولار لمساعدة ١٠٠٠ مؤسسة علمية(*)•

ان هذا التدخل الذى تقوم به حكومة الاتحاد فى شئون التعليم منذ أمد بعيد قد لاقى معارضة شديدة • وقد تجلت هذه المعارضة حينما عزم رجال الحكومة على تأسيس « دائرة اتحادية للتعليم » سنة ١٨٨٧ • ولما فشلوا استقر رأيهم على تأسيس « مكتب للتعليم » Bureau of Education يقوم بجمع المعلومات ووضع الاحصاءات ونشر التقارير التربوية • ثم تبدل اسمه واصبح « دائرة التعليم » Office of Education ومع ان تدخل حكومة الاتحاد قد اصبح حقيقة ملموسة الا انه ما زال منحصرا فى دائرة ضيقة • ولقد حاولت الحكومة اثناء الحرب العالمية الثانية ان تتدخل تدخلا حقيقيا ولكنها اصطدمت بمعارضة شديدة من الهيئات الدينية ، لاسيما من الكنيسة الكاثوليكية التى ترى ان هذا التدخل « غير امريكى » و « غير مسيحى » • فناشد « اتحاد ولاية لويزيانا للجمعيات الكاثوليكية » جميع الكاثوليك ان يعدوا العدة لصد هذه الخطط التربوية الهدامة التى تريد ان تشيد أسوارا تحمى وراءها الاخطار العظيمة التى اخذت تهدد الدين والدستور والعائلة والامة » •

ولقد ألف الرئيس روزفلت سنة ١٩٣٨ لجنة استشارية للتعليم ، فأوصت فى تقريرها الذى وضعته ان تقوم حكومة الاتحاد بعمل حاسم وسريع فى رفع مستويات التعليم ، وان تظل ادارة التعليم فى كل ولاية فى حوزة

(*) هذا بالاضافة الى مبلغ ٦٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار المخصص الى تعليم الراشدين والتعليم الريفى والمهنى بموجب التزامات دائرة :
Education Division of the Federal Emergency Relief Administration

مجالس المدارس الواقعة فى النواحى والمدن • وكان من جراء هذه التوصيات ان اخذت حكومة الاتحاد تنجز بعض المشاريع التربوية ، وعدتها جزءا من سياسة « النيوديل » التى كان يسير عليها الرئيس روزفلت ؛ فقامت بتدريب الشباب على مختلف الاعمال فى « مؤسسة الشباب الوطنى »(*) و « كتائب المدنيين »(**) • وقد اهتمت هاتان المؤسستان باعداد الشباب العاطل على الاعمال الثقافية والمهنية والعسكرية • فانخرط فى « كتائب المدنيين » ، وهى للشبان الذين تزيد اعمارهم عن السابعة عشرة ، منذ سنة ١٩٣٣ – ١٩٤٢ حوالى ثلاثة ملايين شاب ، ضمهم ١٥٠٠ مخيم للتدريب •

واهتمت حكومة الاتحاد اثناء الحرب العالمية الثانية بالدراسات التى تتصل بالمجهود الحربى ، وسيطر « مكتب التعليم » سيطرة مباشرة ، واشرف على توجيهها لاسيما الدراسات الفنية الخاصة باعداد مهندسين للدفاع الوطنى • وفى سنة ١٩٤٠ صدر قانون اعطى « مكتب التربية » صلاحية تنظيم دورات فنية قصيرة فى مستوى الدراسة العالية لاعداد طبقة من المهندسين الصناعيين والعمال الماهرين الذين يتوقف عليهم المجهود الحربى ، واعد لهم منهجا خاصا(***) بموجب منهاج المنح الحربية للطلاب Student War Loans Program

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وضعت حكومة الاتحاد منهجا لتعليم الجنود الذين تسرحوا من الخدمة • وكانوا على نوعين : فمن كان عاجزا عن العمل فيساعد بموجب قانون خاص ، ومن كان قادرا على الدراسة وتركها عند التحاقه بالجيش فيساعد بموجب قانون سنة ١٩٤٤ لاكمال تحصيله فى احدى الجامعات والكليات(****) • وقد بلغ عدد الذين نالوا

---

* National Youth Adminstration
** Civilian Conservation Corps
*** Engineering Defence Training
**** Servicemen's Readjustment Act of 1944

مساعدات كهذه سنة ١٩٥٠ حوالى ٢ر١٥٨ر٠٠٠ طالب ، وبلغت نفقاتهم السنوية ٢ر٨٧٤ر١٢١ر٣٤٠ دولار .

هذه هى المساعدات التى تقدمها حكومة الاتحاد الى الطلبة فى الولايات المتحدة نفسها ؛ اما المساعدات التى تقدمها الى الشبان الامريكيين الذين يودون الالتحاق ببعض المعاهد الاجنبية والى الطلبة الاجانب الذين يفضلون الدراسة فى الولايات المتحدة فكثيرة . وتقوم حكومة الولايات المتحدة كذلك بتبادل الاساتذة والخبراء ، وتأسيس المكتبات والمراكز الثقافية فى الاقطار الاجنبية. وقد تركت الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية كثيرا من المعدات الحربية فى بعض الاقطار الاجنبية ، فباعتها بموجب قانون فلبرايت واخذت تنفق المبالغ المتجمعة فى تلك الاقطار لمساعدة الرعايا الامريكيين الذين يدرسون أو يودون الدراسة فى احدى معاهدها ، ولمساعدة المؤسسات الثقافية الامريكية القائمة فيها . هذا من جهة ، اما من الجهة الثانية فقد انفق قسم منها على رعايا تلك الدول الذين يرومون الدراسة فى الولايات المتحدة .

دائرة التعليم

يرجع تاريخ تأسيس دائرة التعليم فى الولايات المتحدة الى سنة ١٨٦٧ حينما أقر الكونغرس انشاء دائرة مستقلة « تقوم بجمع الاحصاءات والحقائق وتساعد على معرفة حالة التعليم ومدى تقدمه فى مختلف الولايات ، ونشر المعلومات الخاصة بادارة المدارس وتنظيمها ، وتنظيم التعليم وطرق التدريس التى ستساعد الشعب الامريكى على تأسيس نظم تعليمية صالحة والمحافظة عليها ، وتسعى الى نشر رسالة التعليم فى طول البلاد وعرضها » . وفى سنة ١٨٦٩ اصبحت مديرية تابعة لوزارة الداخلية . واستمرت كذلك حتى سنة ١٩٣٩ ؛ ثم أصبحت قسما من دائرة أخرى هى « وكالة الامن الاتحادية » Fedeal Security Agency . وتتألف دائرة التعليم التى يرأسها

« قومسير » للتعليم يعينه رئيس جمهورية الولايات المتحدة بعد موافقة مجلس الشيوخ والتى بلغت ميزانيتها سنة ١٩٥١ نحوا من ٢٫٤٧٧٫٥٠٠ دولار فى السنة من الاقسام الستة الآتيـة : (١) التعليـم المحلى والخـاص بالولايـة و(٢) التعليم الدولى و (٣) التعليم العالى و (٤) التعليم المهنى و (٥) التعليم المدنى و (٦) تعليم الجنود المسرحين .

ان من أهم أعمال دائرة التربية هو القيام بالبحوث والدراسات التربوية، والتعاون الثقافى بين الولايات المتحدة وباقى اقطار العالم ، ونشر التقارير والاحصاءات السنوية والادلة التربوية . وتصدر الدائرة ، بالاضافة الى ذلك، مجلتين هما : الحياة المدرسية School Life والتعليم العالى Higher Education

وتقدر جميع المساعدات التى تقدمها حكومـة الاتحـاد بـ ٠٣/٠ من مجموع ما تنفقه جميع الولايات على شئون التعليم . وتتحمل الوحدات الادارية القسم الاعظم منه . ولم تزل المساواة فى الفرص التعليمية معدومة فى كثير من الولايات بسبب تباين الثروات بين ولاية واخرى ، وسوء توزيعها بين السكان . « فبينما يلتحق بعض الطلاب بمدارس يبلغ ما تنفقه على الصف الواحد سنويا ٦٠٠ دولار يلتحق غيرهم بمدارس تنفق على الصف الواحد ١٠٠ دولار فى السنة » . ان المساواة فى الفرص التعليمية لا تتحقق بصورة مرضية الا اذا روعيت ثلاثة أمور فى كل سياسة مالية سليمة وهى : الحاجة والقدرة ، والجهد .

التعليم العالى فى الولايات المتحدة

أهدافـــه

اذا علمنا ان عدد المعاهد العالية فى الولايات المتحدة ١٨٥٧ معهدا ، وان عدد الطلاب الذين يدرسون فى هذه المعاهد ٢ر١١٦ر٤٤٠(*) طالب ، وان نفقات التعليم العالى السنوية ١ر٣٩١ر٥٩٥ر٠٠٠(**) دولار ، وان مقدار ما تنفقه الكليات والجامعات على البحث العلمى ٤٥ر٠٠٠ر٠٠٠ دولارا فى السنة ، وانها منحت ٦٥١٠ شهادة دكتوراه و٥٨ر٢١٩ شهادة استاذ علوم فى سنة ١٩٥٠ ، وان ٦٠٠٠ر٠٠٠ نسمة من مجموع السكان البالغ عددهم ١٥٨ مليون نسمة قد حصلوا على دراسة عالية – اذا علمنا كل هذا ادركنا مبلغ اهتمام الامريكيين بالتعليم العالى ، ومدى التقدم الذى أحرزه فى غضون سنوات ليست بالطويلة . « فالتعليم العالى فى امريكا حديث كحداثة معاملها ومدنها ، ويتقدم باطراد كما تتقدم مدنيتها الميكانيكية » . ويعتقد الامريكيون ان التعليم العالى ينبغى ان يتمتع به جميع الطلاب الذين يستطيعون الاستفادة منه ، وان يتناسب هو وحاجاتهم ، والا يقتصر على « الصفوة المختارة » فقط ، كما هو شأن اكثر المعاهد العالية الاوروبية ، وان ٠٣٢/٠ من السكان قادرون على مواصلة دراسة عالية طولها اربع سنوات[٢٥] ؛ وان يهدف (دراسة اربع سنوات) الى توسيع مفهوم « الثقافة العامة » ، وتزويد الطلاب والطالبات بأكبر قسط منها ليتمكنوا ان يدرسوا بها مشاكلهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية دراسة نيرة . ولا يراد به ان يكون ، فى الاعم الاغلب ، دراسة « اختصاصية » كما هو الحال فى بريطانية وفرنسا والمانية وغيرها من الاقطار الاوروبية . اما الدراسة الاختصاصية او الدراسة

(*) حسب احصاء سنة ١٩٥١ .

(**) حسب احصاء سنة ١٩٤٧ .

25 Higher Education for American Democrary, Vol. I.

« الجامعية » الحقيقية فتكون فى نظر اكثر المربين الامريكيين بعد دراسة الليسانس • وتهدف الدراسة العالية ايضا الى رعاية الشخصية الانسانية وتشجيعها على الدراسة المستقلة والبحث الاصيل • وقد ارادت جامعة شيكاغو ان تعالج اهداف التعليم العالى معالجة جديدة ، فاختار « مجلس امناء » جامعتها قبل ربع قرن تقريبا روبرت هجنز Hutchins « رئيسا » ، وكلفه « باجراء تجارب فى حقل التعليم العالى » ؛ وكان عمره اذ ذاك ثلاثون سنة • فقام بسلسلة اجراءات عرفت فى الاوساط التعليمية « بخطة شيكاغو » Chicago Plan .

وقد اظهر الرئيس الجديد سخطه على اتجاهات التعليم العالى ، وشجب التخصص فى مراحل الدراسة الاولى ، ودعى الى تزويد الشباب بثقافة عامة• وكان يعتقد ان التعليم المهنى المجرد لا ينفع المواطن الديمقراطى كثيرا ، وان هدف التعليم العالى ينبغى ان ينحصر فى تنمية قوى الانسان العقلية ، وان يدرب الطلاب على التفكير السليم المستقل ، وان اشد ما يحتاجه الانسان ثقافة واسعة موحدة تعينه على التفكير المنتج المستقل ، ومعالجة الامور بحكمة وروية ، واثراء تراث الماضى • وكان يرى ان « التعليم الموحد » ينبغى ان يؤكد على تربية « الانسان الكل » Whole man أولا و « الانسان المهنى » Vocational man ثانيا ، وان تشتد العناية بالافكار ، والا تهمل الحقائق والمهارات •

وظهرت آراؤه بوضوح فى نشرة الجامعة ، حينما بين ان الغرض الاسمى من التعليم العالى العام Liberal Arts هو « ان تعد الكلية الطالب اليوم اعدادا يؤهله لان يعيش فى عالم أوجده العلم بصورة عامة ، وان يحصل على الافكار العلمية السائدة فى الوقت الحاضر ، وان يعرف الطرق التى ابتدعها العلم ، وان يجد محله فى نظام سياسى واجتماعى واقتصادى معقد ، وان يكون ملما بهذه الميادين العلمية • وعلى هذه الشاكلة سيكون وارث

انجازات المدنية الغربية فى الفنون والموسيقى والآداب والفلسفة • ومن الضرورى ان يعد اعدادا يساعده على التمتع بهذه الفنون والافادة منها • وبقدر ما يتزود بمعلومات عن الطبيعة والمجتمع والفنون فانه بحاجة الى ان يتعلم أحسن طريقة فى تكوين هذه المعلومات وفى ايصالها الى افراد آخرين••

وقد قصر الدكتور هوجنز مدة الدراسة فى الكلية ووصلها بآخر مرحلة من مراحل الدراسة الثانوية ، وجعلها دراسة ثقافية عامة ، والغى التخصص ، وجعل حضور الطالب الصف اختياريا ، والغى الامتحانات العامة واستعاض عنها بنظام الوحدات Course Credit System، وسمح لكل طالب ان يتقدم فى الدراسة بقدر ما تسمح به قابلياته ، وان يحصل على درجة ليسانس فى الفنون بعد انهاء السنتين الاولى من سنى الكلية ، وان يلتحق طلبة الاختصاص فى كلية عالية Graduate او فى كلية مهنية •

وكان يرى ان دراسة الروائع الادبية والفلسفية التى انتجتها عقول اعظم مفكرى العالم لازمة لادراك القيم والمبادىء العامة • فادخل فى مناهج التدريس الكتب الكلاسيكية القديمة والمؤلفات العلمية الحديثة كجمهورية افلاطون وكتب فرويد التى صارت تؤلف ٠٧٥/٠ من قراءات الطلاب الذين يعدون أنفسهم لحصول درجة ليسانس فى الفنون • ولم يخلص الدكتور هجنز(*) من سهام الناقدين ؛ فكانت نظرياته التربوية فى التعليم العالى عرضة لهجمات كثيرة •

وتختلف الجامعات الامريكية فى نظامها وفلسفتها عن الجامعات الاوروبية اختلافا كبيرا • فبينما نجد ان اكثر الجامعات والمعاهد الفنية العليا حكومية فى القارة الاوروبية ، أو تتسلم مساعدات مالية جسيمة من الحكومة

(*) استقال روبرت هجنز من رئاسة جامعة شيكاغو سنة ١٩٥١ والتحق بادارة « مؤسسة فورد » •

نجد ان المعاهد العالية الامريكية تنقسم الى عدة اقسام : فهى اما ان تكون « حكومية » أو تساعدها الحكومة او مجانية ، واما ان تكون « مستقلة » تديرها هيئات خاصة او مجالس كنسية متنوعة ، وتستوفى اجورا باهضة . وبعبارة اخرى تنقسم من النواحى المالية الى : حكومية وبلدية وخصوصية وطائفية .

وتقدم الجامعات الامريكية دراسات مهنية اختصاصية كثيرة ، وتفتح أبوابها الى طالبى الدخول بمقياس واسع . وهذه الجامعات المشهورة بأبنيتها الجميلة ومكتباتها الكبيرة لا تقتصر على الدراسات الاكاديمية المعروفة بل انها تمنح « درجات » علمية فى دراسات مختلفة وفى مواضيع مهنية كثيرة مما جعلها تختلف فى مسحتها العلمية عن الجامعات الاوربية . ولذلك فليس من المستغرب أن تجد شابا جامعيا يعمل فى الحقل أو فى المنجم أو فى شركة من شركات الغسيل . ويذهب كثير من المربين فى القارة الاوربية الى أن هذا التوسع فى التعليم العالى فى الولايات المتحدة وهذه الدراسات الكثيرة والدرجات المتنوعة قد أدى الى هبوط فى مستوى الدراسة الجامعية ويشاركهم فى ذلك بعض المربين الامريكيين .

ويجرى التعليم العالى فى الولايات المتحدة فى (١) الكليات المتوسطة و(٢) الكليات و (٣) الجامعات و (٤) المعاهد الفنية . وتختلف « الكليات » بعضها عن بعض : فمنها ما كانت صغيرة وتعنى بناحية واحدة من نواحى المعرفة ، ومنها ما كانت كبيرة قد تضاهى جامعة من الجامعات وتعنى بنواحى مختلفة من المعرفة . والكلية « (١) مؤسسة علمية عالية تختص مناهجها بدراسة العلوم والآداب فقط ، وتمنح الدرجات العلمية و (٢) قسم كبير من اقسام الجامعة (وعادة قسم الآداب والعلوم) لاسيما القسم الذى يدخله الطالب عند اجتيازه مرحلة الدراسة الثانوية»[٢٦] . ويشير قاموس التربية الى تداخل

---

26 Good, Carter, V., Dictionary of Education, P., 83

استعمال كلمتى جامعة وكلية فى الولايات المتحدة ؛ فلم تكن المعاهد التى تأسست لتصبح جامعات الا فى الحقيقة كليات للآداب ، والتى تأسست لتكون كليات اصبحت فى الحقيقة جامعات تضم معاهد مهنية عالية تلى دراسة الكلية، وكليات للآداب والعلوم(٢٧).

وتسمى الكلية فى الولاية المتحدة ، من حيث هى معهد يختلف عن المعهد المهنى ، باسماء كثيرة ؛ فمرة تسمى « كلية الآداب » ، وتارة « كلية الآداب والعلوم » ، واخرى « كلية الآداب والعلوم والفنون » . وقد تكون قطبا تدور حوله الجامعة ، أو وحدة منفصلة ومستقلة كل الاستقلال عن اى جامعة من الجامعات . مثال ذلك : كلية امهرست ، وكارلتون ، وملز(*).

وفى الولايات المتحدة ايضا عدد كبير من المعاهد المهنية العالية التى لا تتألف من كليات للآداب والعلوم ، بل من معاهد اختصاصية ، وتعد الطلاب اعدادا مهنيا ، كمعاهد الحقوق والموسيقى . ومع ان كليات المعلمين تعد نوعا من انواع المعاهد المهنية الا انها تصنف عادة فى مقولة خاصة . وتقوم اكثر كليات الآداب والعلوم باعداد المعلمين الى جانب وظائفها الاخرى . ويلعب اصحاب المهن كالمحامين والاطباء والمعلمين دورا كبيرا فى الاشراف على سياسة اعداد الطلاب فى المعاهد المهنية العالية .

ومن الكليات التى تتصل بالتعليم العالى مرة وبالتعليم الثانوى مرة اخرى « الكليات المتوسطة » التى مدة الدراسة فيها سنتان ، و « الكليات الشعبية » Community Colleges التى أخذت تنتشر فى بعض المناطق لتؤدى وظيفة خاصة .

اما الجامعة فيعرفها « قاموس التربية » بانها « مؤسسة للتعليم العالى تتألف عادة من كلية للآداب والعلوم ، وتقدم دراسة تلى دراسة الكلية Graduate ، وتضم فى الاعم الاغلب معهدين مهنيين أو أكثر ، ولها حق

27 Ibid, P., 439

* Amhurst College, Carleton College, Mills College.

منح الدرجات العلمية فى مختلف فروع التدريس » . أو هى « مؤسسة تعليمية تتكون من كلية للآداب والعلوم Undergraduate ، ومن مدارس مهنية ، ومن كلية عالية graduate او مدرسة School تقدم منهجا دراسيا للبحث يلى الدراسة الثانوية ، ويؤلف أول مرحلة من مراحل منح الدرجات المهنية »(٢٨) .

وتستعمل كلمة جامعة فى الاوساط التربوية للدلالة على الدراسات العالية التى تلى دراسة الكليات . هذا من جهة ، اما من الجهات الثانية فقد تجد بعض الكليات التى تقدم دراسات عالية وتمنح الدرجات العلمية ، بما فى ذلك درجة الدكتوراه ، ولكنها لا تحسب جامعات . مثال ذلك : كلية برن مور ، ومعهد كاليفورنيا التكنوقراطى ، وكلية جورج بيبودى للمعلمين ، وكلية التربية فى ولاية كولورادو(*) .

وتنتشر فى الولايات المتحدة ايضا « المعاهد الفنية » او التكنوقراطية(**)، وهى مؤسسات تتوفر على دراسة بعض المواضيع العلمية الاختصاصية والتكنوقراطية ومنح الدرجات العلمية . وقد تنمو بعضها نموا كبيرا بحيث تصبح فى عداد الجامعات .

لقد بلغ عدد المؤسسات العالية فى الولايات المتحدة حسب احصاء سنة ١٩٥١ (١٨٥٨) معهدا ، منها سبعة معاهد تديرها حكومة الاتحاد ، و٣٧٠ معهد تديرها حكومات الولايات ، و٢٦٣ تديرها المجالس المحلية فى كل ولاية ، و٥٠٧ تديرها هيئات خصوصية لا كنسية ولا حكومية ، و٤٧٦ تديرها

---

28 Irwin, Mary (Editor) American Universities and Colleges, P., 45

* Bryn Mawr College, California Institute of Technology, George Peabody College, Colorado State College of Education.

** Institutes of Technology

الكنيسة البروتستانتية ، و٢٢٩ تديرها الكنيسة الكاثوليكية ، وخمسة معاهد تديرها الطائفة اليهودية . وجلها مختلطة . ولكن ٢٢٧ مؤسسة منها للرجال دون النساء .

وتختلف الكليات والجامعات فى عدد طلابها(*) . واكبرها جامعة نيويورك التى تضم ، بموجب احصاء سنة ١٩٥٠ ، (٥٧ ٣، ٤٦) طالبا ، وتليها جامعة كاليفورنيا وتضم ٣٩ر٤٩٢ طالبا ، وكلية مدينة نيويورك وتضم ٣٣ر٢٠٣ طالبا ، وجامعة كولمبيا وتضم ٢٧ر٦٣٦ طالبا ، وجامعة الينوى وتضم ٢٢ر٢٥٠ طالبا ، وجامعة انديانا وتضم ١٢٥ر١ ٢طالبا ، وجامعة اوهايو وتضم ٣٧٨ر٠ ٢طالبا ، وجامعة نورثويسترن وتضم ١٢٨ر٢٠ ، وجامعة وين وتضم ١٩ر٣٠٧ طالبا .

الكليات المتوسطة :

ينظر كثير من المربين الامريكيين الى التعليم الذى يجرى فى الكليات المتوسطة على انه ضرب من ضروب التعليم الثانوى المجانى والعام ، وينظر اليه آخرون من حيث هو مرحلة توجيهية من مراحل الدراسة العالية . وتتوقف هذه النظرة على وظيفة الكلية المتوسطة ، والهدف الذى ترمى اليه . واذا اردنا ان نقيس مستوى الطالب الامريكى الذى يتخرج من الكلية المتوسطة ويقضى سنتين دراسيتين بمستوى الطالب الفرنسى الذى يتخرج من الليسة والالمانى الذى يتخرج من الجمنازيوم نجد انه يصل فى تعليمه الى مرحلة يضاهى بها كلا من الطالب الفرنسى والالمانى(٢٩) .

لقد أطلقت كثير من الكليات والجامعات على السنتين الاولى والثانية اسم « الكلية المتوسطة » ، وحاولت ان توصلها بالمدرسة الثانوية من جهة

(*) بلغ عدد طلبة المعاهد العالية سنة ١٩٥١ نحوا من ٢ر١١٦ر٤٤٠ طالبا وطالبة .

(٢٩) المصدر السابق نفسه صفحة ١٠ .

وبالجامعة من الجهة الثانية استجابة لحاجات الطلبة المختلفة • وهى اما ان تكون عامة او خصوصية • وطول الدراسة فيها ، كما سبق ان اشرنا الى ذلك ، سنتان • وقد تضم السنتين الاخيرتين من سنوات الدراسة الثانوية وتطلق على نفسها كلية متوسطة ذات اربع سنوات • ان هذه الكليات التى تأسست فى كثير من المدن الصغيرة لتساعد الطلاب على الدخول فى أول مرحلة من مراحل تحصيلهم العالى وهم على مقربة من اهلهم وذويهم والتى تقدم دراسات عامة فى الآداب والعلوم قد اصبحت فى نظر بعض المربين ، وسواء اكانت متطورة عن مدرسة ثانوية او متصلة بجامعة من الجامعات ، مرحلة اعدادية للدراسات الاكاديمية فى الجامعات الامريكية •

الكليات والجامعات

لمحة تاريخية : يقول الاستاذ دونالد توكسبرى Donald G. Tewksbury : كان الغرض من تأسيس « الكلية » الامريكية سد « حاجات روحية » • وكانت جميع الكليات التى تأسست فى « عهود المستعمرات » وقبل « الحروب الاهلية » تقريبا تخضع لاعتبارات دينية ، وتهدف الى اعداد رجال الدين وتنمية الخلق المسيحى بالتدريب العقلى والضبط الخلقى • وهكذا تأسست كلية هارفارد سنة ١٦٣٦ ، وكلية وليم أندميرى سنة ١٦٩٣ ، وكلية يل سنة ١٧٠١ ، وكلية نيو جيرزى ، التى سميت فيما بعد بجامعة برنستون سنة ١٧٤٦ ، وكلة رود آيلند التى عرفت فيما بعد بجامعة براون سنة ١٨٠٤ • وقد حذت الكليات الامريكية عند تأسيسها حذو الكليات لا الجامعات الانكليزية ، وصارت الكليات المنفصلة والمستقلة عن الجامعة ولمدة طويلة المؤسسات الوحيدة للتعليم العالى فى الولايات المتحدة • ولم تؤسس الجامعات الامريكية الا فى غضون المئة سنة الاخيرة • وما زالت الكليات المنفصلة أكثر عددا من المؤسسات العالية الاخرى •

وفى نهاية القرن التاسع عشر اخذت الكليات تستجيب لمطالب الحياة الاجتماعية الامريكية بتأثير الجامعات الاوروبية ، وتتحرر مناهجها من طابع الضيق الذى لازمها(*)؛ وطبق مبدأ الاختيار فى الدروس ، وعنى باللغات الحديثة والعلوم والاعداد المهنى والاختصاصى ، والقاء المسئوليات على الطلبة فى مراقبة سلوكهم الخاص . وأخذ طابعها الدينى يتضاءل سنة بعد اخرى ، وضربت جامعة هارفارد مثلا للجامعات الاخرى حينما الغت حتمية الحضور فى الكنيسة، وقد وجدت الجامعات المستقلة القديمة نفسها مضطرة على ان تدخل فى مناهجها عددا من الدراسات الحديثة لتساير الحاجات الجديدة . فقد اسست جامعة كولمبيا مثلا ، وهى احدى الجامعات القديمة ، بالاضافة الى كلياتها التقليدية المعروفة وهى كليات الآداب والعلوم والقانون والطب واللاهوت والهندسة ، كليات جديدة للتجارة والصحافة والهندسة المعمارية والمعلمين وتنظيم المكتبات والاسنان والصيدلة والعلوم السياسية .

ومن الجامعات والكليات ما كانت تابعة لكل ولاية من الولايات State University فتصبح حكومية ، ومنها ما تنال مساعدات مالية ، او مجانية ، ومنها ما تكون مستقلة تديرها هيئات خاصة او كنائس مختلفة ، وتستوفى اجورا عالية . ومن الجامعات المستقلة جميع المؤسسات التى تأسست يوم كانت امريكا تابعة لانكلترة ، واشهرها جامعة هارفرد ، ووليم اندميرى ، ويل ، وبرنستون ، وكولمبيا ، ودارتموث . فاذا اضفنا اليها جامعات كورنيل (١٨٦٥) وجونز هوبكنز (١٨٦٧) وستانفورد (١٨٩١) وكثيرا من الجامعات الاخرى المشهورة وجدنا ان اهم معاهد التعليم العالى فى الولايات المتحدة مستقلة وخصوصية .

ولكل ولاية ، باستثناء ولاية كاناتيكت ، وماساجوست ، ونيوجيرزى ،

(*) فمثلا أسست جامعه ستانفورد فى سنة ١٩٤٨ « مركزا للكتابة الابداعية » Creative Writing Centre « لاعداد الكتاب الشباب الموهوبين وتشجيعهم » .

ونيويورك ، وورود آيلند جامعة حكومية خاصة بها(*).

وحيث ان اجور التعليم العالى فى المعاهد المستقلة القديمة باهضة فقد أخذت الولايات تؤسس الجامعات لاعطاء فرص متساوية الى جميع الطلاب والطالبات ، وتستوفى منهم اجورا ضئيلة . وقد نادى الجمهوريون اثناء الحرب الاهلية بضرورة تأسيس معاهد عالية تسيطر عليها الولايات . ومن الجامعات الاولى التى سيطرت عليها احدى الولايات ونالت مساعدة مالية منها هى جامعة جورجيا التى تأسست سنة ١٧٨٥ . ومع ان كثيرا من زعماء امريكة ، ومن بينهم جورج واشنطون ، كانوا يريدون تأسيس جامعات « قومية » الا ان الجامعات التى قامت بتأسيسها الولايات قبل نشوب الحرب الاهلية وعددها ٢١ جامعة نالت ، بعد ان منيت فكرة تأسيس جامعة قومية بالفشل ، من حكومة الاتحاد مساعدات اتخذت صورة منحها اراضى حكومية.

ان ٤٥ ولاية من ولايات امريكا اليوم تنفق وتدير وتسيطر على جامعة حكومية او اكثر . وكانت ولاية نيويورك الى امد قصير جدا لا تدير جامعة « حكومية » State ؛ ولكنها اسست فى سنة ١٩٤٨ « جامعة ولاية نيويورك »(**) التى تتألف من ٣٣ معهدا للتعليم العالى منتشرة فى مختلف نواحى الولاية . وتؤسس جامعات الولايات اما بموجب دساتيرها واما بموجب قانون خاص يشرعه مجلس الولاية . ويعين « حاكم » الولاية عادة مجلس « امناء » الجامعة بعد استشارة المجلس التشريعى . وفى حالات خاصة ينتخب « الامناء » من قبل المواطنين .

اما النوع الآخر من الجامعات فهو الذى تقوم بتأسيسه البلديات وتسمى « جامعة البلدية » Municipal University ؛ وقد بلغ عدد الجامعات

(*) وتعد جامعة ولاية بنسلفانيا الجامعة الوحيدة التى تتسلم من ولايتها مساعدة مالية .

** State University of New York

والكليات التى تستمد نفقاتها من الضرائب التى تفرضها البلديات والتى تديرها عادة مجالس خاصة سنة ١٩٥٠ (١٤) مؤسسة(*).

ويتطلب التعليم العالى ، لاسيما التعليم المهنى ، نفقات جسيمة . حتى لقد أصبح من المتعذر على بعض الولايات أن تهيء فرصا تعليمية عالية لمختلف الدراسات التى ينشدها الطلاب ، يضاف الى هذا ان عدد الطلاب فى بعض الفروع قليل جدا مما زاد فى نفقات الدراسة العالية واصبح من المتعذر ايضا تقديم دراسات اختصاصية فى جميع الكليات او الجامعات . ولحل هذه المشكلة عمدت بعض الولايات ، وخاصة الولايات الجنوبية ، الى وضع خطة مشتركة ؛ فاتفق عشرة من « حكامها » سنة ١٩٤٨ على وضع خطة فى تنظيم التعليم العالى على اساس المناطق لا الولايات وتقديم فرص جديدة الى الشباب. وقد وافقت مجالس الولايات التشريعية عليها وانظمت اليها أربع ولايات أخرى ، وتأسس مجلس اقليمى(**) لادارتها .

وتتعهد كل ولاية ، بموجب هذه الخطة ، ايفاد عدد من الطلاب الى بعض المعاهد العالية الواقعة فى ولاية اخرى على ان تدفع سنويا ١٥٠٠ دولارا عن كل طالب يدرس الطب أو طب الاسنان ، و١٠٠٠ دولار عن الطالب الذى يدرس الطب البيطرى ، و٧٥٠ دولار عن الطالب الذى يدرس خدمات اجتماعية ، وان تكون الاجور التى يدفعها الطالب مساوية الى الاجور التى يدفعها الطالب الذى يسكن فى تلك الولاية . وقد بلغ عدد الطلاب الذين استفادوا من هذه الخطة فى سنة ١٩٥١ ـ سنة ١٩٥٢ (٨٥٠) طالبا ، ٥٨٣ منهم « بيضا » و٢٦٧ زنوجا ، التحقوا فى ١٩ جامعة موزعين على النحو

(*) باستثناء جامعة وين الواقعة فى مدينة ديترويت التى تديرها مديرية معارف مدينة ديترويت .

** Southern Regional Education Board

الآتى : ٣٠٠ للطب، و٢٦٥ للطب البيطرى ، و٢٥٠ لطب الاسنان و٣٥ للخدمات الاجتماعية .

السيطرة على التعليم العالى :

تخضع المعاهد العالية الى سيطرة حكومات الولايات ؛ ولا تمارس حكومة الاتحاد سيطرة عليها ، ولا تضع الشروط التى ينبغى ان تتوافر فيها(*).

وتختلف الولايات بعضها عن بعض فى الشروط التى ينبغى ان تتوافر فيمن يريد ان يؤسس جامعة او كلية ، وينال « اجازة » بذلك . فمن الولايات ما تتطلب شروطا صعبة ، كولاية نيويورك ، ومنها لا تتطلب اى شرط مطلقا. وحيث ان الولايات لا تود وضع مقاييس عامة ، وان بعض الكليات والجامعات والمعاهد العالية يلازمها ضعف كبير فقد ظهرت حاجة البلاد الى تأسيس جمعيات « اعترافية » Accrediting تستطيع ان تضع مقاييس عامة فى كل فرع من الفروع . وهذه الجمعيات التى تأسست منذ مدة طويلة لا تقبل فى عضويتها الا المعاهد التى تتوافر فيها تلك الشروط المعينة أو المقاييس العامة . وتحتفظ كل جمعية اعترافية عادة بقائمة تتضمن اسماء الجامعات التى تعترف بمستواها العلمى ؛ وبالاضافة الى « رابطة الجامعات الامريكية » التى تضم ٣٥ جامعة ففى اكثر مناطق الولايات المتحدة جمعيات اعترافية اقليمية تحتفظ بقائمة تتضمن اسماء الكليات والمدارس الثانوية التى تعترف بها هذه الجمعيات . وقد بلغ عددها ست جمعيات .

(*) تستثنى من ذلك المعاهد التى تقوم باعداد ضباط الجيش والاسطول وحرس السواحل وهى

أ ـ الاكاديمية العسكرية فى ويست بوينت Military Academy at West Point

ب ـ الاكاديمية البحرية فى انابوليس Naval Academy at Annapolis

ج ـ اكاديمية الحرس الساحلى فى نيولندن Coast Guard Academy at New London

ادارة المعاهد العالية :

تدير الكليات والجامعات عادة « مجالس » ؛ فتسمى « مجالس الامناء » أو « مجالس المديرين » او « مجالس الاوصياء »(*) • ويتكون مجلس الادارة عادة من اناس مدنيين مشهود له بحب العلم وتقدير رجاله ؛ ولا يتألف من أعضاء الهيئة التدريسية • واذا كانت مجالس الكليات والجامعات قد تألفت فى الماضى من بعض رجال الدين فتتألف اليوم من بعض رجال المال والاعمال الذين يتبرعون بسخاء الى هذه المؤسسات ويعدون عضويتها شرفا • ومجالس الادارة شخصيات حكمية ، وهى مرجع جميع السلطات • ولكل مجلس « رئيس » President وسكرتير وأمين صندوق ؛ وقد يتألف المجلس من ثلاثة اعضاء ، أو يتضخم فيضم ٢٥٠ عضوا • وتكون مجالس المعاهد الخصوصية عادة اكبر من مجالس المعاهد التابعة للولايات ، ولكنها لا تقل عن ١٥ عضوا • وتتعهد أعمال المجلس ، اذا كان كبيرا ، « لجان فرعية » • ولمجالس ادارة المعاهد العالية التابعة للكنيسة الكاثوليكية وظائف اخرى غير التى ذكرناها قبلا • واكثرها تعنى فى املاك المؤسسة ؛ وينتخب اعضاء مجالس الادارة عادة من اعضاء الهيئة التأسيسية • ولكن سياسة المعهد واختيار الموظفين والاساتذة اليه أمر يعود الى المراجع الدينية العليا •

ويتولى ادارة الكلية او الجامعة فى الحقيقة « رئيسها » الذى يتمتع بصلاحيات واسعة اكثر مما يتمتع رئيس اية جامعة او كلية فى المانيا او انكلترة • ويساعد الرئيس عادة مجموعة من الموظفين ، اهمهم سكرتير الجامعة ومساعدو الرئيس ، والعميد والمدير • و « العميد » هو المسئول عن شئون الدراسة فى معهده ، ويكون « المسجل » مسئولا عن قبول الطلاب

---

* Board of Trustees, Board of Directors, Board of Regents.

والاحتفاظ بوثائقهم ودرجاتهم . وتتألف الكلية الامريكية من « أقسام » Departments عدة تتسع باتساع عدد الموضوعات الدراسية . ولكن الجامعات تسير فى الوقت الحاضر على اساس تنظيم الاقسام فى مجاميع كبرى من المعرفة كقسم : الانسانيات، والعلوم الاجتماعية ، والعلوم الفيزياوية، والفنون ، والعلوم البايولوجية . ولكل قسم رئيس يدير جلسات القسم ويحتفظ بمقرراته .

الهيئة التدريسية :

تتألف « الهيئة التدريسية » Faculty من جميع المدرسين الذين يتولون شئون التعليم فى الجامعات الامريكية ، ويترأس اجتماعاتها «رئيس» الجامعة ؛ وعند تغيبه ينوب عنه احد العمداء ؛ ويقوم « المسجل » بأعمال سكرتارية « الهيئة » ؛ ويسجل محاضر الاجتماعات . وتسيطر « الهيئة التدريسية » على سياسة المعهد التعليمية ، بما فى ذلك الامور المتعلقة بتنظيم مناهج الدراسة ، وشروط قبول الطلاب ، ومنح الدرجات العلمية(*) . ولا تحسب وظيفة « رئيس القسم » عادة لقبا علميا بل وظيفة ادارية .

ويبدأ عضو الهيئة التدريسية عمله فى الجامعة « مدرسا » ، ثم يصبح « استاذ مساعد » بعد مرور مدة تتراوح بين ٣ – ٥ سنوات ، ولا يكون « استاذ مرافق » الا بعد قضاء ٣ – ١٠ سنوات فى التدريس . اما درجة « الاستاذية » فلا ينالها الا من تعمق فى اختصاصه واشتهر ، وقد يبقى بعض اعضاء الهيئة التدريسية فى مراكزهم العلمية ويتقاعدون دون ان يصلوا الى درجة « الاستاذية » .

وليس ضروريا ان يبدأ عضو الهيئة التدريسية حياته « مدرسا » فى معهد من المعاهد ، بل كثيرا ما تعين بعض الشخصيات العلمية البارزة فى بعض

---

* Instructor, Assistant Professor, Associate Professor, and Professor.

الكراسى الشاغرة وتمنح القابا علمية عالية دون ان تكون لديها خبرة سابقة فى التدريس تقديرا لجهودها واعترافا بمكانتها • وكثير من الكليات المتوسطة ، وكليات المعلمين لا تمنح مدرسيها القابا علمية ، بل تنظر اليهم من حيث انهم « مدرسون » وحسب •

القبول فى المعاهد العالية :

يقبل الطلاب الى المعاهد العالية بعد انهاء مرحلتى الدراسة الابتدائية وطولها ٨ سنوات والدراسة الثانوية وطول اربع سنوات • وتتبع المعاهد العالية طريقتين فى انتقاء الطلاب : الاولى طريقة اداء امتحان Examination Plan والثانية « خطة الشهادة » Certificate Plan.

ان اقدم طريقة متبعة فى انتقاء الطلبة الى المعاهد العالية هى طريقة « امتحان الدخول » Entrance Examination • ففى سنة ١٩٠٠ ألفت مجموعة من الكليات « مجلس امتحان للدخول » وجعلت مركزه جامعة برنستون الواقعة فى مدينة نيوجيرزى • ويعقد هذا الامتحان ثلاث مرات فى السنة : فى شهر نيسان وحزيران وتشرين الثانى • وتعقد بعض الكليات امتحانا خاصا بها ، ولا تعترف بالامتحانات الاخرى • واذا كانت مديرية معارف الولاية هى التى تعقد الامتحانات العامة للدراسة الثانوية فان شهادة الدراسة الثانوية تخول حاملها حق الالتحاق باحدى معاهد تلك الولاية العالية •

أما الخطة الثانية ، وهى « خطة الشهادة » ، فقد أوجدتها جامعة ميشيغن سنة ١٨٧١ • وخلاصتها ان احسن طريقة تتبع فى اختيار الطلاب لا تنحصر فى شهادة الدراسة الثانوية وامتحان الدخول فقط ، بل ينبغى أن تركن الجامعة او الكلية الى آراء المدرسة التى درس فيها الطالب • فادارة المدرسة تستطيع ان تقدم فكرة حسنة عن مؤهلاته وقابلياته واهليته للدخول فى احدى المعاهد العالية أكثر من اية جهة اخرى • والقبول بموجب هذه الطريقة لا يستند الى درجات الطالب حسب بل الى الصفات الاخرى التى

يتصف بها ، والى نتائج امتحانات المعرفة والقدرة وغيرها .

الامتحانات :

تسير الجامعات والكليات الامريكية على « نظام النقاط »(*)؛ وللنجاح فى الحصول على درجة بكالوريوس علوم يشترط ان ينال الطالب طوال اربع سنوات دراسية ١٢٠ نقطة ويدرس الطالب فى كل فصل عادة ١٥ نقطة ؛ ولكل درس قيمة عددية تتوقف على عوامل عدة . واكثر الجامعات تستوفى اجورها الدراسية بنسبة عدد النقاط التى يأخذها الطالب . ويشترط فى الحصول على درجة استاذ علوم او آداب ان يمضى الطالب سنة دراسية بعد مرحلة دراسة درجة البكالوريوس . وتختلف النقاط التى ينبغى ان يأخذها من جامعة الى اخرى ، ومن قسم لآخر ، وتختلف لعوامل اخرى . وتتطلب بعض الجامعات كتابة رسالة بالاضافة الى عدد النقاط . ويحتاج طلبة الدكتوراه عادة الى دراسة ثلاث سنوات بعد انهاء مرحلة الليسانس . ولابد لكل واحد منهم أن يضع أطروحة فى بحث أصيل يدل على قابليته فى البحث المستقل ، وينجح فى اداء امتحانين احدهما شفهى يتعلق بمحتويات الاطروحة ، والثانى تحريرى يتناول جميع المواضيع التى لها صلة باختصاص الطالب ويستغرق عدة ايام ، ويتطلب استعدادا خاصا من الطالب ، فقد يضطره ان يراجع عدة كتب وخاصة اذا كان من طلبة العلوم الاجتماعية .

نفقات التعليم العالى :

تقدر النفقات التى صرفت على التعليم العالى فى الولايات المتحدة حسب احصائية سنة ١٩٤٧ ـ سنة ١٩٤٨ حوالى ١٫٣٩١٫٥٩٥٫٠٠٠ دولار . واذا أضفنا اليها النفقات التى تصرف على مكتبات المعاهد والاقسام الداخلية والمطاعم ومقدارها ٤٣٨٫٨٨٨٫٠٠٠ دولار والنفقات التى صرفت لاغراض غير تعليمية ومقدارها ٥٢٫٦٨٧٫٠٠٠ دولارا ادركنا جسامة هذه النفقات .

---

* Point or Credit System.

وتتكون مدخولات المعاهد العالية من عوائد الهبات ، والهبات الخيرية ، والاجور الدراسية ، واعانات الحكومات التى اخذت تزداد سنة بعد اخرى. فبعد ان كانت هذه الاعانات سنة ١٨٧٩ - ١٨٨٠ تؤلف ٩ر٠٧/٠ من النفقات السنوية العامة للجامعات والكليات صارت ٦ر٠٣٦/٠ فى سنة ١٩٣٩- سنة ١٩٤٠ ، ثم ارتفعت الى ٣ر٠٥٩/٠ فى سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ . واذا قلنا اعانات حكومية فنقصد بها المساعدات التى تقدمها الادارات المحلية ، وحكومات الولايات المتعددة ، وحكومة الاتحاد . فالاولى تدفع عادة حوالى ٠٣/٠ من النفقات وتذهب اكثرها الى الكليات المتوسطة ، وتدفع الثانية ٦ر٠٢٢/٠ لوجود جامعة او معهد عال فى كل ولاية ، وتدفع الثالثة ٧ر٠٣٣/٠ حسب احصاء سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ ، بينما لم تتعد هذه النسبة قبل الحرب العالمية الثانية ٤ر٠٠٥/٠ من مجموع النفقات السنوية العامة . ان ٣ر٠٢٣/٠ مما تدفعه حكومة الاتحاد يدفع الى المعاهد العالية لتنفقه على الطلاب الذين التحقوا فى صفوف الجيش فى الحرب العالمية الثانية ولم يستطيعوا مواصلة دراساتهم العالية . ولقد ازداد عدد الطلبة فى الكليات والجامعات عقب تسريح المجندين والمجندات . فبلغ عدد المسرحين وحدهم ٨٠٠ر٠٠٠ طالب ، وعدد الذين كانوا يتأهبون للدخول ٢٠٠٠ر٠٠٠ طالب وطالبة . وقد أقر الكونغرس الامريكى قانونا لمساعدتهم ، فخصص كل واحد منهم بـ ٥٠٠ دولار فى السنة اجورا دراسية ، و٦٥ دولارا فى الشهر ان كان اعزبا و٩٠ دولارا ان كان متزوجا .

ومع أن الهبات التى تتلقاها الجامعات الامريكية والكليات قد أخذت تزداد سنة بعد سنة الا أن نفقات الدراسة قد أخذت بالزيادة عاما بعد عام نظرا لارتفاع كلفة المعيشة فى الولايات المتحدة فقد ارتفعت كلفة المعيشة منذ سنة ١٩٤٠ الى ٧٠ بالمائة فى حين أن رواتب اساتذة الجامعات لم تزد الا ٣٠ بالمائة ولقد قامت جريدة نيويورك تايمس المشهورة (عدد ٢٧ تشرين الثانى سنة ١٩٥٠) بدراسة حالة الجامعات العالية فوجدت أن جامعة واحدة من

كل خمس جامعات تشكو عجزا ماليا • وقدرت العجز المالى الذى تشكو منه جامعة ييل بمليون دولار • وقد هب جماعة من رجال المال والقانون والاساتذة الى علاج هذه الحالة • فاجتمع ١٤ شخصا منهم فى سنة ١٩٤٩ وألفوا « لجنة تمويل التعليم العالى » برئاسة أحد أساتذة جامعة كولمبيا المشهورين وهو الدكتور فرانك فاكنتال Fackenthal لبحث المشكلة من جميع وجوهها وجمع المال الى الجامعات المهمة لانفاقها على البحوث والدراسات العلمية •

ومما هو جدير بالذكر أن الجامعات الامريكية الخصوصية تصلها مساعدات مالية كثيرة من مختلف البيوتات المالية والشركات • ولقد أعلنت جامعة هارفارد مثلا أن مجموع الاعانات التى تسلمتها لغاية شهر حزيران من سنة ١٩٥٠ بلغت (١٦٫٠٠٠٫٠٠٠) دولار ، وأعلنت جامعة ييل أنها حصلت على (٦٫٥٠٠٫٠٠٠) دولار ، وتسلمت جامعة برنستون أكثر من ثلاثة ملايين دولار • ووهبت بعض الكليات الشهيرة فى المدة نفسها أيضا مبالغ جسيمة • فقد بلغ ما حصلت عليه كلية « سمث كوليج » سبعة ملايين دولار ، وما دخل جامعة مينوسوتا من الهبات ٣٣ مليون دولار وما دخل جامعة كاليفورنيا ٥٣ مليون دولار وما دخل جامعة تكساس من شركات النفط ١٢٩ مليون دولار •

البحث العلمى :

أصبح البحث العلمى من أهم اعمال الجامعات والمعاهد الخاصة ، ومن أهم اعمال الشركات الصناعية والمؤسسات الحكومية والبيوتات التجارية • وتنفق الولايات المتحدة مبالغ جسيمة على الابحاث العلمية • فقد جاء فى احدى التقارير الرسمية(*) ان مجموع المبالغ التى ارصدت للبحث العلمى بلغت ١٫٦٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار فى سنة ١٩٤٧ • وكان ما أنفقته حكومة الاتحاد وحدها ٦٢٥٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار ، والشركات الصناعية

* President's Scientific Research Board.

٤٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار ، والجامعات ٤٥٫٠٠٠٫٠٠٠ دولارا ، والدوائر الاخرى ٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولارا . وتدل الاحصاءات الاخيرة ان مجموع ما انفقته الجامعات فى سنة ١٩٤٩ – سنة ١٩٥٠ بلغ ٢٢٥٫٣٤١٫٠٠٠ دولار .

وقد تأسست فى الولايات المتحدة جمعيات وطنية للابحاث كثيرة تضم زمرة كثيرة من أكابر العلماء الذين ينتمون الى مختلف المعاهد العالية .

تقرير « لجنة الرئيس عن التعليم العالى » :

فى سنة ١٩٤٦ عين المستر ترومان رئيس جمهورية الولايات المتحدة لجنة لدراسة مشكلة التعليم العالى(*) ضمت طائفة شهيرة من أساتذة ورجال دين ، ومن مدنيين واختصاصيين فى شئون العمال يمثلون مؤسسات مختلفة. وقد وضعت اللجنة تقريرها سنة ١٩٤٧ ، ورفعته الى رئيس الجمهورية ؛ وسمته « التعليم العالى للديمقراطية الامريكية »(**) ؛ ويقع فى خمسة اجزاء.

وتناولت الاجزاء الاربعة الاولى دراسة مشاكل التعليم العالى وحاجاته ، وتقديم توصيات عنها . وذهب واضعوه الى ان نسبة كبيرة جدا من سكان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تنهض بمسئوليات المواطنة فى مجتمع ديمقراطى حر ، لنقص فى ثقافتها ؛ فقد نال عشرة ملايين مواطن تعليما ابتدائيا ناقصا ؛ وذهب الى ان ٠٤٩/٠ من السكان ، على أقل تقدير ، يستطيعون ان ينتفعوا بتعليم عال طوله سنتان ، وان ٠٣٢/٠ منهم بتعليم عال طوله اربع سنوات ؛ وان الحائل الذى يقف دونهم هو الفقر . ويوصى التقرير ان تبذل الولايات المتحدة جهودها فى توسيع معاهدها العالية بحيث تستوعب ٤٫٦٠٠٫٠٠٠ طالب وطالبة فى سنة ١٩٦٠ ، اى ضعف عدد طلبة المعاهد العالية المسجلين فى سنة ١٩٤٧ ، وان تساهم حكومة الاتحاد بسخاء فى الانفاق على التعليم العالى .

---

* President's Commission on Higher Education.

** Higher Education For American Democracy, Washington, December, 1944.

الحرية العلمية :

ربما تكون « الحرية العلمية » من أهم الخصائص التى تتميز بهـا الجامعات الغربية ، لاسيما الامريكية منها ؛ بل هى الاساس الذى يقوم عليه التقدمى العلمى والفكرى . وقد أصيبت منذ الحرب العالمية الثانية بانتكاسة شديدة ؛ واخذت السلطات الامريكية ، لاسيما بعدانتصار الشيوعية وانتشارها فى مختلف الاقطار ، وتوغلها فى الولايات المتحدة ، تحسبها صورة من صور النظم « الكلية » الديكتاتورية ، ورمزا للخيانة ، واداة من ادوات الهدم فى مشاريع الدفاع الامريكية .

وتقوم اليوم عدة لجان فرعية تابعة لمجلس الشيوخ الامريكى باجراء تحقيق واسع فى مدى انتشار الشيوعية بين اساتذة وطلاب الجامعات والكليات الامريكية . وقد مثل امام هذه اللجان عدد كبير من مشاهير الاساتذة للتحقيق معهم فى التهم المنسوبة اليهم بانتمائهم للحزب الشيوعى الامريكى فى السابق ام فى الحاضر ، أو علاقتهم بسائر المنظمات الشيوعية السرية ، وقيامهم بترويج المبادىء الشيوعية بين طلابهم وطالباتهم .

وقد أثار هذا الموضوع جدلا فى مختلف الاوساط التربوية فى الولايات المتحدة ، واهتماما فى شتى الاوساط الثقافية ، واعتبرت بعضها قرار الكونغرس بالتحقيق مع اساتذة الجامعات خرقا صريحا لحرية التعليم، مما حدا « برابطة الجامعات الامريكية »(*) ان تدرس المشكلة دراسة

(*) كانت « رابطة الجامعات الامريكية » American Association of Universities قد الفت لجنة برئاسة المستر غرسوالد A. Whitney Griswold رئيس جامعة ييل وعضوية : آرثر هولى كومبتون Compton رئيس جامعة واشنطون ، وفرانكلن ميرفى Murphy رئيس جامعة كانساس ، ووالاس ستيرلنج رئيس جامعة ستنافورد Sterling ،وهنرى رستن Wriston من جامعة براون لدراسة الموضوع فوضعت تقريرها المسمى : Rights and Responsibilities of Universities and their Faculties

واسعة ، فوضعت تقريرها عن « حقوق ومسئوليات الجامعات وهيئاتها التدريسية » بسطت فيه آراءها عن ماهية « الحرية الاكاديمية » والمدى الذى ينبغى ان تسير فيه ، وهل تخرق اذا ما سمح لاستاذ شيوعى ان يدرس فى احدى الجامعات ، او هل تخرق اذا حيل بينه وبين التدريس فى جامعة من الجامعات • وقد جاء فى التقرير ما يأتى : « الجامعة مؤسسة علمية تتجسم فيها رغبة الانسان الغريزية فى اكتشاف سبل المعرفة ؛ وهى قديمة كقدم الجنس البشرى • والجامعة الامريكية الحديثة رابطة تضم طائفة من العلماء الذين ينتظمهم ولاء الى المثل الاعلى الذى يقوم عليه التعليم ، والى الميثاق الخلقى الذين يستند اليه سلوكهم العام ، والى الوطن الذى يعيشون فيه ، والى شكل الحكومة التى ارتضاها ذلك الوطن • وتقدم الجامعات ميادين متنوعة من المعرفة ، وتعرض وجهات نظر كثيرة •• واهمية التشبث الفردى فى النواحى العقلية لا تختلف عن أهميته للتقدم الاقتصادى •

« وعليه ينبغى على الجامعة ان تفتح صدرها لتقبل مختلف المهارات ووجهات النظر •• وان تتحلى بروحية البحث والنقد وعرض الآراء فى جو مشبع بالحرية والثقة المتبادلة• وهذا هوالمفهوم الحقيقى للحرية (العلمية)• ومن الضرورى ان يضمن مجلس الجامعة هذه الحرية للهيئة التدريسية ، وان يقف الرأى العام على الاسباب التى تدعو الى ضمان هذه الحرية •• » ويضيف التقرير الى ذلك : ان قيام الهيئة التدريسية بواجباتها خير قيام يتطلب ان تستمر فى دراسة المؤسسات والعقائد السائدة وتمحيصها ونقدها ••• وان هذا البحث لا يمكن ان يقتصر على العالم المادى • وحيث ان التقدم الخلقى والاجتماعى والسياسى لم يمش جنبا الى جنب مع السيطرة على العالم المادى اصبح التوغل فى الاستقصاء والبحث فى جامعاتنا العلمية ضرورة ماسة ••• ان رسالة العالم تتطلب دراسة وتمحيص بعض الآراء غير المستحبة ، او المبادىء التى تعتبر مقيتة وحتى خطرة ••• والجهر بآرائه ومعتقداته مهما كلفه الامر •••

ثم يمضى التقرير فيقول : وما ينطبق على حرية البحث ينطبق نفسه على حرية التعليم . وما دامت آراء الاستاذ ذات طابع علمى وتتصل بموضوعه فلا يجوز الحد من حريته بين جدران الجامعة . وينبغى ان يتعرض طالب الجامعة الى آراء وعقائد متنافسة فى كل حقل من حقول المعرفة ، حتى يستطيع ان يقلب وجهات النظر المختلفة ، ويصل الى درجة من النضج بحيث يدرس الامور بفكر ثاقب . وما دام الاستاذ مستوفيا جميع الشروط الاخرى التى تتطلبها المواطنة الصالحة والكفاءة المهنية والذوق حق له ان يتمتع بحماية جامعته الى اقصى حد ممكن .. ولكن يوجد خط يفصل بين حرية الاستاذ المطلقة وحريته المقيدة ببعض الواجبات والالتزامات القانونية الذى يترك تحديده للمجالس التشريعية والمحاكم . وتعود صلاحية تفسير وتطبيق المادة الاولى والرابعة عشرة(*) من دستور الولايات المتحدة الى « المحكمة العليا » Supreme Court ان هذا الخط الفاصل لا سبيل الى تبديله الا عن طريق المجالس التشريعية والقضائية . ولقد اتخذ فى حياتنا الاجتماعية مواضع مختلفة يوم كانت متسمة بالقلق ومعرضة للاخطار . ومع ان تحديد هذه الوجائب والالتزامات التى يفرضها الخط قد لا يخلو من بعض النواقص التى تستثير النقد فانه ليس بامكان اى مواطن ان يتجاهل هذه الالتزامات ويتعدى الخط الفاصل دون ان يعرض نفسه للعقوبة اسوة بغيره من المواطنين .

ومن الناحية التاريخية تتضمن كلمة « الجامعة » « مقاييس » خاصة ؛ فهى لا تنطوى على وجهات نظر اساتذتها فقط بل على قدراتهم واستقامتهم ؛ وعلى كل استاذ ان يحافظ على هذه السمعة . ان كفاءته ، من حيث هو عالم

(*) « ليس للكونغرس ان يشرع قانونا يتصل بنشر دين من الاديان ، او يمنع حرية القيام بالشعائر الدينية ؛ أو يقضى على حرية الكلام او الصحافة ... » « لا يحق لاية ولاية ان تسن او تطبق قانونا يقضى على امتيازات مواطنى الولايات المتحدة وحصاناتهم ؛ كما لا يحق لها ان تجرد اى شخص من حياته او حريته او ماله بدون محاكمة .

ومدرس ، لا يصيبها الوهن بل القوة اذا ما أدرك زيف آرائه واحكامه بنفسه. والناس فى داخل الجامعة او خارجها احرار فى نقد آرائه كما هو حر فى نقد احكامهم . و « الحرية العلمية » لا تتضمن حرية عدم النقد .

وكما هو الحال فى العلاقات الاجتماعية ، يتقبل الاستاذ العرف حين يصبح مقبولا ولازما عند افراد المجتمع . وتقع عليه بعض المسئوليات الادبية نحو زملائه وطلابه كالنزاهة والاخلاص فى العمل وعدم ممارسة اى نوع من اعمال النشاط السرى او الهدام ؛ كما تقع عليه مثلها نحو ابناء قومه الآخرين . فاذا دعى الى الاجابة عن معتقداته وجب عليه كمواطن ، والاكثر من ذلك كاستاذ ، ان يتكلم بصراحة تامة ؛ فاذا احجم عن الكلام اساء الى سمعة المهنة التى ينتمى اليها ، والتى تفاخر بما لها من حرية للكلام ، وما تتمتع به تلك الحرية من حماية كبرى فى مجتمعنا .

واختتمت اللجنة تقريرها بقولها : اننا نشجب الشيوعية الروسية كما نشجب كل شكل من اشكال الانظمة الكلية . ونحن نشارك الشعب الامريكى فيما يساوره من قلق لما تنطوى عليه الشيوعية من مؤامرة عالمية كبرى تستهدف القضاء على جميع المبادىء والمؤسسات التى نعتز بها .. والشيوعية كما نراها تقوم على الاقل على ثلاثة مبادىء يمقتها مجتمعنا الامريكى مقتا شديدا هى : (اولا) تهيأة الجو الملائم لقيام ثورة عالمية لبسط النفوذ الشيوعى على العالم (ثانيا) الركون الى المخادعة ونشر الاكاذيب من حيث هما وسيلتان من وسائل الاقناع (ثالثا) السيطرة على حرية الفكر ـ اى تلقين العقائد التى يتحتم على جميع اعضاء الحزب قبولها وتعليمها الى الآخرين . وفى ضوء ما تقدم لا يستطيع اى استاذ ان يوصل المعرفة على الوجه المطلوب او يتابع بحوثه ودراساته التى تقربه من الوصول الى الحقيقة . وحيث ان الانتساب الى عضوية الحزب الشيوعى يتطلب قبول هذه المبادىء والاساليب فان مجرد كون الاستاذ عضوا فى الحزب الشيوعى ينفى حقه فى اشغال اى منصب

جامعي • وينطبق الشيء نفسه على الاستاذ الذي يصبح « داعية » لحزب من الاحزاب السياسية •

ان « الحرية الاكاديمية » ليست درعا يحتمي وراءه اولئك الذين يخرجون على القانون • غير انه ما لم يرتكب الاستاذ خرقا صريحا للقانون فان الاجراءات الانضباطية بحقه ينبغي ان تتخذ من قبل الجامعة التي ينتمي اليها ، لا عن طريق اية سلطة سياسية • والجامعة بمقدورها ان تؤلف مجلسا قضائيا لدراسة القضايا التي يتعرض اليها اعضاء الهيئة التدريسية كافة ، وتقرير طبيعة ودرجة خرق الحرية العلمية ، وتعيين العقوبة المناسبة[٢٩] •

29 - Time (Magazine), Vol. LXI No. 14 April 6, 1953, P. 29

مصادر البحث الرئيسية الانكليزية

1. Annual Report of the Federal Security Agency, U. S. A. Office of Education, 1946
2. Briggs, T. H. Secondary Education, New York, 1937
3. Burton, W. H., Introduction to Education, New York, 1930
4. Colvin, S. S., Introduction to High School Teaching, New York, 1931.
5. Counts, G. S., American Road to Culture, John Day Company, New York, 1930.
6. Edmonson, J. B., and others, The Administration of the Modern Secondary School, Third Edition, New York, 1948.
7. Educational Policies Commission:
   (a) Education for All American Youth, N. E. A., Washington, 1944.
   (b) Functions of Education in American Democracy, N. E. A., Washington, 1937.
   (c) Social and Economic Goals of America, N. E. A., Washington, 1933.
   (d) The Unique Functions of Education in American Democracy, 1937
8. Hans, Nicholas, Comparative Education, London 1949
9. Irwan, Mary (Editor) American Council of Education, American Universities and Colleges, 1952.

10. Report of the Harvard Committee, General, Education in Free Society, Washington, 1945.

11. Rivlin, Harry N., (Editor) Encyclopedia of Modern Education, New York, 1943

12. Rugg, H, Readings in the Foundations of Education, Vol, I., New York, 1941

13. Summary Report of the U. S. Office of Education to the Tenth International Conference on Public Education, Geneva, 1947.

التعليم فى فرنسه

تمهيـــد

انقسمت فرنسة منذ القرن الثامن عشر الى جبهتين ثقافيتين متعارضتين: جبهة تبنت التقاليد الكاثوليكية الدينية وأخرى تبنت القوى الثورية الدنيوية ؛ واخذت كل جبهة تعزز مكانتها ، وتعمل على ترسيخ مثلها الثقافية العليا ؛ الاولى فى اوساط الفلاحين المحافظين والثانية فى اوساط العمال الساخطين . وقد تعاظم هذا الانقسام الثقافى فى القرن التاسع عشر من جـراء حـركة « تصنيع » البلاد ونمو طبقة البروليتاريات فى المدن الصناعية الكبرى مما ترك اعظم الاثر فى حياة المجتمع الفرنسى الفكرية . فظل اكثر سكان الارياف او الفلاحين مواطنين موالين الى التقاليد الكاثوليكية القديمة ومحافظين فى امور السياسة وشئون التعليم ، وبقى اكثر سكان المناطق الصناعية ومراكز التعدين يتمسكون بتقاليد الثورة الفرنسية الراديكالية اللادينية ، وانتسبوا فى القرن العشرين الى الاحزاب الاشتراكية اولا والى الاحزاب الشيوعية اخيرا . غير ان هذا الانقسام الثقافى لم ينس الافرنسيون طوال تاريخهم الحديث انهم قبل كل شىء « افرنسيون » ، وانهم حملة تراث ثقافى عظيم ، وانهم مهما اختلفوا وتنازعوا فان رابطة متينة واحدة تشد بعضهم الى بعض هى الرابطة القومية . وسواء اكانـوا من الجـزويت او الجينسيست(*) فى الماضى او

(*) احد اتباع كورنيليس جانس Jansen (١٥٨٥ ـ ١٦٣٨) رئيس اساقفة مدينة Ypres . وقد انتشر هذا المذهب فى فرنسه فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وبشر فى رياضة اخلاقية عنيفة ، وفى عقيدة

كاثوليك وشيوعيين فى الحاضر فان الطبقة الافرنسية المثقة تنهل جميعها من معين واحد : هو معين ديكارت وفولتير وكوندروسيه وترفل فى تقاليد الملكية والثورة الفرنسية والعهد النابليونى[1] .

وفى فرنسة نظامان للتعليم : نظام تديره الدولة ومستقل عن الكنيسة ، وآخر تديره الكنيسة ومستقل عن الدولة ، وكلاهما نظامان مركزيان يتشابهان فى تنظيمهما وادارتهما وطرائقهما ، وكلاهما يتنازعان السيادة على تربية النشء منذ أمد طويل . ولكن هذا النزاع الشديد لم يقف الا حينما شرعت الدولة بعض القوانين ، منها قانون ١٨٨٢ و١٩٠٤ . فأصبح نظام التعليم العام دنيويا ، وصار نظام التعليم الكاثوليكى مستقلا واختياريا . وقد بذلت الدولة محاولات كثيرة ، ظاهرة ومستترة ، فى تحطيم سيطرة الكنيسة على المدارس الخصوصية ، الا انها لم تستطع ان تحقق شيئا ملموسا حتى يومنا هذا ، وظلت المدارس الكاثوليكية ، سواء ما كان منها خاضعا لادارة بعض الافراد او الجماعات ، تخضع الى سيطرة الكنيسة خضوعا كبيرا . ومع ان الكنيسة لم تتقبل فكرة انقسام التعليم الى دينى ودنيوى ، واتهمت نظام التعليم بالفساد والالحاد الا انه تعذر عليها فرض سيطرتها على نظام التعليم كله . فقد صار نظام التعليم العام ، لاسيما الابتدائى ، نظاما حكوميا قويما راسخا ، يتمتع به اربعة اخماس التلاميذ الذين هم فى سن الدراسة الابتدائية ، واخذ عدد المدارس الثانوية الكاثوليكية يتقلص سنة بعد اخرى لاسيما بعد ان اصبح التعليم الثانوى فى مدارس الليسة Lyces والكوليج College مجانيا منذ سنة ١٩٣٦ .

التجرد وانكار الذات انكارا تاما ، وفقدان الارادة . وقد كانت هذه العقائد موضع استنكار البابوات والملوك والحكومات .

1 - Hans, N. Comparative Education, P., 290

ان سيطرة الدولة على نظام التعليم ، لاسيما فى الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين ، قد ضعفت قليلا اثر هزيمة فرنسة فى الحرب العالمية الثانية ، وازدادت سيطرة الكنيسة • وقد لعب المارشال بيتان دورا مهما قبل الحرب العالمية الثانية واثناء الحماية الالمانية فى العمل على تثبيت التقاليد الكاثوليكية فى نظام التعليم وانحاز منذ سنة ١٩٣٤ الى « الحزب الكاثوليكى » ، وانتقد نظام التعليم الدينوى (الحكومى) فى ذلك الوقت انتقادا مرا ، واظهر اسفه الشديد على انتشار العقائد الاشتراكية والشيوعية والفوضوية من جراء تصنع فرنسة • وطالب ان تعود فرنسة الى ثقافتها الزراعية والى تقاليدها وطرائق الحياة القديمة فيها • واقترح ان تتولى الكنيسة الكاثوليكية السيطرة على التعليم • ومن اجل هذا فقد ادخل الدين فى مناهج الدراسة الحكومية وجعله درسا الزاميا • وعين بعض رجال الدين لتدريسه ومنحهم الرواتب من خزينة الدولة واعطى المدارس الكاثوليكية المستقلة مساعدات مالية حكومية وبذلك عادت من جديد فكرة الانقسام الثقافى ، والتطاحن بين النظام الدينى والدنيوى ونجحت المدارس الكاثوليكية نجاحا ملموسا ولقد عد هذا التحيز من حكومة فيشى خرقا للدستور • وأثار معارضة شديدة من بعض الآباء والمدرسين • وقد اصبح التوغل الكاثوليكى فى نظام التعليم حقيقة واضحة مما استوجب ان تعيد الحكومة التى جاءت عقب اندحار المانية فى الحرب العالمية الثانية وانهيار نظام فيشى النظر فى مدى هذا التوغل • وبما ان حركة المقاومة كانت تتألف من جميع العناصر الوطنية ومن جملتها العناصر الكاثوليكية وان الحكومة التى تألفت كانت تضم العناصر الكاثوليكية والاشتراكية والشيوعية وان المصلحة الوطنية تتطلب استمرار الحكم الائتلافى فقد اعيد النظر فى تدريس الدين وفى مقدار المساعدات المالية •

وما زالت هذه الثنائية فى التعليم قائمة ، وما زالت تسبب متاعب ومشاكل

جمة الى القائمين على شئون التعليم • فبينما يطالب الاشتراكيون والشيوعيون بوجوب سيطرة الدولة على التعليم وحرمان الكنيسة من اية سيطرة على التعليم الطائفى نلاحظ ان الكاثوليك يريدون ان تؤلف المدارس الكاثوليكية قسما من نظام التعليم الحكومى • ويرون ان يقرر تدريس الدين فى المدارس ويعترف بحق الكنيسة فى الاشراف على هذه المدارس • ويبدو ان تحقيق هـذين المطلبين الاساسيين او حتى تحقيق احدهما امر متعذر فى الوقت الحاضر وان العودة الى الثنائية القديمة بوجود نظام تعليمى كاثوليكى دينى ونظام حكومى دنيوى لهى التسوية العملية الوحيدة الممكنة للحيلولة دون قيام نزاع خطير بين الجبهتين المتعاديتين •

المركزية فى التعليم :

وتضرب فرنسه ، كما يقول الاستاذ كاندل ، مثلا رائعا على سيطرة الدولة على التعليم وتخليد النظام المركزى • وقد نشأت هذه المركزية فى القرن السابع عشر وفى ايام لويس الرابع عشر بصورة جلية ، وواصلت نموها بالرغم من حدوث تبدلات وتطورات كثيرة فى تاريخ فرنسه • واذا كانت فكرة ان الدولة هى مصدر جميع الخيرات (أو etatisme) قد انتشرت فى عهود البوربون ، فان مبدأ « المركزية » قد ازدهر أيام الثورة الفرنسية ، والغيت جميع الادارات المحلية ، واعتبرت المركزية أحسن وسيلة لضمان حقوق الافراد • وتوسع نابليون فى تطبيق هذه المفاهيم ، وجعل الادارة مركزية ، واستمرت على هذه الصورة ، واصبحت حتى يومنا هذا احدى تقاليد الدولة الفرنسية الراسخة(٢) • ووجدت مبادىء نابليون طريقها الى نظام التعليم ، واستقرت فيه • ولا يبرر الفرنسيون تعلقهم « بالمركزية » على اسس « ثقافية » حسب ، بل يعتقدون انها اعظم درع تتقى به فرنسا هجمات اعدائها الداخليين

2 - Kandel, I. L., Comparative Education, P., 262

والخارجيين ، وانها أحسن وسيلة لتحقيق « التضامن الاجتماعى » . ويذكر الفرنسيون العالم ان حدودهم مكشوفة ، وان بلادهم كانت دوما مطمعا للغزاة والفاتحين . وقد اوجدت « الجمهورية الثالثة » مبدأ ان فرنسة « جبهة واحدة لا تتجزأ » ، وان بقاءها متحدة امام جميع القوى المعادية امر ضرورى ، وان سلامتها ينبغى ان تكون فوق جميع الاعتبارات الاخرى وان تقدم على كل شىء آخر ، وان كل عدوان يقع على سلطان الدولة يعد عملا ثوريا .وذهب الفرنسيون الى ا ن « المركزية » تضمن سلامة هذه الجبهة الواحدة ، وانها ينبغى ان تطبق فى نظام التعليم نفسه .

ويتمسك الفرنسيون « بالمركزية » فى نظام التعليم لانه يخشون عودة « الملكية » و « سلطان الكنيسة » ؛ وكلاهما يسيطران سيطرة كبيرة على عقول كثير منهم . غير ان العامل الاساسى فى تمسكهم « بالنظام المركزى » هو خوفهم من تكوين نظام طبقى بين السكان ، واعتقادهم ان المركزية تستطيع ان تؤلف نظاما اجتماعيا متوازنا ، وتمهد السبيل أمام الجميع لاظهار تفوقهم ومقدراتهم ولابراز ذكائهم . ويشعرون، من الناحية الايجابية، ان النظام المركزى يتطلب شروطا واحدة ومقاييس موحدة ، ويؤدى الى تكوين مثل عليا عامة وعواطف اجتماعية مشتركة فى حدود مراعاة اللهجات والحاجات والعادات المحلية . ويرون ان السيطرة البيروقراطية على ادارة التعليم تعد من الناحية الثانية مقياسا حسنا لضمان الكفاءة فى الادارة والتنظيم . ولكن هذه المقاييس الموحدة والتشابه فى النظم قد حالتا ، كما يقول الاستاذ كاندل ، دون اجراء اى تجارب تربوية مهمة فى فرنسة .

ثم ان الدولة الفرنسية لا تحسب نفسها حامية للعلوم والفنون والآداب، بل تهدف تزويد جميع الفرنسيين بتلك الثقافة الفرنسية التى تحددها

وتضعها الدولة نفسها . وهكذا تصبح الثقافة الفرنسية وسيلة من وسائل السيطرة على طغيان الروح الفردية . وتنطوى « الثقافة العامة » Culture generale التى يتوخاها الفرنسيون على العناية باللغة الفرنسية من حيث هى رابطة مشتركة واداة من ادوات التفكير . « فالافرنسى الصحيح من كان فى روحه وقلبه ، ومن رأسه الى اخمص قدميه ، يعرف اللغة الفرنسية ويتكلمها ويقرأها » . وتنطوى كذلك على معرفة تاريخ فرنسه وجغرافيتها ، وعلى دروس اخلاقية مقررة .

ومن العوامل الاخرى فى بقاء « المركزية » فى فرنسه هى العاصمة ـ باريس . فالافرنسيون جميعا يحسبونها دائما مركزا سياسيا وثقافيا واداريا اكثر من اية عاصمة أخرى . ويتأثر الرأى العام الفرنسى كثيرا بالاحداث التى تجرى فى باريس نفسها ، ويطمح كل شاب فرنسى وكل شابة فرنسية ان يستقر أو يقضى شطرا من حياته فيها ، كما يطمح الانكليزى ان يسكن فى لندن ، والامريكى فى نيويورك ، والمصرى القاهرة . واخيرا فان مرور مدة طويلة على نجاح تجربة الادارة المركزية فى فرنسه جعلت الفرنسيين يؤمنون « بالبيروقراطية » من حيث هى وسيلة صالحة لادارة شئونهم . واصبحت المركزية شكلا مقررا من اشكال الادارة فى فرنسه . ولكن هذه « المركزية » بالرغم من فوائدها لم ترق لكثير من رجال التربية والمعنيين بشئون التعليم . فقد اظهروا مساوىء النظام المركزى ، وطالبوا باجراء تبديلات أساسية تساير حاجات المناطق المختلفة ، وتكون على جانب عظيم من المرونة والتكيف .

اهداف التعليم

التعليم الابتدائى :

والتربية الافرنسية فى جوهرها واساليبها تربية قومية وتتجلى هذه التربية القومية فى المدارس الثانوية بصورة خاصة • وتقوم على تقديس فرنسة وتعزيز مكانتها الدولية وتحقيق رسالتها الاستعمارية الانسانية كما يدعون ، وعلى امتصاص تاريخها وآدابها بل« تقاليدها الافرنسية » و «روحيتها الافرنسية » ، وهى تربية تتعهدها الدولة بجميع مؤسساتها المتنوعة • وفى هذا يقول المؤرخ الامريكى الشهير كارلتون هيز C. THayes• فى كتابه « فرنسة : امة من الوطنيين »France: a Nation of Patriots ما يأتى:ـ

« والدولة الافرنسية التى تكاد تسير جنبا الى جنب مع القومية الافرنسية او تسايرها فعلا والتى تحتفظ بالتقاليد وتقوم بالوظائف التى اوضحناها اعظم قوة مركزية تصوغ النفسية القومية فى فرنسة وتنسقها • فساعدها المدنى ـ ويتكون من الموظفين والبيرقراطيين ـ يربط الدولة بالرعايا الافرنسيين ربطا تاما ومتعددا • ويتألف من مجموعة هائلة من الرجال الرسميين الذين يحسبون انفسهم امثلة فى الوطنية ورسلا لها ؛ وساعدها العسكرى ـ ويتكون من رجال الجيش والبحرية ـ يعد جميع الافرنسيين الى خدمة العلم للدفاع عن الوطن • وهو فى الوقت نفسه وسيلة وغاية لنشر العواطف الوطنية بين سكان فرنسة • وان جميع الجنود والبحارة ، وجميع الموظفين والبيروقراطيين بل رجال فرنسا ونساءها جمعاء ، الا قليل منهم ، قد دخلوا المدارس الافرنسية والتى هى ادوات نافذة المفعول وواسعة المدى فى تكوين هذه النفسية القومية الافرنسية الحقيقية » •

وكان اعز ما يطمح اليه الوطنيون الافرنسيون منذ الثورة الكبرى اعطاء

كل طفل فرنسي تعليما مقصودا والزاميا ومجانيا ووطنيا تحت توجيه الدولة وسيطرتها .

فالتعليم في فرنسه يستند الى اسس قومية ، وتمتد جذوره في مثل فرنسية عليا ، وينهل من معين فلسفة فرنسية ، ومن ثقافة فرنسية . ومن خصائصه العامة انه يحسب الطفل ، لاسيما في المدرسة الابتدائية ، رجلا صغيرا لا طفلا من الاطفال ، ويتطلب من عملية التدريس ان تعنى بتربية الطلاب على الاستدلال والمنطق لا على الفاعلية الحرة . وما زال اكثر المربين الفرنسيين يعتقدون بان نمو الطفل وتكوينه لا يتم الا اذا ألم بالمادة الماما تاما ، وبتنشئة عقله ، وان المادة ينبغي ان تكون مقدمة في الثقافة الفرنسية . وهكذا فان التعليم الابتدائي يتميز بخاصتين : العناية بالثقافة الفرنسية ، والاهتمام بتربية العقل . وتصبح وظيفة المدرسة الابتدائية تحقيق هاتين الناحيتين ؛ وتكون مهمة منهج الدراسة تعريف الطفل بالروح العظيمة التي تزخر بها العلوم الانسانية ، وبالمعارف والمعلومات التي يشترك فيها جميع المواطنين الفرنسيين . والاهتمام بالتربية العقلية التي هي أسمى وأهم صفة يتمتع بها الانسان . اما الثقافة فسينالها كلما انتقل من مرحلة نفسية الى أخرى ؛ وستكون العناية أولا بالاشياء المحسوسة ، وبتدريب الحواس ، ثم يحصل في المرحلة الثانية على اساس المعرفة العامة والمعلومات الضرورية ؛ وتزداد العناية في المرحلة الثالثة بالمجردات والتفكير الاستقرائي . فالمنهج قد وضع سلفا ، ونظم تنظيما يتناسب ودرجة نمو الطفل ونضجه ، ويتوسع بالاعادة والتكرار ؛ ويعنى بالحقائق أولا ، وبالافكار ثانيا ـ هذه الحقائق والافكار التي تستند الى مجموعة من المعارف والمعلومات التي انحدرت الى المجتمع وحسبها تراثه الصحيح . ولا تستند طريقة التعليم ، كما يقول كاندل ، الى فاعليات الأطفال المتصلة بأولاعهم والمشتقة من محيطهم ، بل الى ضرورة قيامهم بالحصول على المعلومات والمعارف قبل ان يعبروا

عن انفسهم تعبيرا ابداعيا • وهكذا نجد ان الفاعليات والمشاريع والمشاكل التى تحتل الصدارة فى فلسفة التربية الحديثة لم تلق قبولا كبيرا عند معظم المربين الفرنسيين • فعلى الطفل ان يفهم جميع ما يتعلمه من المدرسة ؛ وان ما يتعلمه يتقرر بنوع الفرد الذى يسعى الى تحقيقه المجتمع من حيث هو مواطن ورجل ؛ اذ ان « المدنية التى ينبغى ان تنقلها التربية شىء يختلف عن طبيعة الفرد ، ولا يمكن بلوغها بالانسياق وراء طبيعة الفرد نفسه » ـ وبعبارة اخرى الانسياق وراء اولاع الاطفال ونوازعهم كما يقول فيلكس بيكو Pecaut الذى يرى ان هدف فلسفة التربية هو تنمية « شخصية » الطفل ؛ ولكنه يختلف عن غيره فى تحديد مفهوم الشخصية حيث يقول :

« يميز الفلاسفة الافرنسيون ، كما هو معروف ، بين الفردية والشخصية • فالفرد لا يصبح كذلك الا لانه يختلف عن غيره من الافراد ؛ وهو لا يصبح شخصا الا لانه يمثل الشعور المشترك بالحقائق ، والارادة على ان ينجز واجباته التى يشترك فيها جميع الناس • وينبغى على الفرد ان يتطور فيصبح شخصا ـ وبعبارة اخرى ينبغى ان يحرر نفسه من سلطان الفردية • وتلك هى مهمة التربية وواجبات الاشخاص »[٣].

يتضح من هذا ان التعليم الابتدائى يخضع لارادة الدولة ، وارادة اعضاء المجتمع البالغين ؛ وهو الذى يمثل ثقافتهم وتقاليدهم ، ويعبر عن آمالهم وامانيهم • وحيث ان الدولة الفرنسية قد وطدت عزمها ، منذ تأسيس الجمهورية الثالثة ، لاسباب تتصل بتاريخها الخاص لا بموقفها العدائى من الدين ، ان تفصل كما يقول كاندل بين الدولة والكنيسة ، فقد تطورت المدرسة الافرنسية وصارت مؤسسة دنيوية • وحيث انها قررت ان تكون محايدة فى شئون الدين فقد تأسست مدارسها على قواعد مقبولة من جميع المواطنين • ولكنها مع ذلك لم تتخل عن مسئولية تربية الطلاب تربية روحية•

---

3 - Kandel, I. L., Comp arative Education, P., 399

التعليم الثانوى :

يستهدف التعليم الثانوى فى فرنسه ، كما يقول الاستاذ هانز Hans فى كتابه « التعليم المقارن » الذى ورد ذكره فى هذا الكتاب ايصال « الثقافة العامة الى الطلاب ، وتقويمهم على هذه التقاليد الفرنسية التى جعلت المفكرين الافرنسيين يختلفون عن غيرهم من مفكرى العالم ، وتدريبهم على التفكير المنطقى السليم ، واعداد « الصفوة المثقفة المختارة » التى هى مثل التعليم الاعلى فى فرنسه • وقد واصلت الدراسة الثانوية عملها فى تحقيق هذا المثل الاعلى مما جعل نسبة النجاح فى امتحان البكالوريا العام تصل الى ٠٣٠/٠ • اما الباقى من الطلاب الذين لفظتهم المدارس الثانوية فيحسبهم الفرنسيون « نفايات » declasses ، فلا هم يستطيعون ان يلحقوا بركب « الصفوة المختارة » ، ولا هم يصلحون للمهن التجارية والصناعية • وحيث ان « عملية الانتقاء النفسى » تواصل عملها بعد الدراسة الثانوية فى الجامعات والمعاهد العالية الاخرى فقد ظهرت أقلية صغيرة من الناجحين والناجحات ومجموعة كبيرة من النفايات • ويعتقد اكثر المربين الفرنسيين ان التعليم الثانوى معين لا يستطيع ان ينهل منه الا اصحاب المواهب والقابليات ، وانه امتياز للصفوة المختارة من الطلاب والطالبات لا حق يتمتع به الاذكياء والاسوياء على حد سواء • وقد نجم من ذلك ان انحصرت الدراسة الثانوية ، فى الاعم الاغلب ، فى طبقة خاصة ، وتعذر على كثير من ابناء الطبقة الوسطى والتى دونها ان تتمتع بالتعليم الثانوى الذى يجرى اكثره فى الليسة والكوليج • وبفضل المساعدات التى بدأت تقدمها السلطات الحكومية ، وبالغاء أجور الدراسة الثانوية ، وبزيادة الوعى الاجتماعى تحطمت كثير من الحواجز التى كانت تحول دون التحاق ابناء الشعب بالمدارس الثانوية ، وارتقى كثير منهم الى سلم القيادة والتوجيه فى المجتمع الفرنسى • كل ذلك بفضل الاصلاحات التربوية التى حدثت قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها •

الاصلاحات التربوية الحديثة :

اظهرت الدراسات التربوية والنفسية التى قام بها بعض المربين فى فرنسة طوال السنوات التى سبقت الحرب العالمية الثانية والتى اعقبتها ان نظام التعليم يحتاج الى اصلاح جذرى كى يساير التطورات الصناعية والاجتماعية التى حدثت فى فرنسه ، لاسيما فى ميدان التعليم الصناعى والتجارى • فقد تعذر على النظام القديم ان يستجيب الى الحاجات المستجدة • فكان من بين الاصلاحات التى تمت الحاق الطلاب الذين بلغوا أو أتموا الثانية عشرة من العمر واجتازوا امتحان الدراسة الابتدائية العام فى « صفوف توجيهية » او مدارس توجيهية ذات فروع مختلفة • فقد انقسمت مناهجها الى ثلاثة فروع يضمها قدر اساسى مشترك Common Core • فاحتوى الفرع الاول ، من بين ما احتوى ، اللغة اللاتينية وابعد اللغات الحية ، واحتوى الفرع الثانى لغة حية ؛ وانصرف الفرع الثالث الى الاهتمام بالدروس العملية والفنية • ويدخل الطالب الى الفرع الذى يساير ميوله وحاجاته بعد استشارة ولى أمره • ويجوز نقله الى فرع آخر اذا عجز عن تكييف ميوله وقابلياته الى الفرع الذى اختاره اولا •

ولقد كانت نتائج هذه التجربة عظيمة • غير ان اندلاع الحرب العالمية الثانية حال دون استمرار العمل بها • ولما انهارت المانية واصل اصحاب هذه الخطة عملهم فى فرنسة والجزائر ، وتشكلت لجنة تربوية برئاسة الاستاذ بول لانجفان Langevin وبنيابة كل من هنرى بيرون Pieron وهنرى فالون Vallon الذى يعدون من اشهر اساتذة « الكوليج دى فرانس »(*) • وتشكل معهد للدراسات العلمية فى وزارة التربية الوطنية ، واعيد تنظيم المجلس الاعلى للتربية الوطنية(**) ، فضم ممثلين عن نقابات المعلمين

(*) يعد الاستاذ بول لانجفان من اشهر المعنيين بالدراسات الانسانية • اما بيرون وفالون فهما من اشهر علماء النفس البارزين فى فرنسه •

(**) Conseil Superieur de L, Instruction Publique

المختلفة ، والهيئات التعليمية الاخرى .

ان اللجنة التربوية التى بدأت عملها سنة ١٩٤٤ وقدمت تقريرها سنة ١٩٤٧ الى وزارة التربية الوطنية تناولت اصلاح التعليم اصلاحا اساسيا ، واحدثت تبدلا فى التقاليد التربوية الفرنسية التي تستند الى التدريب العقلى والثقافة العامة . وقد أدرك اعضاء اللجنة خطر « الشكلية والبيغائية » على التعليم ، وخطر الانقسام الاجتماعى المتأتى من وجود النزعة الثنائية فيه ، فأوصوا بتحقيق ناحيتين مهمتين : (١) ابدال طرائق التعليم القديمة بطرائق جديدة تستند الى مذهب الفعالية ، واعتبار الطفل شخصية فذة نامية و(٢)ادخال الاعمال اليدوية والدروس الفنية فى منهج الدراسة الثانوية الحديثة لتكون على قدم المساواة مع الدروس الاكاديمية النظرية فى المناهج القديمة القائمة على اللغات الكلاسيكية. وأقر الاصلاح كذلك مبدأين اساسيين هما : (١) العدل الاجتماعى ، حيث يستطيع كل طفل ان يتلقى ذلك النوع من التعليم الذى يلائم قدراته وقابلياته ، ويصبح التعليم اكثر ديمقراطية من قبل و (٢)توسيع الثقافة العامة ، حيث يعتقد لانجفان ان توسيع آفاق الثقافة العامة يقارب بين المواطنين ويزيد فى تضامنهم وانسجامهم ؛ وحيث يعتقد فالون ان تطورالصناعة يتطلب من الافراد ان يكونوا عمالا ماهرين ومواطنين مثقفين . ومما قاله فالون :

« ان الوضع العام لنظام التعليم الفرنسى بحالته الراهنة ليس ديمقراطيا. فلقد نشأ فى فرنسة خلال تاريخها الطويل نظامان منفصلان للتعليم : احدهما قصد به تربية الطبقة البورجوازية والثانى قصد به تربية الطبقات الشعبية . هذان النظامان يجب الا تحول دون ادماجهما صعوبة ما . ومع هذا فان ادماجهما هو مشكلة المشاكل فضلا عن انه يثير تعصب الخاصة . ذلك ان لسلطة البورجوازية ونفوذها جذورا قديمة فى فرنسة . فقد استخدم الملوك هذه الطبقة فى القضاء على الاشراف قبل ان تصبح هى ذاتها معولا لهدم

الملوك • والتعليم الثانوى فى الاصل تعليم بورجوازى قد نظم ليفى بحاجات البورجوازيين كما ان الثقافة التى نشرها هذا التعليم والتى كان ولا يزال يسعى فى تثبيت وتوطيد اقدامها ، قد نشأت عن تلك الفترة التى ارادت فيها البورجوازية ان تحرر نفسها عقليا من ضغط العصور الوسطى فارتدت الى الدراسات الكلاسيكية • وظلت الثقافة الكلاسيكية مفخرة هذه الطبقة حتى عندما اضمحلت هذه الثقافة • ولقد بذلت البورجوازية كل مجهود فى سبيل الاحتفاظ بالدراسات الكلاسيكية باعتبارها المؤهل الوحيد للوظائف الادارية بحجة ان هذه هى الدراسات الوحيدة التى تستحق ان تسمى ثقافة • وعندما كانت الدراسات التى يطلق عليها اسم الدراسات الحديثة تحاول ان تجد لها مكانا فى التعليم الثانوى كان الآباء والمعلمون ينظرون اليها باعتبارها مواد غير مرغوب فيها • مواد لا تناسب الا الطلبة الذين ليس لهم حظ وافر من الذكاء او الطموح • وكانت النتيجة الطبيعية لهذا التمسك بالثقافة الكلاسيكية ان ظلت طرق التدريس تعتمد على الالفاظ والكتاب • ولم تراع فيها ميول الاطفال وتجاربهم الخاصة الا بأقل قدر ممكن(٤) وحينما اصبح تعميم التعليم العام ضرورة من ضرورات الحياة الديمقراطية الجديدة وحاجة من حاجات النهضة الصناعية لم تفتح المدارس الثانوية البورازية كما يقول الاستاذ فالون ابوابها الى ابناء الشعب بل اوصدت الابواب فى وجوههم • فظهرت الحاجة الى انواع اخرى من المدارس ذات صبغة عملية، وذات اهداف مغايرة لاهداف المدارس الثانوية • فنشأت مدارس ابتدائية عالية ومدارس متوسطة الى جانب المدارس الثانوية التقليدية دون ان يكون بينهما « اتصال » ، واصبح فى فرنسة نظامان للتعليم : نظام يعد اطفال الطبقة البورجوازية للمهن والوظائف

---

(٤) صحيفة التربية الحديثة صفحة ٣٠ العدد الاول السنة الاولى ١٩٤٨ القاهرة • وهو مقال عن « اصلاح التعليم فى فرنسة » بقلم هنرى فالون •

المرموقة فى المجتمع ، ونظام يعد اطفال الطبقة الفقيرة الى المهن التى تعد « اقل احتراما » من الوظائف الاخرى .

وتعد هذه الاصلاحات التربوية التى اقترحتها « اللجنة الوزارية لدراسة اصلاح التعليم » الابتدائى والثانوى والعالى فى تقريرها المرفوع الى وزارة التربية الوطنية ثورة فى نظام التعليم الفرنسى . وترى اللجنة ان الاصلاح الجديد ينبغى ان يساير ظروف الاقاليم مسايرة تامة وان يسد حاجاتها المحلية حتى تنهض به ، وان يصبح نظام التعليم مجانيا على اختلاف درجاته ، وان يسهل عملية الانتقال والتنقل من مدرسة الى اخرى ومن اقليم الى اقليم .

وتقترح اللجنة ما يأتى :-

أ - ان يكون التعليم الزاميا من السادسة الى الثامنة عشرة من العمر ، وان يطلق على هذه المرحلة اسم « الدراسة الدنيا » ؛ وتتألف من ثلاث دورات :-

١ - الدورة الاولى (الابتدائية) Elementaire من ٦-١١ سنة .

٢ - الدورة الثانية (التوجيهية) de, Orientation من ١١-١٥ سنة .

٣ - الدورة الثالثة (التخصص de, determination) من ١٦-١٨ سنة . وتتألف هذه الدورة من ثلاثة فروع متوازية : فرع عملى Pratique ومهنى Professionalle ونظرى Theorique . والفرع النظرى يتفرع فى الوقت نفسه الى قسم الادب القديم (الكلاسيك) والفرع النظرى ينشطر فى الوقت نفسه الى قسم الادب القديم (الكلاسيك) والادب الحديث ، والى دراسة علمية نظرية - وعلمية تطبيقية مع مجموعة من الدروس الاختيارية - من صناعية وتجارية وزراعية وفنية الخ ..

ب - تعليم عال Superieur وهو مرحلة « الدراسة العليا » ، وتكون بعد

الثامنة عشرة من العمر وتتكون من ثلاث دورات :ـ

١ ـ الدورة الاولى : هى دراسات تحضيرية فى مدارس فنية او دور المعلمين قوامها الادب والعلوم والطب والفنون .

٢ ـ الدورة الثانية : وهى دورة شهادة الليسانس فى المعاهد العالية وقوامها دراسات اختصاصية فى الفن والادب او العلم والتربية او الطب او القانون .

٣ ـ الدورة الثالثة ـ وهى دورة المعاهد العليا فى الاختصاص العالى . ويتفرغ الطالب فيها للبحث وللحصول على شهادة الاكريكاسيون.

وتدعو اللجنة الى اتخاذ تدابير تمهيدية لتطبيق الخطة الجديدة ، كتأليف لجان اقليمية لاعادة النظر فى توزيع المدارس ، واخرى لوضع مناهج دراسية شاملة ، واقتراح خطة لتوسيع المدارس، وزيادةعددها وتخفيف وطأة المركزية عنها ، وتأسيس مدارس فى مراكز المدن للدورة الاولى والثانية (من قسم آ) بالاضافة الى مدارس القرى والمديريات والاقاليم . واقترحت ايضا اتخاذ جملة من الاجراءات لاعداد المعلمين ، ووضعت سلسلة من التوصيات بشأن مناهج الدراسة ونظام الدرجات والعقوبات والامتحانات والمسابقات .

انواع المدارس

تتصف ادارة التعليم فى فرنسه بناحيتين : سيطرة السلطات الحكومية على شئونه وفق المبادىء التى جاء بها نابليون سنة ١٨٠٨ ، وقيام مراحل دراسية متنوعة من ابتدائية ومهنية وفنية وثانوية جنبا الى جنب ، تدير كل قسم منها دائرة خاصة فى وزارة المعارف او فى وزارات اخرى دون ان يكون بين هذه الاقسام تناسق او اتصال وثيق . غير ان الحرب العالمية الاولى والثانية قد احدثتا حركات تربوية مهمة للحد من سيطرة المركزية من جهة ، وتكوين مدرسة موحدة ecole unique من الجهة الثانية .

واذا كانت تقاليد المدرسة الثانوية تعود الى ايام نابليون فان التعليم الابتدائى والمهنى قد قام على سواعد « الجمهورية الثالثة » ، وتأسس نظام التعليم الابتدائى والابتدائى العالى بموجب قانون غيزو لسنة ١٨٣٣ Guizot ولكنه اصيب بتدهور عظيم فى القرن التاسع عشر . اما التعليم الابتدائى المجانى الدنيوى فقد نشأ فى عهد الجمهورية الثالثة سنة ١٨٨٨ ، واصبح مجانيا والزاميا بعد سنة من تاريخه . وفى سنة ١٨٨٠ أقيمت اسس التعليم المهنى بافتتاح مدارس تجارية عملية(*) ، واعيد النظر فى تنظيم مدارس الرضاعة ودور المعلمين والمعلمات الابتدائية . وفى سنة ١٨٨٦ اجريت اصلاحات جديدة فى نظام التعليم الابتدائى ظلت باقية حتى يومنا هذا .

ان الاصلاحات التى دعت اليها اللجنة التربوية الآنفة الذكر تتصل بنظام التعليم القديم الذى يتألف من نوعين من المدارس ، او يتكون من صورتين من صور الحياة الاجتماعية لطبقتين من السكان مختلفتين : طبقة الفقراء وطبقة الاغنياء . فقد كان ابناء اصحاب المهن الزراعية والصناعية ، بما فى ذلك ابناء العمال وكتبة المتاجر يتلقون دراساتهم فى المدارس الحكومية المجانية التى تتكون من : رياض الاطفال ، والمدارس الابتدائية ، والمدارس الابتدائية العالية ، والمدارس المتوسطة(**) والصفوف التكميلية . واذا تخرجوا منها انتقل اكثرهم الى الحياة العامة ، ومارسوا الزراعة والتجارة والصناعة والتعليم ، واتخذوها مهنة لهم ؛ بينما ينتقل ابناء الطبقات الموسرة بعد تخرجهم من المدارس الابتدائية الخاصة والمدارس الثانوية الى المعاهد العالية فيضمنون لانفسهم مستقبلا أحسن ، ويتمتعون بمنزلة اجتماعية أرقى . وهكذا يشطر نظام التعليم فى فرنسه الى شطرين ، كل شطر يحتضن ، فى الاعم الاغلب ، طبقة خاصة ، ويصبح الانتقال من النظام الأول الى الثانى صعبا ،

(*) ecoles manuelles d, Apprentissage

(**) ecole maternelle, Primaire, Superieure, cour complementaire

لاختلاف المناهج والانظمة .

ويبدأ التعليم الابتدائى الالزامى المجانى فى السادسة من العمر ، وينتهى اليوم بالرابعة عشرة منه ، وتنقسم الدراسة الابتدائية الى مرحلتين : المرحلة الاولية (او الابتدائية) وتنتهى فى الحادية عشرة من العمر ، ومرحلة الدراسة الابتدائية العالية (او المتوسطة) ، وتنهى فى الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من العمر . وينظر بعض المربين الى هذه المرحلة من حيث هى مرحلة ثانوية لا ابتدائية . وهكذا نجد ان نظام التعليم العام يتألف من المراحل الآتية :

١ ـ الدراسة القبمدرسية ، وتتكون من دور الحضانة ورياض الاطفال .

٢ ـ الدراسة الابتدائية .

٣ ـ الدراسة المتوسطة او الابتدائية العالية .

٤ ـ الدراسة الفنية والمهنية ، وتتكون من مدارس للتجارة والصناعة والزراعة .

٥ ـ الدراسة الثانوية : وتتكون من مدارس الليسه والكوليج .

٦ ـ الدراسة العالية : وتتكون من الجامعات والمعاهد الفنية العالية .

١ ـ رياض الاطفال :

انبثقت رياض الاطفال تاريخيا من المؤسسات التربوية القبمدرسية المعروفة بـsalles d, asile . ان هذه المؤسسات التى نشأت حوالى سنة ١٨٣٠ ، والتى ازداد عددها عقب المساعدات المالية التى اخذت تمنحها الحكومة اطلق عليها قانون سنة ١٨٨١ اسما جديدا ، وصارت تعرف منذ ذلك الحين برياض الاطفال ecoles maternelle ، وصارت تؤلف مرحلة من مراحل الدراسة العامة . ولم تكن عامة ولا مجانية كالمدارس الابتدائية ، بل خاصة بالسلطات البلدية ، تؤسسها متى ما شعرت بالحاجة اليها مستقلة عن المدارس الابتدائية أم ملحقة بها وعلى الحكومة ان تقدم مساعدات مالية بعد تأسيسها . وقد اصبحت بمرور الزمن مؤسسات مستقلة ، لها طابعها الخاص ، وبنايتها

الخاصة • ويلتحق بها عادة الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين السنتين والست سنوات ؛ ولا يتجاوز عدد الاطفال فى كل روضة عادة عن ١٥٠ طفلا ، ولا يضم الصف الواحد اكثر من ٢٥ طفلا • ويجرى تصنيفهم الى طائفتين استنادا الى ناتج ذكائهم واعمارهم الزمنية • ويقدر عدد الاطفال فى رياض الاطفال العامة بـ ٣٢٢٫٧٩٢ طفلا ، وفى رياض الاطفال الاهلية ١٠٫٨٠٨ طفلا حسب احصائية سنة ١٩٤٧ – سنة ١٩٤٨ • اما عدد مدارس رياض الاطفال العامة فقد كان ٣٫٥٧٢ مدرسة •

وقد ازدادت عناية رياض الاطفال بالفاعليات التلقائية الحرة ، وباللعب ، وبتدريب الاطفال على الملاحظة والتفكير ، وقلت فى الدروس الشكلية ، وتأثرت بآراء منتسورى وفروبل • واهتمت خطة الاصلاح الجديدة بها اهتماما كبيرا ، وأوصت بتعميمها فى جميع انحاء البلاد وبجعلها مجانية ، واقترحت زيادة سن الاطفال فيها الى السابعة لتكون حلقة من حلقات التعليم الالزامى • وتبلغ نسبة الاطفال الذين يلتحقون بهذه المدارس حوالى ٠٦٠/٠ من مجموع الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين الثالثة والسادسة • وتشتهر رياض الاطفال فى حداثة أساليبها ، ويرى كثير من المربين ان الطرائق التربوية المتبعة فيها ، واجهزتها وادواتها تضاهى أحسن ما فى الاقطار الاوروبية والامريكية منها •

لقد كان من جراء ازدياد استخدام النساء فى الصناعة ان تأسست دور للحضانة Creches للاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين الاولى والثالثة من العمر ؛ واخذ عددها يزداد سنة بعد اخرى •

٢ – الدراسة الابتدائية :

يرجع تاريخ التعليم الابتدائى الى سنة ١٨٣٣ ، حيث تطلب قانون غيزو Loi Guizot ان تؤسس فى كل ناحية مدرسة ابتدائية عامة • الا ان الروح الرجعية التى امتاز بها قانون سنة ١٨٥٠ المعروف بقانون فالو Loi Falloux

والذى اطلق يد السلطات الدينية فى شئون المدارس ، وسبب انحطاطا فى مستوى التعليم وفى مستوى اعداد المعلمين أعاق حركة انتشار التعليم الابتدائى ، وترك المواطنين فى جهالة كبيرة ظهرت آثارها فى سنة ١٨٦٥ حينما تعذر على ٠٢٦/٠ من الرجال و٠٤٤/٠ من النساء ان يكتبوا اسماءهم فى سجلات الزواج ! وقد أراد فكتور ديرو Duruy ان ينهض بالتعليم الابتدائى ويجعله الزاميا ومجانيا ، ولكنه لم يستطع ان يحقق ذلك فى قانونه الذى شرعه البرلمان ؛ بل خول القانون السلطات المحلية ان تفرض الضرائب لسد نفقات التعليم ؛ وأبعد سلطان الكنيسة عن شئون المدارس ، وحدد الشروط التى ينبغى ان تتوافر فى المعلمين ، وأدخل مبدأ منح الطلاب المعوزين مساعدات مالية تساعدهم على مواصلة دراساتهم .

وباندحار فرنسة سنة ١٨٧٠ امام الجيوش البروسية أدرك الفرنسيون أهمية التعليم فى تفجير الروح الوطنية ، وفى تكوين جبهة وطنية متماسكة ، وأولوه عنايتهم الشديدة ؛ فصدر فى السادس عشر من شهر حزيران قانون سنة ١٨٨١ الذى جعل التعليم الابتدائى مجانيا . واوجب قانون سنة ١٨٨٢ الصادر فى ٢٨ آذار ان يكون الحضور الزاميا للاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين السادسة والثالثة عشرة من العمر . وصدرت بعد هذا التاريخ قوانين اخرى تضمنت المبادىء المقررة الآنفة الذكر ، واكدت على أهمية التعليم الابتدائى فى التضامن الاجتماعى . وتلعب اللغة الفرنسية دورا مهما فى حياة الطلاب ، لا بوصفها واسطة لنقل الادب الفرنسى الرفيع ، بل من حيث هى وسيلة من وسائل تشذيب وتلطيف اللهجات المحلية ، وضمان الوحدة الوطنية . كما تتخذ دروس التاريخ والجغرافية اهمية خاصة فى دراسة حاضر الامة الفرنسية وغابرها ، وعلاقتها بالامم الاخرى ، وفى غرس الروح الوطنية فى نفوس الطلاب ورعايتها .

ويلتحق اكثر التلاميذ الذين يتمون دراساتهم الابتدائية فى مدارس ابتدائية عالية ، أو بعبارة أخرى فى مدارس متوسطة ، مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات • ويواصل عدد منهم تعليمهم فى صفوف تكميلية تتراوح مدة الدراسة فيها من سنة الى سنتين ، وفى دور المعلمين والمعلمات • ولا تقوم السلطات المحلية بتأسيس الصفوف التكميلية التى تتراوح مدة الدراسة فيها بين سنة الى سنتين الا اذا تعذر عليها تأسيس مدارس ابتدائية عالية •

واستهدفت المدرسة الابتدائية القديمة تحقيق شيئين مختلفين تمام الاختلاف • فمن ناحية نجد انها كانت المؤسسة الشعبية الوحيدة التى تعد اكثرية الناس الى المواطنة وتقدم اليهم حدا ادنى من التعليم العام والتدريب على الحياة المدنية ليحصلوا على تربية شاملة فى نهاية الرابعة عشرة من اعمارهم • ومن الناحية الثانية وعلى اثر الاصلاحات التى تمت فى غضون الحرب العالمية الثانية نجد انها استهدفت اعداد الطلاب الى الدراسة الثانوية• الا ان عددا قليلا من الطلاب استطاعوا ان يتخرجوا منها ويدخلوا المدارس الثانوية • فقد كان مفروضا على المدرسة الابتدائية ان تهيء الاقلية فى الثانية عشرة من العمر لاجتياز امتحان الدراسة الابتدائية ؛ وفى الوقت نفسه كان مطلوبا منها ان تعد الاكثرية لمواصلة دراساتها فى الصفوف الابتدائية العليا لمدة سنتين • ولقد كان من الصعب جمع هذين الهدفين فى منهج دراسى واحد، وفى مدرسة واحدة ، مما ادى الى تباين فى المنهج وضعف فى طرق التدريس • ولقد قضت الخطة الاصلاحية الجديدة على هذه الثنائية فى الاهداف وجعلت المدرسة الابتدائية مرحلة تعليمية عامة يتلقى فيها الاطفال عناصر المعرفة الاساسية • وسينتقل جميع الاطفال بعد الحادية عشرة من العمر الى المرحلة الاولى من مراحل الدورة التوجيهية Orientation وهى مرحلة «الملاحظة» Observation (من ١١ - ١٣) •

لقد بلغ عدد التلاميذ فى المدارس الابتدائية العامة سنة ١٩٤٨ - ١٩٤٩ حوالى ٣ر٧٦٧ر٤٠١ تلميذا ، وفى المدارس الاهلية حوالى مليون طفل ،وعدد المدارس العامة(١٩٤٦ - ١٩٤٧)٧٣ر٣٦٩ مدرسة عامة يدرس فيها ١٥٤ر٦٧١ معلما ومعلمة • اما المدارس الاهلية فقد صار عددها ١١ر٣٣٧ مدرسة •

٣ - الدراسة المتوسطة :

كانت المدارس الابتدائية العالية ، التى مر ذكرها ، والصفوف التكميلية تؤلف فى الحقيقة نوعا من الدراسة المتوسطة وتشغل اكثرها قسما من بناية الكوليج الثانوية ؛ وقد أوصت اللجنة الوزارية فى خطتها الاصلاحية الغاء هاتين الدراستين واستبدالهما بدراسة متوسطة •

وكانت هذه المدارس السلم الوحيد الذى يرقى عليه أبناء الطبقة العامة الذين تحول ظروفهم المادية دون دخولهم المدارس الثانوية المعروفة ؛ وكانت دور المعلمين المدارس الوحيدة التى يستطيعون الالتحاق بها ويواصلون دراساتهم فيها •

حركة المدرسة الموحدة : وقد حمل كثير من مربى فرنسه بعد الحرب العالمية الاولى حملة شعواء على نظام التعليم الثنائى لاسيما بعد ان اسس جماعة من المربين جمعية(*) اخذت تطالب بضرورة قيام التعليم العام بتطمين حاجات الامة من حيث هى وحدة متماسكة ، وبالقضاء على التمايز الطبقى ، وبتهيأة فرص تربوية متساوية لجميع الشبان والشابات ، وبتفجير ذكاء الطلاب وتنمية قابلياتهم(٥) • وقد احدثت حركة هذه الجمعية ضجة كبيرة فى الاوساط الثقافية المختلفة واهتماما كبيرا فى البرلمان والصحافة ، وذهب اعداؤها الى ان دعاتها يريدون تأسيس نظام تعليمى موحد يخضع الى

---

* Les Compagnons de L' Universite Nouvelle

5- Kandel, I.L, Comparative Education, P., 132

سيطرة الدولة خضوعا كليا ، ويجرد الآباء والامهات من حرية تربية أبنائهم وبناتهم فى المدارس التى يرتضونها • وقد لخص أناتول فرانس اهداف الحركة فكتب :

« سيكون تعليم الطلاب واحدا ، يتساوى فيه الاغنياء والفقراء ؛ وسيلتحق جميعهم بالمدرسة الابتدائية • فمن كانت قابلياتهم عظيمة واصلوا تعليمهم فى مدارس ثانوية مجانية ، وستضم هذه المدارس صفوة مختارة من الشباب البورجوازى والبروليتارى • وستواصل نخبة اخرى منهم دراساتها فى المعاهد العالية للعلوم والفنون » •

وكان من جراء هذه الرغبة المتزايدة عند المربين لتحطيم ثنائية التعليم ان عين المسيو فرنسوا البير وزير التربية الوطنية فى وزارة المسيو هريو سنة ١٩٢٤ لجنة لدراسة المشكلة • وقد أوصت هذه اللجنة بضرورة اعادة تنظيم نظام التعليم العام وفق الاسس الآتية :

اولا ـ ان يتمتع جميع الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين السادسة والثانية عشرة بدراسة ابتدائية عامة •

ثانيا ـ ان تكون مدة الدراسة المتوسطة اربع سنوات للطلاب الذين تتراوح اعمارهم بين الثانية عشرة والسادسة عشرة من العمر •

ثالثا ـ ان تمتد الدراسة الثانوية بين السادسة عشرة والتاسعة عشرة من العمر •

رابعا ـ ان تبتدأ الدراسات العليا فى الجامعات والمعاهد والمؤسسات الفنية الاخرى بانتهاء مدة الدراسة الثانوية •

وقد اخذ نظام التعليم بعد وضع هذه الدراسة يكيف نفسه الى الاسس والاتجاهات المقترحة • وفى سنة ١٩٢٥ تأسست المدرسة الموحدة التى استهدفت تحطيم الفوارق الموجودة فى نظام التعليم العام ، فالغيت جميع الفوارق التى باعدت بين المدارس التحضيرية والمدارس الابتدائية فى شئون

المناهج والشهادات واعداد المعلمين .

ان اصلاح التعليم بتوسيع الفرص التربوية وتنويعها وفق قابليات التلاميذ استند الى اسس ديمقراطية ، وان مواصلة الدراسة فى مختلف مراحل التعليم جعل التعليم انتقائيا ، ولكنه قد يسير فى اتجاهات تنويعية . ويتفق دعاة الاصلاح على ان توسيع الفرص التربوية وتنويعها ينبغى الا يؤديا الى انحطاط فى مستويات التعليم . كما ينبغى « ان تصان الخصائص التقليدية للثقافة الفرنسية وتزدهر ، وان يخامر فرنسه شعور بانها لنفسها بهذا مدينة ، ومدينة الى القيادة الثقافية التى تمتعت بها منذ مدة فى العالم . وينبغى ان تربى الصفوة المثقفة لتكون سدنة الثقافة العامة ، وان تتبع فى تربيتها اساليب منوعة ـ كلاسيكية وحديثة وعلمية وانسانية فنية . وبعبارة اخرى ينبغى ان تنال ذلك النوع من التعليم الذى يبعث فى الفرد شعورا بالمشاكل الحقيقية التى تواجه الانسان من حيث هو انسان ، والمواطن من حيث هو مواطن ، والتى تبعث فيه أولاعا عقلية تتناول مختلف نواحى الحياة ، والتى تدفع به وراء الحقائق ، ووراء الآراء لتكون عنده نظرة شاملة وشعور رفيع بضروب مختلفة من المعانى ، وبرأى ثاقب قادر دائما على أن يدرك معانى الحياة وصورها المختلفات »[٦] .

اما الخطة الاصلاحية الجديدة لسنة ١٩٤٧ فتسعى الى تنظيم الدراسة الابتدائية العالية فى مرحلة تعليمية مستقلة اشبه ما تكون من حيث طولها بالدراسة المتوسطة فى العراق . ويقول الاستاذ هنرى فالون فى هذا الصدد : وهناك مرحلة ينبغى ان توحد فيها جميع الدروس التى يتلقاها الاطفال ، وذلك لسببين : ان بعض هذه الدروس اساسى لعمليات التعليم العالية ؛ وان القوى العقلية لا تختلف كثيرا فى هذه المرحلة بين طفل الى طفل . اما فى نهاية

6- Kandel, I.L, Comparative Education, P., 135-136

هذه المرحلة الدراسية المشتركة فينبغى ان تنوع المناهج تنوعا يتناسب مع تنوع الاعمال التى سيقوم بها الكبير فى المجتمع بعد مغادرة المدرسة . وان يوجه اصحاب القدرات الخاصة فى نهايتها الى العمل الذى يتفق وقدراتهم ، وان تكون بين هذه المرحلة التعليمية الطويلة ونهايتها مرحلة متوسطة تكتشف فيها الميول والقدرات الخاصة عند الطلاب ، على الا تكون طويلة ؛ اذ ليس من الضرورى اطالة هذه المرحلة التى تسبق مرحلة التخصص .

وتمتاز هذه المرحلة بمنهج يتكون من مجموعة من « الثوابت » واخرى من « المختارات » ، وبطرق تدريسية قائمة ، لاسيما فى الدروس الاختيارية ، على الحرية الفردية والفعالية الحرة ، وبارشاد يشخص فيه المعلم القدرات الخاصة عند كل طفل . « وتمتد هذه الفترة من التوجيه المدرسى من السن الثانية عشرة الى السادسة عشرة . وتتاح فيها فرص متساوية لتدريس المواد الكلاسيكية التقليدية فى فرنسة ، والمواد الانسانية الجديدة (حيث تحل اللغات الحديثة محل اللاتينية واليونانية) والعلوم الطبيعية والعلوم التى تتصل بالرسم الهندسى والميكانيكى وفن الرسم والموسيقى . ويستطيع التلاميذ بعد هذه المرحلة ان يختاروا احد طريقين ؛ اما طريق المدارس الفنية واما طريق اتمام الدراسة الثانوية حتى بدء مرحلة الجامعة والمعاهد العليا (٧) ».

٤ ـ الدراسة الفنية والمهنية :

وهى احدث نوع من انواع الدراسة فى فرنسة . فالمدارس «المركزية» التى تأسست سنة ١٧٩٤ بتأثير آراء كوندورسه ادخلت فى مناهجها الرسم وبعض الدروس العملية التى تتصف بطابع فنى ، وأدت خدمات جلى الى التعليم المهنى طيلة سنوات عشر . وقد الغاها نابليون وانشأ محلها مدارس

(٧) صحيفة التربية ، صفحة ٣٢ ـ ٣٣ ، الجزء الاول السنة الاولى سنة ١٩٤٨ ـ القاهرة .

الليسه والكوليج الاكاديميتين ؛ فضاعت على فرنسه ، كما يقول بعض المربين، فرصة ثمينة فى قيادة اوروبا فى شئون التعليم المهنى والفنى • ومع ان فرنسه كانت تملك عددا من المؤسسات الفنية الممتازة الا انه لم تكن فيها مدارس فنية كافية للطبقة الوسطى تقوم باعداد الفنيين والمرشدين الذين تتطلبهم حاجات البلاد ؛ وعلى أثر صدور قانون أستيه Astier لسنة ١٩١٩ تأسست فى فرنسة عدة مدارس مهنية وفنية على غرار المدارس الفنيـة الالمـانية المعروفـة بـ Berufschulen

وقد تبلور نظام التعليم المهنى واتضحت خطوطه ، واخذ محله فى نظام التعليم العام فى السنوات التى سبقت الحرب العالمية الثانية ، وارتبط التعليم الفنى منذ سنة ١٩٢٠ بوزارة التربية الوطنية بعد ان كان مرتبطا اكثره بوزارة الصناعة والتجارة ، وصارت اهمية المدارس الفنية التى تلى الدراسة الابتدائية لا تختلف كثيرا عن اهمية مدارس الليسه والكوليج • وفى كثير من المدن الفرنسية صارت الدروس الفنية والاكاديمية فى منزلة واحدة • ان التعليم الفنى الذى يتصف بالدقة والكفاءة العلمية ، ويتميز بالموازنة بين الدراسة النظرية والعلمية يجرى فى انواع من المدارس عديدة : ابتدائيـة ومتوسطة وثانوية وعالية •

ويجرى التعليم الفنى والمهنى اليوم فى عدة مدارس ، ويتناول البنين والبنات • فمن هذه المدارس مدارس الكوليج الفنية التى تتراوح مدة الدراسة فيها من ٣ ـ ٤ سنوات ، والتى يلتحق بها الطالب بعد الرابعة عشرة من العمر • وتنقسم الى طائفتين : تجارية وصناعية ؛ ومنها الاقسام الفنية الحديثة الملحقة بالكليات والصفوف التكميلية ؛ ومنها المدارس الحرفية التى لا تختلف كثيرا عن مدارس الكوليج الفنية ؛ ولكنها تعنى بتدريس الحـرف المهمـة كالنجارة والبناء والاحذية والسينما والتصوير ؛ ومن المدارس المهنية تلك التى

تقع فى مدينة باريس ، والتى يجرى التدريس فيها بمستوى أعلى من مستوى المدارس الثانوية الفنية الاعتيادية . ان هذه المدارس التى يلتحق بها الطالب بعد ان يجتاز امتحان دخول عسير والتى تمتد مدة الدراسة فيها الى خمس سنوات تعنى اكثرها بالنواحى الفنية التطبيقية لبعض الحرف الصناعية ، كصناعة الكتب ، والاثاث ، والرسم ، والميكانيك ، والزجاج ، والازياء الحديثة ، وغيرها . ويلتحق سنويا فى هذه المدارس حوالى خمسة آلاف طالب وطالبة . ومن المدارس المهنية ايضا المدارس الوطنية المهنية ومدارس صناعة الساعات ، وهى كثيرة ، وتنفق عليها الدولة من ميزانيتها العامة . ويلتحق بها الطلبة الذين تتراوح اعمارهم بين ١٣ - ١٧ سنة . وقد بلغ عدد الطلاب فى هذه المدارس التى تكون مدة الدراسة فيها اربع سنوات حسب احصاء سنة ١٩٤٧ كما يأتى : عدد طلاب ١٨ مدرسة وطنية مهنية للبنين والبنات ومدرستين وطنيتين لصناعة الساعات ١١٢٠٧ ، وعدد الطالبات فى مدارس البنات المهنية الوطنية ٢٥١٣ . ويعد طلبة هذه المدارس انفسهم لاجتياز امتحان البكالوريا الفنية الذى طبق سنة ١٩٤٦ .

وفى فرنسه خمسة عشرة مدرسة عالية للتجارة تديرها غرف التجارة ، وتشرف عليها الدوائر المختصة بالتعليم المهنى المركزية والمحلية . ويلتحق الطالب بهذه المدارس التى تبلغ مدة الدراسة فيها سنتين عند اتمامه السابعة عشرة من العمر ، وبعد حصوله على شهادة البكالوريا او اى شهادة اخرى معادلة . وينال طلبة هذه المدارس عقب تخرجهم دبلوم التعليم المهنى . وفى فرنسه ايضا مدارس فنية وظائفها مهنية اخرى كثيرة ومتنوعة لا مجال لذكرها وحصرها وشرحها ؛ وتفتتح فى مراكز تعليمها دورات مهنية وفنية وحرفية مختلفة .

وتحتاج هذه المدارس ولا شك الى عدد كبير من الاساتذة المختصين . ويجرى تدريبهم اما فى مدارس فنية عالية مستقلة ، او فى المعاهد الفنية الملحقة بالجامعات . ومن هذه المدارس دار المعلمين العليا للتعليم المهنى الواقعة فى باريس والتى قد تأسست منذ سنة ١٩١٢ .

وقد تألف بموجب قانون ١٨ أيار سنة ١٩٤٦ المجلس الاستشارى للتعليم الفنى . ويضم هذا المجلس ممثلين عن بعض الوزارات والدوائر الرسمية وغير الرسمية التى تعنيها شئون التعليم الفنى . ويعالج المجلس سياسة التعليم الفنى ، ومناهجه ، وشهاداته ، ونظم امتحاناته وغيرها . ومن التطورات الحديثة ايضا تأليف لجنة وزارية خاصة للاشراف على هذا النوع من التعليم تضم سبعة وزراء ، وتمثل جميع الوزارات التى تدير معاهد ومدارس فنية ومهنية .

ويسعى نظام التعليم فى فرنسه الى احداث توازن بين كفة التعليم الفنى العملى والاكاديمى النظرى ، ففى الدورة الاولى من مراحل « الدراسة الدنيا » التى تقترحها الخطة الاصلاحية الجديدة ، وهى الدورة « التوجيهية » التى تبدأ بالحادية عشرة من العمر وتنتهى بانتهاء سن التعليم الالزامى تنال الاعمال اليدوية والتدريب المهنى الابتدائى طابعا عاما ليكون بمقدور الطالب ان يجد له حرفة بعد تخرجه ، او ان يختار فرعا من فروع الدراسة النظرية . وفى الدورة الثالثة وهى دورة التخصص التى تمتد بين الخامسة عشرة (او السادسة عشرة) والثامنة عشرة يختار الطالب احد امرين : اما ان يحصل على تدريب عملى كاف على الاعمال الزراعية او الصناعية او التجارية ، او يلتحق بأحد الفروع النظرية الذى يقدم دراسة فنية تساير الفرع الكلاسيكى او الحديث أو الفنونى جنبا الى جنب ،

واذا تخرج وأتم دراسته بعد الثانية عشرة من العمر واصل دراسته فى احدى المعاهد الفنية العليا .

٥ ـ الدراسة الثانوية : الليسه والكوليج

يجرى التعليم الثانوى العلمى ، كما يتصوره الفرنسيون ، فى المدارس الثانوية المعروفة بالليسه والكوليج . وحيث ان مدارس الليسه والكوليج لا تختلف بعضها عن بعض كثيرا فسيقتصر بحثنا على الليسه التى يرجع تاريخ تأسيسها الى تشريع نابليون الذى الغى المدارس « الجمهورية » المركزية ذات الطابع الفنى واستبدلها بالمدارس الثانوية الكلاسيكية التى سميت بمدارس الليسه . وبالرغم من التبدلات الاجتماعية والانقلابات السياسية الكثيرة التى حدثت فى القرن التاسع عشر فقد ظلت هذه المدارس متميزة عن غيرها ، ومحتفظة بطابعها « الامبراطورى » وخصائصها الاكاديمية ، واشتهرت فى داخل فرنسه وخارجها ، واثرت فى نظمها التعليمية . ولقد تأثرت المدارس الثانوية فى القارة الاوروبية بتقاليد المدارس الثانوية الفرنسية والبروسية وحذت حذوها فى التنظيم والادارة ، بينما احتفظت المدارس الثانوية الانكليزية بخصائصها المعينة . وتقترب مدارس الليسه فى مناهجها وتقاليدها، ومكانتها الاجتماعية ، وعنايتها بالروح الفرنسية ومحافظتها على التقاليد الفرنسية ، لدرجة كبيرة ، من مدارس الخاصة الانكليزية . يضاف الى هذا ان مناهجها تتضمن تدريس اللاتينية واليونانية والفرنسية والكلاسيكية واللغات الحية ، والعلوم الطبيعية والرياضية والجغرافية والتاريخ والتربية البدنية والرسم . وتغنى السنوات الست الاولى بالدراسة الثقافية العامة ، ويؤدى الطالب فى نهاية السنة السادسة امتحان بكالوريا القسم الاول الذى يتكون من اربعة امتحانات تحريرية وخمسة شفوية ؛ واذا نجح ينتقل الى السنة السابعة النهائية حيث تصبح الدراسة اختصاصية وتتفرع الى : فرعى الفلسفة والرياضيات . ويضم الفرعان دروسا فى الفلسفة والآداب واللغات

الحية والتاريخ والجغرافية والفيزياء والكيمياء والتاريخ الطبيعى . وتزداد الدروس الفلسفية والادبية فى الفرع الاول، فرع الفلسفة ، وتتناقص الدروس العلمية ، بينما تزداد الدروس الرياضية والطبيعية فى فرع الرياضيات . ويؤدى الطالب فى نهاية السنة السابقة امتحان بكالوريا القسم الثانى .

ومدارس الليسه مؤسسات قومية تنفق عليها الدولة من ميزانيتها العامة، فى حين ان مدارس الكوليج التى ظهرت بعد مدارس الليسه مؤسسات محلية تنفق عليها البلديات وتساعدها الحكومة ؛ وبالرغم من اقتفائها أثر مدارس الليسه فى ادارتها ومناهجها وتقاليدها الا انها لم تنل المنزلة التى تتمتع بها مدارس الليسه نفسها . ويعد مدرسو الليسه اكثر خبرة وأعلى مستوى من مدرسى مدارس الكوليج ؛ ويكونون عادة من حملة شهادة الاكريجيه Agreges او من حملة Titulaires ، بينما يكون اكثر مدرسى مدارس الكوليج من حملة شهادة الليسانس أو delegues الذين يلتحقون لاول مرة بمهنة التعليم . واذا استطاع أحدهم ان يشق طريقه فى مهنة التعليم وينال شهرة واسعة تلقفته مدارس الليسه وانتقل اليها . وتكيف مدارس الكوليج مناهجها عادة الى حاجات المنطقة التى تشيد فيها ، خلافا لما درجت عليه مدارس الليسه ، وتستخدم اساليب تربوية جديدة قد تكون مجهولة لدى مدارس الليسه .

وليس التعليم الثانوى مختلطا فى الاعم الاغلب ، كما هو شأنه فى بعض الاقطار الاوروبية والامريكية . وتسير مدارس البنات الثانوية منذ سنة ١٨٨١ على غرار مدارس الليسه والكوليج ، وينمو عددها سنة بعد اخرى ؛ اما مدارس البنين الثانوية فقد ازداد عددها زيادة ملحوظة . وفى الحالات التى يتعذر على البلديات ان تفتح مدارس ثانوية (كوليج) فى المدن الصغيرة تصبح المدارس الثانوية مختلطة . وبينما بلغ عدد الطلاب والطالبات فى جميع المدارس التى تلى الدراسة الابتدائية ٢٢٠٫٠٠٠ فى سنة ١٩٣٠ و٣٦٠٫٠٠٠

فى سنة ١٩٣٧ ؛ وبلغ عدد طلاب المدارس الثانوية (الليسه والكوليج) ١٠٣٫٠٠٠ فى سنة ١٩٣٠ و١٩٨٫٤٦٤ فى سنة ١٩٣٨ ازداد فى سنة ١٩٤٧ – سنة ١٩٤٨ وصار كما يأتى :

المدارس العامة	بنون	بنات
مدارس الليسه	١٦٠	٨٢
مدارس الكوليج الكلاسيكية والحديثة	٢٠٤	١١٣
مدارس الكوليج الكلاسيكية والفنية	٢٥	٠٠٥
مدارس الكوليج الحديثة	١١٣	١٤٧
مدارس الكوليج الحديثة والفنية	٩٥	٥٤
المجموع	٥٩٦	٤٠١
مدارس المرحلة الثانية	٩٩٨	
المدارس المتوسطة	٥٩٧	٧٣٧
المدارس المختلطة	٤٥١	
المجموع	١٫٧٨٥	

اما المدارس الثانوية الاهلية (الخصوصية) فقد كان عددها سنة ١٩٣٨ حوالى ١٥١٠ ، وصارت فى سنة ١٩٤٣ قرابة ١٤٥٠ . وبلغ عدد طلابها سنة ١٩٤٥ حوالى ٣٢٢٫٠٠٠ طالب وطالبة .

واخذت الفروق التاريخية بين مدارس الليسه والكوليج تتضاءل شيئا فشيئا منذ ان الغيت الاجور الدراسية وابطلت الصفوف التحضيرية الملحقة بها او المستقلة عنها . واذا ما نفذت الخطة الاصلاحية الجديدة فسيزول كثيرها ، وستقتصر مدارس الليسه والكوليج على الدراسات النظرية العلمية وتصبح فرعين من الدورة الثالثة من دورات التعليم الثانوى ؛ وستؤلف

الصفوف الاربعة الاولى دورة او مرحلة عامة ، وستضم جميع الاطفال بغض النظر عن اصولهم الاجتماعية او قدراتهم العقلية ، وستقلص طبيعة الصفوف الثلاثة العليا الاكاديمية الصرفة ، وستتألف من اربعة فروع : كلاسيكي ، وحديث ، وفني ، وفنوني • والفرعان الاخيران جديدان •

ان تقسيم التعليم الثانوي الى مرحلتين تقسيما افقيا : طول المرحلة الاولى اربع سنوات والثانية ثلاث سنوات واضافة فروع دراسية جديدة وادخال عدد من « المختارات » سيحدث تبدلا جوهريا في كيان الليسه والكوليج القديم • وحيث ان المرحلة الاولى ستكون عامة والزامية ، وان السن الالزامي سيمتد حتى الخامسة عشرة من العمر فستفتح صفوف جديدة عدة ، دون ان يحدث في مرحلتها الاولى تبدل كلي ، بل ستظل الصفوف العليا الثلاثة من الليسه والكوليج على حالتها السابقة • « لقد أدت مدارس الليسه والكوليج وظائفها التاريخية من حيث هي مبتدعات في الاساليب التربوية ، وعليها ان تفسح في المجال لظهور مدارس ثانوية جديدة تلائم الديمقراطية الحديثة والحاجات المتزايدة الى التدريب الفني ملاءمة اكثر »[٨] •

ادارة التعليم

يدار التعليم ، كما بينا ، ادارة مركزية • فالدولة هي التي تقوم عادة بتأسيس المدارس وادارتها والانفاق عليها ، وهي التي تضع مفردات المناهج الدراسية وترسم الاهداف التعليمية العامة لها • وليست المركزية في ادارة التعليم حدثا جديدا في تاريخ فرنسه ، بل تمتد جذورها الى ايام الثورة الفرنسية • وقد لعب نابليون دورا كبيرا في توطيد النظام المركزي ، واسس بموجب قانوني سنة ١٨٠٢ وسنة ١٨٠٨ جامعة باريس الامبراطورية ، وحذا في تنظيمه المركزي حذو « جمعية اليسوع » وقال : « أود ان اسس نظاما

8 - Hans, N., Comparative Education, P., 303.

عاما لا يسوعيين يخضعون الى ملك فى روما ، بل يسوعيين لا مطامح لهم الا ان يكونوا افرادا نافعين ، ولا مصالح لهم الا المصلحة العامة . ولا اهدف من تأسيس نظام تعليمى الا توجيه الرأى العام توجيها سياسيا واخلاقيا . » ولتحقيق مراميه عمد نابليون الى الغاء جميع المؤسسات الجامعية القديمة التى كانت تتمتع باستقلال ذاتى ، واسس « جامعة امبراطورية » واحدة فى فرنسه أشرفت على نظام التعليم كله ، وعهد الى رئيس الجامعة الذى يقوم هو باختياره وتعيينه ادارة شئون التعليم .

وقسمت فرنسه الى ١٧ منطقة تعليمية أو أكاديمية ؛ ستة عشرة أكاديمية منها فى فرنسه ، وواحدة فى الجزائر ؛ وكلها تتشابه فى انظمتها الادارية ، وتتصل اتصالا مباشرا بالادارة المركزية فى باريس ، وهى وزارة التربية الوطنية . وقد حدثت فى فرنسه اصلاحات تربوية كثيرة ، ولكنها لم تكن جذرية ، ولم تتناول النظم الادارية ؛ بل تناولت توزيع عدد الاكاديميات ، والغاء منصب رئيس الجامعة ، وابداله بمنصب وزير التربية الوطنية . ولم تستطع الثورات ، ولا الانقلابات ان تبدل كثيرا فى الخصائص الاساسية للتنظيم النابليونى القديم ، أو الروح السائدة فيه ؛ بل ظلت كما هى حتى يومنا هذا .

ويعين وزير التربية الوطنية ، كما كان فى العهد النابليونى ، رئيس كل أكاديمية Rector الذى يتمتع بصلاحيات واسعة . فهو الذى يوجه نظام التعليم فى حديه الادنى والاعلى ، وهو الذى يوعز بتفتيش المدارس الخصوصية ومراقبتها ، وهو الذى يصدر تعليماته الى مفتشى التعليم . ولكل منطقة تعليمية (أكاديمية) عدد من مفتشى المدارس الابتدائية الذين يخضعون اداريا الى مفتشى الاكاديميات ، واكثرهم ، بما فى ذلك مفتشو رياض الاطفال من النساء . اما المفتشون الاختصاصيون فهم مسئولون عن تفتيش جميع المدارس ، ولا ينحصر عملهم فى اكاديمية واحدة معينة . وقد استطاعت فرنسة بهذا

التنظيم المركزى ان توجه ادارة مدارسها ومناهجها وطرائق التدريس فيها توجيها واحدا • ولا تشترك السلطات المحلية عادة فى ادارة المدارس باستثناء بلدية باريس التى تشرف ، نوعا ما ، على التعليم المهنى •

ويهيمن على شئون التعليم ، كما بينا ، وزير التربية الوطنية ، يساعده مديرون عامون ثابتون • ويرأس وزير التربية المجلس العالى للتعليم الذى يضع خطط التعليم ، ويرسم الاتجاهات التربوية العامة ؛ كما يشرف على عدة لجان استشارية • ويساعد الوزير مفتشون عامون فى ديوان وزارة التربية الوطنية • وتنقسم فرنسه الى ١٧ منطقة تعليمية ؛ وهذا العدد يساوى عدد الجامعات الفرنسية نفسها • ولكل أكاديمية مجلس تعليمى يتألف من بعض اساتذة الجامعة ، ومن مفتشى الاكاديمية ، ومن ممثلين يمثلون مراحل التعليم المختلفة ، ويضم مستشارا تربويا • وينظر المجلس فى التوسعات المطلوبة ، وفى اجراء الاصلاحات التربوية ، وينظر فى القضايا الانضباطية الخاصة بالتعليم الثانوى • ويكون عميد الجامعة رئيسا لمجلس التعليم ، ويهيمن على جميع مراحل التعليم ، ويمثل وزير التربية الوطنية ، ويكون عادة من أكابر العلماء • ويعد مفتش الاكاديمية المدير الفعلى لشئون التعليم فى الاكاديمية(٩) •

---

(٩) محمد فاضل الجمالى ـ اتجاهات التربية والتعليم فى المانية وانكلترة وفرنسه ، مطبعة الحكومة ، بغداد سنة ١٩٣٨ •

الامتحانات

يعانى الطلبة الفرنسيون متاعب جسمية ونفسية جمة من نظام الامتحانات، وينادى كثير من المربين بضرورة اصلاحه . فكان الحصول على شهادة الدراسة الابتدائية القديمة(*) يتطلب النجاح فى امتحانين : الاول يؤديه الطالب وهو فى الحادية عشرة من العمر ويؤهله للدخول فى المدارس الثانوية ، والثانى فى الرابعة عشرة من العمر ، ويؤديه الطلبة الذين لا يستطيعون الالتحاق بالمدارس الثانوية .

وقد تضمنت خطة الاصلاح التربوية الجديدة الغاء نظام الامتحانات القديم ؛ وسيصبح بمقدور جميع الطلاب عند تنفيذها الالتحاق بالمدارس الثانوية بعد الحادية عشرة من العمر دون ان يلتحق جماعة منهم بمدارس أخرى .

وما زال الطلبة الذين لا يواصلون دراساتهم بعد الرابعة عشرة من العمر او بعد هذا السن بقليل يعدون انفسهم لتأدية امتحان « البريفه » الابتدائية ، وهو امتحان شهادة الدراسة الابتدائية العالية ، حسب النظام القديم . ويؤدى طلبة الليسه والكوليج ، كما سبق ان بينا ذلك ، امتحان البكالوريا العام الذين يتألف من امتحانين : يجرى الاول فى نهاية السنة السادسة ، والثانى فى نهاية السنة السابعة . فاذا نجح استطاع الالتحاق باحدى الجامعات . ويشترط على الطالب الذى يريد الدخول فى المعاهد العليا ان يدرس دراسة خاصة ، وان ينجح فى امتحان المسابقة .

ولاول مرة فى تاريخ معارف فرنسه وضعت شهادة بكالوريا « فنية » تؤهل حاملها دخول المعاهد العالية . وتقترح الخطة الاصلاحية احداث شهادة

---

* Certificat d, etudes Primaires

مدرسية اخرى تحل محل شهادة البكالوريا ، وهى « دبلوم اتمام دراسة المرحلة الثانية »(*) لجميع الفروع النظرية (الفنية والكلاسيكية والحديثة والفنونية) حتى لا تصبح الدراسة العالية وقفا على اصحاب الدراسات الثانوية التقليدية القديمة ، بل تتناول اصحاب الدراسات الفنية والحديثة الاخرى .

ميزانية التعليم

يستمد التعليم العام نفقاته المالية من الادارتين المحلية والمركزية ؛ فتدفع الدولة اعظم قسط من ميزانية التعليم الثانوى والفنى والعالى ، وتدفع الباقى السلطات المحلية . ويبلغ مقدار ما تنفقه السلطات المحلية على التعليمين الابتدائى والمتوسط ٠٣٠/٠ من مجموع نفقاته العامة . والى جانب هذا تقوم الهيئات المحلية أو الكوميون والبلديات بتشييد المدارس وتجهيزها بالاثاث واللوازم المدرسية ، وتدفأتها وانارتها ؛ وتبحث عن المواقع التى تصلح ان تشيد عليها وتدفع مخصصات سكنى للمدرسين . ويتقاضى جميع المدرسين رواتبهم من خزينة الدولة ، حيث يعدون موظفين فيها .

وفى فرنسه مدارس كاثوليكية خصوصية تستوفى اجورا مدرسية على خلاف المدارس الحكومية . ومع ان المدارس الثانوية قد اصبحت مجانية منذ عام ١٩٣٦ الا ان حكومة فيشى قد أعادت نظام الاجور الى مدارس الليسه والكوليج فى فترة الاحتلال الالمانى ، وقدمت مساعدات مالية الى المدارس الكاثوليكية الخصوصية . وكان من جراء تقديم هذه المساعدات ان اخذت المدارس الكاثوليكية تستعيد مكانتها وتحتفظ بطلابها ، وتحول دون انتقال

---

* Diplome de fin d, etudes du second degre

قسم منهم الى مدارس الليسه والكوليج المجانية . وبعد تحرير فرنسه اعيدت المجانية الى المدارس الثانوية ، واقتصرت المدارس الكاثوليكيـة على القلة الموسرة من ابناء الاغنياء ، ونشطت حركة انتقال الطلاب من الثانية الى الاولى. وليس بمستبعد ان يتقلص عدد طلاب المدارس الكاثوليكية كثيرا من جـراء ازدياد النفقات المدرسية ، ويتحول قسم كبير منهم عنها ، كما حدث فى الولايات المتحدة حينما تقلص عدد الطلاب فى المدارس الثانوية الخصوصية ، وكما حدث فى انكلترة حينما ازداد اقبال الطلاب على المدارس العامة .

اعداد المعلمين

يتم اعداد معلمى المدارس الابتدائية فى دور المعلمين الابتدائية ، واعداد مدرسى المدارس الثانوية فى الجامعات و « دار المعلمين العليا » ودار المعلمات العليا . وهذا النظام يعكس علينا ، دون شك ، الانقسام الموجود فى طبيعة التعليم الابتدائى والثانوى نفسه ، بل يعكس علينا التكوين الطبقى للنظام الاجتماعى . فقد درجت فرنسه على اعداد معلمى المدارس الابتدائية فى « دور المعلمين » التى يلتحق بها الطلبة الذين بلغوا السادسة عشرة من العمر تقريبا ، وتخرجوا من المدارس الابتدائية العالية ونالوا شهـادة « البريفـه الابتدائية » . وبعد ان يقضى الطالب ثلاث سنوات فى احدى دور المعلمين يحصل على شهادة « البريفه العليا » ، ويعين معلما فى احدى المدارس الابتدائية، ويبقى « تحت التجربة » مدة من الزمن ؛ فاذا ثبت فى وظيفته أصبح معلما على ملاك التعليم الثابت .

وافتتحت أول دار للمعلمين الابتدائية سنة ١٨١١ فى مدينة ستراسبورغ؛ ثم أخذت تنتشر رويدا رويدا فى مختلف أطراف فرنسه ؛ وتتقدم تقدما مطردا . ففى سنة ١٨٣٢ خضعت دور المعلمين الى سيطرة الدولة ، وجعل

غيزو مدة الدراسة فيها سنتين • اما دور المعلمات الابتدائية فقد ظهرت فى سنة ١٨٤٢ ، وكانت مناهجها ثقافية عامة ، ثم تبدلت مناهجها بموجب قانون فالو ، وصارت مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات • واعيد تنظيم دور المعلمين سنة ١٨٧٩ ، واخذت تتمتع بسمعة حسنة فى الاوساط التربوية لاسيما بعد ان طرأ تبدل جوهرى على مناهجها فى سنة ١٨٠١ ، وشقت دروس اللغات الحية والجبر والاشغال اليدوية طريقها الى مناهجها لتجعلها تساير التطورات التعليمية والاجتماعية • وفى سنة ١٩٢٠ اجريت اصلاحات اساسية فى نظام دور المعلمين الابتدائية لا تزال آثارها باقية حتى يومنا هذا •

تقوم الدولة بتأسيس دور المعلمين فى المناطق التعليمية ، ووضع مناهجها وملاكاتها ؛ وبانتقاء الطلاب اليها ، وتعيينهم فى المدارس ، وبالانفاق عليهم طول مدة دراستهم • واكثرها داخلية • ويشرف على ادارتها رئيس الجامعة فى كل اكاديمية ، ويقوم بتفتيشها المفتشون المختصون • ولكل دار للمعلمين مجلس خاص يكون مسئولا عن ادارتها وميزانيتها وسير الدراسة فيها ، ويرفع التقارير عنها الى الجهات المختصة •

ويلتحق الطلبة بدور المعلمين عند نجاحهم فى امتحان الدخول الذى يتكون من امتحانين : تحريرى وشفوى • وتتألف مناهج الدراسة من دروس ثقافية عامة ، ومن دروس مهنية نظرية وعملية • ولكل دار للمعلمين مدرسة للتطبيقات ، تستخدم لاغراض المشاهدة والتطبيقات التدريسية •

أما مدرسو المدارس الثانوية فان اعدادهم يختلف عن اعداد معلمى المدارس الثانوية ، ويتم اما فى الجامعات او فى دور المعلمين العليا • فبعد ان يحصل الطالب على شهادة البكالوريا (الليسه والكوليج) يواصل دراسته فى احدى الجامعات مدة سنتين ، وينال بعد تخرجه منها شهادة التدريس فى العلوم او الآداب ، ويعين فى احدى ثانويات الكوليج • ويتطلب التعيين فى مدارس الليسه الثانوية دراسة اختصاصية عالية ، واستعدادا لدخول امتحان

الاكريكاسيون ، ويتألف هذا الامتحان الذى تقوم به الدولة تحت اشراف احسن اساتذة فرنسه من قسمين : تحريرى وشفوى ؛ ويعد اصعب امتحان تجريه وزارة التربية الوطنية • ولا تسمح الدولة الا لعدد قليل من الشبان والشابات لتأديته يتناسب هو وعدد الشواغر الموجودة فى مدارس الليسه والوظائف الادارية الاخرى •

وقد أوصت « لجنة لانجفان » الحاق دور المعلمين الابتدائية بالجامعات لتؤلف قسما من المرحلة الاولى للتعليم العالى ، وان يكون اساس الالتحاق شهادة ثانوية معادلة الى شهادة البكالوريا العامة ؛ وان يواصل خريجو المدارس الثانوية (الليسه والكوليج) دراساتهم العالية حتى يتموا المرحلة الثانية من مراحل التعليم العالى ، كما هو جار الآن ؛ وان تستمر الصفوة المختارة منهم حتى يتمو المرحلة الثالثة من مراحل التعليم العالى ، وهى مرحلة امتحان الاكريكاسيون • واذا ما نفذت هذه الخطة الاصلاحية فسيصبح جميع معلمى المدارس الابتدائية ذوى ثقافة جامعية ، وستتضاءل الفروق الثقافية والاجتماعية التى تباعد بين مدرسين المدارس الثانوية والابتدائية ، وستكون عملية انتقال المعلمين من التعليم الابتدائى الى الثانوى ممكنة •

التعليم العالى

يتألف نظام التعليم العالى فى فرنسة من ثلاث مراحل وهى : (١) الجامعات و (٢) المعاهد الفنية العليا الرسمية و (٣) المعاهد الخصوصية العليا • ولكل مرحلة تاريخ خاص ، واهداف ووظائف خاصة •

اولا ـ الجامعات :

كانت الجامعات(*) والمعاهد العليا تتمتع قبل الثورة الفرنسية باستقلال

(*) يرجع تاريخ تأسيس الجامعات الفرنسية الى القرن الثانى عشر • ففى هذا القرن تأسست كل من جامعة طولوز وباريس •

ذاتى وبحرية للبحث العلمى مما جعلها مراكز علمية شهيرة يقصدها طلاب العلم من شتى الاقطار الاوروبية . ولقد تأسس معظمها فى القرون الوسطى، غير ان الثورة الافرنسية لم تحافظ على هذه التقاليد العلمية ، فحلت الجامعات القديمة ، وضيقت على حرية البحث فيها ، وقيدت استقلالها الذاتى . وأسس نابليون « الجامعة الامبراطورية » لتحل محلها ، ولتكون جامعة فرنسه الوحيدة ، ووضعها على اسس مركزية . وبتأسيس هذه الجامعة انطوت صفحة الجامعات القديمة المستقلة مدة قرن كامل ، ولم تظهر للوجود الا بعد ان تأسست فى باريس وفى بعض المدن الفرنسية معاهد اختصاصية عليا مختلفة ، استطاعت ان تندمج بعضها فى بعض وتشكل فى سنة ١٨٩٦ نوعا من الجامعات، واستطاعت ان تحصل على قدر من حرية البحث العلمى والاستقلال الشخصى ؛ واخذ التعليم الحكومى العالى يبدو رويدا رويدا ؛ فتأسست « دار المعلمين العليا » و « المعهد الفنى » Ecole Polytechnique وبظهورها عادت وحدة البحث العلمى وفكرة الجامعات المستقلة من جديد . الا ان هذه الحرية العلمية فى البحث والتنقيب التى تتمتع بها الجامعات الفرنسية لا تقاس كثيرا بالحرية التى تتمتع بها الجامعات البريطانية والامريكية . فرؤساء الجامعات ، وهم انفسهم مديرو «الاكاديميات» ، يعينهم وزير التربية الوطنية ، ولا ينتخبهم الاساتذة انتخابا ؛ ويعين اساتذة الجامعات بتوصية من المعاهد المختلفة .

ومرت الجامعات والمعاهد العالية فى مراحل تنظيمية كثيرة . ففى اليوم الاول من شهر مايس سنة ١٨٠٨ مثلا صدر قانون بتنظيم التعليم الجامعى ؛ فاحتفظت الجامعات بفروعها المختلفة وهى : اللاهوت والطب والحقوق والعلوم والآداب ؛ واحتفظت الدولة بحق منح الالقاب العلمية ، وصارت شرطا اساسيا من شروط القبول فى الوظائف الحكومية . وقطع التعليم العالى شوطا كبيرا فى ايام لويس ليارد Liard (١٨٩٣ - ١٨٩٦) الذى يعد بحق

مؤسس التعليم العالى الحديث فى فرنسه . فقد وضع قانـون سنـة ١٨٩٣ (الذى صدر فى اليوم الثامن والعشرين من شهر نيسان) التعليم الجامعى على اسس جديدة ، واعطى الهيئات التعليمية شخصيات رسمية ، وأناط بهـا الاشراف على التعليم العالى ؛ ولكنه أقر ذلك دون ان يذكر اسمـاء تلك الجامعات التى سيسرى عليها مفعول القانون . وفى اليوم الاول من شهر تموز سنة ١٨٩٦ ذكرت اسماؤها ، واسماء « المناطق العلمية » (الاكاديميات) التى ستتولى شئون التعليم العالى ؛ بالرغم من صدور قانون ١٨٧٥ الذى أطلق التعليم العالى من جميع القيود التى كانت مفروضة عليه ، وأجاز للاشخاص الافرنسيين الذين لا تقل اعمارهم عن ٢٥ سنة والذين يتمتعون بحقوقهم المدنية تأسيس الجامعات .

وتنقسم فرنسه الى سبعة عشرة مقـاطعة علميـة ، وهـى : باريس ، مونبليه ، طولوز ، غرينوبل ، اكس ، كان ، بواتيه ، بوردو ، بوزانسون ، نانسى ، ديجون ، رين ، كليرمون ، ليل ، الجزائر ، ليون ، وستراسبورغ . وفى كل مقاطعة علمية المعاهد الآتية : كليات حقوق وطب وصيدلة وعلوم وآداب تتألف منها الجامعة الخاصة بتلك المنطقة ، تضاف اليها المعاهد الخاصة الاخرى .

وتتألف كل جامعة من قسمين على الاقل ، وهما : العلوم والانسانيات (او الآداب) ، ومن « معاهد » كثيرة ومتنوعة . واكثر الجامعات الفرنسية تضم كليات للحقوق والطب والصيدلة . وتستثنى من ذلك جامعة ستراسبورغ التى تضم الى كلياتها الاربع المعروفة كلية للاهوت .

ادارة الجامعات :

نظم قانون ١٠ تموز سنة ١٨٦٩ وتعديلاته شئون ادارة الجـامعـات الفرنسية ، وخول الحكومة صلاحية تقديم المساعدات المالية اليها ، وأعطى الجامعات حق استلام الهبات والمنح والاوقاف من الاشخاص والمؤسسات .

ومع ان الجامعة والمعاهد العليا والمدارس العامة والخصوصية تخضع فى ادارتها الى مدير المنطقة التعليمية الذى هو فى الوقت نفسه رئيس الجامعة الا ان وزير التربية الوطنية يساهم فى ادارة الجامعات والاشراف عليها ، وفى منح الالقاب العلمية ؛ ويبقى مدير المنطقة الذى يعين بمرسوم جمهورى مسئولا امام وزير التربية الوطنية عن سير اعمال منطقته كافة .

وترتبط الجامعات والمعاهد العليا قاطبة بمديرية التعليم العالى فى وزارة التربية الوطنية التى تتألف من ثلاثة اقسام : (١) قسم الادارة ، ويتناول جميع ما يتعلق بشئون الذاتية و (٢) قسم الشئون الفنية ، ويختص بالامتحانات والالقاب العلمية ، و (٣) قسم الحسابات . وترتبط هذه المديرية بوزير التربية الوطنية ، ويرأسها مدير عام ينتخب من بين رجال التعليم البارزين . وفى فرنسه « مجلس عال للتعليم الوطنى » يتكون من ثمانين عضوا . وللمجلس مكتب دائم يتولى تنظيم اعماله وادارة شئونه ؛ وتنحصر وظيفته فى دراسة المشاريع والخطط التربوية التى تقدمها مديريات التعليم العالى والثانوى والابتدائى . ويتألف المجلس من : مدير التعليم العالى (رئيسا) ، ومدير التعليم الفنى ، ومدير المباحث الفنية الوطنية ، ورئيس جامعة باريس ، و١٤ عضوا يعينهم الوزير و٣٥ تنتخبهم الهيئات التعليمية المختلفة . يضاف الى هذا ان لكل جامعة لجنة استشارية تتكون من خمسة فروع ، اى بمقدار الفروع التى تتكون منها الجامعة نفسها . وتتألف منها « اللجنة الاستشارية للجامعات » . ويعد مدير التعليم العالى رئيسا لكل لجنة من هذه اللجان .

وتضم كل جامعة عددا من الكليات ؛ ويدير كل كلية عميد يختاره وزير التربية الوطنية من بين « أساتذة » الكليات نفسها ، ويتولى تنفيذ قرارات مجلس ادارة الكلية . ويترأس هذا المجلس عميد الكلية ، ويتألف من جميع « اساتذة » الكلية ، وتنحصر صلاحياته فى اعداد الميزانية والمناهج وسد الشواغر ودراسة شئون الطلاب العامة . اما « مجلس المدرسين » فيتكون

اعضاؤه من افراد الهيئة التعليمية كافة ، ويتولى النظر فى الشئون التعليمية العامة فقط .

أما « مجلس الجامعة » الذى يرأسه رئيس الجامعة فيتألف من عمداء الكليات وعدد من الاساتذة يمثلون الكليات المختلفة ، ومدير المرصد فى كل أكاديمية وثلاثة أو اربعة اعضاء يمثلون الجامعة كلها . وتنحصر وظيفة مجلس الجامعة فى ادارة الشئون الخاصة بممتلكات الجامعة ، وتنظيم المناهج الدراسية ، وتعيين مواعد الدراسة والامتحانات . ولا تعتبر قراراته نافذة الا بعد مصادقة وزير التربية الوطنية .

تنظيم الدراسة فى الكليات :

تقدم الكليات المختلفة دراسات مهنية واختصاصية عالية ؛ وتمنح الدرجات العلمية . فكلية الحقوق مثلا تهيء طلبتها للحصول على درجة الليسانس والدكتوراه . وتمنح الشهادات الآتية :

أ – شهادة الليسانس فى الحقوق ؛ وتمنح بعد دراسة طولها ثلاث سنوات ، ويتقدم الطالب للامتحان مرة فى آخر كل سنة دراسية .

ب – دبلوم الدراسات الحقوقية العليا .

ج – دكتوراه فى الحقوق : وينالها الطالب بعد حصوله على دبلومات حقوقية عالية ، ووضع اطروحة ومناقشتها بصورة علنية ، ودراسة لا تقل مدتها عن سنتين .

د – شهادة الكفاءة الحقوقية : وتمنح هذه الشهادة التى تستغرق دراستها سنتين للطلاب الذين لا يحملون شهادة البكالوريا الثانوية .

وتمنح كليات الحقوق ، بالاضافة الى هذا ، شهادات متنوعة فى فروع علم النفس الجنائى ، وشهادة المصطلحات الحقوقية ودبلوم الدراسات الحقوقية المقارنة ، ودبلوم معهد الدراسات الدولية العليا وغير ذلك من الشهادات والدبلومات .

اما كليات الطب والصيدلة والعلوم فلا تختلف كثيرا عن غيرها من

كليات العالم فى تنظيمها ومناهجها وفروعها ، ولكن الافرنسيون يعنون عناية كبيرة بالدراسات الادبية ، ويحسبونها تراثهم الخالد • ومن اجل هذا فان كليات الآداب تمنح شهادات اختصاصية متنوعة وهى : شهادة الدراسات العليا فى الآداب ، ودبلوم الدراسات العليا فى الآداب ، ودكتوراه فى الآداب • واذا كان الطالب لا ينال شهادات الدكتوراه فى الآداب الا بعد ان يواصل دراسته الاختصاصية لمدة سنتين على الاقل بعد حصوله على شهادة الليسانس ، فان شهادة الدكتوراه فى الطب تحتاج الى دراسة طولها ست سنوات على الاقل •

ثانيا ـ المعاهد العليا :

يجرى تدريس الدراسات الفنية والتطبيقية فى مؤسسات مستقلة تسمى « بالمعاهد العليا » Grandes Ecole ؛ وترتبط هذه المؤسسات بالوزارات المختصة ارتباطا مباشرا • فمثلا ترتبط « دار المعلمين العليا » بوزارة التربية الوطنية ، و « المعهد الزراعى » بوزارة الزراعة و « مدرسة المستعمرات » بوزارة المستعمرات ، وهكذا • ويشترط فى الطالب الذى يود الالتحاق باحدى هذه المؤسسات ان يجتاز بعد انهاء الدراسة الثانوية بنجاح امتحانا شاقا يحتاج الى اعداد خاص •

وتعد « المعاهد العليا » الافرنسية من المعاهد العلمية الفريدة فى العالم • فالطلاب صفوة مختارة ، والاساتذة نخبة من رجال الفكر والعلم • وتضم هذه المعاهدة عادة عددا كبيرا من الاختصاصيين الذين قد اشتهروا فى مختلف نواحى المعرفة • وتلعب « دار المعلمين العليا » دورا خاصا فى حياة فرنسه الفكرية والاجتماعية • فليست هذه المؤسسة ، كما قد يتبادر الى الذهن أول مرة ، معهدا لاعداد المعلمين أو معهدا من معاهد التربية والتعليم حسب ، بل هى تلك الارض الطيبة التى تنمو فيها « الثقافة العامة » وتغرس «الروح الفرنسية» التى يفاخر بها الفرنسيون أيما افتخار ، ويعتزون بها أيما اعتزاز ، ويعدونها تراثهم الخالد • واذا كان هذا المعهد ليس بالمعهد الفنى الخاص باعداد المدرسين

فليس ذلك معناه انه لا يعد الصفوة المختارة من رجال التربية والتعليم ، فان كثيرا من مدرسى مدارس الليسه ينالون اعدادهم فيها . والحقيقة ان خريجى « دار المعلمين العليا » يعدون فى طليعة العناصر المثقفة ، ويمدون الشعب الفرنسى بمجموعة من الرجال يصلحون ان يكونوا قادة فى مختلف ميادين الحياة العقلية والعملية .

وفى فرنسه معاهد Institut أخرى للدراسات والبحوث الخاصة ؛ وهى اما ان تكون شعبة فى كلية من الكليات أو قسما فى احدى الجامعات . ويقضى الطالب فيها عادة مدة لا تقل عن السنة ينال بعد نجاحه شهادة (دبلوم) فى الفرع الذى التحق بها من أجله . وقد يتبادر الى الذهن ان « معهد فرنسا » Institut de. France هو احدى هذه المعاهد التى اشرنا اليها ، ولكنه ليس كذلك ؛ انه ملتقى جميع المؤسسات العلمية الشهيرة فى فرنسة(*) . ومن المعاهد الاخرى تلك التى تعنى بالابحاث Research فقط ؛ والدراسة فيها اختصاصية عالية ، ويلتحق بها الطلبة الذين قد انهوا مرحلة الليسانس .

ان اهم المعاهد العليا فى فرنسه هى :

أ ـ دار المعلمين العليا : تأسست سنة ١٧٩٢ ؛ وهى من ثمرات الثورة الفرنسية . وقد اعيد تنظيمها فى ايام العهد الامبراطورى ، وتطلب قانون ١٧ مارت سنة ١٨٠٨ ألا يتجاوز عدد طلابها عن ٣٠٠ طالبا ، وان يعدوا

(*) وهى :

Academie Francaise
Academie des Inscriptoin et Belles-Lettres
" des Seiences Morales et Politiques
" des Sciences
" des Beaux Arts

اعدادا علميا وأدبيا ليكونوا قادرين على التعليم فى المدارس العامة . وفى سنة ١٩٠٣ التحقت بجامعة باريس ولكنها ظلت محافظة على تقاليدها الخاصة . وتنقسم الى شعبتين : شعبة للآداب واخرى للعلوم . ويشترط فى الطالب الذى يروم الالتحاق بها ان يجتاز امتحان مسابقة عسير على أن لا يقل عمره عن ١٨ سنة وألا يتجاوز ٢١ سنة . ويتراوح عدد الطلاب الذين يقبلون فيها سنويا بين ٥٠ ـ ٣٠ طالبا لفرع الآداب و٢٠ طالبا لفرع العلوم . اما مدة الدراسة فهى أربع سنوات ، يقضى الطالب منها سنتين استعدادا لحصول الليسانس ، وسنة اخرى للدبلوم العالى ، وسنة رابعة لاجتياز امتحان الاكريكاسيون الشهير .

وتتمتع دار المعلمين العليا ، كما بينا ، بشهرة علمية وعالمية واسعة ، وتضم طائفة من كبار الاساتذة والعلماء والادباء . وبمقدور الطالب بعد تخرجه منها ان يواصل بحوثه ودراساته فيها . وقد كانت طوال تاريخ فرنسة الحديث وفى مختلف الظروف التى مرت بها فرنسة مركز نشاط سياسى عظيم .

ب ـ دار المعلمات العليا : تأسست بموجب قانون ٢٦ تموز سنة ١٨٨١ لاعداد مجموعة من المعلمات للتدريس فى المدارس الثانوية . ان هذا المعهد الذى لا يتجاوز عدد الطالبات فيه عن ١٥٠ طالبة ، والذى انتقل منذ مدة قريبة جدا من سيفر فى ضواحى باريس الى مدينة باريس نفسها يسير فى تقاليده وادارته وامتحاناته ومناهجه وانظمته تقريبا على غرار دار المعلمين العليا .

ج ـ دار المعلمين العليا فى سان كلو للبنين وفونتينه أوروز للبنات : وهما معهدان خاصان باعداد الطلاب والطالبات للتدريس فى مدارس الكوليج الثانوية .

د ـ معهد الدراسات العليا العملى : اسس هذا المعهد فكتور ديروى سنة ١٨٦٨ لتلافى الاخطاء الكثيرة التى ارتكبها التعليم الجامعى فى النواحى

العلمية . ويستهدف توجيه الطلاب وترغيبهم فى متابعة البحوث العلمية والعملية . ويتألف من ثلاثة أقسام احدهما خاص بالدراسات الادبية . ولا يزال المعهد بمختبراته ومكتبته واقسامه قائما حتى يومنا هذا . ويرتفع مستوى التعليم فيه الى مستوى الدراسات الاختصاصية التى تقدمها الكليات الاخرى .

هـ - معهد الوثائق والمستندات : افتتح المعهد سنة ١٨٢١ لاعداد الطلبة فى شئون دراسة الوثائق والسجلات والمستندات وتنظيمها من جهة وفن ادارة المكتبات من الجهة الثانية . ففى الحالة الاولى يمنح المعهد الى المتخرج بعد دراسة طولها ثلاث سنوات دبلوما خاصا ، وفى الحالة الثانية شهادة خاصة . ويشترط فى دخول المعهد ان يكون الطالب قد اجتاز امتحان الدراسة الثانوية ، ونجح فى امتحان الدخول . ولا يزيد عدد الطلبة الذين يلتحقون فى المعهد سنويا عن عشرين طالبا . ويعين وزير التربية الوطنية مدير المعهد ، واساتذته الثمانية عشرة ، والاساتذة المساعدين ، وعددا آخر من الموظفين .

و - معهد اللغات الشرقية الحية : كان الوزير الفرنسى كولبير قد اسس سنة ١٦٦٩ معهدا خاصا للترجمة ؛ واستمر كذلك مدة من الزمن طويلة . وفى سنة ١٧٩٥ صدر قانون باحداث معهد للغات الشرقية الحية هى لغات الشرق الادنى والاقصى واوروبا الشرقية . ولا يزال المعهد قائما حتى يومنا هذا ، ومعروفا بالاسم نفسه . وتتألف الهيئة التدريسية من ٢٠ أستاذا فرنسيا ، واربعة محاضرين ، وعدد من المعيدين الاجانب . ويشرف على ادارة المعهد مدير ومجلس للمدرسين .

ز - كوليج دو فرانس : فى فرنسه معهد قديم للابحاث العلمية هو الكوليج دو فرانس»(*) College de France ويحتل هذا المعهد منزلة

(*) انشاه سنة ١٥٣٠ الملك فرنسوا الاول باسم « الكلية الملكية » ويتألف ملاكه من ٤٢ أستاذا ، و٢٧ مساعد مدير مختبر ، ورؤساء ابحاث ، وعدد من المساعدين .

عظيمة فى حياة فرنسة العلمية والعقلية • وهو مؤسسة حكومية للابحاث والدراسات لا كلية من الكليات • وتديره وزارة التربية الوطنية وتنفق عليه• ويعين وزير التربية الوطنية جميع أساتذة هذا المعهد ويختارهم من بين علماء فرنسة المشهورين فى الاوساط العلمية • ويتمتع الاستاذ الذى يعين فى هذا المعهد بحرية مطلقة للقيام بأى بحث من البحوث والقاء أية محاضرة من المحاضرات العامة ، كما بمقدوره ان يكف عن القاء المحاضرات أو اعداد البحوث • ولا تحضر المحاضرات التى يلقيها أساتذة هذا المعهد الا الصفوة المختارة من الطبقة المثقفة فى باريس لاهميتها وصعوبة ادراكها من متوسطى الناس • ولا تجرى امتحانات فيه كما لا تعطى شهادات تتصل بهذه المحاضرات وجميعها عامة ومجانية • ولما كان هذا المعهد يضم طائفة شهيرة من الاساتذة والاختصاصيين فكثيرا ما تستدعى الحكومة هؤلاء الاختصاصيين لدراسة مشكلة من المشاكل الكبرى ووضع الحلول المناسبة لها • ومع أن الكوليج دى فرانس قسم من السوربون (جامعة باريس) ويتصل به اتصالا وثيقا الا أنه مستقل عنه كل الاستقلال • ان هذا المزيج من سيطرة الدولة الفعلية على هذا المعهد ومن حرية البحث العلمى المطلقة والقاء المحاضرات العامة لا نظير له فى أقطار أخرى •

ح ـ المتحف الوطنى للتاريخ الطبيعى : تأسس فى القرن السابع عشر مستقلا عن جامعة السوربون باسم حديقة الملك ، ثم تبدل اسمه ، واخذ يتوسع شيئا فشيئا حتى آل به الامر الى ما هو عليه الآن من تنظيم وادارة وشهرة عالمية •

وترتبط جميع المعاهد المذكورة اعلاه بوزارة التربية الوطنية من حيث ادارتها وميزانيتها وملاكاتها ، وتتصل بها اتصالا مباشرا • يضاف الى هذا ان (١) دار المعلمين العليا للتعليم الفنى و(٣) المدرسة المركزية للفنون والصناعات اليدوية و (٤) المدرسة الوطنية للفنون الجميلة و(٥) المدرسة الوطنية العليا لفنون الزخرفة و (٦) مدرسة اللوفر و (٧) المعاهد الوطنية للموسيقى ترتبط

كلها بمديرية المعاهد الفنية . ولوزارة الحربية والطيران والبحرية والمستعمرات والاشغال والانتاج الوطنى والبرق والبريد والزراعة ورئاسة الوزارة معاهد عليا اختصاصية ايضا . ومن المعاهد العليا التى تأسست حديثا « مدرسة الادارة الوطنية » . وترتبط بديوان مجلس الوزراء . وقد تأسست بموجب قانون ٩ تشرين الثانى سنة ١٩٤٥ لاعداد كبار موظفى الدولة . وتتكون من اربعة فروع وهى : العلوم الدبلوماسية ، والتفتيش المالى ، وتفتيش شئون العمال ، وادارات الوزارات والدوائر الرسمية الاخرى . ويشترط فى الطالب الذى يروم الالتحاق بالمدرسة ان يكون قد نال شهادة علمية عالية تتصل باختصاصه ، وان يجتاز امتحان مسابقة عسير . وتأسس فى سنة ١٩٤٥ معهد آخر باسم « معهد الدراسات السياسية » والتحق بجامعة باريس . ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات .

ثالثا ـ المعاهد العليا الخصوصية :

وفى فرنسه ، كما فى غيرها من الاقطار الديمقراطية ، معاهد علمية مستقلة ، لا ترتبط بوزارة التربية الوطنية ، بل تدار ادارة خاصة ، منها معاهد الصيدلة وطب الاسنان التابعة للكلية الكاثوليكية فى باريس وليل وانجير وليون وطولوز . وتعترف بشهاداتها جامعة باريس ، وتمنح الالقاب العلمية الى الطلاب بعد تخرجهم منها . وفيها معاهد اخرى متفرقة ومتنوعة اهمها : المدرسة العليا للكهرباء ، ومدرسة الدراسات العليا للامور التجارية للبنات ، ومدرسة الهندسة المعمارية . وتنقسم المعاهد العليا الخصوصية الى طائفتين : طائفة تعترف بشهاداتها وزارة التربية الوطنية وهى المعاهد الفنية ، واخرى لاتعترف بها لاسباب لا تتصل بمستوياتها العلمية بل بوظائفها الخاصة ، كالمعهد الكاثوليكى ، ومدارس طب الاسنان ، ومعهد باستور(*).

(*) تأسس معهد باستور سنة ١٨٨٨ لاحياء ذكرى العالم الشهير ، وللقيام باجراء البحوث والتجارب فى التلقيح والامصال .

سياسة القبول

يرى اكثر رجال التعليم فى فرنسه ان التعليم العالى ينبغى ان يكون قاصرا على الصفوة المختارة من الطلاب والطالبات وامتيازا لهم لا حق يتمتع به كل واحد منهم ، كما هو شأنه فى الولايات المتحدة مثلا • وقد أدت سياسة الانتقاء الثقافى الى انتقاء اجتماعى ، فانحصر التعليم العالى فى الاسر الغنية والمثقفة(*) • وتعد الجامعات الفرنسية فى هذه الناحية أقل الدول الديمقراطية ديمقراطية •

ولكن الاقبال على التعليم العالى قد اخذ يزداد سنة بعد اخرى • فبعد ان كان عدد طلاب المعاهد العالية ٢٩٫٠٠٠ طالبا وطالبة سنة ١٩٠٠ ، و٧٨٫٠٠٠ سنة ١٩٣٨ و٩٨٫٠٠٠ سنة ١٩٤٥ أصبح اليوم اكثر من ١٢٠٫٠٠٠ طالبا وطالبة • وقد سببت هذه الزيادة مشاكل ثقافية واجتماعية وادارية الى الطلاب من جهة ،والى ادارات الجامعات والمعاهد العالية من الجهة الثانية ، لاسيما وان عددا كبيرا من الطلاب تضطرهم ظروفهم الاقتصادية الى الاشتغال فى بعض الاعمال لمواصلة دراساتهم • فلقد ارتفعت نسبتهم فى مدينة باريس وحدها الى ٠٦٦/٠ من مجموع الطلاب ، وتراوحت فى المقاطعات من ٠١٠/٠ الى ٠١٥/٠ •

وكان من جراء ذلك ان اخذت الحكومة تزيد فى مساعداتها المالية الى الطلاب والجامعات ، واضطرت فى سنة ١٩٤٥ ، اى بعد تحرير فرنسه وانتهاء

(*) وجد فى شهر تموز من سنة ١٩٤٥ ان ١٤٫٦٣٨ طالبا وطالبة من مجموع ٨١٫٢٨٥ ينتمون الى ابناء رجال التعليم وبناتهم ، وان ١٣٫٤٣٩ من ابناء اصحاب البيوتات التجارية والصناعية وبناتهم ، وان ٢٠٫٣٧٣ من ابناء الموظفين وبناتهم ، وان ١٠٫٦٢٣ من ابناء الكتاب والباعة وبناتهم ، وان ١٫١٦٧ من ابناء العمال الصناعيين وبنابهم ، وان ٦١٤ من ابناء الفلاحين وبناتهم •

الحرب العالمية الثانية ، ان تضاعف هذه المساعدات السنوية كما يتضح من الاحصائية الآتية :

السنة	عدد الطلاب المساعدين	مقدار المساعدات	المعدل السنوى
١٩٢٥	٣٤٥	١ر٣١٨ر٢٨٠ فرنك	٣ر٨٠٠
١٩٣٧	١ر٢٧٠	٦ر٣٧٢ر٥٠٠ فرنك	٥ر٠٠٠
١٩٤٤	٢ر٤٩٧	١٣ر٤١٧ر٠٠٠ فرنك	٥ر٤٠٠
١٩٤٦	٣ر٤١١	٨٠ر٢٢٢ر٥٠٠ فرنك	٢٣ر٥٠٠

ويعفى من الاجور الدراسية ورسوم الامتحانات فى كل سنة حوالى ٠٢٥/٠ من مجموع الطلاب ؛ وللكليات ان تمنح مساعدات خاصة الى الطلبة المتفوقين والموهوبين فى كل سنة ، وتوزع عليهم الجوائز ، كل ذلك مساعدة لهم على مواصلة دراساتهم وتشجيعا للمجدين منهم .

واخذ طلاب الجامعات والمعاهد العالية بعد الحرب العالمية الثانية ينضمون صفوفهم ويوحدون جهودهم لحل مشاكلهم الدراسية والاجتماعية ؛ واخذوا يطالبون ادارات الجامعات بضرورة سماع شكاواهم وعرض وجهات نظرهم فى القضايا التى تتعلق بهم وتمس مستقبلهم . فجرى فى سنة ١٩٤٥ اول انتخاب عام فى المعاهد العالية لاختيار ممثلين عنهم لحضور جلسات مجالس الكليات ، وسمحت الحكومة ان تضم هذه المجالس خمسة ممثلين عن كل كلية . وتأسس فى السنة نفسها « اتحاد الطلاب الجامعيين الفرنسيين » ، بعد استحصال موافقة الحكومة ، والتحق به اكبر عدد من اساتذة الجامعات وطلابها ، وقسم من طلبة المدارس الثانوية ، وافتتح الطلبة فى الجامعات نفسها مكاتب خاصة لتهيئة الاعمال الى المعوزين منهم ، ومكاتب للالعاب الرياضية ومكتبات خاصة بالطلاب ، ومكاتب سياحة فى جميع المعاهد العالية لتسهيل مهمة السفر والاصطياف والاشتاء .

اصلاح التعليم العالى :

ان مشكلة القبول وتزايد عدد الراغبين فى الالتحاق بالمعاهد العالية لم تغب عن انظار المسئولين ؛ فقد أولوها عنايتهم واهتمامهم • ولذلك فان الخطة الجديدة فى اصلاح التعليم العالى لا تستهدف النهوض برفع المستويات العلمية حسب بل تعميمه على اكبر عدد ممكن من الطلاب والطالبات • ولا شك انه حالما ينتهى المسئولون من اصلاح نظام التعليم الثانوى والامتحانات والشهادات المدرسية فسيلتحق بالجامعات عدد كبير من الطلاب والطالبات كانوا لامد غير بعيد محرومين من التمتع به •

ان الخطة التى اقترحها تقرير لانجفان فى اصلاح التعليم العالى ترى ، كما بينا سابقا(*) ، ان يتألف التعليم العالى من ثلاث دورات هى :

أولا ـ الدورة الاولى : (من ١٨ سنة ـ ٢٠) وهى المرحلة التحضيرية الى الدراسات العالية والفنية واعداد المعلمين •

ثانيا ـ الدورة الثانية : من (٢٠-٢٢) وتضم الكليات التى تعد الطلبة للحصول على شهادة الليسانس (الدرجات الاولى) فى العلوم والفنون والطب والقانون والتكنوقراطية •

ثالثا ـ الدورة الثالثة : وتضم « المعاهد التطبيقية العليا » التى تعد الى امتحان « الاكريكاسيون » والبحوث العالية • وعلى هذا فستؤلف المعاهد العليا قسما من المرحلة الثالثة من مراحل التعليم العالى ، وسيلتحق بها أولئك الطلاب الذين قد حصلوا على شهادة الليسانس فقط • وسيكون امتحان الاكريكاسيون خاصا بأولئك الذين سيتمون دراساتهم فى « المعاهد التطبيقية العليا » • أما طلبة « المعاهد العليا » وهم طلاب المرحلة الثالثة فسينالون شهادات « المعاهد العليا » و « شهادات خاصة بالدراسات العليا والابحاث العلمية » •

وأشار التقرير الى انهيار المستويات العلمية التى اخذت تتحدث عنه

(*) انظر صفحة ٢٠٨ من هذا الكتاب •

أوساط المثقفين فى فرنسه ، والى عقم الاساليب التعليمية المتبعة فى الجامعات والمعاهد الفنية العليا • ويعزو التقرير اسباب تردى المستويات العلمية الى عوامل عدة اهمها : (١) المشكلة المالية ، حيث بلغت نسبة الاعتمادات التى خصصت للتعليم العام ٠٣/٠ من مجموع الميزانية العامة ، اى ٢٠٠ مليون فرنك سنويا ، وهو المبلغ الذى خصص فى ميزانية سنة ١٩٤٧ • و(٢) تناقص نسبة عدد الاساتذة الى عدد الطلاب • فقد وجدت لجنة لانجفان ان عدد اعضاء الهيئة التدريسية فى معاهد التعليم العالى لا يتناسب مع عدد الطلبة المتزايد سنة بعد اخرى ، وان نسبة عدد الطلبة الى عدد المدرسين اليوم هى استاذ واحد لكل ستين طالبا ، بينما كانت استاذا واحدا لكل عشرة طلاب ، وفى بعض الاحايين استاذا واحدا لكل خمسة طلاب • ولا شك ان التعليم الجامعى قد تأثر كثيرا بهذا التناقص المستمر فى نسبة عدد الاساتذة الى عدد الطلاب ، وترك نقصا بارزا فيه • والمشكلة (٣) الثالثة هى زيادة نفقات التعليم العالى بنسبة واحد الى خمسة ، فى حين ان تكاليف المعيشة قد زادت بنسبة واحد وسدس بالمائة • واهم من هذه المشاكل كلها ، كما يفيد تقرير لجنة لانجفان (٤) تراكم الديون الكثيرة التى بذمة كثير من المختبرات • فقد اضطرت هذه ، بضغط ظروفها المالية ان تقلص بعض بحوثها وتجاربها المختبرية •

وتساير التعليم العالى ، بالاضافة الى ما سبق ، مشاكل اخرى تتعلق بالتعقيد والحصر والتجريد • اما التعقيد فيتضح فى نظم التعليم العالى ، واما الحصر فيبدو فى تمركز التعليم العالى فى العاصمة باريس وضواحيها ، وتقلصه فى المناطق الاخرى ؛ فقد بلغ عدد طلاب المعاهد العالية فى باريس وحدها حوالى ٥١٫٠٠٠ طالب وطالبة ، اى ما يعادل نصف عدد طلاب المعاهد العالية كلها • وأما التجريد فيظهر فى الاهتمام بالتعليم النظرى المجرد ؛ فقد طغى هذا النوع من التعليم على الانواع الاخرى ، وأصبح أكثره بعيدا عن

حاجات العصر الحديث ومتطلباته ، وصارت الثقافة النظرية المجردة أهم ما تتصف به الصفوة المختارة من المثقفين .

ولهذه الاسباب مجتمعة يعود تدهور المستويات العلمية فى الجامعات والمعاهد العليا ؛ ولهذه الاسباب كذلك تألفت فى شهر تموز سنة ١٩٤٧ لجنة لانجفان لدراسة مشاكل التعليم العالى فى فرنسه . وقد أوصت اللجنة ان تحتوى الدراسة الجامعية على عنصرين اساسيين : على ثقافة عامة ، ودراسة اختصاصية نظرية وعملية وفنية ، وان يرتكز اصلاح التعليم العالى فى نقاط ثلاث هى :

الاولى ـ حصر التعليمين النظرى والفنى فى الجامعات : فكثيرا ما تتغلب انواع من التعليم على انواع اخرى ؛ وتشتد العناية بضرب من ضروبه وتضعف فى ضروب أخرى ؛ فعندئذ لا ينال الطالب تعليما جامعيا متوازنا ويوصى تقرير لانجفان ان تلحق المعاهد الفنية للبحوث والدراسات بالجامعات المختلفة ، وتصبح مراكز خاصة بالدراسة ، وتتمتع باستقلال ذاتى فى كل ما يتعلق بادارتها ومناهجها ومواردها . فجامعة باريس تضم مثلا معهدا للدراسات النفسية يحتوى على مختبرات لاجراء التجارب النفسية . وتضم معاهد وكليات اخرى مؤسسات متشابهة ؛ فلو ضمت هذه المعاهد بعضها الى بعض ، وتأسس معهد نفسى جديد لكان أجدى وانفع . ومع هذا فلا مانع من بقاء هذه الفروع على اتصال دائم بالكليات والمعاهد المتفرعة منها . ويصح القول كذلك على الدراسات الاقتصادية التى تقدمها كليات الحقوق والآداب والعلوم .

وينبغى ان تتحول المعاهد المهنية الى معاهد فنية وتلتحق بالكليات ومراكز الدراسات ، وتجرى فيها الدراسات الفنية الاختصاصية . ونلاحظ اليوم ان هذه الدراسات موزعة بين الكليات والمعاهد الفنية المختلفة ، وان اداراتها وامتحاناتها اصبحت متعددة ومعقدة . ويوصى التقرير ان تكون مدة الدراسة فيها سنتين ، يدرس الطالب خلالها دراسة نظرية وعملية ، وينال

بعد تخرجه منها ليسانس فى العلوم ، ثم يواصل دراسته فى معاهد اختصاصية عليا ؛ وان يحصل وزير المعارف على موافقة الوزارات الاخرى المختصة عند تنظيم مناهجها وامتحاناتها ، كوزارتى الاشغال والزراعة .

الثانية ـ اعادة تنظيم الجامعات : اذا ما ارادت الجامعات الاقليمية ان تتزود بما تحتاجه من اساتذة ومختبرات حديثة ومرافق حيوية اخرى وتؤدى رسالتها كاملة فينبغى ان يعاد تنظيمها وتوزيعها على مختلف الاكاديميات او المناطق التعليمية ؛ ولا يخفى ما لاعادة التنظيم من فوائد جمة ؛ وستبقى لكل جامعة تقاليدها الموروثة ، وستحتفظ بخصائصها العامة .

الثالثة ـ حصر وظيفة التعليم الجامعى فى نقاط ثلاث :

أ ـ يستطيع التعليم العالى الذى يبدأ بمرحلة جامعية بداية حسنة وينتهى بدراسات اختصاصية عملية فى المعاهد الفنية نهاية محمودة ان يتلافى الاخطاء التى وقع فيها التعليم الجامعى من قبل .

ب ـ وتستطيع مراكز البحوث ، اذا ما مدت بأجهزة حديثة وتهيأ لها الجو العلمى الصحيح ، وزودت بمناهج علمية صحيحة ، وتمتعت باستقلال ذاتى صحيح ، ان تؤدى وظيفتها وتعطى نتائج طيبة ؛ وسيجد باحثو المستقبل فى المعاهد الاختصاصية ومراكز الدراسات كل عون وتشجيع وتقدم .

ح ـ ينبغى أن ينال التعليم الثقافى المجرد حرية كبيرة ؛ وان يضم اكبر عدد ممكن من الطلاب ، لاسيما اولئك الذين لم يحصلوا على ثقافة عامة فى المدارس الفنية والمهنية التى تخرجوا منها قبل ان يلتحقوا بالجامعات ؛ وينبغى ان تتوفر فى هذه الثقافة العامة صفتان : العمق والسعة .

* * *

وختاما « تتطلع فرنسة اليوم الى المستقبل تطلعا تاما وتقيم المساواة فى الفرص التعليمية والاجتماعية . ولكن الافرنسيين على نقيض الامريكيين والروسيين يريدون ان يحافظوا على نوعية تعليمهم العالية ـ هذا التعليم الذى

يقوم على تقاليد من الدراسات الانسانية • فلا البرقماطيقية الامريكية ولا المادية الروسية تستطيعان ان تحلا محل تقاليد الثقافة العامة التى يجتمع حولها الكاثوليك الدينيون واليساريون الدنيويون • وفى هذا نستطيع ان نقارن فرنسة بانكلترة فى ادخالها اصلاحات جوهرية دون ان تنبذ القيم المتأتية من تراثها التاريخى ••[٩]

—— : ——

مراجع البحث الرئيسية

1 - Hans N., Comparative Education

2 - Kandel, I. L., Comparative Education

3 - Nates & Documentaires et Etudes;

No. 843, 1948

No 853, 1948

No. 925, 1948

No. 1009, 1948

No. 1312, 1950

وهى مجموعة نشرات فى التعليم الابتدائى والثانوى والفنى والعالى اصدرتها رئاسة مجلس الوزراء الفرنسى ـ قسم الوثائق •

9-Hans, N.,Camparative Education, P.354

التعليم فى الاتحاد السوفياتي

كانت الامبراطورية القيصرية مهدا تاريخيا لكثير من الثقافات المتباينة فى لغاتها ، وتقاليدها ، وعناصرها وأديانها ونظمها الاقتصادية والتعليمية . وكانت روسية ، وما زالت ، مركز الثقل فى هذه الامبراطورية المترامية الاطراف . فمنها كان أكثر الحكام ورجال الادارة والجيش ؛ ومنها كان اكثر رجال والمال والاعمال والتعليم ؛ ومنها اندلعت الثورة الشيوعية ، ومنها ظهر أكثر رجال الثورة ، وعليها وقعت أكثر التبعات .

فلما ورث الاتحاد السوفياتى هذه المخلفات الثقافية القيصرية التى انحدرت اليه من القرون الوسطى وجد أن حياة الناس فى كثير من أطرافه ما زالت تعصف فيها رياح الاوهام والخرافات والبدع ، وان المناطق الآسيوية ما زالت ترزح تحت هذه المخلفات التاريخية الثقيلة ، وتعيش فى ظروف حياتية قاسية ، ان لم تكن كلها ابتدائية . فعزم على أن يقرب بين هذه العناصر ، ويقضى على هذه البدع والاديان والخرافات ، ويرفع من مستوى الافراد ، ويساوى بين الناس ، ويقضى على نظام الطبقات ، ويستولى على وسائل الانتاج ، ويحرم الملكية الفردية ، ويعمم التعليم — وبعبارة اخرى عزم على أن يقيم مجتمعا شيوعيا تنعدم فيه الفوارق الاجتماعية ، وتلغى الملكية ، وتؤسس حكومة العمال والفلاحين .

وتسيطر الثقافة الروسية ، بلغتها وآدابها وتاريخها ، وكما كانت فى عهود القياصرة الجبابرة ، على حياة الناس وعقولهم سيطرة تامة فى جميع أطراف الاتحاد السوفياتى . واذا كانت العناصر غير الروسية قد ساهمت فى

بناء المجتمع الشيوعى الجديد فانها لم تستطع أن تفعل ذلك الا بعد أن تزودت بالثقافة الروسية وترعرعت فى ظلها .

ويعمل الاتحاد السوفياتى ، على قلب نظم الحياة القديمة ، بادخال الصناعة وبتصنيع الزراعة ، وباقامة مجتمع شيوعى ، وبتأسيس نظام تعليمى مجانى يستمد قوته وطبيعته من حاجات الناس ، ويشتق أهدافه وأساليبه من أهداف المجتمع الجديد وأساليبه . فقد أدرك مربو الروس أن النظام التعليمى القديم لم يمت الى حياة الناس اليومية كثيرا ، بل أنه لم ينشأ فى أرض روسية . فقد كان نظاما المانيا وفرنسيا فى صوره ومحتوياته .

ويساهم نظام التعليم فى الاتحاد السوفياتى اليوم فى تكوين درجة من التماثل والانسجام فى الحياة العامة القائمة على قدر كبير من المفارقات والمتناقضات . فهو وان كان يستعمل فى التدريس ١٨٠ لغة ، ويستمد محتوياته ومقوماته الاساسية من الثقافات القومية المتنوعة ، الا أنه فى كثير من صوره وتنظيمه روسى ، وتمتد جذوره الى ما قبل الثورة الكبرى .

واذا أردنا أن نفهم النظريات التربوية السوفياتية وطرائقها فينبغى أن نضع نصب أعيننا هذا التسلسل التربوى فى روسية القيصرية والاتحاد السوفياتى الماركسى . فبينما كانت المدرسة القيصرية تعنى بأمور الدين ، وكانت طبقية ، وشكلية ، وأكاديمية ، وتحتقر العمل اليدوى ، ونظرية ، ولغوية ، وتمنع تشكيل الجمعيات المدرسية ، وتشكك فى قيمتها التربوية ، نجد أن المدرسة السوفياتية تحارب الدين ، ومفتوحة أمام جميع الطلاب وخاصة أمام العمال والفلاحين ، ومناهجها فنية ومهنية تعنى بالدراسات العلمية والعملية الحديثة ، وتشجع تأليف المنظمات المدرسية ، وتعدها وسيلة مهمة من وسائل تربية البنين على الحياة الجماعية . « ويختلف نظام التعليم فى الاتحاد السوفياتى اختلافا اساسيا عن جميع نظم التعليم الاخرى بما فى ذلك النظم التى شاعت فى روسية القيصرية ، ويختلف عن النظم

القائمة فى الاقطار الرأسمالية . ويعود سبب هذا الاختلاف ولا شك الى طبيعة الاتحاد السوفياتى نفسه من حيث هو دولة من طراز جديد ـ الدولة الاشتراكية »[1] .

لمحة تاريخية :

وقد تأسس(*) أول نظام حكومى للتعليم فى روسية سنة ١٧٨٣ فى أيام الملكة كاترين الثانية . وقد كان نظاما مجانيا ودنيويا ومختلطا ، ومشاعا لجميع طبقات السكان حتى الارقاء منهم . وأعد الملك اسكندر الاول سنة ١٨٠٢ خطة جديدة لتنظيم التعليم متأثرا بخطة كوندورسه ، فأقام نظاما تعليميا مجانيا عاما ، تألف من مرحلتين متصلتين : مرحلة ابتدائية ومرحلة ثانوية . وكان الطلاب الفقراء يتلقون مساعدات مالية كثيرة لمواصلة دراستهم العالية . الا أن الملك نيقولا الاول غير نظام التعليم فى سنة ١٨٢٩ ووضعه على أسس « طبقية »، ومنع الارقاء والطبقات الدنيا من دخول المدارس الثانوية . وحاول الملك اسكندر الثانى سنة ١٨٦٠ أن يدخل اصلاحا جديدا فى نظام التعليم ، ويؤسس مدرسة موحدة ، الا أن محاولاته هذه قد ذهبت سدى وظل نظام التعليم طبقيا ورجعيا ومحدودا ، حتى ان المسيو ديليانوف Delyanav وزير المعارف أصدر أمرا سنة ١٨٨٧ منع فيه « اطفال سائقى العربات وابناء الخدم والطهاة

1- Medinsky, Y.N., Public Education in the U. S. S. R., P. 8, Moscow, 1952

(*) كانت الكنيسة أول من وضع أسس التعليم فى روسية ، وكان مولد التعليم فى مدينة كييف . ففى سنة ١٦٣٣ أسس بيتر موجيلا Peter Mojila أول أكاديمية لتعليم اللغات الكلاسيكية واللاهوت والفلسفة والخطابة. وقد دعت مدينة موسكو بعد ربع قرن من تأسيس هذه الاكاديمية ثلاثة من رهبان كييف لترجمة التوراة من اليونانية الى اللغة السلافية ، وتأسست على أثر ذلك مدرستان فى موسكو ، كان أساتذتها من رهبان كييف .

وابناء الغسالات وغيرهم من ابناء الطبقات الدنيا ، الالتحاق بالمدارس الثانوية المعروفة بالجمنازيوم ، وذهب الى ان حاجتهم الى الدراسة الثانوية والعالية ليست ضرورية ! • وكان من أثر ثورة سنة ١٩٠٥ أن شرع مجلس الدولة Duma (البرلمان) عدة قوانين لوضع نظام تعليمى ديمقراطى مجانى • وحينما ظفر الشيوعيون بالحكم بعد ثورة سنة ١٩١٧ تبنت الحكومة السوفياتية المثل التربوية العليا التى آمنت بها الطبقة المثقفة ، وتأسست سنة ١٩١٨ مدرسة موحدة ديمقراطية • وكانت مجانية ودنيوية ومختلطة •

ولم تظهر فى تاريخ التربية فى روسية ، كما يقول الاستاذ كاندل ، حركات أو اتجاهات تربوية جديدة الا فى عهدى الملكين اسكندر الاول والثانى • غير أن التربية بقت طوال القرن التاسع عشر قديمة فى نظمها وأساليبها ، وظلت مقتصرة على طبقة معينة من الناس • ولم تبذل جهود صحيحة الا فى سنة ١٩٠٥ ، حينما افتتح أول مجلس نيابى ، وأقر مبدأ تعميم التعليم الابتدائى على السكان كافة وفسح امام جميع الطبقات فى المجال للانتفاع بالتعليم الذى يلى الدراسة الابتدائية • وكان أكثر وزراء المعارف منذ هذا التاريخ حتى « ثورة اكتوبر » يسعون الى اجراء بعض الاصلاحات التربوية الا أنهم لم يستطيعوا أن يحققوا شيئا مهما منها • وقد قدمت أول لائحة لجعل التعليم الزاميا الى « الدوما » سنة ١٩٠٨ ، وتقرر فيها أن تضع سلطات التعليم المحلية خططا لتعميم التعليم بعد استحصال موافقة السلطة المركزية ؛ وأن تشيد أبنية المدارس ؛ وترتب على السلطات المركزية أن تدفع رواتب المدرسين ، وأن تؤثث المدارس وتجهزها باللوازم المدرسية ، وتقدم لها المساعدات المالية • وكان مقررا على أن يكون التعليم الابتدائى الزاميا ومجانيا من الثامنة الى الثانية عشرة من العمر ، وأن يجرى فى مدرسة ابتدائية مدة الدراسة فيها أربع سنوات • وفى الفترة الممتدة بين الثورتين تم اصلاح المدارس الثانوية ، ودخل عدد كبير من أولاد العمال والفلاحين الى المدارس ، وتأسست مدارس ثانوية

كثيرة الى البنات . وكانت هذه الاصلاحات دليلا على وعى الدولة ، وتحسسها بضرورة نشر التعليم وتعميمه . الا أنها قد جاءت متأخرة ، فلما اندحرت القيصرية ، وتسلمت الشيوعية مقاليد الحكم كانت نسبة الاميين فى الامبراطورية الروسية عظيمة جدا .

وقد أحدث زعماء السوفيت انقلابا اساسيا فى نظام التعليم ، وحسبوه ركنا أساسيا من أركان المجتمع الجديد . فلم تنفعهم الاسس والمبادىء القيصرية كثيرا . واعتقدوا أن المدرسة جزء من المجتمع ، وان العمل أساس عملية التعليم ، وأن المدرسة لا تستطيع أن تقف بعيدة عن النظريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى يقوم عليها هذا المجتمع الجديد ؛ وعليها أن تكون فيه وأن تساهم فى بنائه .

وقد صرح رجال الثورة أن منهاجهم التعليمى يرمى الى القضاء على الامية ، ونشر التعليم الابتدائى المجانى الدنيوى . ولكنهم لم يستطيعوا أن يحققوا أمانيهم الثقافية فى الفترة الواقعة ١٩١٧ - ١٩٢١ ولا بعدها . فقد كانت الموارد قليلة ، والمتاعب جسيمة ، والصراع الداخلى شديدا . هذا الى أن عددا كبيرا من المعلمين لم ينضموا الى الثورة ولم ينتسبوا الى الحزب الشيوعى ، مما اضطر الحكومة الجديدة الى أن تستعين بخيارهم وبالموالين منهم وبغيرهم من الطبقات المثقفة . وقد تضاعفت جهود المسؤولين فى النهوض حينما قال لينين كلمته المشهورة سنة ١٩٠٢ : « أنه لمن المستحيل أن تقيم دولة شيوعية فى قطر أمى » .

وقد ازداد منهاج الثورة التربوى وضوحا فى المؤتمر الثامن للحزب الشيوعى المنعقد سنة ١٩٢٣ ، حينما أعلن : ينبغى أن تكون المدرسة أداة من أدوات محو الطبقات الاجتماعية واقامة دولة شيوعية ، وأن يكون التعليم ، تحقيقا لهذه الغاية ، مجانيا والزاميا الى أن يبلغ الطفل السابعة عشرة من العمر ، وأن يعمم على جميع السكان دون تفريق فى الجنس ، وأن تفتح مؤسسات

تربوية للاطفال الذين لم يشملهم السن الالزامى ، وأن تنظم المدرسة تنظيما عمليا وتتصل اتصالا وثيقا بالصناعة والانتاج ؛ وأن تحارب الدين ، وتكون مختلطة ، وأن يكون التدريس بلغة الطفل القومية ؛ كما ينبغى أن يكون هدفها تلقين المثل العليا الشيوعية لجميع الاطفال ، وأن تقدم الى الافراد الذين تخطوا السابعة عشرة من العمر تعليما مهنيا ، وأن تهيء لهم مجال مواصلة دراساتهم العالية فى الجامعات ولا سيما الكادحين منهم ، وأن تستخدم جميع الوكالات التربوية من متاحف ومسارح وأندية وغيرها فى الدعاية الى المبادىء الشيوعية ، وأن ينظم التعليم فى ثلاث مراحل أساسية : عامة أو اجتماعية ، مهنية وفنية وسياسية[٢] . وما دامت الدولة تعتقد أن التعليم أهم وظيفة من وظائفها فقد ألغت المدارس الخصوصية . وقد سمحت لبعض المدارس الخصوصية أن تواصل عملها فى دائرة ضيقة مماشاة للظروف الخاصة الا أنها عادت وألغتها عملا بهذا المبدأ .

أهداف التربية السوفياتية

كانت النظريات التربوية معروفة فى الاتحاد السوفياتى منذ القرن التاسع عشر ، وقد نشرها وغذاها وحورها كثير من مربى الروس وأشهرهم بيلنسكى V.V. Belinsky وبيروكوف N. I. Pirogov اللذان أكدا على الفرد من حيث هو انسان ، ويوشنسكى K.D Ushinisky الذى أكد على الثقافة Culture من حيث هى أساس التعليم واقترح استعمال الطريقة « المركبة Complex » فى التعليم وأحد الذين ساهموا فى وضع أسس علم التربية ، وليو تولستوى Leo N. Tolstoy الذى نادى بمبدأ الحرية المطلقة فى التعليم وكوفينكو S. N. Kuvinko وكروبوتكين P. A. Kropotkin اللذان جعلا « العمل »

2- Kandel, I.L., Comparative Education P. 175

مركز كل فعالية تعليمية ، وغيرهم من كبار المربين .

وقد أخذ رجال الثورة بهذه الآراء والنظريات فى منهاجهم التربوى . ولكن نجاحها كان يتوقف على مدى اتصال المدارس والنظام الجديد والعقائد الشيوعية بعضها مع بعض . وقد نادى لينين : ينبغى أن تكون التربية تربية سياسية ؛ وأن يكون واجبنا فى المدرسة القضاء على الطبقة البورجوازية ، نقول بصراحة : ان المدرسة بعيدة عن الحياة ، بعيدة عن السياسة أكذوبة ورياء . كما نادى ان روسية القيصرية قد استخدمت المدارس « لضمان سيطرة الطبقة البورجوازية ، وان المدارس قد تشبعت بروح الطبقة البورجوازية شيئا فشيئا ، وانها كانت تستهدف تزويد الرأسماليين بخدم أذلاء وعمال أكفاء » .

وقد أقر مربو الثورة الشيوعية هذا المبدأ ، وزادوا فيه(*) ، وذهبوا الى أن هدف المدرسة اعداد بناة المجتمع الشيوعى وتكوين الابطال الذين يؤمنون بالمثل العليا التى تؤمن بها البروليتاريات ؛ وان المناهج الدراسية ينبغى أن تستمد محتوياتها من ثلاثة عناصر : من الطبيعة والمجتمع والعمل ، وان وحدة التعليم لا تتم الا اذا نظرنا الى هذه العناصر الثلاثة نظرة « تركيبية » واحدة . وفى هذا يقول بنكيفتش : « ولا شك أن ادراكنا الاشتراكى ، وتقديرنا الماركسى يختلف عن ادراك البورجوازيين وتقديرهم اختلافا أساسيا . فعلينا أن نربى جنودا للاشتراكية ، يفهمون مشكلات طبقتهم فهما واضحا ، ويستطيعون أن يزنوا أهم المعبرات الثقافية المعاصرة بأنفسهم دون ان يلتجئوا الى غيرهم ... فنحن اليوم نحلم بتربية انسان مجهز بأدوات المعرفة

(*) وهم : لوناكارسكى Lunacharasky وبوكروفسكى Pokrovski وبينكيفتش Pinkevitch وشاتسكى Shatsky وكروبسكايا Krupokaya وكثيرون غيرهم .

أحسن تجهيز ... بانسان فعال ، قوى ، يناضل فى مجتمعه عن طريق الطبقات الثورية من أجل ادراك المثل العليا التى ستجلب الى العالم السعادة والسلام ».

ان الاهداف التى تتغياها التربية السوفياتية تختلف كل الاختلاف عن اهداف الديمقراطيات الغربية . ففى الوقت الذى يذهب مربو الروس الى ان الاقطار الرأسمالية تؤسس مدارس مختلفة لطبقات مختلفة من السكان ، كما فى فرنسه والولايات المتحدة وبريطانية ، و « ان هدف المدرسة البورجوازية هو اعداد خدام امناء وسدنة اوفياء الى النظام الرأسمالى ، وتربية الشباب على روح الولاء نحو الطبقات الحاكمة المستغلة والى نظم الحكم التى ابتدعوها ، وانها تنمى فى طلابها صفات خلقية اساسها الانانية وتملك الثروة ، وانها تبعث الغرور وتثير العداء القومى والتفريق العنصرى ، وان البورجوازيين لا يسمحون للعمال الا ان يتزودوا بذلك القدر من التعليم الذى يتناسب ومصالحهم[٣] » يؤكدون على « ان نظام الحكم السوفياتى قد نهض بالتعليم العام الى مستوى لم يسبق ان بلغته اية دولة رأسمالية » ، وان هدف المدرسة السوفياتية ، كما نص على ذلك منهاج الحزب الشيوعى تحويل المدرسة « من أداة سيطرة تستخدمها الطبقة البورجوازية الى اداة يقضى بها على الانقسام الطبقى فى المجتمع قضاء مبرما ، الى اداة بعث مجتمع شيوعى » .

ويستند نظام التعليم ، كما يقول الاستاذ ميدنسكى ، الى المبادىء الآتية :

اولا ـ المساواة التامة بين القوميات .

ثانيا ـ المساواة التامة بين الرجل والمرأة .

ثالثا ـ التعليم علم ومشاع .

رابعا ـ والتعليم وظيفة من وظائف الدولة وحدها .

3- Medinsky, Y.N., Public Education in the U. S. S. R., P., II

خامسا ـ وجود رابطة وثيقة بين المدرسة والحياة العامة .

سادسا ـ انفصال المدرسة عن الكنيسة .

سابعا ـ تنسيق المدارس ، واتصال انواعها بنظام التعليم العام .

وتستهدف التربية الشيوعية فى كل خطوة من خطواتها وفى كل مرحلة من مراحلها تكوين مواطن ثورى مثالى . وقد وصف الاستاذ توماس وودى(*) فى كتابه « عقول جديدة : أناس جديدون » هذا المواطن الشيوعى فقال :

« يؤمن المواطن الجديد فى ديكتاتورية الحزب الشيوعى أو فى ديكتاتورية البروليتاريات كما يقولون عادة ؛ ويستطيع هذا المواطن أن يقيم الدليل على صحة هذه الديكتاتورية بالدايلكتيكية الماركسية ، وأن يضحى بنفسه فى الدفاع عنها ، والدعوة اليها . وينبغى أن يكون شاعرا فى تكوينه الطبقى ، وأن يحارب فى الوقت نفسه نظام الطبقات ، وفى هذا تناقض ظاهر؛ وأن يؤمن بالحركة العمالية ، ويحترم العامل احتراما عظيما ، وأن يزدرى المستغل اعظم ازدراء ، وأن يكون تفكيره دنيويا (يسيطر عليه العلم) ، والحاديا ، وسياسيا ، وجمعيا ، ولا قوميا ، أمميا ، وأن يكون صحيح العقل والجسم ، وتفكيره غير جنسى ، أى لا يعترف بتفاضلة ذكر على أنثى ؛ ان الانسان الجديد هو الذى يتصف بهذه الخصائص » .

تلك هى أهداف التربية السوفياتية ، وهى تختلف عن الاهداف التى يضعها عادة عامة المربون فى الاقطار الديمقراطية ، كقولهم : « ان هدف التربية « تكوين الخلق» أو « اعداد الشخصية » أو «اعداد المواطن» أو « ايصال الثقافة » ، وغيرها من التعاريف التى نجدها مبثوثة فى كتب التربية الامريكية والانكليزية وفى غيرها من البلاد الديمقراطية .

---

* Thomas Woody, New Minds, New Men?

نظـام التعليم العـام

كان نظام التعليم فى مطلع ثورة ١٩١٧ يمر فى فترة انتقال • فلم يزل النظام الطبقى الذى وضعه الملك نيقولا الاول سنة ١٨٢٩ قائما لم تمسه أيدى المصلحين كثيرا • فقد كان يتألف من مجمـوعتين من المـدارس منفصلتين بعضهما عن بعض : مدارس أعدت لسواد الناس وعامتهم ، ومدارس للطبقة المثقفة وخواصهم • وكانت مدة الدراسة فى المدارس الابتدائية (ريفية أم مدنية) اربع سنوات للاطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٨ – ١٢ سنة ، وفى المدارس « الابتدائية العالية » ، التى تقع جميعها فى المدن ، أربع سنوات أيضا للاطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ – ١٦ سنة • وقد كان بمقدور خريجى المدارس الابتدائية العالية أن يلتحقوا أما « بدور المعلمين » الابتدائية واما « بالمدارس الفنية الثانوية » • أما أبناء الطبقة المثقفة فكانوا يلتحقون فى نوعين من المدارس الثانوية : الجمنازيا والريال وهى شبيهة بالمدارس الالمانية ان لم تكن تماثلها • وكان الطالب يلتحق باحدى هاتين المدرستين وهو فى التاسعة من العمر بعد أداء امتحان دخول • وكانت الجمنازيا تتألف من ثمانية صفوف (بما فى ذلك الصف التجهيزى) ، والريال من سبعة صفوف (وقد تتألف أحيانا من ثمانية) • وكان خريجو مدارس الجمنازيا الكلاسيكية يلتحقون فى الثامنة عشرة من العمر وبعد نجاحهم فى الامتحان العام بالجامعات ، ولا يعوقهم عائق • أما خريجو الريال فانهم اما أن يلتحقوا « بالمعاهد الفنية العليا » بعد أداء امتحان مسابقة ، وأما بالجامعات بعد امتحان فى اللغة اللاتينية التى لم يسبق ان درسوها من قبل •

ولما ظهرت محاولات حقيقية فى مجلس الامة للقيام باصلاحات اساسية فى نظام التعليم اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى ، ونيران ثورة اكتوبر سنة ١٩١٧ • ولما تسلم البولشفيك مقاليد الحكم بذلوا جهودا كبيرة فى نشر

التعليم الابتدائى والثانوى ، وفى محو معالم الامية التى كانت قائمة فى روسية القيصرية وممتلكاتها الآسيوية ، وفى اصلاح نظام التعليم العام لتحقيق اغراض الثورة الشيوعية ؛ وأحدثوا انقلابا ، بل ثورة كبرى فى الكيان الثقافى العام.

وتبدو هذه الثورة واضحة فى الانجازات العظيمة التى قام بها الشيوعيون . فقد كان عدد طلبة المدارس فى روسية القيصرية عام ١٩١٤ حوالى ثمانية ملايين طالب وطالبة ؛ وكان عدد الاطفال الذين ظلوا محرومين من التعليم ، كما تدل الاحصاءات السوفياتية ، ٣٠ مليونا ؛ وبلغت نسبة المتعلمين فى روسية القيصرية ٠٢٤/٠ سنة ١٨٩٧ من مجموع السكان الذين تجاوزوا التاسعة من العمر ، وكانت النسبة اعظم فى شعوب اواسط آسيا . وحيث ان الشيوعيين كانوا يعتقدون ان الثورة لا تستطيع ان تنجح فى قطر تسوده الامية فقد اصدر « مجلس قومسيرى الشعوب » السوفياتية فى الثامن والعشرين من شهر كانون الاول أمرا يقضى بضرورة التكاتف فى ازالة معالمها وتقويض اركانها بين الاشخاص الذين تتراوح اعمارهم بين الثامنة من العمر والخمسين ؛ وتعليمهم القراءة والكتابة واللغة . وتطوع الى هذا العمل مئات من المعلمين والمثقفين وطلبة المدارس ، ولعبت « عصبة الشباب الشيوعى » دورا مهما فى مكافحة الامية . فبلغ عدد الراشدين الذين حضروا صفوف مكافحة الامية فى سنة ١٩٣٢ حوالى ٧٫٦٠٠٫٠٠٠ راشد وراشدة ؛ وارتفع عدد الذين يقرأون ويكتبون فى الاتحاد السوفياتى خلال سنة ١٩٢٠ - سنة ١٩٤٠ حوالى ٥٠ مليونا نسمة .

واتجه زعماء الروس بعد الاصلاحات التى قاموا بها فى نظام التعليم ، وبعد شن حملة واسعة على الامية الى نشر التعليم الابتدائى الالزامى . وفى المؤتمر السادس عشر الذى عقده الحزب الشيوعى سنة ١٩٣٠ صرح ستالين: « ان أهم ما ينبغى ان نعمله الآن هو نشر التعليم الالزامى ؛ وأقول

أهم ، لاننى اعتقد ان تبدلا كهذا سيكون خطوة حاسمة فى تحقيق الثورة الثقافية • ولقد اصبح لزاما علينا ان نخطو هذه الخطوة ؛ اذ اننا نملك اليوم جميع الوسائل الضرورية لنشر التعليم الالزامى العام فى اكثر مناطق الاتحاد السوفياتى » •

وفى اليوم الرابع عشر من شهر آب سنة ١٩٣٠ أصدرت اللجنة التنفيذية المركزية للحزب الشيوعى ومجلس قومسيرى شعوب الاتحاد السوفياتى قرارا بتطبيق التعليم الالزامى على الاطفال الذين بلغوا الثامنة من العمر ، وبجعل مدة الدراسة اربع سنوات • فصار الحد الادنى من التعليم الابتدائى اربع سنوات فى القرى والارياف ، وسبع سنوات فى المناطق والمدن الصناعية ، وانتشر التعليم انتشارا كبيرا كما يستدل من الاحصائية الآتية :

	١٩٢٨ - ١٩٢٩	١٩٢٩ - ١٩٣٠	١٩٣٠ - ١٩٣١	١٩٣١ - ١٩٣٢
عدد المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية	١٢٤٫٨	١٣٣٫٢	١٥٢٫٨	١٦٨٫١
(بالآلاف) عدد طلبة المدارس (بالملايين)	١٢٫٠	١٣٫٥	١٧٫٦	٢٠٫٩

يتضح من هذا أن الزيادة فى عدد الطلاب بلغت من سنة ١٩٢٩ - سنة ١٩٣٣ حوالى تسعة ملايين ، وشيدت من سنة ١٩٣٣ - ١٩٣٨ اكثر من عشرين الف مدرسة ، وارتفع عدد طلبة المدارس الى ٣١٫٥٠٠٫٠٠٠ طالب فى سنة ١٩٣٨ - ١٩٣٩ • ولم تقتصر هذه الزيادة على التعليمين الابتدائى والثانوى بل لازمت التعليم العالى ايضا • فبعد ان كان عدد المعاهد العالية فى روسية القيصرية سنة ١٩١٤ (٩١) معهدا وعدد الطلبة ١١٢٫٠٠٠ بلغت سنة ١٩٣٩ (٧٥٠) معهدا عاليا ، واصبح عدد طلاب المعاهد العالية نفسها ٦٢٠٫٠٠٠ • واصيبت المدارس الابتدائية والثانوية والعالية باضرار جسيمة اثناء الحرب العالمية الثانية ، واستطاع الاتحاد السوفياتى أن يعوض عن هذه

الاضرار ، وان يفتح ابواب المدارس على مصراعيها ؛ فبلغ عدد طلبة المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية والمدارس الفنية العليا (*) ودور المعلمين والمؤسسات الاخرى ٣٧ مليونا ؛ وبلغ عدد المعاهد العالية فى السنة نفسها ٨٨٠ معهدا ، يدرس فيها حوالى ١٫٢٤٧٫٠٠٠ طالب (بما فى ذلك طلبة مدارس المراسلة).

سلم التعليم

يتناول نظام التعليم فى الاتحاد السوفياتى مختلف الاعمار ، ويتألف حداه من نهاية صغرى هى دور الحضانة ومن نهاية كبرى هى المعاهد العالية ومدارس اعداد الراشدين ، أى انه يتكون من : مدارس للحضانة ، ورياض للاطفال ، ومدارس ابتدائية ، وثانوية ، ومهنية وفنية ، ومعاهد عالية .

ولما كانت التربية فى معناها السوفياتى عملية من عمليات « تكيف » وفق اتجاهات معينة وجب أن تبدأ هذه العملية فى مرحلة مبكرة من مراحل النمو ، وأن يحاط الطفل بطائفة من المؤثرات الخارجية لتحقق درجة النمو المطلوبة . ومن أجل هذا ، ولعوامل اقتصادية ناتجة عن ازدياد استخدام النساء فى الانتاج وضرورة تخفيف واجباتهن البيتية ، وجه السوفيت عنايتهم الى تربية الاطفال منذ ولادتهم فأسسوا عددا كبيرا من دور الحضانة للاطفال الذين تتراوح أعمارهم بين عام واحد وثلاثة أعوام ، وعددا من « رياض الاطفال » الذين تتراوح أعمارهم بين ٣ ـ ٧ سنوات .

وتلتحق دور الحضانة عادة اما بالمعامل ، واما بـ « الحقول الجماعية »، وتشرف عليها وزارة الصحة ، وترمى الى ضمان نشأة الرضيع نشأة صحية بالالعاب والعناية الصحية ، ونشأة تربوية واجتماعية وفق المبادىء السوفياتية. وهى وان كان عددها قليلا فى الوقت الحاضر ، الا انها تسدى خدمات جليلة

(*) ينبغى دائما ان تؤخذ احصاءات الاتحاد السوفياتى بشىء من التحفظ ؛ اذ ان السوفييت تستهويهم الارقام كثيرا .

الى الآباء والامهات بعنايتها بالاطفال ، وباعتبارها مركزا لبث الثقافة الصحية والنفسية والتربوية .

رياض الاطفال :

كانت رياض الاطفال فى العهد القيصرى مؤسسات خصوصية تعنى بتربية أبناء الخاصة ، ولم تؤسس الا فى المدن ؛ ولم يتجاوز عددها أكثر من ٢٥٠ روضة . أما الآن فقد بلغ عددها ٢٥٫٠٠٠ روضة وأصبحت مؤسسات حكومية عامة . وهى اما أن تكون نهارية أو داخلية ، وتديرها وزارات المعارف فى كل جمهورية من الجمهوريات . وينص نظام ١٩٤٤ على « أن رياض الاطفال مؤسسات حكومية لتربية الاطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٣ – ٧ من العمر تربية سوفياتية مدنية ، وان غرضها تنشأة الاطفال وتربيتهم تربية متعددة الجوانب . وهى فى الوقت نفسه تساعد النساء على أن يساهمن فى الوظائف الحكومية ، وفى الصناعة ، وفى الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية » . كما تعنى بتنمية الخلق والقدرات العقلية ، بتعليم الاطفال تلك العادات الحسنة التى تعودهم الترتيب والنظام فى أعمالهم وفى ألعابهم واستعمالهم للآلات والادوات ؛ وتنمى فيهم حب العمل الجمعى لمناهضة ميولهم الفردية ؛ وتغرس فيهم حب الوطن السوفياتى، وحب زعمائهم وخاصة لنين وستالين ؛ وتعنى بالموسيقى والاغانى عناية عظيمة . وفى هذا يقول الاستاذ ميدنسكى المربى المشهور « يتعلم الاطفال حب الوطن السوفياتى ، حب شعبهم وقادتهم ؛ وينالون تربية مفعمة بالروح الجمعية ، وتتكون عندهم عادات على العمل والتنظيم ، ويتعلمون كيف يكونون نظيفين ومرتبين ، وكيف يحسنون التصرف بين الصغار والكبار ، ويتعلمون احترام الكبار وحب الوالدين ... »(*).

(*) يقضى الطفل يومه فى روضة الاطفال بالوجه الآتى :
تفتح الروضة ابوابها بين الساعة السابعة والعاشرة صباحا ويتوقف

وقد اتخذت رياض الاطفال السوفياتية موقفا عدائيا من آراء فرويبل ومنتسوري ، وعدتها آراء اصطناعية ، بعيدة عن الحياة ، وغريبة عن المعتقدات السوفياتية . وقد اخذت تنمي الفعاليات الجمعية بين الاطفال ، وتجعل نظرة الطفل الى الحياة ، حتى في هذا السن المبكر ، نظرة مادية ، وتلقنه المبادىء السوفياتية والعقائد الماركسية .

« فقد وضعت التربية السوفياتية نظاما خاصا بالتربية القبمدرسية يختلف كل الاختلاف عن النظم الاخرى ؛ وتعتقد ان طرق فرويبل ومنتسوري المتبعة في الاقطار البورجوازية تنطوي على نواقص كثيرة ؛ وانها تنحو الى تدريب الاطفال لا تربيتهم ؛ وان جميع الفضائل والاساليب التي تتحلى بها طريقة

ذلك على موعد ذهاب الآباء والامهات الى العمل . ويمضي الاطفال عادة ساعة واحدة في الالعاب وفاعليات اخرى يجرونها في ساحة الروضة قبل تناول طعام الافطار وتبدأ الدروس الصباحية بعد الافطار ، وهي الرسم والغناء والحركات الايقاعية والقراءة وقراءة القصص ، والالعاب الثابتة والسيارة ، والرياضة البدنية . وتختلف مدة الدراسة من درس لآخر ، ويتوقف على عمر الطفل . فصغار الاطفال يقضون بين ٢ ١ـ ٢٠ دقيقة ، والمتوسطون بين ٢٥ ـ ٣٠ دقيقة ، والكبار بين ٣٠ ـ ٤٠ دقيقة . ويعطى درسان في كل يوم الى الكبار بعد الانتهاء من الدروس العامة . ثم يخرج الاطفال عادة الى التمشي واللعب في ساحة الروضة ، وفي الصيف يؤخذون الى الساحات العامة القريبة او البعيدة ، والى الغابات ، ويقومون بتربية الحيوانات . ويطلب الى الاطفال اثناء تجوالهم ان يلاحظوا حياة الحيوانات والنباتات .

وبعد تناول طعام الغداء ينام الاطفال لمدة ساعة ونصف او ساعتين ، واذا استيقظوا من قيلولتهم أعد لهم الشاي ثم يواصلون اللعب والدراسة حتى الساعة السادسة او السابعة مساء ، حيث يعودون الى بيوتهم لتناول طعام العشاء .

وتنتقل جميع رياض الاطفال في الصيف الى الارياف .

فروبل - كقص اشكال معقدة من الورق .. والقيام بحركات بغية تنمية البصر والسمع وحاسة اللمس الخ .. لا تثير جميعها أولاع الاطفال ، ولا تجدى نفعا ، وتؤدى الى التعب »[٥] . وهى على نقيض ذلك تحسب اللعب اساس الفاعلية التربوية ، وتأخذ بنظر الاعتبار عمر الطفل ونفسيته واولاعه الخاصة ، وتعامل كل طفل كما لو كان عالما حقيقيا لا صورة مجردة .

وتبدأ المؤثرات التربوية « المقصودة » تعمل فى نفوس الاطفال عن طريق الفعاليات المتصلة بالعمل وبالطبيعة والمجتمع . فالطفل فى روضته يحاكى الكبار فى اعمالهم وحركاتهم ، ويتدرب على العادات « الجمعية » وتتفتح قواه العقلية بالقيام بالفعاليات الابداعية . وقد منع مربو الروس استعمال القصص الخرافية وحسبوها من مخلفات صراع الطبقة البورجوازية ، كما منعوا القصص الشعبية وحسبوها رواسب خرافية ، وحلت محلها قصص حقيقية مستمدة من حياة الناس المادية اليومية .

ويستطيع الطفل فى آخر سنة من سنوات رياض الاطفال ان ينضم ، اذا توافرت فيه شروط العضوية ، الى مؤسسة « الاوكتوبريين »(*) Okitabrata ويعد الالتحاق بهذه المؤسسة أول مرتبة من مراتب اعداد القادة ورجال الحزب . وقد قال لينين ان من واجبات الاوكتوبريين هى : أولا ، وهو أهم واجب ، أن يساعدوا العمال والفلاحين فى كفاحهم دوما ، وثانيا ، أن يدرسوا ، وثالثا وأخيرا ، أن يجعلوا منظماتهم قوية .

التعليم الابتدائى :

بذلت الحكومة السوفياتية عقب تسلمها زمام الحكم جهودا عظيمة فى نشر التعليم الابتدائى ، الا أنها لم تستطع أن تجعله الزاميا الا بعد أن أقرت

5-Medinsky, Y.N., Public Education in the U.S.S.R.,P.,43-44

(*) نسبة الى اكتوبر شهر الثورة الشيوعية فى روسية .

« اللجنة المركزية للحزب الشيوعى » بتوصية من « المؤتمر الشيوعى السادس عشر » فى الخامس والعشرين من شهر تموز سنة ١٩٣٠ مبدأ التعليم الالزامى المجانى للبنين والبنات الذين تتراوح اعمارهم بين ٨ - ١٢ سنة . وتقرر أن تكون مدته أربع سنوات ، وأن تتخذ وزارات المعارف فى كل جمهورية من الجمهوريات الاجراءات اللازمة للشروع به والانتهاء منه فى ١٩٣٤ .

وقد أصبحت الدراسة الابتدائية سنة ١٩٤٤ - ١٩٤٥ ، وبعد أن امتد السن الالزامى تبدأ بالسابعة من العمر وتنتهى فى الحادية عشرة ، أو بعده بقليل ، وأصبح أمدها قريبا من أمد الدراسة الابتدائية الانكليزية والفرنسية. ولم تزل المدرسة الابتدائية فى الريف ، كما بينا آنفا ، مدرسة مستقلة ، ولم تزل تؤلف فى المراكز الصناعية وفى المدن قسما من «المدرسة الثانوية الناقصة» ذات السنوات السبع ، أو قسما من « المدرسة الثانوية التامة » ذات السنوات العشر . و لاتختلف مناهج السنوات الاربع الاولى ونظمها عن المدارس الابتدائية المستقلة أو الملحقة بالمدارس الثانوية الناقصة والتامة بعضها عن بعض ، مما ساعد الطلاب على الانتقال من المدرسة الابتدائية الى الصف الخامس الثانوى بعد أن يجتازوا الامتحان العام ، وينجحوا فى اللغة الروسية (تكلما وكتابة) والحساب (التحريرى والشفوى) . كما لا تختلف مناهج المدارس الابتدائية فى الاتحاد السوفياتى عن مناهج اقطار غربى اوروبا كثيرا ، الا فيما يتعلق بدراسة اللغات ؛ حيث أن طبيعة تكوين المجتمع تتطلب من المواطن السوفياتى أن يلم بلغتين أو أكثر . وينطبق هذا على الاطفال الروس الذين يسكنون مناطق روسية انطباقا صحيحا . فهؤلاء يتكلمون أكثر من لغة . أما الاطفال الروس الذين يقطنون جمهوريات اخرى وتكون لغة التعليم فيها غير الروسية فينبغى أن يتعلموا لغة الجمهورية نفسها . وعلى الاطفال الذين ليسوا من أصل روسى ان يتعلموا اللغة الروسية . واذا كان ذلك يسيرا على الروس البيض والاكرانيين لدرجة ما فانه يصعب على الاطفال الذين

يتكلمون التركية مثلا ، مما يتطلب أن يبذلوا جهودا فى تعلمها أكثر من غيرهم. ويتعلم أطفال بعض الاقليات ثلاث لغات سوفياتية . فان كانوا يهودا يسكنون اوكرانيا تعلموا العبرية والاوكرانية والروسية ؛ وان كانوا أرمنا يسكنون جمهورية جورجيا مثلا تعلموا اللغات الارمنية والجورجية والروسية .

ويجرى التدريس فى المدارس الابتدائية بلغة الاطفال القومية ، وتعليم اللغة الروسية بصورة الزامية فى كل جمهورية من الجمهوريات ابتداء من الصف الثانى ابتدائى . وفى هذا يقول الاستاذ ميدنسكى : وتضع المدرسة الابتدائية الى التلاميذ (أو تقدم الصفوف الاربعة الاولى من المدرسة المتوسطة او الناقصة او السباعية) اساسا متينا فى اللغة الروسية ، فتعلمهم القراءة والكتابة والتكلم تعلما جيدا ، وتعرفهم بالادب الروسى الذى يتناسب هو واعمارهم ، وتبعث فيهم القدرة على التعبير عن افكارهم كتابة وتكلما ، وتعلمهم قواعد النحو الاساسية .

وتبدأ السنة الدراسية فى اليوم الاول من شهر ايلول من كل سنة ، وتقسم الى اربعة فصول : فيبدأ الفصل الاول فى اليوم الاول من شهر ايلول وينتهى فى الخامس من شهر تشرين ثانى ؛ ويبدأ الفصل الثانى فى اليوم التاسع منه وينتهى فى اليوم الثالث والعشرين من شهر آذار ؛ ويبدأ الفصل الرابع فى اليوم الاول من شهر نيسان وينتهى فى العشرين من شهر مايس. ويمتد الفصل الرابع الى اليوم الخامس من شهر حزيران بالنسبة لتلاميذ السنة الرابعة استعدادا لاجتياز امتحان الدراسة الابتدائية . وينتقل تلاميذ الصفوف الثلاثة الاولى من سنة الى اخرى على اساس سعيهم السنوى وبدون امتحان ، الا تلاميذ السنة الرابعة الذين عليهم أن يجتازوا امتحانين الاول باللغة الروسية ان كانوا روسا (او اللغة القومية المحلية) والثانى بالحساب .

وتستعمل المدرسة الابتدائية المقياس الخماسى لتقدير جهود تلاميذها . فدرجة ٥ ترمز الى (ممتاز) و٤ الى (جيد) و ٣ الى (متوسط) و٢ الى (ردىء) و١ الى (ردىء جدا) .

وينتمى طلاب المدارس الابتدائية الى منظمات « الرواد » والكومزومول، ويتدربون على الطاعة والقيادة والخدمة . ويعرف « الرائد » فى المدرسة من شاراته ، ويتحمل كافة المسئوليات . فهو ، كما يقول الاستاذ كاندل « لا يترك الطلبة يتنحون عنه ، بل يلاحقهم ويتصل بهم ، ويحاول أن يضمهم الى منظمته ، ويعرفهم بعمله . وعليه أن يساهم مساهمة فعلية فى الحياة المدرسية، وأن يدعم الانضباط المدرسى ، وأن يجلب الى حلقات المناقشة والى الالعاب والفعاليات المدرسية عددا آخر من الطلاب ، وأن ينظم الاجتماعات ، ويشرح واجبات الرواد وأهدافهم - ويشرح بصورة خاصة أوامر قائدنا ومعلمنا ، الرفيق لينين . »

التعليم الثانوى

كان التعليم الثانوى القديم ينحصر فى الصفوة المختارة من الطلاب والطالبات ، وكانت الثقافة ، كما ينظر اليها تاريخيا ، هى التى تقرر مناهج الدراسة لدرجة كبيرة ، ولكن الاتحاد السوفياتى لم يقبل هذا الحصر ولا هذه الثقافة ليكونا أساسين من اسس النظام التربوى الجديد الذى يستهدف تكوين عقول جديدة ، ويعد الشبان الى تقبل صور من الحياة جديدة كما ترسمها وتلونها العقائد الشيوعية . فقد كانت المدرسة الثانوية القديمة فى رأى الشيوعيين ، أداة من ادوات تخليد الفوارق الطبقية ، ووسيلة من وسائل ابعاد الطبقة المثقفة عن طبقة البروليتاريات العمالية . وقد اعتقد مربو الروس أن المدرسة الثانوية قسم من اقسام « مدرسة العمل الموحدة » ، وأن جهودها لا تنحصر فى ايصال المعرفة من أجل المعرفة نفسها كما هو شأنها فى انكلترة وفرنسة ، وانما ينبغى أن تسيرها وتسيطر عليها المثل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للنظام الاجتماعى الجديد . ولا يمكن أن تسير بعيدة عن العمل ، وعن العقائد الشيوعية ؛ كما لا يمكن أن تكون عازفة عن تلبية حاجات

المجتمع التى هى فيه[٦] .

وقد كانت الدراسة الثانوية فى الاتحاد السوفياتى عملية ، وتتصل كل فعالية من فعالياتها بمهنة من المهن اتصالا قد يشتد فى ناحية وقد يضعف فى ناحية أخرى . واذا كان هدف التعليم الثانوى مهنيا فينبغى أن يكون مفيدا للعامل ، ومرتبطا بمشروع الخمس سنوات الاول . وهذا ما حدث فعلا . فقد اصطبغت كل فعالية من فعاليات المدرسة بالعمل ـ المنهج وحياة الطلبة ، والعمل فى داخل الصف وخارجه . الا أن المدرسة الثانوية ، وكذلك المدرسة الابتدائية ، قد تبدلت طبيعتها فى السنوات الاخيرة ، وتركت طابعها المهنى قليلا ، لاسيما بعد أن شاركت المدارس فى مشاريع الخمس سنوات ، وبعد أن أحرزت روسية تقدما هائلا فى ميدان الصناعة والاقتصاد .

وتتداخل المدارس الثانوية والابتدائية بعضها فى بعض أحيانا ، فمنها ما كانت مستقلة ، ومنها ما كانت ملحقة ، وتوازيها وتسايرها مدارس مهنية . فيستطيع خريجو المدارس الابتدائية مثلا أن يواصلوا دراساتهم فى مدارس أخرى ملحقة بالمعامل لمدة ثلاث سنوات ان كانوا من أهل المدن ؛ أما اذا كانوا من اهل الريف فقد تؤسس لهم أحيانا مدارس تجمع بين الدراستين الابتدائيه والثانوية ، وأحيانا قد تؤسس منفصلة اذا اقتضت الحاجة . وترمى هذه المدارس الى تحقيق هدف مهنى ، وهو تدريب الشبان على الاعمال الزراعية ، واعداد الفلاحين الحديثين ، وتدريب التعاونيين . وقد افتتحت فى المدن أيضا مثل هذه المدارس ، والحقت بالمعامل والمشاريع الصناعية لاغراض مهنية وعملية .

وتؤلف المدارس الابتدائية الالزامية « مدارس الدرجة الاولى » ؛ والمدارس الثانوية ، بقسميها الناقص والتام ، « مدارس الدرجة الثانية » .

6—Kandel, I.L., Comparative Education

وقد سبق ان بينا ان الصفوف الاربعة الاولى من المدرسة الثانوية الناقصة (او المدرسة السباعية او المتوسطة) والصفوف الاربعة الاولى من المدرسة الثانوية التامة تؤلف المرحلة الابتدائية وتعد امتدادا لها ، وانها فى مناهجها واعمار طلابها لا تختلف عن مناهج الدراسة الابتدائية ؛ وان التعليم الابتدائى الذى يمتد حتى مرحلة الدراسة الثانوية الناقصة الزامى ومجانى ؛ وان مدة الدراسة الابتدائية سبع سنوات (وبعبارة أصح ثلاثة) والثانوية عشر سنوات (وبعبارة أخرى ست سنوات) ؛ وقد تكون احد عشرة سنة كما فى جمهوريات جورجيا واستونيا ولاتفيا .

ان جميع المدارس الثانوية يمكن تقسيمها الى طائفتين ، مدارس ثانوية ناقصة ، ومدارس ثانوية تامة :

١ - المدارس الثانوية الناقصة :

لم تنتشر هذه المدارس كثيرا فى جميع اطراف الاتحاد السوفياتى بعد ، ولكنها أخذت تنمو نموا متواصلا فى الارياف ، واصبحت المدرسة الالزامية الوحيدة التى يدرس فيها ابناء الارياف . وتقدر نسبة خريجى المدارس الابتدائية (الصف الرابع) الذين يلتحقون بالصف الخامس (وهو أول صف من صفوف المدرسة الثانوية الناقصة المتصلة) حوالى ٠٦٠/٠ .

ويتضمن منهج الدراسة بالاضافة الى مفردات منهج الدراسة الابتدائية مواضيع علمية واجتماعية كثيرة . ولا تختلف مناهجها كثيرا عن مناهج المدارس الاخرى ، الا انها تصطبغ بصبغة زراعية فى الارياف لتساير حياة القرية وحاجاتها .

وتدرس قواعد اللغة الروسية واملاؤها وآدابها فى الصفوف الخامسة والسادسة والسابعة . ويعد تدريس روائع الادب الروسى مقدمة لدراسة تاريخ الادب الذى يبدأ تدريسه فى الصف الثامن ، ويستمر فى التاسع والعاشر من المدرسة الثانوية التامة . اما الرياضيات فتتضمن تدريس الكسور

الاعتيادية والعشرية والنسبة والتناسب ؛ واما الجبر والهندسة فتدرس ابتداء من السنة السادسة . وتسعى المدرسة الثانوية الناقصة فى تدريس الرياضيات الى ربط النواحى النظرية بالعملية . ومن الدروس الاخرى التى تشتمل عليها مناهج الدراسة : العلوم الطبيعية كالحيوان والنبات ، والتاريخ الطبيعى الذى يستهدف تكوين وجهة نظر مادية نحو العالم فى ضوء النظريات المادية التى وضعها العالم الروسى الشهير ميشورين I. V. Michurin ويراعى فى تدريس العلوم الطبيعية ربط النواحى النظرية بالمشاكل العملية للزراعة . « ويتناول تدريس التاريخ دراسة تاريخ الشرق القديم ، وتاريخ الرومان واليونان ، وتاريخ القرون الوسطى ، وطلائع التاريخ الحديث ، اى منذ الثورة البورجوازية الفرنسية التى وقعت فى القرن الثامن عشر . وقد وضع منهج التاريخ بحيث يعطى الطالب صورة واضحة عن بداية وتكوين كل نظام اجتماعى وعلاقة ذلك فى ظروف حياة المجتمع المادية (او وسائل الانتاج) فى كل فترة تاريخية معينة . ويتوقع ان يعرف الطلاب الاعمال التى قام بها ابطال تلك الفترة وحقائقها التاريخية ، وان يدركوا العوامل التى أدت الى ظهور هذه الحقائق وتطورها الطبيعى . ويتناول درس التاريخ دراسة تكوين الطبقات فى المجتمع وطبيعتها العدائية ، ويبين صراع الطبقات والانهيار المحتوم لنظام الطبقات الآخذ بالاحتضار ؛ واظهار الفكرة الاساسية التى يدور عليها تدريس التاريخ ، وهو الانتقال التقدمى للمجتمع الانسانى ، وانهيار النظام القديم المحتوم ، وانتصار نظام اجتماعى افضل . وتتجلى هذه الفكرة فى دراسة انهيار العالم القديم القائم على الرق والعبودية ، واستبداله بنظام اقطاعى ؛ هذا النظام الذى مهد الطريق ، وبتطور الرأسمالية والطبقة البورجوازية ، لظهور نظام رأسمالى عن طريق الثورة (الثورات الانكليزية والهولندية البورجوازية التى وقعت فى القرن السابع عشر والثورة البورجوازية الفرنسية التى حدثت فى القرن الثامن عشر) . وفى هذه المرحلة يفهم الطالب

طبيعة الثورات البورجوازية المحدودة بالقياس الى الثورة الاشتراكية »[٧] .

ويدرس الطلبة فى المدارس الثانوية الناقصة دستور الاتحاد السوفياتى ، ويعرفون بنظام الحكم فى الاتحاد السوفياتى ، ويلقنون بانه أعلى مرتبة من مراتب الديمقراطية ، وان الحزب الشيوعى يلعب دورا اساسيا فى حياة البلاد السياسية والاقتصادية وانه يؤدى خدمات جلى فى تكوين الدولة السوفياتية وفى زيادة قوتها ، وان الشعوب السوفياتية تساهم فى جميع الانجازات العظيمة .

ويؤدى الطالب فى آخر سنة من سنوات الدراسة امتحانا يحصل بعد نجاحه فيه على شهادة الدراسة الثانوية الناقصة ، وتؤهله الالتحاق بالصف الثامن من المدرسة الثانوية التامة أو بـ « مدرسة فنية عالية » Technicum بعد ان يجتاز امتحان دخول .

٢ ـ المدارس الثانوية التامة :

وتقع عادة فى المدن الكبيرة ، وفى المراكز الصناعية . ولما كان الالتحاق بصفوفها الثلاثة العالية اختياريا فان نسبة الطلاب الذين ينتمون الى الصف الثامن تقدر بـ ٥ بالمائة من مجموع طلاب المدارس الثانوية الذين هم فى الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من أعمارهم . ومع أن كل طالب يستطيع ـ نظريا ـ أن يلتحق بالصف الثامن بعد تخرجه من مدرسة ثانوية ناقصة فان وجود طلاب الصفوف الدنيا من المدرسة الثانوية التامة ، عمليا فى المدن والمراكز الصناعية ، يجعلهم يستفيدون من المدارس الثانوية التامة أكثر من غيرهم ، ويواصلون دراساتهم فيها ؛ بينما ينتقل خريجو المدارس الثانوية الناقصة الى مدارس جديدة فى مدرسيها وبيئتها . فاذا أراد أحدهم أن

7- Medinsky, Y. N., Public Education in the U. S. S. R., P., 54-55.

يواصل دراسته فى مدرسة ثانوية « تامة » انتقل من الريف الى المدينة او الى المركز الصناعى • واذا لم يكن لديه أقرباء فى المدينة تكبد نفقات سكن وملبس ومشرب •

وقد كان عدد المدارس الثانوية فى روسية القيصرية ١٩٥٣ مدرسة سنة ١٩١٤ - سنة ١٩١٥ ، وعدد طلابها ٦٣٥٫٥٩١ ؛ وازداد هذا العدد الى ١٢٫٤٦٩ مدرسة فى سنة ١٩٣٨ - ١٩٣٩ والى ٩٫٠٢٨٫١٥٦ طالب وطالبـــة •

مناهج الدراسة الثانوية :

ولا تختلف مناهج الدراسة فى السنوات السبع الاولى من المدرسة الثانوية « الناقصة » عن مثيلاتها من المدارس الثانوية « التامة » • وكثيرا ما تكون أبنية المدارس الثانوية التامة ومعداتها ولوازمها ومستوى مدرسيها أحسن من المدارس الثانوية الناقصة • وتنظم مناهج الدراسة وفق الطريقة « التركيبية » وتدرس المواضيع تدريسا « موحدا » • وفى الصفوف العليا من المدرسة الثانوية الناقصة تدرس المثلثات والفلك ، وتوجه عناية كبيرة الى تدريس الفيزياء والكيمياء • أما فى تدريس الرياضيات فتزداد العناية بتطبيق الرياضيات على التكنوقراطية والزراعة •

ويدرس الادب فى الصفوف الثامنة والتاسعة والعاشرة من المدارس الثانوية دراسة تطورية تاريخية ؛ فيتفهم الطلاب الدور الذى يلعبه فى حياة المجتمع الروسى ، وأهميته الكبيرة ، و « يقفون على خصائص الادب الروسى القومية والوطنية ، والدور الذى قام به فى النضال الثورى لجميع الشعوب السوفياتية » كما يقول الاستاذ ميدنسكى • ويدرس الطلبة ايضا بعض الروائع الادبية العالمية والروسية ليتلمسوا أثر هذه الروائع الخالدة فى تطور الادب العالمى نفسه •

الدرس(*)	عدد الساعات فى كل اسبوع					مجموع ساعات الدراسة للدرس كله
	السنوات السبع الاولى	السنة الثامنة	السنة التاسعة	السنة العاشرة	المجموع	
اللغة الروسية والقراءة	٧٦	—	—	—	٧٦	٢ر٥٠٨
الادب	—	٥(٦)	٦	٥	١٦ر٥	٥٤٤
الحساب	٣٥	—	—	—	٣٥	١ر١١٥
الجبر والمثلثات الهندسية	١٢	٦	٦	٦	٣٠	٩٩٠
العلوم الطبيعية	٩ر٥	٢	٢	—	١٣ر٥	٥٤٥
التاريخ	٩ر٥	٤	٤	٤	٢١ر٥	٧٠٥
دستور الاتحاد السوفياتى	٢	—	—	—	٢	٦٦
الجغرافية	١٠ر٥	٣	٢(٣)	—	١٦	٥٢٨
الفيزياء	٥	٣	٣(٢)	٤	١٤ر٥	٤٧٨
الفلك	—	—	—	١	١	٣٣
الكيمياء	٢ر٥	٢	٣(٢)	٤(٣)	١٠ر٥	٣٤٦
اللغات الاجنبية	١١	٤(٣)	٣(٢)	٤	٢٢	٧٢٦
التربية البدنية	١٢	٢	٢	٢	١٨	٥٩٤
الرسم	٦	—	—	—	٦	١٩٨
الرسم الميكانيكى	١	١	١	١	٤	١٣٢
النشيد	٤	—	—	—	٤	١٣٢
المجموع	٩٦	٣٣	٣١	٣١ر٥		٩ر٦٨٠

(*) ادخل تدريس علم النفس والمنطق ابتداء من السنة الدراسية ١٩٤٨ – ١٩٤٩ فى ٥٣٨ مدرسة ثانوية تقع فى ١٢ مدينة كبيرة .

وبالاضافة الى تدريس الآداب والرياضيات والجبر والهندسة والمثلثات وعلم النبات والحيوان يدرس الطلبة الفسلجة والنظريات الداروينية ؛ كما يدرسون التاريخ العام لمدة اربع سنوات ، وتاريخ الشعوب السوفياتية لمدة سنتين • ويؤكد الاستاذ ميدنسكى ايضا ان تدريس التاريخ يستهدف تفسير نظريات ماركس ولينين فى قوى الانتاج والدور الذى تقوم به فى التصير التاريخى ، وفى علاقات الانتاج وكفاح الطبقات ، وفى الثورة الاشتراكية وديكتاتورية البروليتاريات ، وعلاقة الشعب الروسى فى تاريخ الشعوب السوفياتية • وتدرس اللغات الاجنبية ابتداء من السنة الخامسة ؛ ويختار الطالب اما اللغة الانكليزية او الالمانية او الفرنسية •

ويواصل مربو السوفيت اصلاح مناهج الدراسة الثانوية ؛ ولكن هذه الاصلاحات لا تتم الا وفق الطريقة الدايلكتيكية ، والعقائد الماركسية • فمثلا من الدروس الجديدة التى ادخلت فى صلب مناهج الدراسة الثانوية هى : علم النفس ، والمنطق ، وأسس النظرية الداروينية • وقد بدأت دراسة علم النفس فى الصف المنتهى من صفوف المدرسة الثانوية سنة ١٩٤٧ • أما الغرض من تدريسه فهو مساعدة الطلاب على أن يتقدموا فى حياتهم المدرسية بصورة عملية ـ فى علاقاتهم الشخصية ؛ وفى فهم التاريخ والادب والفنون ؛ وفى تحسين قابلياتهم التذكرية ؛ وفى طرق التعليم والدراسة والمطالعة • أما الغرض من تدريس المنطق فهو مساعدة الطلاب على ان يتحدثوا ويفكروا بصورة صحيحة ، وأن يحسنوا البحث فى الطريقة الدايلكتيكية •

أما مواضيع أسس النظرية الداروينية فقد شقت طريقها الى مناهج الدراسة الثانوية ، واستقرت فيها استقرارا ثابتا ، وأخذت تدرس ابتداء من الصف التاسع فى المدرسة الثانوية • ويدعى مربو السوفيت أن المدرسة الثانوية السوفياتية هى المدرسة الوحيدة التى تعنى بمثل هذه الدراسات وفى

مثل هذه المرحلة الدراسية ؛ وان تدريسها يمكن ان يبرر علميا • « فالطبيعة في حركة دائمة في الزمان والفضاء » ، وان هذه الحركة لها اتجاه معين • وتحتوى النظرية الداروينية على مادة كثيرة تدعو الى التفكير الحركى في أصل الحياة وأصل الانسان ، وتطوره النشوئى ، وتساعد الانسان على أن يتعلم قوانين نمو النبات والحيوان • وبعبارة مختصرة يرى مربو السوفيت أن في النظرية الداروينية (نظريا وعمليا) منظومة واضحة لتطور الاحياء العضوية تطورا تاريخيا ومطردا[٨] •

ان الدور الذى يقوم به المدرس في ايصال هذه المعلومات عظيم ومهم • فينبغى أن تكون معلوماته واسعة جدا ، وأن يكون ، من الناحية التربوية ، ملما بعلم النفس الخاص بعقلية الطفل ، وأن يفهم طريقة العقل الدايلكتيكية ، وأن تكون ثقافته السياسية واسعة ، ومعرفته بالماركسية ـ اللينينية أوسع ، وأهم من هذا كله ينبغى أن تتشرب نفسه بالقضية السوفياتية وأهدافها البعيدة •

وقد تقرر في سنة ١٩٤٤ أن يؤدى طلبة المدارس الثانوية التامة امتحانا عاما نهائيا • فمن اجتازه « بامتياز » نال أوسمة ذهبية أو فضية ، وقبل في المعاهد العالية بدون اداء امتحان دخول • أما الطلبة الذين يجتازون هذه الامتحانات بدرجة جيد أو متوسط مثلا فلا يستطيعون الالتحاق بمعهد من المعاهد الا بعد النجاح في امتحان الدخول الذى ينظمه ذلك المعهد •

وينتقل الطالب من سنة الى اخرى بعد اجتياز امتحان في نهاية السنة الدراسية • وعند تخرجه يؤدى امتحانا شفويا وتحريريا في اللغة الروسية وآدابها ، وفي الرياضيات (مثلثات وهندسة وجبر) ، وامتحانا شفويا فقط

---

8 — Shore, Maurice., Soviet Education, P. 225-6, New York 1947.

فى دروس الكيمياء والفيزياء والتاريخ واللغة الاجنبية .

التعليم المختلط :

وقد بدأ التعليم الثانوى مختلطا منذ سنة ١٩١٨ ، وظل كذلك حتى سنة ١٩٤٣ ؛ فلما الغى تأسست مدارس ثانوية مستقلة للبنين والبنات عام سنة ١٩٤٤(*). ويذهب مربو السوفيت الى ان الغرض الاساسى من تطبيق التعليم المختلط فى المدارس الثانوية كان لتحقيق المساواة بين المرأة والرجل، ولتعميم التعليم الثانوى بحيث يصبح فى متناول جميع المراهقين والمراهقات . فلما تحققت المساواة وانتشر التعليم الثانوى لم يعد ثمة حاجة لتأسيس مدارس ثانوية مختلطة . وقد حان الوقت لمراعاة الفروق الفسلجية بين الولد والفتاة فى دور المراهقة الذى يساير مرحلة الدراسة المتوسطة ، ومراعاة حاجاتهم الخاصة فى التربية البدنية ، واعدادهم الى الحياة العامة . وفى الاتحاد السوفياتى اليوم مدارس ثانوية مستقلة واخرى مختلطة .

ولم يستطع الاتحاد السوفياتى أن يتخلص من جميع المشاكل التربوية التى تواجهه ، وأن يذلل جميع العقبات التى كانت وما زالت تعترض كل نظام تعليمى ، وأخصها تحقيق المساواة المطلقة فى الفرص التعليمية ؛ فليست الفرص التربوية التى يتمتع بها أبناء الارياف هى نفسها التى يتمتع بها أبناء المدن . ان العوامل الجغرافية واختلاف الوظائف الاجتماعية تساعد على تثبيت أقدام الجبرية الاجتماعية . وقد أدى ذلك الى أن تتمتع طائفة معينة من الطلاب الذين ينحدرون من بيوت مثقفة فى المدن والمراكز الصناعية بالتعليم العالى أكثر من غيرها ، وأن تتقدم على أبناء الارياف فى الحقول التعاونية . « ومما هو جدير بالذكر أنه بينما تكون المدارس الثانوية الناقصة مجانية ومفتوحة

(*) اجريت اول تجربة فى مدارس موسكو سنة ١٩٤٢ ـ سنة ١٩٤٣؛ فلما نجحت طبقت فى جميع عواصم الجمهوريات ، ثم فى المدن الكبيرة الاخرى .

لجميع الطلاب والطالبات نجد أن المدارس الثانوية التامة تستوفى اجورا من أبناء اصحاب الدخل العالى • ولابد وأن هذه التأثيرات التى تتركها الفروق المتزايدة تجعل المدارس الثانوية التامة مجموعة من المؤسسات التربوية خاصة بأصحاب الامتيازات • »(٩)

ولمناهضة هذه الفروق الاجتماعية الحتمية ابتدعت الحكومة السوفياتية مدارس ثانوية خصوصية للكبار • وهذه هى المحاولة الثانية التى اضطرت فيها السلطات الشيوعية أن تختار طلبة من الطبقة العاملة لتعدها اعدادا خاصا لدخول الجامعات • فقد جرت أول محاولة سنة ١٩١٨ حينما أرادت الحكومة السوفياتية أن تهىء طبقة مثقفة ذات صلة روحية قوية بالبروليتاريات، فابتدعت « كليات العمال » لتساعد العامل على أن ينال فيها دراسة ثانوية قصيرة ومركزة تؤهله للالتحاق باحدى الجامعات أو المعاهد العالية • ولقد استمرت هذه السياسة مدة طويلة وأحدثت تبدلا فى التكوين الاجتماعى لطبقة البروليتاريات والفلاحين ؛ ولكنها الغيت سنة ١٩٣٠ حينما ادخل التعليم الالزامى والتحق عدد كبير من أبناء البروليتاريات فى المدارس الثانوية • وقد كانت « كليات العمال » ظاهرة جديدة فى المنهج التربوى للاتحاد السوفياتى يراد بها تطبيق سياسة اجتماعية مرسومة • وترك كثير من العمال دراساتهم الثانوية فى الحرب العالمية الثانية وكرسوا جهودهم الى النواحى العسكرية ؛ فأصدرت الحكومة السوفياتية سنة ١٩٤٣ مرسوما جديدا ينص على تأسيس مدارس ثانوية جديدة مجانية للعمال الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ – ٢٥ سنة ؛ وهى فى الحقيقة مؤسسات مسائية تساعد العمال والفلاحين على الحصول على دراسة ثانوية تؤهلهم دخول الجامعات • وتتشابه مناهج هذه المدارس الثانوية للعمال مع مناهج الدراسة الثانوية ، الا أن عدد الساعات فيها

---

9 –Hans, N., Comparative Education P. 314-315

أقل بمقدار الثلث • ويتمتع الطالب العامل باجازات أكثر من غيره اذا التحق بواحدة منها(*) •

مدارس سوفوروف وناخيموف :

وتأسست فى فترة الحرب العالمية الثانية مدارس ثانوية داخلية مجانية خاصة بأبناء جنود وضباط الجيش الاحمر ، وأبناء رجال اسطول ، ورجال الحزب ، ويتامى الحرب • وتسمى هذه المدارس بمدارس سوفوروف Suvorov وناخيموف Nokhimov تيمنا باسم مارشال سوفوروف وأمير البحر ناخيموف • ويلتحق بهذه المدارس الاولاد الذين قد بلغوا الحادية عشرة من العمر والذين أتموا الدراسة الابتدائية • ومدة الدراسة فيها سبع سنوات ، أى أنها تعادل مدة الدراسة الثانوية الناقصة • وتشبه هذه المدارس فى كثير من نواحيها المدارس العسكرية القيصرية ـ تشبهها فى البدلة والانضباط العسكرى والروح العسكرية نفسها • وتهدف هذه المدارس الى اعداد العناصر الصالحة ليكونوا ضباطا فى الجيش الاحمر والاسطول الاحمر •

ويجرى التدريب العسكرى فى مختلف مدارس الاتحاد السوفياتى • ويلتحق طلاب الصفوف العالية من المدارس الثانوية فى العطلة الصيفية بمعسكرات صيفية يقضون فيها اسبوعين يتدربون أثناءها على الاعمال العسكرية • ومما هو جدير بالذكر أن دروس الرياضيات والفيزياء تتضمن اعطاء مسائل فى تطبيق هذه العلوم على الامور العسكرية •

(*) بلغ عدد الطلاب الذين التحقوا فى هذه المدارس الثانوية المسائية عام ١٩٤٦ حوالى ٣٥٫٠٠٠ • وقد كانت نتائج الامتحانات مرضية مما ساعد آلاف الشبان من العمال والعاملات والفلاحين والفلاحات أن يدخلوا الجامعات والمؤسسات العلمية الاخرى •

التعليم المهنى والفنى

ترتبط عملية من عمليات التعليم فى الاتحاد السوفياتى بالسياسة من جهة وبالعمل من جهة ثانية وقد كان هذا الارتباط ، سواء فى المدارس الأبتدائية أم الثانوية ، وثيقا فى أول مرحلة من مراحل النظام الشيوعى وعند تطبيق مشاريع الخمس سنوات ولكنه قد ضعف فى المدارس الابتدائية ، وخف فى المدارس الثانوية .

ونجحت عملية الربط نجاحا حسنا فى المدارس الملحقة بالمصانع والمعامل ، وفشلت فى المدارس الاخرى التى لم تستطع أن تجد طريقة عملية لربط التعليم بالعمل ربطا مجديا مما جعل « مؤتمر السوفيت السادس عشر لجميع الروس » يواصل انتقاداته وهجماته على المدارس ، ويتهمها بأنها لاتعنى الا بايصال المعلومات الجامدة والا بالاستظهار والتدريب ؛ وانها لا ترعى الا اللفظية والببغائية ، وطالب مرة أخرى أن ترتبط المدارس بالعمل والمصانع ومحطات التريكتورات والحقول الحكومية Sovhozes والحقول الجمعية Kolhozes ربطا مباشرا(١٠) .

وقد حسب قادة الروس أن مدارس العمل ستقضى على الانقسامات الطبقية والفوارق الموجودة بين القرية والمدينة ، وأنها ستقرب المسافة التى تباعد بين العمال الذين يستخدمون قواهم الجسمية والافراد الذين يستطيعون قواهم العقلية ؛ وظنوا أنهم قد نجحوا فى ذلك طيلة الثلاثين سنة الماضية ، وان الانقسامات الاجتماعية فى طريقها الى الزوال . وهذا ما دعاهم الى أن يبدلوا فى تنظيماتهم المدرسية ومناهجهم الدراسية فى السنوات الاخيرة .

10- Kandel, I.L., Comparative Education. P, 181

وتحقيقا للاغراض المتقدمة الذكر تزود المدرسة السوفياتية الطلاب بمعلومات نظرية وعملية عن جميع عمليات الانتاج الرئيسية المختلفة؛ من ذلك : دراسة الآلات والمكائن ، والانتاج الصناعى والزراعى الواسع ، وادارة عمليات انتاجية بسيطة ، ومبادىء علمية عامة .

وقد تضاءلت الخصائص الفنية والمهنية للمدارس الابتدائية والثانوية بعد أن قطع الاتحاد السوفياتى شوطا عظيما فى مضمار الصناعة والزراعة فى السنوات الاخيرة ، واتجه أكثرها اتجاها علميا ، وتركز التعليم الفنى والمهنى فى مدارس خاصة . ويكتسب هذا النوع من التعليم أهمية عظيمة لصلته بحركة التصنيع وباقتصاديات البلاد . وتسيطر عليه اليوم وتنظمه المؤسسات « الاتحادية » لا المحلية . وتستطيع تقسيم المدارس الفنية والمهنية الى الاقسام الآتية :

أولا ـ مدارس مهنية بعد الدراسة الابتدائية .

ثانيا ـ مدارس ثانوية فنية .

ثالثا ـ معاهد فنية عليا .

وقد كانت المدارس المهنية التى تلى الدراسة الابتدائية تديرها قبل سنة ١٩٤٠ المنظمات التابعة لكل جمهورية من الجمهوريات ، وكانت لكل منظمة خطة معينة فى نشر التعليم المهنى واصلاحه تقوم على حاجاتها المحلية العاجلة والآجلة ، وكان يتعذر تنسيق سياسة نشر التعليم المهنى بين جمهوريات الاتحاد السوفياتى . غير ان ازدياد حركة التصنيع ، وعلاقة فروع الانتاج المختلفة بعضها مع بعض تطلب أن تكون سياسة التعليم المهنى والفنى واحدة وثابتة ، وأن تديرها منظمة « اتحادية » وفى سنة ١٩٤٠ تشكلت « ادارة

اتحادية لاحتياطى العمال » لتدريب العمال المستجدين ، ولتكوين احتياطى ضرورى منهم • وفى سنة ١٩٤٦ ، وبعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية ، تبدل اسم هذه « الادارة » وسميت بـ « وزارة احتياطى العمال الاتحادية » ، وعهد اليها تنظيم المدارس المهنية والفنية وادارتها فى جميع أطراف الاتحاد السوفياتى ، فنظمت ثلاثة أنواع من المدارس المهنية التى تلى الدراسة الابتدائية • فالنوعان الاولان هما : المدارس المهنية الجديدة ومدارس سكك الحديد ، وتقبل البنين (والبنات) الذين فى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من أعمارهم ، والذين قد نالوا شهادة الدراسة الابتدائية • وتختلف مدة الدراسة فى هذه المدارس (فهى عادة من ٢ـ٣ سنة) بالنسبة الى كل فرع من الفروع • ويدرس جميع الطلاب والطالبات على نفقة الدولة ، ويسكن الطلاب الغرباء فى أقسام داخلية • وليست الدراسة كلها مهنية ، وانما تخصص ربع ساعات المنهج الى الدروس الثقافية العامة ، ويخصص الباقى الى الدروس المهنية • ويتألف اليوم المدرسى من سبع ساعات : ساعتان للدروس العامة والنظرية ، وخمس ساعات للتدريب العملى فى معامل المدرسة ، أو فى معامل اخرى • ويوظف المتخرجون فى مختلف المصالح الحكومية • وتقوم سياسة الوزارة على درس مدى الحاجة فى كل فرع من فروع الصناعة والنقل ، ويتم تدريب الطلاب على هذا الاساس ••

أما النوع الثالث من المدارس المهنية فهى مدارس المعامل • ويلتحق بها البنون (والبنات) الذين هم فى السادسة عشرة أو السابعة عشرة من أعمارهم ، والذين قد حصلوا على شهادة الدراسة الابتدائية ولهم خبرة فعلية فى عمليات الانتاج • ومدة الدراسة أقصر من مدة النوع الاول والثانى ،

وتتراوح بين ٦ – ١٢ شهرا • ويحتوى المنهج على تدريب عملى ، وعلى ١٠٠ ساعة فى تدريس الاسس النظرية للمهنة أو الحرفة •

التعليم الثانوى الاختصاصى :

وقد كانت « المدارس الفنية العالية » أو ما تسمى بالتكنيكوم Technicum تتألف ، قبل الحرب العالمية الثانية ، من عدة مدارس فنية ، مثل المدارس « الطبية » ومدارس « اعداد المعلمين » و « المدارس الموسيقية » و « الفنونية »؛ وكانت كلها فى مستوى الدراسة الثانوية التامة ، واستهدفت اعداد الاختصاصيين لجميع فروع الصناعة والزراعة والصحة والتعليم • أما مدارس الطب فقد كانت تدرب ما تحتاجه مهنة الطب من موظفين صحيين ، ومن ممرضات ، وقابلات • وقد سميت جميع هذه الانواع من التعليم بـ « التعليم الثانوى الاختصاصى » ؛ وصار يطلق على الفروع الفنية المجردة(*) • ويقبل فى هذه المدارس اليوم جميع الطلاب (والطالبات) الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ – ٣٠ سنة ، والذين قد أكملوا الدراسة الثانوية الناقصة أو ذات السنوات السبع ، ونجحوا فى امتحان الدخول • ومدة الدراسة أربع سنوات يعد فيها الطالب اعدادا ثقافيا عاما ، واعدادا عمليا ونظريا • ويحصل الطلاب بعد تخرجهم على شهادات اختصاصية تؤهلهم مواصلة دراساتهم فى معاهد عليا • ومما تجدر الاشارة اليه هو أنه بينما يستطيع المتخرجون من المدارس الثانوية التامة أن يلتحقوا فى أية ناحية من نواحى الاختصاص نلاحظ أن خريجى المدارس الاختصاصية لا يستطيعون الدخول الا فى المعاهد التى تتصل باختصاصهم الثانوى • واذ ما أراد بعضهم أن يغير اختصاصه وجب عليه ان يؤدى الامتحان العام للدراسة الثانوية التامة • ويحتوى منهج « المدارس الثانوية الاختصاصية »

(*) كان فدد طلاب هذه المدارس قبل الحرب العالمية الثانية حوالى المليون ، ٢٨ بالمائة منهم فى مدارس الطب ، و٢٧ بالمائة فى دور المعلمين الابتدائية و١٨ بالمائة فى المدارس الفنية • اما فى سنة ١٩٥٠ فقد بلغ عددهم ١٫٢٩٨٫٠٠٠ طالب وطالبة •

على دروس عامة كالادب والرياضيات ، والعلوم ، والفيزياء ، والكيمياء ، وعلى دروس اختصاصية ، وتدريب عملي . وتتحمل وزارات المعارف في الجمهوريات المختلفة نفقات هذه المدارس فقط ؛ ولكن لا تسيطر عليها الا « الوزارة الاتحادية » .

مدارس أخرى :

وفي الاتحاد السوفياتي مدارس خاصة للعميان واليتامى والصم والبكم والبلهاء وغيرهم ، وتوجه أكثر هذه المدارس عنايتها الى التعليم المهني ؛ وتعد معاهد التربية العليا مدرسين اختصاصيين يتعهدون تعليم هؤلاء الاطفال ، ويقومون بهذه الواجبات الخاصة . والمياتم و « بيوت الاطفال » مؤسسات حكومية تجمع بين التعليم والحياة الداخلية . وقد ازداد عدد المياتم أثناء الحرب العالمية الثانية ازديادا كبكرا ، فبلغ عدد الايتام في سنة ١٩٤٤ نحوا من ٤٠٠ر٠٠٠ طفل في روسية الاوروبية فقط . و « بيوت الاطفال » على نوعين: منها ما يدخلها الاطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٣ ـ ٧ سنوات، وتشبه رياض الاطفال ، ومنها ما يدخلها الاطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٣ ـ ٧ سنوات ، وتشبه رياض الاطفال ، ومنها ما يدخلها الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ٧ ـ ١٦ سنة . وما الاخيرة في الحقيقة الا « بيوت » داخلية تسير على غرار المدارس الثانوية الناقصة . ويواصل الطلاب الذين ينجحون في الامتحانات العامة دراساتهم على نفقة الحكومة في الصفوف العليا من المدارس الثانوية وفي الجامعات .

عصبة الشباب الشيوعي والرواد الشباب :

تلعب هاتان المنظمتان دورا اساسيا في حياة المدارس الابتدائية والثانوية، وتبذل جهودا منظمة في تلقين الطلاب بالمبادىء الثورية الشيوعية ،وتدريبهم على الضبط والطاعة والايمان والتضحية(*). وتستهدف كما يقول الاستاذ ميدنسكي « مساعدة المدرسة في تربية الشباب تربية شيوعية ، وفي النهوض

(*) راجع صفحة ١٧٨ من كتاب الدولة والتعليم (ج١) للمؤلف .

بمستوى التدريس ، وتحسين وسائل الضبط المدرسى » .

وينخرط فى كتائب « الرواد الشباب » الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين التاسعة والرابعة عشرة من العمر . وفى كل مدرسة سرية من « الرواد الشباب » تضم عددا من الفصائل التى تتألف من صنف واحد او اكثر ؛ ويتفرع كل فصيل الى مجموعة من الحضائر . وتقوم كتائب «الرواد الشباب» بفعاليات مختلفة فى داخل المدرسة وخارجها، وتتولى تنظيم السفرات والنزهات المدرسية ، والالعاب الرياضية ، والابحاث والمناقشات العقائدية والادبية والعلمية ، والمخيمات الصيفية ، وتقديم المساعدات الى الفلاحين فى حقولهم اذا اقتضت الحاجة . وقد بلغ عدد الطلاب الذين انضموا الى هذه المنظمة سنة ١٩٤٩ حوالى ١٣٫٠٠٠٫٠٠٠ رائد .

وتخضع كتائب « الرواد الشباب » الى توجيهات «عصبة الشباب الشيوعى» التى لها فروع فى كل مدرسة متوسطة وثانوية . وتقدم العصبة مساعدات جمة الى المدرسة والمدرسين ، وتعمل على اثارة الوعى الشيوعى بين الطلاب . وقد اوضحت اللجنة المركزية « لعصبة الشباب الشيوعى » فى اجتماعها الثانى عشر المنعقد فى شهر نيسان سنة ١٩٤٤ ان « الواجب الرئيسى لهيئات عصبة الشباب الشيوعى فى المدارس هو مساعدة المعلم » . ولبلوغ هذا الهدف نص القرار ايضا على ما يأتى : « يستطيع المعلمون ان يحضروا اجتماعات عصبة الشباب الشيوعى المدرسية كافة ، وان يساهموا فى اعمالها ، وان يؤخذ بآرائهم عند انتماء اعضاء جدد لعصبة الشباب الشيوعى » ، وان « لمدير المدرسة حق ايقاف تنفيذ اى قرار مغلوط قد تتخذه هيئة عصبة الشباب الشيوعى ... » واقترحت اللجنة التوصيات الآتية :

١ – ينبغى على هيئات « عصبة الشباب الشيوعى » أن تساعد المدير والمعلمين على محافظة النظام والانتظام داخل المدرسة .

٢ – تمنع هيئات « عصبة الشباب الشيوعى » وتلاميذها من التدخل فى أمور المعلمين ، وتتجنب انتقادهم فى اجتماعاتها ومؤتمراتها ونشراتها .

٣ – تمنع هيئات « عصبة الشباب الشيوعى » من اخراج التلاميذ من الصفوف بقصد الاجتماع .

٤ – تمنح هيئات « عصبة الشباب الشيوعى » فى المدينة أو المقاطعة أو المنطقة أو الجمهورية بدراسة أعمال المدرسة مستقلة ان هى لم تحصل على اذن من الدوائر التعليمية العامة الخاصة بكل واحدة منها .

يضاف الى هذا ان المؤتمر الحادى عشر لعصبة الشباب الشيوعى المنعقد فى شهر نيسان سنة ١٩٤٩ قد أوضح ان واجبات العصبة فى المدارس تنحصر فى غرس الروح السوفياتية الوطنية ، والايمان المطلق برسالة لنين وستالين ، وفى تطبيق قانون التعليم الالزامى بتسجيل الاطفال الذين هم فى سن الدراسة الالزامية ، وعدم ترك اى متخلف منهم ، وغرس روح الاحترام نحو العمل الاشتراكى والمساهمة فى تأثيث المدرسة ، ورفع منزلة المدرسين ومعاضدتهم فى اداء واجباتهم المهنية النبيلة .

لقد أعدت الحكومة السوفياتية مئات القصور والمتنزهات والمكتبات لمنظمات الشباب . فخصت منظمات الرواد مثلا بحوالى ٧٠٠ قصرا ودارا ، وافتتحت ٣٠٠ مركز للفنيين الفتيان ، و٢٠٠ للطبيعيين الفتيان وغيرها . ويقدم « قصر لينغراد للرواد » الواقع فى حى مهم وجميل من احياء مدينة لينغراد فكرة عن جسامة هذه القصور ؛ فهذا القصر الامبراطورى الذى بناه انيشخوف Anichkov يحتوى على ٣٠٨ غرفة وصالة ، وفيه ٧٠٠ من المختبرات والاستوديوات ومراكز الاعمال ؛ وفيه مكتبة وقاعة محاضرات ومرسح . وفى مدينتى موسكو وخاركوف وغيرها من الاتحاد السوفياتى المهمة قصور لا تقل عنه جمالا ولا سعة .

وقد أقامت الحكومة فى شبه جزيرة القرم « مخيم رواد آرتيك Artek للاتحاد السوفياتى كافة » ؛ ويقع على شاطىء جميل من شواطىء البحر الاسود ؛ ويرتاده صيفا آلاف الرواد الشباب الذين يقصدونه لتمضية

جزء من عطلتهم الصيفية . ويقصد آخرون نهر الفولجا حيث يمضون وقتا جميلا على شاطئيه فى سفن راسية مجهزة بمختلف وسائل التسلية .

قواعد تربوية :

أقر قومسيرو الشعوب السوفياتية فى شهر آب سنة ١٩٤٣ عشرين قاعدة تربوية مهمة ساعدت على احداث تبدل كبير فى واجبات منظمة الرواد الشباب وعصبة الشباب الشيوعى ، وهى :

ينبغى على كل تلميذ أن :

١ – يجتهد بعزم وجد فى دروسه كى يصبح مواطنا متعلما ومثقفا ، ويخدم وطنه السوفياتى خدمة تامة .

٢ – يكون مجتهدا فى دروسه ، ومثابرا على دوامه ، وألا يتأخر عن حضور صفه فى الوقت المعين .

٣ – يطيع اوامر مدير المدرسة والمعلمين اطاعة عمياء .

٤ – يجلب معه الى المدرسة جميع الكتب والقرطاسية ، وان يهيء كل شيء قبل دخول المعلم الصف .

٥ – يظهر فى المدرسة نظيف الجسم ، مرتب الشعر ، أنيق الملبس .

٦ – يحافظ على نظافة رحلته وانتظامها .

٧ – يدخل الصف ويجلس فى محله حالما يسمع دق الجرس ، وألا يدخل الصف أو يتركه الا بعد أن يستأذن المعلم .

٨ – يجلس منتصب القامة طوال مدة الدرس ؛ فلا يتكيء على الرحلة بمرفقيه ، ولا يتمدد فى مقعده ، ويكون شديد الانتباه الى ايضاحات المعلم وأجوبة التلاميذ ؛ والا يتكلم أو يعبث مع غيره .

٩ – يقف اذا ما دخل المعلم أو المدير الصف وخرج منه .

١٠ – ينهض ويقف معتدلا عند الاستجواب ، والا يجلس الا بعد استئذان المعلم ، وان يرفع يده ان أراد ان يجيب عن سؤال ، أو رغب فى عرض قضية .

١١ – يسجل عنده جميع الوظائف التى يعطيها المعلم للدرس القادم ، وان يعرضها على والديه ، وأن يحلها بنفسه دون الاستعانة بأحد .

١٢ – يحترم مديره ومعلميه ، وان يحييهم عندما يمرون فى الشارع بانحناءة مؤدبة ، وأن يرفع الاولاد قبعاتهم اجلالا لهم .

١٣ – يكون مؤدبا مع من هم أكبر سنا منه ، وأن يسلك فى المدرسة والشارع والمحلات العامة سلوكا مؤدبا وصحيحا .

١٤ – يتجنب استعمال الكلمات البذيئة ، ويتجنب التدخين والمقامرة .

١٥ – يعنى بأثاث المدرسة ولوازمها وبنايتها ويحافظ جيدا على أشيائه الخاصة به وبغيره .

١٦ – يكون لطيفا مع الاطفال الصغار والكهول والضعفاء والمرضى عطوفا عليهم ، وأن يخصهم بمقعده فى المركبات ، ويفسح لهم الطريق الصالح فى الشارع ، وان يساعدهم بكل صورة ممكنة .

١٧ – يطيع والديه ، وان يساعد فى رعاية اخوته الصغار واخواته الصغيرات .

١٨ – يحافظ على نظافة البيت ، بترتيب ملابسه وأحذيته وفراشه وتنظيمها .

١٩ – يحمل هويته دائما ، وان يحافظ عليها كل المحافظة ، وأن يختص بها وحده ولا يقدمها لغيره من الاطفال ، ولكن يقدمها بطلب من مدير المدرسة أو المعلم .

٢٠ – يجعل الشرف الذى تناله المدرسة ، أو يناله الصف الذى ينتسب اليه شرفه .

ان التلميذ الذى يخالف هذه القواعد يكون عرضة للعقاب ، وحتى الطرد من المدرسة .

ادارة التعليم

كانت ادارة التعليم فى روسية القيصرية شديدة المركزية ، وكانت السلطات المحلية ومجالس البلديات منذ أيام الملكة كاترين الثانية ، وسلطات الالوية منذ أيام الملك اسكندر الثانى تتمتع بقدر محدود من الحكم الذاتى . وكان التعليم العالى والثانوى دائما يخضع الى سيطرة وزير المعارف خضوعا مباشرا ، ولم يشذ عن هذه السيطرة ، الا التعليم الابتدائى وتعليم الراشدين؛ فقد ترك أمرهما الى جهود السلطات المحلية ، واستقلا عن كثير من الاعمال الحكومية الرتيبة . وكانت معاملة المناطق غير الروسية لا تختلف عن معاملة المناطق الروسية ، الا أن الاقليات القومية الموجودة فى كل منطقة من المناطق لم تتمتع بحكم ذاتى يؤهلها أن تصبح قوميات منفصلة . وتختلف سياسة الاتحاد السوفياتى نحو الاقليات غير الروسية ومعاملتها عن سياسة روسية القيصرية ، فكل جمهورية من الجمهوريات الست عشر والجمهوريات المستقلة استقلالا نسبيا تستعمل لغتها الخاصة فى نظامها التعليمى . وقد صاحبت هذه الفوارق اللغوية لا مركزية فى الادارة . ولم توجد فى الاتحاد السوفياتى حتى سنة ١٩٣٣ ادارة « اتحادية » للتعليم ، بل كان لكل جمهورية من الجمهوريات « قومسيرية معارف » أو وزارة معارف مستقلة ؛ وفى السنة المذكورة تأسست « اللجنة الاتحادية للتعليم الفنى العالى » ، وبدأت تبسط سيطرتها المركزية الاتحادية على هذا النوع من التعليم .

وبالرغم من أنه لا توجد حتى هذا التاريخ سيطرة مركزية اتحادية الا أن هذه السيطرة كانت تتم عن طريق منظمات الحزب الشيوعى المنبثة فى كل زاوية من زوايا الاتحاد السوفياتى ، وبالسعى الى تطبيق المبادىء الشيوعية ؛ وقد أدت الى نوع من التماثل فى ادارة التعليم فى كل جمهورية من الجمهوريات ؛ ومما زاد فى تماثل النظم الادارية ، تلك المؤتمرات

التى كان يعقدها وزراء معارف الجمهوريات بين حين وآخر للتداول فى شئون التربية والتعليم وفى رسم الخطط والاهداف العامة لسياسة التعليم .

ولنضرب مثلا على ادارة التعليم فى جمهورية من الجمهوريات ، ولتكن « جمهورية روسية المتحدة السوفياتية » R.S.F.S.R ان شئون التعليم تعود الى وزير المعارف الذى تعينه « الجمعية التنفيذية المركزية لجميع روسية » ، يساعده فى ذلك مجلس Collegium يتكون من عدة ممثلين تنتخبهم اللجنة المركزية لاتحاد العمال ، ومن ممثلين آخرين يصادق على تعيينهم مجلس وزراء الشعوب الروسية . وتتكون وزارة معارف « جمهورية روسية المتحدة السوفياتية » من احدى عشرة مديرية عامة : مديرية الادارة والتنظيم ، ومديرية التعليم القبمدرسى والمدرسى ، ومديرية التعليم المهنى وتعليم الراشدين ، ومديرية مجلس تعليم الاقليات ، ومديرية مجلس الدولة العلمى للابحاث العلمية ، ومديرية المؤسسات الفنية والعلمية ، ومديرية الآداب والنشر ودار النشر الحكومية ، ومجلس ادارة الافلام السينمائية ، ومديرية التجهيزات .

ويقوم المفتشون وممثلو نقابات العمال بتفتيش المؤسسات الثقافية . فيعنى الاولون بتفتيش النواحى التربوية عناية خاصة ، ويقوم الآخرون بالاشراف على تربية الطلاب تربية سياسية تتفق ومبادىء الحزب الشيوعى .

وتقسم روسية فى ادارة التعليم الى وحدات ادارية تساير القرى والنواحى والالوية والمقاطعات . وتنتخب فى كل وحدة ادارية مجالس السوفيت وتقوم بتعيين الموظفين والمعلمين وتشرف على سير التعليم ، وتخضع دائما الى سيطرة رجال الحزب الشيوعى . وتكون السلطات المحلية مسئولة عن تنظيم التعليم وادارته فى مختلف درجاته ، الا فيما يتعلق بالمعاهد العالية ، وباستخدام المعلمين ، واعداد ميزانية التعليم . ويعين لكل مدرسة مجلس يضم المعلمين وممثلين عن الكتبة والفراشين ، ونقابات العمال ، وطبيب المدرسة ،

والحزب الشيوعى ، والكومزومول . وتدفع السلطات المحلية اليوم أكثر نفقات التعليم .

وقد حدثت تبدلات كثيرة فى نظم التعليم فى الحرب العالمية الثانية وبعدها ، تناولت ادارة التعليم وتنظيمه ومناهجه . فقد سميت أثناء الحرب العالمية الثانية جميع « القومسيرات » بالوزارات ، فسميت «قومسيرات المعارف» بوزارات المعارف ، واحدثت وزارة جديدة اتحادية للتعليم العالى بعد أن كانت لجنة اتحادية ، وعهد اليها الانفاق والسيطرة على جميع المؤسسات العالية فى الاتحاد السوفياتى ؛ وتخضع جميع المدارس الفنية والمهنية التى هى فى مستوى الدراسة الثانوية الى وزارات معارف كل جمهورية من الجمهوريات ، الا فى شئون التنظيم والطرق الدراسية ، فانها تخضع الى «الوزارة الاتحادية» . أما المدارس الفنية والمهنية الدنيا فانها تخضع الى « وزارة العمل الاتحادية » التى استحدثت بعد الحرب العالمية الثانية . يتضح من هذا أن وزارات معارف الجمهوريات الست عشرة لا تسيطر الا على المدارس الثانوية والابتدائية ورياض الاطفال ودور الحضانة ، وتستقل فى شئونها عن السيطرة الاتحادية المركزية .

« وقد أدت الادارة المركزية للتعليم العالى والتعليم المهنى ، وكذلك الصفة الاتحادية لتنظيمات الحزب الشيوعى ، الى تشابه فى نظم التعليم فى جميع جمهوريات الاتحاد السوفياتى الاشتراكية بالرغم من وجود ست عشرة وزارة للمعارف مستقلة . » (١١) .

وتدير المؤسسكات القبمدرسية والمدارس الابتدائية والثانوية فى كل جمهورية من الجمهوريات ادارة مباشرة مديريات للمعارف محلية تحت اشراف وزارة المعارف الخاصة بتلك الجمهورية . أما تعليم الراشدين فان شئونه

---

11 —Hans, N., Comparative Education, P. 310

تديرها « وزارة المعارف » الجمهورية • وعليه فان ادارة التعليم فى الاتحاد السوفياتى مزيج من ادارة مركزية ومحلية ، جمهورية واتحادية • وتساهم جميع هذه السلطات فى الانفاق على المؤسسات التربوية وفى السيطرة عليها•

اعـداد المعلمين

كان نظام اعداد المعلمين فى روسية القيصرية يجرى فى ثلاث مؤسسات أو مستويات متباينة : فى دور المعلمين الاولية ، لاعداد معلمين الى المدارس الريفية وغير الريفية ، وفى « معاهد المعلمين » لاعداد معلمين للمدارس الابتدائية العالية ، وفى « الجامعات » لاعداد معلمين الى المدارس الثانوية • وكان أكثر الذين يلتحقون بدور المعلمين (والمعلمات) ينتمون الى طبقة الفلاحين ، ويندر أن يكونوا من خريجى المدارس الثانوية • أما مدرسو المدارس الابتدائيـة العالية فقد كان أكثرهم من طبقة الفلاحين ، وممن قد قضوا ثمانى سنوات فى المدارس الحكومية (أربع منها فى مدرسة ابتدائية وأربعة أخـرى فى مدرسة ابتدائية عالية) وأربع سنوات فى « معاهد المعلمين » • ويواصل بعضهم أحيانا تعليمهم فى الجامعات • وكان اعداد جميع المعلمين يتـم فى روسيـة نفسها وباللغة الروسية(*)• وكان من نتيجة الاصلاحات التربوية الكثيرة التى قام بها الاتحاد السوفياتى أن جعل اعداد المعلمين يتم فى كل جمهورية من الجمهوريات ، وبلغتها الخاصة • ومن أجل هذا تأسست عدة معاهد لاعداد المعلمين فى مختلف أطراف الاتحاد •

(*) كان عدد المعلمين فى الامبراطورية الروسية سنة ١٩١٥ اكثر من ٢٣١ر٠٠٠ ، وأكثرهم روسيون • وقد بلغ عددهم فى الاتحاد السوفياتى سنة ١٩٤١ حوالى ١ر٢٢٢ر٨٠٥ ،ونسبة المعلمين الروس ٥٥ بالمائة فقط • أما الباقى فمن الجمهوريات الاخرى غير الروسية والذين يتم اعدادهم بلغاتهم القومية المحلية • اما اليوم (١٩٥٠) فقد بلغ عددهم حوالى مليون ونصف معلم ومعلمة •

وقد سيطر على حركة اعداد المعلمين فى الاتحاد السوفياتى عـاملان مهمان : أولهما ضمان الحصول على عدد كاف من المعلمين الموالين للنظام الجديد ، وثانيهما تجديد نظم اعداد المعلمين • وقد تحسنت أحوال المعلمين والمعلمات فى العهد السوفياتى ، ودبت فيهم روح مهنيـة جديـدة بتأليف « اتحاد معلمى الروس » الذى انتمى اليـه جميع المدرسين على اختـلاف درجاتهم ، واهتم بهم لينين اهتماما عظيما ، حتى لقد قال : « ينبغى أن نرفع المعلم الى منزلة لم يستطع بلوغها ، بل ولن يكون قادرا على بلوغها ، المجتمع البورجوازى » •

وجددت نظم اعداد المعلمين لاول مرة سنة ١٩٢٤ ، حينما افتتحت أقسام خاصة باعداد معلمين للتدريس فى رياض الاطفال والمدارس الابتدائية ، والمدارس الدنيا للثقافة السياسية فى المدارس الثانوية ذات السنوات التسع ، وفى السنتين الاخيرتين اللتين تعادلان السنتين الاوليتين من معـاهـد اعـداد المعلمين والمعلمات • وقد كان يشترط فى قبول الطالب فى هـذه الاقسـام الخاصة أن يكون قد أتم دراسة سبع سنوات فى مدرسة ابتدائية وثانوية ، وأمضى أربع سنوات بهذه الاقسام فى تدريب مهنى يؤهله لان يكون معلما وقائدا • وقد كانت الدراسة فى هذه الاقسام تصطبغ بالصناعة تارة وبالزراعة تارة اخرى ، وذلك بالنسبة الى حاجة المحيط التى هى فيه ، وكان المنهج يتألف من دروس ثقافية عامة ومهنية كعلم الحياة ، وعلم النفس ، والتربية ، والفسلجة ، ومن علوم اجتماعية مع اهتمام خاص بالفلسفة الماركسية والمادية الدايلكتيكية • وقد كانت السنوات الاولى تخصص للدراسة العامة ولزيارات المدارس ، ودراسة نظم التعليم فى الاتحاد السوفياتى ، والسنتان الاخيرتان تخصصان للمواضيع المهنية •

ولم يجر الاتحاد السوفياتى فى الحقيقة تبدلا كليا فى معـاهد اعـداد المعلمين للمراحل المختلفة ، ولم يقض على الانقسام الاجتماعى الموجود فى

هذه المعاهد . فظلت « معاهد المعلمين » تعد المعلمين الى المدارس الابتدائية والثانوية الناقصة كما كانت سابقا . وقد تبدل اسمها بعدئذ .

وفى الاتحاد السوفياتى اليوم مؤسسات عالية لاعداد المعلمين واخرى ثانوية ؛ وفيه مراكز خاصة بطرق التدريس ، وصنوف اخرى من دور المعلمين والمعلمات . فمن المدارس التى فى مستوى الدراسة الثانوية «المدارس الثانوية للمعلمين » ، وبكلمة اخرى ، دور المعلمين الابتدائية . ويلتحق بها عادة الطلبة الذين أتموا الدراسة الثانوية الناقصة (أو المتوسطة) ؛ لمدة ثلاث سنوات ، ينالون فيها اعدادا ثقافيا عاما ومهنيا خاصا . فمن المواضيع المهنية :

التربية وعلم النفس ، تاريخ التربية ، طرق التدريس .

وافتتحت دور للمعلمين لاعداد مدرسى الصفوف الخامسة والسادسة والسابعة الثانوية (أو صفوف المرحلة المتوسطة) ، ويلتحق بها الطلبة الذين أتموا الدراسة الثانوية ، ويواصلون دراستهم فيها لمدة سنتين . اما مدرسو الصفوف الثانوية الثامنة والتاسعة والعاشرة (أو صفوف المرحلة الاعدادية) فيجرى اعدادهم أما فى دور المعلمين العليا او فى الجامعات ، ويتخرجون بعد دراسة طولها اربع سنوات . وتتألف دور المعلمين العليا من الاقسام الآتية : اللغة والادب ، والتاريخ ، والجغرافية ، والرياضيات والفيزياء ، والعلوم الطبيعية ، واللغات الاجنبية . وفى كثير من مناطق الاتحاد السوفياتى اقسام تربوية خاصة لاعداد المدرسين الذين سيقومون بالتدريس فى دور المعلمين والمؤسسات التربوية الاخرى(*) ، ومعاهد تربوية اخرى يلتحق بها المدرسون الذين يريدون ان يقفوا على التطورات الحديثة فى التربية وعلم النفس ،

(*) بلغ عدد المعاهد التربوية فى الاتحاد السوفياتى ١٣٨ معهدا ، وبلغ عدد معاهد اعداد المعلمين ٢٣٦ معهدا .

والذين يرغبون فى زيادة معلوماتهم العامة . كما فيه مدارس للمراسلة غايتها تزويد معلمى المدارس الابتدائية والثانوية بثقافة مهنية .

حالة المعلمين :

الغى الشيوعيون بعد تسلمهم مقاليد الحكم جميع نقابات المعلمين التى كانت فى العهد القيصرى ، وخاصة « اتحاد معلمى جميع الروس » . ولكنهم أعادوا تنظيمها وفق مصلحة الحزب . ولقد كان كثير من المعلمين فى ذلك الحين لا يعطفون على الثورة الشيوعية ولا على مبادئها ، مما اضطر رجال الحزب ونقابات العمال و « اللجنة المركزية للكومزومول » وغيرها من المنظمات الموالية أن تساهم فى اختيار واعداد طائفة من المعلمين تؤمن بالنظام الجديد وتسعى الى توطيد أركانه والدعوة اليه ، ودفع الاخطار عنه .

وقد ظلت رواتب المعلمين قليلة لغاية سنة ١٩٣١ ، وحالتهم سيئة اذا ما قورنوا بغيرهم من العمال . ولكن مجلس وزراء الشعوب السوفياتية قرر فى السنة نفسها زيادة ٢٥ ـ ٣٠ بالمائة من أصل رواتبهم ، ومنحهم نفس الامتيازات التى كان العمال يتمتعون بها من حيث شراء حاجاتهم الاساسية بأسعار متهاودة . وتختلف رواتب المعلمين من منطقة الى اخرى ، ومن جمهورية الى جمهورية ، وذلك بالنسبة الى تكاليف المعيشة . وقد بلغت رواتب المعلمين فى الارياف فى سنة ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨ ، ٤٦ روبلا ، وفى المدن ٥٤ روبلا فى الشهر ، وصارت سنة ١٩٣٢ ، ٩٠ روبلا فى الشهر (الروبل يقدر بـ ١٠٠ فلس) . ويتقاضى المعلمون الرواتب التى يتقاضاها المهندسون والفنيون نفسها ، ويتسلمون مخصصات اضافية اذا امضوا فى الخدمة مدة طويلة (تعطى كل خمس سنوات) ، وراتبا اعلى اذا التحقوا بمدارس تقع فى مناطق نائية ، وخدمة تقاعدية بعد مرور ٢٥ سنة فى سلك التعليم .

ويدرس المعلم فى مدارس الدرجة الاولى ٢٤ ساعة فى الاسبوع ؛ أما فى مدارس الدرجة الثانية فيدرس ١٨ ساعة . وللمعلمى الارياف مخصصات

سكنى ، وعلاج طبى مجانى • وتتمتع المعلمة المتزوجة باجازة شهرية تقضيها عند الحمل والولادة • ويعفى أبناء المعلمين من الاجور اسوة بأبناء العمال • وللمعلمين والمعلمات مصحات ودور للاستراحة تقع فى شبه جزيرة القرم والقفقاس • ولهم نواديهم ومكتباتهم الخاصة ، ونقابة يطلق عليها اسم « اتحاد العمال التربويين » • ويدفع كل معلم ٢ بالمائة من راتبه بدل مشاركة • ويشترك الاتحاد فى تقرير المناهج والخطط التربوية اشتراكا فعليا ورسميا • ويتمتع المعلمون فى الاتحاد السوفياتى ؛ نظرا لخدماتهم الكبيرة وتضحياتهم ، بمنزلة مهمة ، وينتخب بعضهم اعضاء فى المجالس العليا للاتحاد السوفياتى وللجمهوريات • وقد ضم المؤتمر الثامن لمجلس الاتحاد السوفياتى الذى أقر الدستور ٢٧ معلما • ونال اكثر من ١٠٠ الف معلم اوسمة ومداليات لقاء خدماتهم الممتازة •

التعليم العالى

كانت سياسة الاتحاد السوفياتى نحو التعليم العالى طوال الثلاثين سنة المنصرمة غير مستقرة ، فقد تعرض الى خطط ارتجالية واندفاعات آنية أدت الى مشاكل جمة • فقد ألغى الشيوعيون امتحان الدخول سنة ١٩١٨ ، وفتحوا أبواب الجامعات على مصاريعها • ولكنهم أدركوا بعد مرور سنة من هذه التجربة أن سياسة الباب المفتوح لا يمكن أن تعود على جميع الطلاب ، ولا على النظام الجديد ، بالفائدة المرجوة ، وأن الطلاب المستجدين لا يستطيعون الانتفاع من المحاضرات الا اذا حصلوا على قسط وافر من الدراسة الثانوية • ولما كان الغرض من اتباع سياسة الباب المفتوح هو اعطاء العمال والفلاحين فرصة للتحصيل العالى لتكوين طبقة مثقفة من البروليتاريات تتولى تثبيت دعائم العهد الجديد ، ولاحداث توازن اجتماعى فى مصلحة الطبقة العاملة والزارعة ، أسست الحكومة السوفياتية سنة ١٩١٩ « كليات العمال » لتزويد

العمال بتلك المعلومات « الثانوية » التى حرموا منها ، والتى لا يستطيعون مواصلة تعليمهم العالى بدونها . وكان من أثر هذه السياسة أن التحق عدد كبير من العمال بهذه المعاهد ؛ وقد روعى أن تكون الاسبقية الى الطلاب الذين هم من أصل بروليتارى وفلاحين ، وأن يفضلوا على غيرهم . وقد أحدثت هذه التدابير تبدلا عظيما فى التكوين الاجتماعى للطلاب ، وفسحت فى المجال لان ترتقى طبقة البروليتاريات سلم التعليم العالى ، الا أنها فى الوقت نفسه أدت الى انخفاض فى مستوى التعليم العالى .

وقد أسدت « كليات العمال » Rabfaks خدمات عظيمة الى العمال . وهى اليوم اما أن تكون مستقلة ببنائها وهيآتها التدريسية واما أن تكون ملحقة بالمؤسسات العلمية العالية . وتقدم دراسة عامة ومهنية من جهة ، وتعد العمال الذين بلغوا الثامنة عشرة من العمر الى دخول المعاهد العليا من جهة ثانية . ومدة الدراسة ثلاث سنوات للطالب النهارى ، وأربع سنوات للطالب المسائى . وقد بلغ عددها سنة ١٩٣٠ ، ١٦٤ كلية ، وعدد طلابها ٥٣٫٠٠٠ وبلغ عدد الطلاب فى سنة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ حوالى ٣٣٩٫٥٠٠ ، وبازدياد عدد المدارس الثانوية للاطفال والراشدين تقلص عدد كليات العمال ، واصبح الدخول الى المعاهد العالية يستند قبل كل شىء الى الحصول على شهادة الدراسة الثانوية .

ومما هو جدير بالذكر أن حركة التصنيع قد طغت على المعاهد العالية طغيانا عظيما ، واهتمت الحكومة اهتماما كبيرا بالمعاهد الفنية أكثر مما اهتمت بالجامعات والدراسات النظرية . ولقد دفعت هذه العناية بحكومة اكرانيا أن تجزىء الجامعات فى سنة ١٩٢٢ الى مؤسسات خاصة مستقلة ، وأن توجه عنايتها الى النواحى التطبيقية ، وتبعتها حكومة موسكو سنة ١٩٣٠ . ولم تكن فى الاتحاد السوفياتى طوال ثلاث سنوات جامعات أبدا . فقد انحصر جميع التعليم العالى فى « المعاهد الفنية الاختصاصية » وانقاد الى حركة التصنيع

وأهداف الاقتصاد الشيوعى • غير أن نتائج تطبيق هذه السياسة لم تكن حسنة ولا مشجعة ، مما أدى الى اعادة النظر فى اسس التعليم العالى ؛ وفى سنة ١٩٣٢ صدر بيان اعترف فيه واضعوه بأن انحرافات أساسية قد حدثت فى أثناء تطبيق القرارات السابقة تتصل بالاكثار من عدد المعاهد والطلاب دون الاحتفاظ بمستوى علمى عـال ، وتتصل بالانقسام الشديد فى فروع الاختصاص ؛ حتى لقد أصبح خريجو المعاهد الفنية ، كما يذهب البيان ، تتوافر فيهم صفات الميكانيكيين لا المهندسين ، فى حين ان اعداد الاختصاصيين يتوقف على اسس عامة فى التعليم الفنى العام ، وعلى تعليم علمى عام •

واعيد فتح « الجامعات القديمة » فى سنة ١٩٣٣ ، ووضعت سياسة التعليم العالى على اسس جديدة ، ومنحت « الدرجات » العلمية القديمة (كالماجستير والدكتوراه) ، كما اعيد العمل بنظام امتحان الدراسة الثانوية فى سنة ١٩٣٤ • ومع أن العمال والفلاحين كانوا يتقدمون على غيرهم فى دخول الجامعات الا أن دخولهم هذا صار يتوقف على نجاحهم فى امتحان الدراسة الثانوية العام اسوة بغيرهم من الطلاب • وقد أوضحت « اللجنة الاتحادية » فى سنة ١٩٣٤ أن « المستوى الثقافى العام للطلبة اليوم يمتاز بنواقص كثيرة (نقص فى المعلومات عن الحقائق التاريخية ، ونقص فى فهم الادب والفنون الجميلة ، وفى المعلومات العامة) ••• ولكن مستوى الطلبة فى النواحى السياسية قد صار أحسن جدا من مستوى طلبة الاقطار الرأسمالية • فمن الضرورى أن يكون كل طالب من الطلاب رجلا مثقفا حقا ـ مثقفا بروليتاريا » • وقامت المعاهد الفنية العليا بتلافى هذه النواقص •

وشاهد التعليم العالى تقدما عظيما ، وتبدلا اساسيا فى تكوين الطلاب الاجتماعى ، وأصبح مختلطا ، وبلغت نسبة الطلاب اكثر من ٤٠ ٪ من مجموع طلبة المعاهد العالية كلها • ولم يعد يتمتع به ابناء رجال الصناعة والاقطاع وكبار الموظفين ، بل ابناء العمال والفلاحين والمثقفين وبناتهم •

وبلغ عدد المعاهد فى سنة ١٩٣٩ ، ٧٥٠ معهدا ، وعدد الطلاب والطالبات ٦٢٠ر٠٠٠ . وقد تناقص عدد الطلاب ؛ فصار ٤٦٠ معهدا فى سنة ١٩٤٢ . وبانتهاء الحرب العالمية الثانية عاد قسم كبير من الطلاب الى معاهدهم ، وازداد عدد المعاهد العالية وطلابها ؛ فبلغت ٧٩٢ معهدا ، وعدد الطلاب ٦٥٣ر٠٠٠ . وتدل آخر الاحصاءات (١٩٥٠) على ان عدد المعاهد العالية قد ارتفع الى ٨٨٠ معهدا ، وان عدد الجامعات وحدها ٣٢ جامعة ، وان عدد طلبة المعاهد العالية كافة (بما فى ذلك كليات المراسلة)(*) قد صار ١ر٢٤٧ر٠٠٠ . وتضم الجامعات الكبيرة عادة ٦٠٠٠ الى ٨٠٠٠ طالب وطالبة .

وتتألف المعاهد العالية فى الاتحاد السوفياتى من :

١ - الجامعات :

وتضم جامعات موسكو (اسستها الملكة كاترين الثانية سنة ١٧٥٥) ، ولينغراد ، وكازان ، وساراتوف ، وبيرم ، وروستوف ، وتومسك ، وفلاديفوستك فى R.S.F.S.R. ، وجامعات كييف ، وأوديسا ، وخاركوف ، ولوفوف فى جمهورية اكرانيا السوفياتية ، وتارتو فى استونيا ، وفلنا فى لتوانيا ، وريغا فى لتفيا . وقد ورث الاتحاد السوفياتى جميع هذه الجامعات من عهود القياصرة وعهود التوسع الشيوعى فى البلطيق ، ولكنه أسس جامعات جديدة فى مختلف الجمهوريات

(*) تقدم كثير من المعاهد العالية دراسات مسائية وبالمراسلة للعمال الذين يعملون فى المصانع والمكاتب والدوائر الحكومية . وتنحصر الدراسات المسائية التى طولها ست سنوات فى الاشخاص الذين يسكنون المدن ، والمراسلة الى الاشخاص الذين يقطنون فى مدن نائية لا تتوفر فيها الدراسة الجامعية . ولكنهم يلتحقون بمعاهدهم مرتين فى السنة لحضور المحاضرات ، والقيام بالواجبات العملية ، واداء الامتحانات . ويؤدون الامتحانات التى يؤديها الطلبة الآخرون نفسها ، ويقدمون اطروحاتهم . ويقدر عدد طلبة كليات المراسلة ٣٠٠ر٠٠٠ طالب وطالبة .

(فى روسيا البيضاء ، وجورجيا ، وأرمينيا ، وأذربيجان ، وأزبكستان ، وكاريليا الفنلندية وغيرها) ، ومن هذه الجامعات الجامعتان الجديدتان : جامعة اوزكورود فى القسم الجديد من اكرانيا التى تأسست سنة ١٩٤٥ ، وجامعة كيشينيف التى تأسست فى ملدافيا سنة ١٩٤٦ • وفى كل عاصمة من عواصم الجمهوريات الست عشرة جامعة ، وتعد المركز الثقافى لكل قومية من القوميات ، فتعنى بدراسة تاريخها وآدابها وفنونها •

وتقسم الجامعات الى كليات متعددة ـ الى كليات للفيزياء والرياضيات ، وللغة والادب ، وللتاريخ وللجغرافية ، ولعلم الحياة ، وللكيمياء ، وتضم بعض الجامعات بالاضافة الى الكليات المذكورة كليات للفلسفة والقانون ، وللدراسات الشرقية ، ولعلم طبقات الارض • أما الطب والاقتصاد فلهما عادة معاهد مستقلة • ولا يدخل اللاهوت فى الدراسات الجامعية • غير أن الاكاديمية الارثودكسية فى موسكو يديرها بطريق موسكو ، وتشرف عليها « وزارة الشئون الاورثودوكسية » •

وتتألف الجامعات عادة من ست كليات ، وقد يزداد العدد فى بعض الجامعات • فجامعة موسكو مثلا تتكون من ١٢ كلية •

وتعنى الجامعات السوفياتية عناية كبيرة بالابحاث العلمية • فاشتهرت كلية الرياضيات التابعة لجامعة موسكو مثلا بابحاثها فى علم الطيران ، والفضل فى ذلك يرجع الى العالم السوفياتى الشهير زوكوفسكى Zhukovsky وتلاميذه ؛ كما اشتهرت فى بحوثها الكيمياوية ؛ واشتهرت جامعة لنينغراد فى ابحاثها فى العدسات ، والدراسات الشرقية • وقد ساهمت جامعات كييف وخاركوف وقازان مساهمة عظيمة فى ابحاثها الخاصة بالرياضيات العالية وعلم طبقات الارض ؛ كما اشتهرت جامعة مولوتوف فى العلوم البايولوجية • وتعنى المعاهد الفنية ايضا بالبحوث العلمية • ومن هذه معهد باومان فى موسكو ، ومعهد التعدين ومعهد النفط فى مدينة لنينغراد •

٢ ـ المعاهد الفنية العليا :

وتضم معاهد الهندسة ، والزراعة ، والطب ، والتربية ، والاقتصاد ، والسينما ، والمسرح ، والموسيقى ، وغيرها . وتنقسم هذه المعاهد الى عدة فروع ، واكثرها معاهد خاصة باعداد المعلمين للمدارس الثانوية(*) .

ويتألف المعهد من كليات عديدة يتراوح عددها عادة بين ٣ ـ ٨ كليات (أو اقسام) . وقد تتضخم بعض المعاهد العليا بحيث تضاهى فى تشكيلاتها الجامعات الكبيرة « فمعهد لينينغراد الفنى » مثلا يضم الكليات الآتية : هندسة المعادن ، الهندسة الميكانيكية ، الهندسة الكهربائية ، هندسة المكائن ، الهندسة الفيزياوية ، هندسة الادارة ... الخ ... ويتراوح عدد الطلاب فى المعاهد الفنية الكبيرة من ٤٠٠٠ الى ٦٠٠٠ طالب وطالبة ، ومدة الدراسة من ٤ الى ٦ سنوات ؛ كل ذلك يتوقف على نوع الدراسة الاختصاصية التى يقدمها ذلك المعهد .

وتتكون مناهج الدراسة فى المعاهد الاختصاصية العليا من :

١ ـ دراسات اجتماعية سياسية . وغرضها تزويد الاختصاصيين باسس ثقافية عامة سليمة .

٢ ـ دراسات ثقافية عامة .

٣ ـ دراسات اختصاصية .

ويستطيع الطلبة الذين يتخرجون بدرجة امتياز ، اتمام دراساتهم على نفقة الدولة لمدة ثلاث سنوات أخرى يمضونها فى البحث والتنقيب . وقد

(*) كان عدد المعاهد العليا فى سنة ١٩٤٦ كما يأتى : ٣٢٠ معهدا تربويا ، ١٥٤ معهدا فنيا ، ٩٩ معهدا للزراعة والغابات والبيطرة ، ٧٤ معهدا طبيا ، و ٣٨ معهدا للاقتصاد والقانون ، ٣٥ معهدا للفنون ، ١٥ معهدا للتربية البدنية ، و ٦ معاهد أخرى . وتعزى زيادة عدد المعاهد التربوية الى ظروف الحرب وما جرت على روسية من خسائر فى المعلمين .

جرت العادة أن يعين أكثر هؤلاء الطلبة بعد تخرجهم معيدين فى المعاهد العليا .

ادارة المعاهد العالية :

تشرف على سياسة التعليم العالى « وزارة التعليم العالى » للاتحاد السوفياتى كافة ، وتنفذ هذه السياسة وزارة المعارف الواقعة فى كل جمهورية من الجمهوريات ؛ وتتمتع المعاهد العالية ، فى حدود هذا الاشراف والتوجيه من السلطات المركزية ، باستقلال ذاتى فى ادارة شؤونها الثقافية والادارية . فلكل جامعة « رئيس » ولكل معهد عال « مدير » . ولا تختلف المعاهد الفنية العليا فى ادارتها وامتحاناتها وشروط قبول الطلاب اليها عن الجامعات الا اختلافا يسيرا . ولكل جامعة « مجلس تعليمى » يتكون من « الاساتذة » والمدرسين الآخرين ؛ كما ان لكل كلية « عميد » ينتخبه اساتذة الكلية انفسهم ويصادق عليه وزير المعارف ، ولكل « قسم » رئيس . وتمنح « لجنة الشهادات العليا لوزارة التعليم العالى » فى الاتحاد السوفياتى الدرجات العليا الى اعضاء الهيئة التدريسية عند حدوث شاغر ، وبعد اجتياز امتحان ينظم لهذا الغرض . فلا تمنح لقب « استاذ » او « باحث علمى » الا لمن كان حائزا على شهادة الدكتوراه فى اختصاصه . اما درجة « استاذ مساعد » فتمنح للباحثين الذين نالوا شهادة ماجستير فى العلوم او الآداب . ولوزارة المعارف فى كل جمهورية وحدها حق ملء كراسى التدريس الشاغرة . وتتولى النساء مناصب تدريسية مهمة ، ويؤلفن ٥ ٠/٠ من مجموع « الاساتذة » و ٢٠ ٠/٠ من مجموع الاساتذة المساعدين .

ويمنح مجلس كل جامعة « الدرجات » العلمية الى الطلاب . وتبدأ الدرجات العلمية فى درجة « الماجستير » للطلبة الذين اتموا اول مرحلة من مراحل دراساتهم العالية ، وينالها الطالب بعد دراسة طولها ثلاث سنوات . ويمنح شهادة الدكتوراه ، وهى واحدة فى جميع الاتحاد السوفياتى ، لمن

يقدم بحثا علميا اصيلا ، او يقوم باكتشاف علمي مهم . وينحصر حق منح الدرجات العلمية وقبول الاطروحات في عدد قليل جدا من الجامعات .

شروط القبول والتخرج :

لا يقبل في المعاهد العالية والجامعات الا الطلبة الذين قد تخرجوا من مدرسة ثانوية تامة او فنية او مهنية او تربوية او طبية ، واجتازوا امتحان دخول في اللغة الروسية وآدابها وفي لغة اجنبية حية (الانكليزية والفرنسية والالمانية) ، ونجحوا في اداء امتحانين يتناولان مواضيع خاصة . فمثلا اذا اراد احد الطلاب ان يلتحق بكلية الرياضيات والفيزياء التابعة لجامعة من الجامعات او لمعهد فني عال عليه ان يجتاز امتحانا في الرياضيات والفيزياء ، ولا يستثنى من « امتحان الدخول » الا الطلبة الذين قد نجحوا بتفوق في مرحلة الدراسة الثانوية ، وحصلوا مداليات ذهبية او فضية .

وتسيطر « وزارة التعليم العالي » على مناهج الدراسة في الكليات المختلفة، ولا يقرر منهج الا بموافقتها. وتتألف مناهج الدراسة على اختلافها من دروس تثقيفية سياسية عقائدية تتناول نظريات ماركس وانجلز ولينين وستالين ، ودراسة نظرية علمية ودراسات عملية تتعلق بالمواضيع الاختصاصية . فيقوم طلبة قسم الجغرافية مثلا بتنظيم رحلات جغرافية ، وطلبة التعدين بزيارة المناجم ومراكز التعدين القريبة ، وطلبة الكليات الزراعية بزيارة المزارع التعاونية والحقول الحكومية لاجراء تطبيقاتهم التدريسية .

وينفق الطالب في الدراسة عادة ست ساعات يوميا ، واحيانا سبع ساعات . وتتبع طريقة القاء المحاضرات في تدريس الطلبة ، وخاصة طلبة السنتين الاولى والثانية ؛ ثم تصحبها دروس المناقشة والعمل في المختبرات . وعلى الطالب ان يعد بحثا في احدى المواضيع التي يعلنها الاستاذ ويصادق عليها القسم . وتبدأ السنة الدراسية في اليوم الاول من شهر أيلول ، وتنقسم الى فصلين ؛ وتعقد الامتحانات في نهاية كل « فصل » ، وتستمر

لمدة ثلاثة او اربعة اسابيع ؛ ويؤدى الطالب خلالها ثلاثة « امتحانات » او اربعة ، واربعة « اختبارات » قصيرة او خمسة . وتقدر كفاءة الطالب العلمية بعد « الامتحان » بدرجة « ممتاز » أو « جيد » او « متوسط » او « ردىء » ، وبعد النجاح فى « الاختبار » بدرجة « ناجح » .

ولا ينتقل الطلبة من صف الى آخر الا اذا نجحوا فى « الامتحانات » و « الاختبارات » . اما طلبة الصفوف المنتهية فعليهم ان يجتازوا امتحان « الدولة » بالاضافة الى نجاحهم فى الامتحانات والاختبارات المذكورة ؛ وان يقدموا بحثا علميا مقبولا ؛ وعلى طلبة الصفوف المنتهية من المعاهد الفنية العليا ان يقدم كل واحد منهم مشروعا Design الى لجنة امتحان خاصة فى وزارة المعارف .

وتستوفى المعاهد العالية اجوارا دراسية ، الا أن أكثر الطلاب يحصلون على مساعدات مالية من الحكومة . و « التعليم مجانى حتى السنة الثامنة من المدرسة الثانوية غير أن الاجور الدراسية السنوية فى السنوات الثلاث الاخيرة من المدرسة الثانوية (٨ - ١٠) تختلف فى المدن الكبيرة والارياف . فهى فى موسكو ولينينغراد وعواصم الجمهوريات الاخرى ٢٠٠ روبل ، وهى فى الاماكن الثانية ١٥٠ روبلا . وتستوفى الجامعات والمعاهد الفنية ٤٠٠ روبل فى موسكو ولينينغراد ومعاهد الجمهوريات الاخرى و ٣٠٠ روبل فى الاماكن الاخرى ... ويتسلم جميع الطلبة المتقدمين شهريا مساعدات مالية قدرها ١٨٥ روبلا لكل طالب أو طالبة ، اذا كانوا فى السنة الاولى ، و ٣٠٠ روبل اذا كانوا فى السنوات الاخيرة . وتعطى مكافآت أخرى للمتفوقين فى دراساتهم وبحوثهم . وتقدم كثير من المعاهد العالية منحا مالية تخليدا لاسماء بعض السياسيين والعلماء البارزين ، اشهرها منحة

ستالين • والكتب رخيصة »[١٢] وتتحمل الدولة جميع نفقات الطلبة المتفوقين ، وينزلون الطلاب الغرباء فى أقسام داخلية مجانية • أما اذا رسبوا فيحرمون من هذا الحق •

خاتمة

خلفت روسية القيصرية الى الاتحاد السوفياتى تركة مثقلة بالفقر والجهل والمرض ، وتركت الحرب العالمية الاولى و « ثورة اكتوبر » كثيرا من الخراب والدمار ، وفتكت المجاعات والاوبئة والفوضى فى روسية طوال أربع سنوات فتكا ذريعا • ولم تظهر طلائع الاستقرار ، ولم يبدأ البناء الا فى سنة ١٩٢٥ • ولكن ما كاد الاتحاد السوفياتى يقضى على هذا الفقر بالسيطرة على وسائل الانتاج والتوزيع وعلى هذا الجهل بالسيطرة على وسائل التعليم ، وعلى هذا المرض بالسيطرة على وسائل الوقاية والعلاج الا وهاجمت الجنود الالمانية الاتحاد السوفياتى فى الحرب العالمية الثانية ، وتراجعت القوات السوفياتية أمام ضربات الجيوش النازية ؛ فدمرت المصانع والجسور والمدارس تدميرا هائلا ، وذهبت جهود ربع قرن كامل • ولكن « الثورة » حركة وفلسفة وأسلوب فى الحياة ، لا تخيفها الدماء ، ولا تعرف الهزيمة ، ولا تقبل المساومة • وهى وان كانت « هدامة » الا أنها فى الوقت نفسه « بناءة » ؛ وهى وان كانت « ديكتاتورية » الا أنها فى الوقت نفسه « ديمقراطية » ! وهى وان كانت « أممية » الا انها فى الوقت نفسه « سوفياتية » ! وهى وان كانت ترمى الى محو « الطبقات » الا أنها فى الوقت نفسه تؤمن « بطبقة » البروليتاريات من العمال والفلاحين !

فما الذى استطاعت الشيوعية ان تحققه فى حقل التربية والتعليم ،

---

12 -Johnson, Hewett (Dean of Canterbury), Soviet Russia Since TheWar, P., 96, 1947

وما هى الاخطاء التى وقعت فيها ؟ لقد استطاع الاتحاد السوفياتى ان يشن حملة واسعة ضد الامية ، واستطاع ان يقضى عليها فى فترة قصيرة . فبعد ان كانت نسبة المتعلمين فى روسية البيضاء حوالى ٤٠ ٪ وفى اواسط آسية وبين مسلمى روسية ٣ ٪ بلغت ٢ر٨١ ٪ سنة ١٩٣٩ ؛ وارتفعت الى حوالى ٨٨ ٪ فى الوقت الحاضر . وطبق مشروع التعليم الابتدائى الالزامى ، فصار عدد طلبة المدارس الابتدائية اكثر من عشرين مليون ، وعمم التعليم الثانوى حتى بلغ عدد الطلاب والطالبات حوالى عشرة ملايين ؛ وافتتحت ابواب المعاهد العالية الى جميع الطلاب والطالبات ، فبلغ عددهم اليوم اكثر من ٧٠٠ر٠٠٠ طالب وطالبة . ووجه الاتحاد السوفياتى عنايته الى آداب القوميات المختلفة وفنونها ، فبعث تراثها وأحيا لغاتها القومية ، وصارت لغة التدريس فى المدارس والمعاهد العالية . ولولا ايمان الاتحاد السوفياتى بأهمية التعليم فى بناء الكيان الشيوعى الجديد لما استطاع ان يخطو هذه الخطوات الواسعة فى مثل هذه الفترة القصيرة .

واذا كان الاتحاد السوفياتى لم يأت بنظريات ومبادىء تربوية جديدة مهمة ، واذا صح ان نظام التعليم فى أية دولة من الدول او مجتمع من المجتمعات ينبغى ان تقرره طبيعة تلك الدولة وذلك المجتمع فان التجربة السوفياتية تقدم مثلا رائعا على ربط التعليم بالدولة وفلسفتها ربطا كليا ، وتتحدى تلك الانظمة الديمقراطية التى تقدس الفردية ، وتفترض استحالة تحديد الخطوط الاساسية لثقافة من الثقافات .

ولكن التربية ليست انجازا ماديا مجردا ، ولا هى محصولا كميا معينا بعيدا عن طبيعة الفرد وطبيعة الحياة الانسانية العامة . فقد قامت النظريات التربوية الشيوعية على انكار بعض الحقائق الانسانية والتربوية ، فاستخدمت

« التلقين » والدعاية فى اساليبها التعليمية ، وخنقت الحرية الفكرية خنقا أبديا ، واولعت نيران الحقد والعداء ، ومجدت القادة ورفعتهم الى مصاف الانبياء والحكماء ، بحيث لم يعد يتصور هؤلاء انهم افرادا اعتياديين ، وآمنت ، كما يقول المربى السوفياتى بنكيفتش ، ان الدين « افيون الشعب » فشنت عليه حملة شعواء ، واستأصلت جذوره من قلوب الناس وعقولهم ، وانكرت القوى الروحية ، ومجدت عبادة المادة .

وانكرت الشيوعية بعض الحقائق التربوية ، فتعثرت فى سيرها وارتكبت بعض الاخطاء ؛ من هذا انها جعلت العمل اساس عملية التعلم ؛ وشرعت فى تطبيق هذا المبدأ فى المدارس الابتدائية والثانوية والفنية دون تمييز او تفريق ؛ فانحط مستوى التعليم كثيرا ، واضطرت على حصر التعليم الفنى والمهنى بمدارس معينة وحررت المدارس الاخرى منه ، وكما تفعل الدول الديمقراطية . وجعلت المدارس الثانوية مختلطة بغض النظر عن حاجات المراهقين ومشاكلهم ؛ ولكنها عادت والغت أكثر التعليم المختلط ؛ وحلت الجامعات القديمة فى اوائل اوكتوبر باعتبارها مؤسسات بورجوازية نظرية واستبدلتها بمعاهد فنية عليا ، ولكنها أدركت أخطاءها ، فاعادت فتحها سنة ١٩٣٢ ، وأقرت كثيرا من نظمها وتقاليدها الكثيرة . وهكذا تطورت نظرياتها التربوية وصقلت وتحورت بالتجريب لتواجه اوضاعا حقيقية .

هذه هى الانجازات التربوية التى قام بها الاتحاد السوفياتى منذ سنة ١٩١٧ . وستبقى ، بالرغم من أخطائها ، أمثلة صادقة على الصبر الذى الذى لا ينفذ ، والثورة التى لا تخمد ، والعزيمة التى لا تنى .

—o—

مراجع البحث الاساسية

1. Hans, N., Comparative Education, 1949.
2. Johnson, Hewett, Soviet Russia Since The War, 1947.
3. Kandel, I. L., Comapartive Education, 1933.
4. Medinsky, Y. N., Public Education in the U.S.S.R., Moscow, 1952.
5. Shore, Maurice, Soviet Education, 1947.

التعليم فى المـانيـه

—O—

التطورات السياسية فى المانيا وأثرها فى التعليم

يرى بعض الباحثين ان تاريخ المانية حتى سنة ١٩١٨ كان تحت تأثير نزعتين أساسيتين هما : النزعة المحلية والاستبدادية . وقد بلغ من تأثيرهما أنهما ضيقا على المواطنين مجال المساهمة فى الحياة الاجتماعية مساهمة فعلية واسعة ، وقطعا عليهم سبل الفعاليات الحرة الطليقة ؛ فانتقل المثقفون ، تحت ضغط هذين العاملين ، من النواحى العملية الى النواحى الروحية ، واكتسب « البروفسور » الالمانى فى نهاية القرن الثامن عشر شهرة واسعة ، واصبحت النزعة الروحية احـدى خصائص الحياة العقليـة فى الـدوائر العملية الالمـانية[1] .

أثر النزعة المحلية :

وقد استرعت النزعة المحلية أو (الاقليمية) انتباه الرحالة الانكليزى وليم هوويت W. Howitt ودونها فى كتابه « تجارب المانية » ولمسها بصورة خاصة فى أوساط الطبقة الوسطى . كما استرعت نظر لدفج فيزه Wiesse أحد كبار موظفى وزارة معارف بروسية سعة نظر مديرى المدارس الانكليزية وذكرها فى كتابه « رسائل فى التربية الانكليزية » . وقد أراد لدفج فيزه أن يجد تفسيرا لهذا التباين بين العقلية الالمانية الضيقة والعقلية الانكليزية

(1) Samuel, H.R., Thomas, H.R., Education and Society in Modern Germany, P., 1.

الواسعة ، فذهب الى ان طبيعة الحياة القومية هى التى تكون هذه المفارقات ، وهى التى تصوغ عقول الافراد . فان كانت زاخرة بالخبرات المربية ، وقادرة على تسهيل تبادل الآراء والافكار فى جو طليق خال من التضييق والسيطرة استطاع الافراد ان يكونوا مبدعين مبتكرين . أما اذا كانت الحياة القومية تتحرك فى مجالات ضيقة ، وكان الافراد لا يعرفون من بيئاتهم الا البيئة المحلية التى يعيشون فيها فان هذه المجالات الضيقة وهذه البيئات المحدودة لا تكسب الافراد سعة فى التفكير ، بل تتركهم تحت ضغطها المباشر .

يضاف الى ذلك ان الوطنية الالمانية كانت تتمثل فى القرن الثامن عشر فى حب الدولة أو (الولاية) التى يعيش فيها المواطن الالمانى ؛ فلم تكن المانية اذ ذاك وحدة سياسية ، ولم تؤلف مثلا روحيا أعلى ، ولم تكن قادرة على أن تخرج الفرد الالمانى من دائرته الضيقة الى دائرة أوسع بسهولة . ولكن الغزو النابليونى بعث أول شعور قومى مهم فى نفوس الالمان ، وحطم حواجزهم المحلية ، وأيقظهم من رقدتهم ، وجعلهم يتطلعون الى بروسية لتصد عنهم هذا الغزو المنظم . وقد ضربت بروسية بعد عام ١٨٠٦ مثلا رائعا فى الاصلاح الاجتماعى ، ومشت القومية الفتية فى ركاب حركة الاحرار ، فكانت قومية حركية خلاقة . وحيث ان « الامراء » كانوا عقبة كأداء فى سبيل نهضة قومية ديمقراطية فقد ظهر ان هذه العقبة لا تزول الا بالقضاء على مصالح الاسر الحاكمة ، والا بالسعى الى توحيد المانية .

ولم تكن القومية الالمانية فى نشأتها الاولى عدوانية بل كانت دفاعية تحاول تحطيم النير الاجنبى وتحرير المانيا من العبوديات الثقافية والاجتماعية ، بل تحرير « الروح » الالمانية من السيطرة الافرنسية . وقد حالت النزعة المحلية دون وضع سياسة خارجية موحدة ، وعاقت بعد منتصف القرن السابع

عشر حركة تكوين « ثقافة المانية » كما يقول الاستاذان صاموئيل وتوماس .

وقد حث فيشته فى « خطبه الى الامة الالمانيـــة » فى سنة ١٨٠٨ ، كما نادى غيره من كبار القوميين ، بغرس الروح الوطنية فى نفوس الشعب ، وعدها اداة من أدوات التحرير القومى . وكان من نتيجة الضغط الاجنبى والرغبة فى تكوين ثقافة موحدة ، والدعوة الى غرس الوطنية ان ظهرت فى اوائل القـــرن التاسـع عشـر حركة « المدرسة الالمانية » . امـا هيكل فقد ساهم فى البعث القومى ، وفى الدعوة الى الدولة القومية . فقد جعل الدولة الذات العليا ، ومجد الملكية ، وحسبها اسمى وسيلة تستطيع أن تعبر الدولة بها عن نفسها ، ونظر الى البيروقراطية نظرة مثالية ، وعدها الأداة المنفذة للارادة الملكية . وقد سيطرت الطبقة البيروقراطية على التعليم حينما تأسست وزارة معارف بروسية سنة ١٨١٧ ، وصيرتهـا اداة طيعـة لتحقيق ارادتها . وكانت لهيكل نظرات خاصة ومهمة فى التعليم تتصـل بنظرياته الاخرى . فبعد ان أكد على حاجة التعليم الى تدريب لغوى نظرى ومران متواصل فى اللغتين اليونانية واللاتينية ذهب الى ان عملية التعليم تنحصر فى تزويد الطلاب بمعلومات عامة لا فى تكوين حكم مستقل فى قضية خاصـة . وكانت هذه النظرية أســاس فكـرة « التعليم العـــام » او الثقافة العامة Allgemeine Bildung

الطغيـان الهيكلى :

وقد تأثر التعليم فى السنوات التى سبقت عام ١٨٤٨ تأثيرا كبيرا بآراء التنشتاين Altenstein بوم كان وزيرا لمعارف بروسية (١٨١٧ - ١٨٣٨) كما تأثر بآراء يوهانس شولتزه Johannes Schultze مدير التعليم الثانوى فى الوزارة نفسها . وكان كلاهما من اتباع هيكل . وقد أدى تعاون هذين الرجلين فى شؤون التربية والتعليم الى « طغيـان هيكلى » كما يقول احـد

الكتاب ؛ وصارت بروسية ، « الارض الكلاسيكية للمدارس والثكنات » . وقد لاحظ احد الانكليز الذى زار المانية سنة ١٨٤٠ ان طلاب المدارس الثانوية اصبحوا « جديين » فى اعمالهم لدرجة كبيرة بحيث لم يعد ذلك يتناسب واعمارهم ؛ وقال ان هؤلاء الطلاب يعلمون قبل أوانهم ان ينصاعوا الى سلطة أخرى غير سلطة آبائهم ومدرسيهم ، وان مرح الطفولة لا أثر له فى وجوههم .

واستمر هذا « الطغيان الهيكلى » حتى بعد ارتقاء فردريك وليم الرابع العرش ، ولم يتبدل الوضع كثيرا . وبالرغم من ان الملك ووزير معارفه أيشهورن Eichhorn (١٨٤٠ - ١٨٤٨) كانا يعارضان حركة هيكل العقلية الا ان السيطرة البيروقراطية على التعليم فى بروسية استمرت واصبحت احدى خصائص التعليم البروسى .

موقف الطبقة الوسطى :

وكانت السنوات التى انسلخت بعد ثورة الاحرار سنة ١٨٤٨ بالنسبة للطبقة الوسطى سنوات تقدم اقتصادى . الا ان نمو طبقة البروليتاريات نموا منتظما ومتزايدا قد عكر الجو على الطبقة الوسطى ، لا سيما بعد ان أسس لاسال Lassalle ١٨٦٣ « الجمعية العامة للعمال الالمان » وبعد ان اندمجت فى المنظمة الماركسية التى أسسها بيل Rebel سنة ١٨٧٥ لتصبح « الحزب الالمانى الاشتراكى الديمقراطى » . وقد اقامت الطبقة الوسطى خطوطا دفاعية امام الاندفاع البروليتارى المنظم ؛ فخلدت مثلها العليا فى نظم التعليم ، وقدست الملكية . وتبلورت على أثر ذلك فكرة الثقافة والامتلاك "Bildung und Besitz" وقد وقفت الطبقة الوسطى موقفا سلبيا من الاشراف . ولكنها بالرغم من ذلك لم تشجب الاوضاع القائمة بل اعترفت بها ، وبالمثل الأعلى الذى كانت تنشده ، وهو وجود دولة قوية . وقد أثر

التنافس الاقتصادى والسياسى بين الاستعمارين البريطانى والالمانى فى موقف الطبقة الوسطى من الوضع القائم ومن الدولة نفسها • فلقد اعترف أبناء الطبقة الوسطى عمليا بالامتيازات الموروثة التى تتمتع بها طبقة « اليونكر » Junker ، لتوجيه ماكنة الحكومة ضد طبقة البروليتاريات المنظمة الجديدة ، وضد المنافسة الاجنبية فى الميدانين السياسى والاقتصادى • وكانت طبقة « اليونكر » تتمتع بنفوذ عظيم فى المجتمع الالمانى وخاصة قبل ١٩١٨ • وقد انحصرت فيها جميع مراكز الدولة الرئيسية • فمنها كان سكرتيرو الوزارات الاتحادية ، ووزارات الولايات الالمانية ، وكبار الموظفين الاداريين فى بروسية ؛ ومنها كان رجال السلك السياسى وقادة الجيش •

موقف طبقة اليونكر من التعليم :

وقد وقف اليونكر موقفا خاصا من التعليم ، وذهبوا ، لا سيما بعد هجرة الفلاحين الى المدن نتيجة حركة التصنيع وسوء الاوضاع ، الى ان التعليم وباء ، وانه « يسمم عقل اليافع وجسمه » ؛ وأخذوا يرددون ان ان التعليم الدنيوى يحطم قدسية النظام الاجتماعى • حتى لقد جاء فى احدى مواثيق المحافظين ان الدولة والكنيسة مؤسستان شيدهما الله فى ارضه !

وفى نهاية منتصف القرن التاسع عشر ظهرت بوادر تأثير النهضة الصناعية فى المانية التى لم يظهر تأثيرها الكلى الا فى عام ١٨٨٠ • وكان من أثر ذلك أن بدأ رجال الصناعة يتعاونون مع طبقة اليونكر منذ سنة ١٨٧٠ ؛ واخذوا يطالبون بحماية الصناعة الالمانية بوضع تعريفة جمركية خاصة • وقد وافق بسمارك على وضع تعريفة لحماية الصناعة سنة ١٨٧٩ • وأدت مصالح اليونكر ورجال الصناعة الى أن يتعاون الطرفان فى ميدان السياسة الخارجية • فحينما تنازلت المانية سنة ١٨٩٠ عن جزيرة زنجبار الى بريطانيا لقاء حصولها على جزائر هيلكولند Helgoland احتج اليونكر ورجال الصناعة على هذا التفريط بحقوق البلاد وأسسوا « جامعة الشعوب

الالمانية » . ومع ان عدد المنتسبين الى هذه « الجامعة » كان صغيرا الا ان نفوذها كان كبيرا . فقد أصبحت ملاذا للعناصر « القومية » و « الوطنية » المتطرفة .

وقد كان تأثير « جامعة الشعوب الالمانية » ومثيلاتها من الجمعيات « كجمعية المستعمرات » و « جمعية الاسطول » و « رابطة الطلبة الالمان » وغيرها التي استمدت عقائدها من ترايتشكه Treitschke عظيما جدا في الاوساط الحكومية وغير الحكومية ؛ وقد استطاعت هذه الجمعيات أن تصوغ افكار كثير من المربين ، وان توجههم توجيها قوميا . وكان كثير من المدرسين والطلاب اعضاء في جمعيتي « المستعمرات » و « الاسطول » . اما « رابطة الطلبة الالمان » فقد طبعت كثيرا من مديري المدارس الثانوي بالفكرة القومية واللاسامية ، وطالبت ان تحل جميع مشاكل التعليم وفق مقتضيات الخلق القومي الالماني Volkstum (*) هذا الخلق الذي لعب دورا عظيما في الفلسفة الاجتماعية والسياسية للقوميين الالمان بعد ١٨٧٠ . « وما دام الريف هو المنهل الصافي للخلق القومي والشرط الاساسي لدوامه ، بعكس المدن ذات العادات الجديدة والفعاليات الاشتراكية ، فقد مجد المحافظون اهمية الريف ، واستمر هذا التمجيد حتى في ايام النازيين ، وصار احدى الخصائص المميزة لتفكير القوميين ، لاسيما في ميدان التربية والتعليم »[٢] .

وقد تميزت هذه السنوات بمحاربة الديمقراطية والفكرة العالمية ، وتنمية العقائد القومية . ولم يكن سببه الوضع الاقتصادي وحده ، بل طبيعة تكوين المجتمع الالماني نفسه . « فالعسكرية » في ايام « القيصر » لم يقصد بها تشكيل جيش جرار ، بل لتكون

(*) ان معنى هذه الكلمة التقريبي هو الخلق القومي والتقاليد القومية ، وتدل بصورة خاصة على المميزات الرسمية والخصائص الموروثة .

(2) Samuel, R.H., Thomas, R. H., Education and Society in Modern Germany, P., 9.

مؤسسة سياسيـــة واجتماعيـة تتمثل فيها « نظرات » الطبقة الحاكمة فى المجتمع الالمانى • وفى الحقيقة ان الطبقة العسكرية فى المانية كانت تؤلف حكومة داخـــل حكومة • وقد اكتسبت كيان بروسية الاجتماعى اهميـــة كبيرة فى دستور الرايخ سنة ١٨٧١ الذى سن بعد الحـروب الافرنسيـة الالمانية • فقد اعطى بروسية مركزا ممتـازا بالنسبة الى الولايات الالمـانية الاخرى ، واعطاها القيادة والزعامة والسيطرة • وحينما سقطت «الامبراطورية الالمانية » كان سقوطها يعزى الى فشل « العسكرية » نفسها • ونتج عن الثورة التى اعقبت هذا السقوط تكييف سياسى فى المجتمع الالمـانى ، ولم يحدث تبدل اساسى فيه • وحيث ان هذا التكييف لم يؤد الى اصلاح حالة الاراضى وتوزيعها على الفلاحين فقد ظلت طبقة اليونكر على ماكانت عليه ، واستعاد الجيش مركزه ، واعاد تنظيم صفوفه ، واسترد معنويته ؛ كما ازدادت قوة رجال الصناعة ، وتوسعت مشاريعهم ، ومناطق نفوذهم • وهكذا نجد ان مصادر القوة بعد عام ١٩١٨ لم تتبدل ، فقد ظلت كما هى •

وقد تنوعت وجهات النظر وتعددت فى الاوساط الالمانيـة ايام الحكم الجمهورى ؛ فمن اعتقاد راسخ بالنظـــام الديمقراطى الى ايمـان شـــديد بالقومية وبحركة توحيد المانية فى دولة واحدة قوية • وقد ظهر الاعتقـاد الاول مثلا فى المدارس الحـــديثة التى تأسست فى مدينة هامبرغ والتى سميت بالمدارس الاجتماعية ، ومن اشهر هذه المدارس مدرسـة ليشتفارك Lichtwark ؛ كما ظهر فى الاتجاهات السياسية الديمقراطية التى سارت عليها كل من ولاية ساكسونى وولاية تورنجيا حينما كانت مقاليد الحكم بيد حكومتين يساريتين • وينبغى أن نذكر أيضـا « رابطـة مصلحى المدارس الراديكالين » التى طبقت آراءها ونظرياتها فى « مدرســة كارل ماركس » ، والتى كان يديرها فرتس كارسن Fritz Karsen اما الـــروح القوميـــة والعسكرية فقد كانت ظاهرة فى « المدارس البروسية الرسمية الداخلية » •

ونجد بين هذين الاتجاهين المتطرفين : الاتجاه الديمقراطى الراديكالى والاتجاه القومى العسكرى ، طوائف اخرى من المدرسة القديمة تحاول ان تدخل اصلاحات فى الطرق التربوية الا انها لم تستطع ان تتخلى عن قيمها القومية التى سيطرت على المجتمع الذى ترعرعت فيه هذه الطوائف • ومن هؤلاء أوتو بويلتز Otto Boelitz وزير معارف بروسية من ١٩٢١ ـ ١٩٢٥ • وقد ضمن فلسفته فى كتابه « تجديد نظام التعليم البروسى بعد الانقلاب » المطبوع سنة ١٩٢٥ ، كما شرحها فى النشرة التى سميت بـ « حركات فى الحياة الثقافية الالمانية ووحدة الثقافة الالمانية » المطبوع سنة ١٩٢٦ • وكان يرى ان وظيفة المدرسة تنحصر فى المساهمة فى بناء الوحدة الالمانية بناء جديدا ، وفى اعادة قوة المانية • وقد صار خلفا له الوزير الشهير كارل هاينرش بيكر • وقد كان بيكر من كبار القوميين الالمان الذين نشأوا فى احضان العسكرية الالمانية • وقد ذكر فى كتابه « واجبات الامة السياسية والثقافية » المطبوع سنة ١٩١٩ ان تنظم المانية وتوطيد مستقبلها هو الهدف الاساسى من نظام التعليم لتصبح امة متميزة عن غيرها من الامم • وفى السنة التى خلف بها بيكر زميله بويلتز (١٩٢٥) ظهرت مناهج دراسية للمدارس البروسية مشفوعة بتعليمات وتوجيهات لم تختلف عن تلك المناهج الدراسية القومية التى سبقت سنة ١٩١٨ • وكانت الكتب المدرسية المقررة تعج بكلمة «الدليل الهادى» Leitmotiv المعروفة لدى الاوساط القومية ؛ كما كانت كتب التاريخ تردد بعض التعابير مثل «الرس السائد » ، وتطويق المانية من دول اوربية معادية ، و « طعنة من خلف » ، وغيرها •

فون بادن :

والخلاصة ، لقد عكس نظام التعليم فى المانية بعد سنة ١٩١٨ العقائد

القوميـــة ومكافحـة الافكار الثـورية • وكان الامـير ماكس فون بـادن Max Von Baden احـدى الشخصيات التى حاولت ان تدعو الى الاخذ بفلسفة محافظة اثناء الحكم الجمهورى • ولقد لعب الامير بعد نهاية الحرب العالمية الاولى دورا مهما فى عقد معاهدة صلح مع الحلفاء تقوم على « نقاط ولسن الاربعة عشرة » • وكان فى ذلك الوقت رئيسا للحكومـة البرلمانية • وقد اسس ماكس فون بادن فى مدينة سالم الواقعة شمال بحيرة كونستانس مدرسة لتربية أولاده وأخضعها لتفكيره السياسى والاجتماعى خضوعا كليا • وفى حفلة الافتتاح ألقى الامير خطبة اوضح فيها اهداف المدرسة ، وقال ان هذه الاهداف تقررها الاوضاع الحاضرة ، وان المانية تئن اليوم من كابوس الفاتحين الذين سـرقوا ممتلكاتها ، والذين حاولوا بالحصار البحـرى ان يميتوا اطفالها جوعا • وقال ان المصيبة والهزيمة لم تجمع صفوف الالمان ؛ وانما صيرتهم متباعدين تتقاسمهم الاختلافات الداخلية • واستطرد قائلا : تحتاج الامة الى بعث روحى جـديد • غير ان هـذا البعث « لا ينبثق من المدن ، بل من الارياف » • فحياتنـا القومية فى المدن هزيلة مريضـــة ، تسمم المراهقين •

وكانت فلسفة الامير تستهدف بعثا قوميا تتزعمه الطبقة العسكرية ، وكان يؤكد على الفكرة القوميـــة الانقلابية ، ويريدها ان تبقى حيـة فى النفوس ، وعلى حاجة المانية الى زعيم « تتجسم فى شخصيته فكرة التمرد » ؛ وكان يرى ان الزعيم الذى خبر المعارك هو احسن زعيم يطمن حـاجات الناس • هذه بعض نواحى فلسفته السياسية ؛ اما فلسفته الاجتماعية فقـد كانت تصطبغ بنزعـة روحيـة دينية • وقد انتقلت آراؤه الفلسفيـة الى مدرسة « سالم » •

ظهور النـازية :

وكانت العناصر التى تحارب الديمقراطية ما زالت قوية ، وظلت تعمل

اثناء الحكم الجمهورى بانتظام . فلما ظهرت الحركة النازية انخرطت فيها جميع العناصر القومية والعسكرية المحافظة بغية تحطيم الجمهورية وتأسيس دولة المانية جديدة . وقد اكتسبت النازية انصارا كثيرين نظرا لتدهور الحالة الاقتصادية ، واضطراب الحكم الجمهورى ، وبقاء الروح القومية حية قوية في نفوس كثير من الالمان . وقد تركت هذه الظاهرات كلها آثارها فى التربية والتعليم .

ومع ان العناصر المحافظة هى التى ساعدت الحركة النازية على تقدمها ونموها ، ومع ان انتصار هتلر لم يأت الا بمعونة اليونكر ورجال الصناعة والجيش الا ان قادة الحركة النازية عزموا على ان يكون « الحزب النازى » وحده الطبقة الحاكمة فى المانيا . وهذا هو الذى يفسر لنا التوتر الذى حصل بين « الحزب » من جهة والسلطات الحكومية الاخرى من جهة ثانية . وقد توغل نفوذ « الحزب » فى نظام التعليم ، وأصبح أحدى خصائص التربية النازية ، وظهر ذلك ظهورا بينا حينما حاول « الحزب » تأسيس جامعة تكون تحت ادارته واشرافه ، وفى تأسيس المدارس الخاصة به لتحقيق فكرة « المدرسة الالمانية » التى دعا اليها انصار الوحدة الالمانية سنة ١٨٤٨ . « واذا نظرنا الى نشأة التعليم فى المانية نجد ان ناحية واحدة مهمة تستدعى انتباهنا . فقد يبدو لاول وهلة ان الامبراطورية والجمهورية والنازية عهودا مستقلة لا تتصل بعضها مع بعض ، الا ان هذه النظرة السطحية تنطوى على خطأ كبير جدا . فالتربية تعبر فى جميع الامكنة والازمنة عن المجتمع نفسه ، وتصبه فى الوقت نفسه بالشكل الذى تريده . ولا يمكن ان تتبدل اتجاهات التعليم تبديلا جوهريا واساسيا الا اذا تبدلت الاسس الاجتماعية »[٣] .

---

(٣) المصدر السابق نفسه صفحة ١٦ .

انواع المدارس

١ ـ المدارس الابتدائية :

سميت « المدارس الابتدائية » بعد اندحار بروسية سنة ١٩٠٦ « بمدارس الشعب » Volksschulen ، وظلت محتفظة بهذا الاسم . ان التسمية الجديدة لم تظهر الا حينما تضافرت جهود الالمان على بعث ألمانية وتفجير امكانياتها العظيمة ، وتطبيق آراء حرة نيرة فى ميادين السياسة والثقافة والاقتصاد . وقد تأثرت المدارس الابتدائية بنظريات بستالوتزى المربى الشهير ، وعدت قصته « لينهارد وغيرترود » من أروع القصص الشعبية التربوية . واخذ التعليم الابتدائى يخطو خطوات واسعة لاسيما فى بروسية . ففى الفترة التى تدهورت قواها العسكرية شاهدت بروسية عناية عظيمة فى شؤون التربية والتعليم . وقد أشار الى ذلك فردريك وليم الثالث حينما قال : « أجل ، لقد فقدنا بلادنا ، وتدهورت قوة الدولة وسطوتها الخارجية . فينبغى ، وهى رغبتى الملحة ، ان نوجه اعظم عنايتنا الى تعليم الشعب » .

ولكن الاحداث التى اعقبت عام ١٨١٥ تركت فى التعليم الابتدائى آثارا عظيمة ؛ فانطمست خصائصه الحرة فى وزارة التشتاين ، وخضع لادارة مركزية شديدة ، نتجت عنها كفاءة ميكانيكية ادارية وثقافية واضحة ، وأصبح بعد ثورة سنة ١٨٤٨ وفى ايام وزارة كارل أوتو فون راومر بيروقراطيا فى ادارته . وظهرت هذه الاتجاهات فى تعليمات وزارة المعارف التى حملت طابع تلك الفترة وهو : تضييق فى حرية التعليم وزيادة فى السيطرة المركزية . وسعى خلفه أود البيرت فالك Falk الى تعيين وظائف المدارس الابتدائية البروسية واهدافها ، وحررها من القيود الكثيرة . ثم أخذ التعليم الابتدائى يتقدم بخطوات واسعة مما استرعى انتباه طبقة اليونكر التى ذهبت الى انه

يستهوى الفلاحين ، ويحبب اليهم حياة المدن ، ويطمس خصائصهم الريفية الاصلية • كما استرعى انتباه رجال الصناعة الذين كانوا يخشون القوانين الموضوعة لحماية العمال • ولم تساعد على نشر التعليم الابتدائى ، ولم تقاوم هذه الافكار الرجعية الا الطبقة الوسطى التى كانت تحسب نشر التعليم ضرورة من ضرورات التكوين القومى للامة الالمانية • ويمثل هذه الطبقة الاستاذ باولسن Paulsen (١٩٠٦) احد اساتذة جامعة برلين ، فقد كان يعتقد ان المانية ينبغى ان تنمى قواها القومية الى اقصى ما تستطيع تنميته ، وان تحقق اهدافها القومية وتدرك ذاتها فى نضالها العظيم من اجل الكرامة والعزة القومية •

وأصبح التعليم الابتدائى للاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين السابعة والرابعة عشرة من العمر الزاميا ، وشاهد اصلاحات كثيرة تتصل بالمناهج وطرائق التدريس ؛ وبانهيار المانية القيصرية فى الحرب العالمية الاولى تداعى نظامها التعليمى القائم على تمجيد القومية المتطرفة والروح العسكرية ، وحل محله نظام جديد فى فترة جمهورية فايمر • ومع ان « الجمهورية » لم تزد فى سن التعليم الالزامى بل اتبعت النظام القديم الذى كان يتطلب من التلميذ الذى أتم مرحلة الدراسة الابتدائية الالزامية ان يواصل تعليمه فى «مدرسة تكميلية» مهنية Berufsschulen الا ان « دستور » الجمهورية قد أدخل بعض الاصلاحات فى نظام التعليم أهمها :ـ

١ ـ الغى المدارس التحضيرية Vorchulen المتصلة بالمدارس الثانوية او المنفصلة عنها (مادة ١٤٧) التى يلتحق بها الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين السادسة والتاسعة من العمر ، وحسبها مدارس طبقية خاصة تهدد النظام القومى والاجتماعى ، واسس مدرسة ابتدائية مجانية واحدة لجميع الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين السادسة والعاشرة من العمر اطلق عليها اسم المدرسة الاساسية Grundschule

٢ – وحد نظام اعداد المعلمين ؛ فصار اعداد مدرسى المدارس الابتدائية والثانوية يجرى وفق اسس واحدة ، وقضى على التمايز المهنى الذى يخلق شعورا اجتماعيا مختلفا بين المعلمين .

٣ – حدد علاقة الدولة بتدريس الدين ووضعها على أسس وطيدة بموجب المادتين ١٤٦ ، ١٤٩ .

وقد شاهدت هذه الفترة تاسيس مدارس فريدة تستند الى آراء تربوية متطرفة . من ذلك « مدرسة المجتمع » Gemeinschaftschule افتتحت فى مدينة هامبرغ سنة ١٩١٩ ، والتى ثارت على الاساليب التربوية القديمة ، وجعلت المكتبات والقاعات والمعامل وغرف الموسيقى والمسرح وغيرها مراكز تربوية ، و « الطفل » نقطة ارتكازها لا المنهج ولا المدرس . ومنها « مدرسة العمل » Arbeitschule التى افتتحت فى مدينة ميونيخ ، وتأثرت بآراء المربى الالمانى الشهير كرشنشتاينز والمربى الامريكى جون ديوى . وقد ذهب الاول الى ان واجب المدرسة الابتدائية الاول تعليم حرفة من الحرف ، وان اتقان القليل من المعلومات أحسن من تزويد الناس بكثيرها ، وان الكثرة البالغة لا تستطيع ادراك العلوم النظرية العقلية ، وان العمل اليدوى اساس كل عمل متقن سليم ، وان يربى الطفل بالاضافة الى هذا تربية تقوده الى التشبع بروح خدمة المجتمع ، وان يعد ليساهم فى بناء مجتمع افضل ، وان أول مستلزمات المهنة تدريب الاعضاء الفعالة ، وان من خصائص الصناع قوة فى الارادة ، وصفاء فى الحكم ، ورقة فى الشعور . الى ان قال : فنحن نستهدف تحقيق القدرة على العمل لا الحصول على المعلومات ، وعلينا أن نبدأ بادنى حد من المعلومات لننتج أعلى حد من القدرة .

ولكن جمهورية فايمر التى قامت بعد الحرب العالمية الاولى لم تحور كثيرا فى كيان التعليم العام ، وظلت المدارس الآتية هى السائدة :ـ

١ ـ مدارس الجمنازيوم الثانوية : ويجرى فيها التعليم الثانوى الخاص بابناء الطبقة الموسرة .

٢ ـ ومدارس الاوبريال والريال شوله الثانوية والريال جمنازيوم : ويجرى فيها التعليم الثانوى الحديث . فتعنى الاولى بتدريس اللغات الحديثة والعلوم الرياضية عناية كبيرة ، وتعنى الثانية باللغات الحية والعلوم الرياضية والعلوم الطبيعية عناية متوسطة ؛ وتعنى الثالثة بالعلوم واللغات الحديثة ، ولا تقوم بتدريس اللغة اليونانية . وتوجد بالاضافة الى هذه المدارس المتوسطة أو شبه الثانوية او الابتدائية العالية انواع اخرى من المدارس .

٣ ـ مدارس الشعب : وقد سبق أن اشرنا اليها . وهى مدارس ابتدائية مجانية ، وظيفتها تزويد التلاميذ باسس الثقافة الخلقية والدينية وبالمعلومات الضرورية للحياة الاجتماعية »[٤] .

فى الحكم النازى :

وقد احتضن النازيون فكرة « المدرسة الاساسية » التى انتشرت أيام جمهورية فايمر وأيدوها كل التأييد ؛ لانها كانت تتفق ونظرياتهم التربوية فى تحقيق التضامن والانسجام الاجتماعى بين مختلف طبقات الامة الالمانية . وفى سنة ١٩٣٦ الغى النازيون ما تبقى من المدارس التحضيرية الملحقة بالمدارس الثانوية الخاصة او المستقلة عنها ، ووجهوا عنايتهم الى المدارس الابتدائية التى كانت تزخر بالاطفال الذين تستطيع النازية ان تلقنهم مبادئها ، وتصبهم فى قوالبها السياسية والثقافية ؛ لاسيما وان النظريات التربوية النازية كانت تعاف الدراسات الثانوية النظرية ، وكانوا يعتقدون

4.— Fletcher, A. W., Education in Germany, P., 2, Cambridge, 1934.

الى الحركات الاصلاحية ألحرة اكثر من غيرهم ولعبوا دورا مهما بالمطالبة فى توحيد نظام اعداد المعلمين وتحطيم الحدود الاجتماعية التى كانت تفصل بينهم وبين معلمى المدارس الثانوية .

وشاهد التعليم الابتدائى نقصا متواصلا فى عدد المعلمين والمعلمات بسبب تسرب عدد غير قليل منهم الى الصناعة . وقد ظهر هذا النقص بارزا فى عزوف الطلاب عن دخول دور المعلمين مما كان له اسوأ الاثر فى تقدم التعليم الابتدائى . وتناقص عدد المعلمين ايضا ايام الحكم النازى ، وخاصة بين سنة ١٩٣٨ – سنة ١٩٣٩ ، حتى بلغ حوالى ٢٥٠٠ معلم ومعلمة ، وبلغ فى بروسية وحدها زهاء ٧٠٠ معلم ومعلمة . ويعزو النازيون هذا النقص الى نظام اعداد المعلمين الذى بوشر به سنة ١٩١٨ ، والذى اشترط حصول الطالب على شهادة ثانوية . ولكن توسيع الجيش وزيادة الوظائف الحكومية وفتح مؤسسات ثقافية جديدة وانتعاش الحركة الاقتصادية صرفت كثيرا من الشباب عن دخول دور المعلمين ، ولقد اشتد قلق النازيين من جراء تناقص عدد معلمى المدارس الابتدائية ومعلماتها ، واربك سياستهم التعليمية نحو الريف . فقد عقدوا آمالهم على معلم القرية ، وجعلوا رسالته « انقاذ الامة روحيا » .

وبذل النازيون جهدا كبيرا فى اعادة منزلة معلمى المدارس الابتدائية فى المجتمع الالمانى ، وصار بمقدورهم ان يصلوا الى مراكز مهمة فى الحزب النازى . ولقد قيل ان ٣٠/٠٠ من زعماء الحركة النازية كانوا من المعلمين ، وخاصة معلمى المدارس الابتدائية . ومما تجدر الاشارة اليه ان دراسة منزلة معلمى المدارس الثانوية الاجتماعية ينبغى ان تتم ايضا فى ضوء مركز الجامعات فى المجتمع الالمانى . فقد كانت آراء الطلاب وميولهم السياسية تتأثر لدرجة عظيمة بمنظمات الطلاب انفسهم فى المدارس الثانوية والمعاهد العالية ودور المعلمين ؛ فساهمت منظمة الطلاب المعروفة بـ « منظمة الشبيبة »(*) فى توجيه

(*) Burschenschaften.

والمنطق • فاذا نجح أصبح مدرسا تحت التجربة لمدة سنتين ينال اثناءها خبرة عملية فى التدريس • فاذا قطع هذه المرحلة واظهر كفاءة تدريسية التحق « بحلقات دراسية » تربوية تنظمها وتشرف عليها حلقات البحث الخاص بكل منطقة من المناطق Bezirks-Seminar ، حيث تبحث المشاكل التربوية التى لمسها الطالب اثناء قيامه « بالتطبيقات التدريسية » فى الحلقة نفسها باشراف مرب قدير • وتنتهى هذه المرحلة بتأدية الطالب الامتحان الثانى ، وهوالامتحان التربوى ؛ فاذا اجتازه صار أهلا للتعليم ونال لقب Studienassessor

وحدثت تبدلات مهمة فى منزلة المعلمين الاجتماعية عقب اجراء هذه الاصلاحات فى نظام اعداد المعلمين ، وبدت بشكل خاص فى موقف معلمى المدارس الابتدائية من مشاكل البلاد السياسية والاجتماعية • وكانت الكنيسة تتمتع فى النصف الاول من القرن التاسع عشر بنفوذ عظيم فى التعليم الابتدائى • وحيث أنها والدولة كانتا تحاولان ان تقفا فى طريق اجراء كل حركة اصلاحية حرة فى نظام التعليم الثانوى فكان طبيعيا ان تطالب الحركات الثورية التى نشطت فى سنة ١٨٤٨ باصلاح نظامى التعليم الابتدائى والثانوى ، وبابعاد المدارس عن سيطرة الكنائس ، والحاقها بالدولة تطبيقا للمبادىء الديمقراطية • ولم تتحقق هذه الاصلاحات الا بعد ان اشتدت مطالبة معلمى المدارس الابتدائية لها ، والا بعد ان انتظموا فى مؤسسات مهنية ساعدت على تبلور وجهات نظرهم ازاء مشاكل التعليم الابتدائى • وقد شاهد النصف الاول من القرن التاسع عشر (١٨١٥ – ١٨٤٨) زيادة فى عدد جمعيات المعلمين • واذا كانت الحركات الثورية قد تركت اثرها فى صفوف معلمى المدارس الابتدائية فانها لم تترك الاثر نفسه فى صفوف معلمى المدارس الثانوية للتفاوت الموجود فى مراكزهم الاجتماعية • وحيث ان اعدادهم كان يجرى فى مؤسسات جامعية عالية فقد نشأوا على الايمان بحرية التدريس والبحث مما لم يتيسر لمعلمى المدارس الابتدائية الذين كانوا يرزحون تحت كابوس الكنيسة وسلطان الدولة • وهكذا استجاب معلمو المدارس الابتدائية

بالقيم الروحية والاخلاقية والثقافية التى تستقر « فى خصائص الامة الموروثة وتقاليدها » .

واحتفظ النازيون بهذه المعاهد عند مجيئهم للحكم ، ووسعوا فيها وجعلوها « دور المعلمين العالية »(*) ، ولكنهم لم يحتفظوا بها مدة من الزمن طويلة ، لاعتقاداتهم بان حاجاتهم التربوية لا يمكن سدها الا باجراء اصلاح اساسى فى معاهد اعداد المعلمين . ومن أجل تحقيق هذه الغاية أمر هتلر سنة ١٩٤٠ بتأسيس انواع اخرى من معاهد اعداد المعلمين(**) . وفى خريف سنة ١٩٣٩ تأسست مدارس خاصة مدة الدراسة فيها اربع سنوات بعد الدراسة الابتدائية ؛ ويواصل الطلبة المتقدمون دراساتهم بعد تخرجهم منها فى « كليات اعداد المعلمين » . ومما هو جدير بالذكر ان هذه المعاهد قامت بتربية الطلاب تربية سياسية وعقائدية وعسكرية . وكان الطلاب يرتدون بدلة عسكرية اثناء الدوام هى بدلة شباب هتلر ؛ ومن شروط الالتحاق بهذه المدارس ان يلتحق طالبو الدخول بمخيمات خاصة .. حيث يدرس سلوكهم ولياقتهم دراسة دقيقة . وفى سنة ١٩٤٠ صدر مرسوم يقضى بان يؤلف كل معهد وحدة من منظمات « شباب هتلر »[٦] . وقد بلغ عدد هذه المعاهد الخاصة فى السنة نفسها حوالى ٢٣٢ فى المانية الكبرى .

اعداد معلمى المدارس الثانوية :

ويشترط فى الطالب ان يكون قد حصل على شهادة الدراسة الثانوية (أبيتور) ، وأمضى على الاقل ثمانية فصول (او اربع سنوات دراسية) فى احدى الجامعات الالمانية ، واجتاز امتحانا لاكتشاف قابلياته الثقافية والعقلية يعدهما مجلس الجامعة والسلطات المدرسية ، وأدى امتحانا فى الفلسفة والاخلاق

(*) Hochschulen fur Lehrerbildung

(**) Lehrerbildungsanstalt.

6—. Samuel, R. H., Thomas, R. H., Education and Society in Modern Germany, P., 58.

لتوجه عنايتها الى الاطفال الذين فقدوا بيوتهم بسبب الحرب وقد قبلت عددا محدودا ومختارا من اطفال العمال والفلاحين والصناع . وكانت الاسبقية فى الدخول تعطى للاطفال الذين فقدوا آباءهم فى جبهات القتال .

٤ - مدارس الفنون الجميلة :

وبالاضافة الى هذه الانواع الرئيسية من المدارس الداخلية النازية فقد تأسس نوعان من المدارس الخاصة لتدريس الفنون الجميلة (الجمنازيوم الموسيقية) وكانت مدة الدراسة فى كل واحدة منها ٨ سنوات ، ويلتحق بها الطلبة الذين يتمتعون بمواهب فنية كبيرة وخاصة الموسيقية منها ، وبصفات رسية فردية ، وجدارة بدنية . وكانت تسير على غرار مدارس الاوبرشولة الالمانية ، الا فيما يتعلق بعنايتها الزائدة فى الموسيقى .

اعداد المعلمين

وجهت الجمهورية سنة ١٩١٨ عنايتها الى دراسة مشاكل التعليم بوجه عام ، ومشكلة اعداد المعلمين بوجه خاص ؛ ونص الدستور على ان يجرى اعداد المعلمين كافة فى معاهد تعليمية واحدة . فقامت بعض الولايات تفتح مؤسسات مستقلة خاصة باعداد معلمى المدارس الابتدائية تلى الدراسة الثانوية، واسست بعضها معاهد خاصة ملحقة بالجامعات .

وحدثت فى بروسية تطورات مهمة فى معاهد اعداد المعلمين . فقررت حكومتها ان يتم اعداد معلمى المدارس الابتدائية فى معاهد مستقلة عن الجامعات ، وان تكون مدة الدراسة سنتين بعد الدراسة الثانوية . وفى سنة ١٩٢٥(*) افتتحت « الاكاديميات التربوية » فى مدن بون ، وكيل والبنك . وكان الفضل فى تأسيسها يعود الى بيكر وزير المعارف الذى ذهب الى ان « لا حاجة ان يكون المعلم اختصاصيا ولا بحاثة ، وانما الحاجة ان يتصل بالناس اتصالا وثيقا ، وان يكون قادرا على ان يوقظ حياتهم الروحية ويصوغها »، وان يكون اتصاله بالحياة مبدءا اساسيا من مبادىء اعداده وأن تعنى

(*) Hochschulen fur Lehresbildung.

وكانت مدارس ادولف هتلر تؤلف مرحلة معينة من خطة تربوية سياسة واسعة ، وتستهدف اعداد نخبة مختارة من شباب الحزب النازى وتثقيفهم بثقافة سياسية يلتحقون عند تخرجهم بمدارس تربوية اعلى هى مدارس اوردنزبورغن Ordensburgen تمدهم بتقاليد « الفرسان التيوتون » ثم يواصلون دراساتهم فى « جامعة الحزب » Hohe Schule der Partei الا ان هذه الخطة لم تكمل مراحلها بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية .

ان جامعة الحزب التى اريد بها ان تكون آخر مرحلة من مراحل تربية قادة الحركة النازية والتى قد تقرر تأسيسها فى مدينة شيمزه الواقعة فى بافاريا بارشاد وتوجيه روزنبيرغ فيلسوف الحركة النازية لم يفتح منها الا معهد المباحث العلمية لدراسة احوال اليهود فى مدينة فرانكفورت .

واسس النازيون ايضا مدارس داخلية شبيهة بمدارس ادولف هتلر ، وكانت ايضا تتصل بادارة الحزب النازى ، وتسمى « مدارس الحزب » وافتتحت اول مدرسة منها فى مدينة فيلدافنك الواقعة فى بافاريا . وكانت تقدم نوعين من الدراسة ، طول كل واحدة منها ٦ سنوات و ٨ سنوات .

٣ - المدارس الالمانية الداخلية الرسمية :

وكان النوع الثالث من المدارس الخاصة هو « المدارس الالمانية الداخلية Deutsche Hermschulen التى تأسست سنة ١٩٤١ بطلب من هتلر نفسه

و ٥ ٠/٠ من الضباط و ٢ر١ ٠/٠ من موظفى الحزب . (ولم تقدم احصائيات عن ٥٤ ٠/٠ الباقيـــة) وقد دلت دراسة مشابهة بهذه لطلبة (مدارس ادولف هتلر) سنة ١٩٤١ فظهر ان ٧ر١٩ ٠/٠ من آباء طلبة هذه المدارس من اصحـاب الدخـل الواطئ ، و ٥ر٢٦ ٠/٠ من العمال و ١٥ ٠/٠ من اصحاب المهن الحرة و ١٣ ٠/٠ من صغار الموظفين و ٣ر٩ ٠/٠ من الفلاحين و ٥ر٣ ٠/٠ من موظفى الحزب (ولم تعط احصائيات عن الباقين) وقد بلغ عدد المتخرجين من « المعاهد التربوية السياسية القومية » سنة ١٩٤٠ نحوا من ٦١٤ طالبا ، أراد ٣٧٩ منهم ان يكونوا ضباطا و ١٣٠ منهم ان يواصلوا دراساتهم الجامعية، واراد اكثر الباقين منهم ان يكونوا قادة فى فرق الدفاع أس . أس الخاصة بالحزب او فى خدمات العمال .

جليلا فى أرومته او طبيعته • وما التربية الصالحة التى تخلق حياة حقيقية تامة الا التربية السياسية ، التى تستهدف تربية الخلف تربية يستطيع ان ينقل بها حياته الاجتماعية الى المستقبل • فهى تربية خلاقة تسعى الى تكوين نوع من الانواع ، ولا تتم فى امتنا الا بالفعاليات الاجتماعية • وينحصر هدف المعاهد التربوية السياسية القومية فى تربية الشباب تربية واقعية لا نظرية ، وبكلمة اخرى تربية كلية تتصل بالحياة الاجتماعية اتصالا وثيقا ، وتحتضن ، ما استطاعت عليه ، جميع القوى الانسانية ، وتصوغ الفرد وتكون الخلية الاجتماعية ....» ومع ان هذه المدارس كانت ترتبط من نواحيها العقائدية « بفرق الدفاع » الـ « اس • اس » الا انها كانت تخضع من الناحية الادارية الى وزير معارف الرايخ •

٢ ـ مدارس أدولف هتلر :

اما النوع الثانى من المدارس الخاصة الداخلية فهى « مدارس أدولف هتلر » التى قد تأسست سنة ١٩٣٧ ، والتى بلغ عددها سنة ١٩٤٣ عشر مدارس • وكانت تابعة الى الحزب النازى ، ويشرف عليها الدكتور كورت بيتر احد زعماء الشبيبة النازى ، وتخضع فى ادارتها والاشراف عليها الى « ادارة الحزب العامة للتلقين السياسى » ولا تختلف مدارس ادولف هتلر عن المعاهد التربوية السياسية القومية اختلافا كبيرا • وكانت مجانية ومدة الدراسة فيها ست سنوات تبدأ بالثانية عشرة من العمر • وتكاد تكون وظيفتها شبيهة بوظيفة المعاهد التربوية السياسية وهى اعداد صفوة مختارة من الزعماء النازيين الذين يستطيعون ان يتقلدوا اهم وظائف الدولة فى المستقبل ويتحملون مسئولياتها الكبرى(*) •

(*) تقدم لنا الاحصاءات الآتية صورة عن التكوين الاجتماعى لمنتسبى هذين النوعين من المدارس والوظائف التى تقلدوها • وقد دلت احدى الدراسات التى تمت سنة ١٩٤٠ ان ٢٠ ٠/٠ من آباء طلبة مدارس NPEA من الموظفين ، و ١٣ ٠/٠ من العمال و ٧ ٠/٠ من الفلاحين او صغار الملاكين

الخلق ، لاسيما تنمية قوة الادارة والعزم واعداد الفرد لتحمل التبعات بروح مرحة . وكان هتلر يرى ان اعظم واجب يقع على المدرسة هو تدريب الشباب لخدمة الامة والدولة وفق روح اشتراكية وطنية . وقد قال « ينبغي ان يكون الشباب الالماني ضامرا وسريعا وصحيحا كالسلوقي ، وخشنا كقطعة من جلد ، وصلبا كقطعة من فولاذ انتجتها معامل كروب »(*) .

المدارس الداخلية النازية الخاصة

اسس النازيون عددا من المدارس الداخلية الخاصة للتلقين السياسي اهمها :-

١ - المعاهد التربوية السياسية القومية(**) :

وقد بلغ عددها في المانيا الكبرى سنة ١٩٤٣ حوالى ٤٣ معهدا للبنين وثلاثة معاهد للبنات . وكان يديرها ويفتشها اوغست هايسماير Heissmeyer مدير ادارة المعاهد السياسية وقائد من قادة فرق الدفاع (اس . اس) وامتازت بطابعها العسكري وخشونتها وشدة الضبط والطاعة ، ولم تختلف مناهجها كثيرا عن مناهج مدارس الاوبرشولر الالمانية . وكانت عنايتها منصبة على تدريس « العلوم السياسية القومية » وكان الطلاب يلتحقون بها حينما يتمون العاشرة من العمر ، ويدفعون اجورا دراسية تختلف باختلاف دخل آبائهم .

وقد كانت هذه المدارس معاهد سياسية ، وتجربة في الفلسفة النازية التربوية ، كما يتضح من قول هايسماير « ان خطة تعليمية جديدة تتضمن منهجا دراسيا منظما قد حلت محل تقسيم جدول الساعات الى دروس اسبوعية ، وان الواقعية القومية التي تستند اليها الاشتراكية الوطنية هي التي تقرر أهداف هذه الخطة لا مثل ثقافي او علمي أعلى مهما كان

(*) راجع صفحة ٢١٧ من الجزء الاول من كتاب « الدولة والتعليم » للمؤلف

(**) Nationalpolitische Erziehungsanstalten.

ظهر فى انواع المدارس الثانوية قسموا الفروع العليا الى : رياضية وعلمية ولغات حية (وعلوم منزلية للبنات) ؛ واصبحت مدارس البنات الثانوية لا تختلف عن مدارس البنين ، والغيت الانواع الاخرى ، وتعذر على البنات الالتحاق بمدارس الجمنازيوم الكلاسيكية .

ومجمل القول ان النازية استهدفت فى اصلاحاتها تحقيق « المدرسة الموحدة » من حيث هى اداة قومية ، واسست عـــددا من المدارس الثانوية الداخلية منها « المعاهد التربوية السياسية القومية » التى سيأتى ذكرها .

المدارس الثانوية

المـدارس	١٩١١	١٩٢٦	١٩٣٦
المدارس الثانوية للبنين	١ر١٥٩	١ر١٩٢٤	١ر٥٣٨
المدارس الثانوية للبنات	٧٣٩	٩٣٤	٧٨١
البنون فى الصفوف الرئيسية	٣٩٢ر٦٧٩	٥٥١ر٣٢٢	٤٣٣ر٦٠٣
البنات « « «	٢١٥ر٤٦٥	٢٧١ر٢٨٧	٢٣٩ر٤٧٠
البنون فى الصفوف التحضيرية	٤٨ر٠٥٣	١ر٩٣٦	-
البنات « « «	-	٢١ر٠٠٦	-
المعلمون الثابتون	٢٤ر٠٣٠	٣٣ر٧٠٠	٣٠ر٣٨٢
المعلمات الثابتات	٨ر٥٣٣	١١ر٤٥٦	٦ر٣٥٧

وليس بمقدورنا ان نتفهم الاسس الفلسفية التى تقوم عليها التربيـة النازية تفهما صحيحا ما لـم نستعرض نظريات هتلر فى التربيـة النـازية والتقيف النازى . ويذهب هتلر الى انه ينبغى ان تجعل « الدولة الشعبية » الطفل اعلى شىء يملكه الشعب وان تنصب نفسها سادنة لمستقبل الامة ، وان تصبح رغبـات الفرد وذاتيتـه لا قيمة لها ، وان يخضع الى ارادة الدولـة الشعبية كل الخضوع ، وان توجه اعمالها التـربوية الى تنشئة اجســام صحيحة لا الى ضخ المعـلومات المجـردة فى اذهان الطـلاب والى تكوين

بما يأتى : « لا تملك الامة الالمانية قوى كامنة وغير مستغلة فى القرى والمدن الصغيرة حسب ، وهى القوى التى تستطيع ان تبنى بها شخصيتها القومية بناء متواصلا ، بل تملك قوى اخرى جديدة ومختلفة . وهى قوى تختلف من حيث الاساس عن القوى الفاعلة فى ثقافة المدن الكبيرة التى تصب الناس فى قوالبها جمعاء » .

الاصلاحات التربوية النازية

تلك هى الانواع الاساسية للمدارس الثانوية التى كانت موجودة فى المانيا قبل مجىء النازية الى الحكم سنة ١٩٣٣ . ولم يكن النازيون اول من انتقد نظام التعليم ونادى باصلاحه ، وانما سبقهم الى ذلك كثيرون . وقد هذبوا صوره واشكاله وبسطوها ، وبعثوا فكرة المدرسة الموحدة ، التى نادى بها القوميون من قبل ، وذهبوا الى ان الامة التى تهدف الى القوة بالوحدة تحتاج الى نظام تعليمى متجانس . وفى سنة ١٩٣٨ اعيد تنظيم التعليم الثانوى واحتفظت النازية بانواع ثلاثة منه : فاهتمت قبل كل شىء بمدرسة الاوبرشوله الالمانية ، ثم بالمدارس الثانوية الريفية واخيرا بالجمنازيوم . وقد حددت النازية عدد مدارس الجمنازيوم الثانوية ، ونظرت اليها من حيث هى « نوع خاص » يتألف من النوع الاساسى Hauptform والنوع الثانوى Nebenform والنوع الخاص Sondernform فالتحق بالنوع الاول من هذه المدارس (سنة ١٩٣٨) ٣ر٨٣ ٪ من مجموع الطلبة و ٣ر٥ ٪ بالنوع الثانى و ١١ر٠ ٪ بالنوع الثالث . ولما كان النوع الاول ، وهو مدارس الاوبرشولة الالمانية ، يعنى بالثقافة الالمانية وبتاريخ المانية وجغرافيتها ، ولما كان النوع الثالث ، وهو مدارس الجمنازيوم ، يعنى قبل كل شىء بالدراسات الانسانية الكلاسيكية فقد احتلت مدارس النوع الاول منزلة عظيمة فى المشاريع التربوية النازية ، لاسيما وانها قد حققت فكرة « المدرسة الالمانية » التى ارادها النازيون . ولكى يسد النازيون النقص الذى

ان يواصلن دراساتهن لمدة سنتين او ثلاث فى « المدارس النسوية » لتدبير المنزل او فى مدارس أخرى تلى مرحلة الليسيوم • واطلق على هذين النوعين من المدارس بـ « الليسيوم العليا » • وقد كان بمقدور البنات ان يواصلن دراساتهن فى الجامعات بعد اجتيازهن مرحلة الدراسة الثانوية •

وبسقوط الامبراطورية سنة ١٩١٨ تجددت مشكلة دراسة التعليم الثانوى • فقد اقر دستور فايمر ان الالتحاق بالمدارس لا يتوقف على قدرة الطالب المالية بل على قدرته فى الاستفادة من الدراسة نفسها • ونشطت فكرة المدرسة الموحدة التى كانت تستهدف ربط التعليم الابتدائى بالثانوى فى حلقة واحدة منسجمة او فى سلم تعليمى واحد وفى القضاء على الفوارق الطبقية التى تتصف بها كل مرحلة من هذه المراحل • فتقرر ان تشترك جميع انواع المدارس الثانوية فى « دروس اساسية مشتركة » وان تعزز بتلك الدروس التى تتفق وخصائص كل مدرسة منها • واجريت اصلاحات واسعة فى مدارس الجمنازيوم فاضيفت الى مناهجها لغة حديثة واحدة • وانقصت ساعات اللغة اللاتينية واحتفظت اللغة اليونانية بمكانتها ، وازدادت العناية بدراسة « الخلق القومى » Volksstum وبالثقافة الشعبية ، وتأسست فى الوقت نفسه مدرستان جديدتان من المدارس الثانوية وهى مدرسة الاوبرشولة الالمانية ، والمدرسة الثانوية الريفية(*) •

وحيث ان المعنيين بشؤون التربية والتعليم كانوا يريدون ان توجه المانية المدحورة عنايتها الى كنوزها الثقافية ، وان يتصل التدريس بالتقاليد الجرمانية اتصالا وثيقا فقد اهتمت مدارس « الاوبر شولة الالمانية » بتدريس اللغة الالمانية والتاريخ الالمانى وجغرافية المانية ، والغت تدريس اللغتين اليونانية واللاتينية ؛ واهتمت المدارس الثانوية الريفية التى يلتحق بها الطلاب بعد الثانية عشرة من العمر والتى تكون فيها مدة الدراسة ست سنوات فقط بحياة الارياف • وقد اوضحت وزارة معارف بروسيا الغرض من تأسيسها

(*) Deutsche Oberschule, Aufbauschule.

البلاد الاجتماعية قبل سنة ١٩١٨ فلم يوجه الرأى العام عنايته الى تزويد البنات بتعليم ثانوى كاف • وقد كانت « مدارس البنات العالية » ، وهى ضرب من المدارس المتوسطة ، المؤسسات التعليمية الوحيدة التى أتاحت للبنات فى نهاية القرن التاسع عشر فرصة « دراسية » تلى مرحلة الدراسة الابتدائية • ولكن حينما بدت طلائع النهضة النسوية فى اواسط القرن التاسع عشر بقيادة هيلين لانكه Helen Lange أحرز التعليم النسوى تقدما كبيرا وخاصة فى بروسية • وفى سنة ١٩٠٢ امتنع وزير معارف بروسية من تزويد البنات بدراسات كلاسيكية ، وذهب الى ان هذا النوع من التعليم يتنافى والتباين الطبيعى الموجود بين البنين والبنات • وتأسست مدارس الليسيوم (أو الليسة) المتوسطة فى سنة ١٩١٤ والتحقت بها البنات اللواتى تتراوح اعمارهن بين العاشرة والسادسة عشرة • وكان بمقدور الطالبات

	جمنازيوم				اوبريال شوله				ريال شوله				المدرسة الابتدائية الشعبية
الصفوف	٦	٣ب	١٢	١١	٦	٣ب	١٢	١١	٦	٣	٢	١	
الدين	٣	٢	٢	٢	٣	٢	٢	٢	٣	٢	٢	٢	٤
اللغة الالمانية	٤	٣	٢	٣	٥	٤	٣	٤	٦	٥	٤	٣	٨
اللاتينية	٨	٧	٧	٧	—	—	—	—	—	—	—	—	—
الاغريقية	—	٦	٦	٦	—	—	—	—	—	—	—	—	—
الانكليزية	—	—	—	—	—	٤	٤	٥	—	٤	٤	٥	٢ نشيد
الفرنسية	—	٣	٢	٢	٦	٤	٤	٦	٦	٥	٤	٤	٢جمناستيك
الجغرافية والتاريخ	٢	٣	٣	٣	٢	٣	٤	٣	٢	٤	٣	٤	٤
الرياضيات	٤	٤	٣	٤	٥	٥	٦	٥	٤	٥	٥	٥	٤
العلوم	٢	٢	٢	٢	٢	٦	٦	٦	٢	٢	٥	٥	٦ (دروس اشياء)
الرسم	—	٢	—	—	—	٢	٢	٢	—	٢	٢	٢	٢

ملاحظة : يلاحظ ان ١أ هو أعلى صف فى المدرسة ، وان ٦ هو اوطأ صف ، وان مدة الدراسة فى الريال شولة ٦ سنوات ، وان المدرستين الاخريتين مدة الدراسة فيها ٩ سنوات ، وان الاعداد تدل على الساعات الاسبوعية

انواع المدارس الثانوية
في بروسية ١٨٦٠ ـ ١٩٠٢

السنة	جمنازيوم		ريال جمنازيوم		اوبر ريال شوله	
	عدد المدارس	عدد الطلاب	عدد لمدارس	عدد الطلاب	عدد المدارس	عدد الطلاب
١٨٦٠	١٣٩	٣٨٫٩٠٨	٣٣	١١٫٤١٦	ـ	ـ
١٨٦٥	١٥٤	٤٥٫٨٦٥	٥٧	١٧٫٧٩٢	ـ	ـ
١٨٧٠	٢٠٤	٥٩٫٤٥٧	٧٦	٢٢٫٩٦٤	ـ	ـ
١٨٧٥	٢٢٨	٦٥٫٩٥١	٨٠	٢٦٫٧٧٢	ـ	ـ
١٨٨٠	٢٤٩	٧٤٫٥٥٦	٨٥	٢٦٫٦٨٤	ـ	ـ
١٨٨٥	٢٥٩	٧٨٫٨٦٩	٨٩	٢٤٫٣٩٢	١٤	٤٫١٧٩
١٨٩٠	٢٦٨	٧٦٫٧٠٥	٨٧	٢٥٫٧٦٩	٩	٤٫١٢٩
١٨٩٥	٢٧٣	٧٦٫٩٣٥	٨٦	٢٤٫٨٤١	٢٤	١٠٫٤٣٠
١٩٠٠	٢٩٥	٨٨٫٣٦٦	٧٦	٢١٫٢٥٦	٣٧	١٤٫٩٦٧
١٩٠٢	٣١٥	٩٣٫٦٥٥	٨٧	٢٤٫١٩٧	٤٢	١٧٫٤٢٦

بالرغبة في ابعاده عن معالجة النظريات الاشتراكية التي اخذت تغزو الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية • ولهذه الاسباب استمرت مدارس الجمنازيوم تعكس علينا آمال الطبقة الوسطى ، وقلقها المتزايد ـ هذه الطبقة التي اتخذت من الثقافة سلاحا تدافع به عن مصالحها الخاصة في الوقت الذي أخذت تطرأ على المجتمع الالماني تبدلات اجتماعية عظيمة، وازدادت مخاوفها من تفاقم وعي طبقة البروليتاريات[٥] • ولقد ذهب بعض الباحثين الى ان مطالبة القيصر باصلاح نظام التعليم كان باعثها الاساسي مكافحة انتشار الافكار الاشتراكية • وحيث ان المرأة لم تلعب دورا مهما في حياة

5.— Samuel, R. H., Thomas, R. H., Education and Society in Modern Germany, P., 45-46.

قرر ان يعقد مؤتمرا مدرسيا لبحث مشكلة التعليم الثانوى فى برلين . وفى أواخر السنة نفسها افتتح الامبراطور المؤتمر بخطاب جاء فيه « لقد عقدت املى على الجنود ، وانا لفى حاجة الى جيل قوى . ولكننا نحتاج فى الوقت نفسه رجالا يستطيعون ان يخدموا الوطن من حيث هم زعماء روحيون وموظفون » . وقد اتهم الامبراطور المدارس الثانوية الكلاسيكية بانها بعيدة عن القيم القومية ، وانها فشلت فى تحقيق رسالتها وهى « مديد المساعدة التامة الى الفكرة الالمانية والى الامبراطورية الالمانية الجديدة » وهاجم مناهج الدراسة الثانوية وقال : «اريد شبابا المانيا قوميا لايونانيا ولا رومانيا».

وكان من نتيجة «مؤتمر الرايخ المدرسى» ان هبط عدد ساعات التدريس فى المدارس الثانوية الى ١٦ ساعة فى الاسبوع ، واصلحت بعض جوانب مناهج الدراسة ، وانقص عدد الساعات المخصصة لتدريس اللغة اللاتينية ، وزيد فى عدد الساعات المخصصة لتدريس اللغة الالمانية والرياضة البدنية ، وصارت جميع انواع المدارس الثانوية وهى « الجمنازيوم » و « الريال جمنازيوم » و « الاوبر ريال شولة » فى منزلة واحدة . وجدير بالذكر ان «الاوبر ريال شولة» تأسست سنة ١٨٨٢ استجابة للتطور الصناعى والمهنى.

ولكن هذه الاصلاحات كما يقول الاستاذ صاموئيل لم تؤثر كثيرا فى المنزلة الاجتماعية التى كانت تتمتع بها المدارس العلمية ، بل ظلت صامدة بفضل العناصر الطامحة من افراد الطبقة الوسطى . ففى الفترة الممتدة بين سنة ١٨٦٩ - ١٨٨٨ ازداد عدد طلبة مدارس الجمنازيوم بنسبة ٥٠ ٠/٠ بينما ازداد السكان بنسبة ٢٠ ٠/٠ فقط . ومع ان حركة تجبيذ الانواع الجديدة من المدارس الثانوية قد تولتها أوساط القوميين ، فان دعاة حركة المدارس الكلاسيكية استطاعوا ان يحرروها من ضغط اصحاب المصالح المركزة ، ان يهتموا بالدراسات الكلاسيكية ؛ ولكنهم وقعوا فى مشكلة جديدة حين صار التدريس جافا وميكانيكيا ونظريا بعيدا عن الواقع .

وكانت الرغبة فى ابعاد التعليم عن مجرى الحياة الحديثة المعاصرة يتصل

شرع بتنفيذها ، ووجد فى كل مدرسة متوسطة صفان من الصفوف الجديدة .

٣ ـ المدارس الثانوية :

تأثرت المدارس الثانوية فى بروسيا بآراء فون همبولدت الذى وضع خطة لاصلاح مناهج الدراسة الثانوية سنة ١٨٠٦ لتساهم فى بعث الشعور القومى وتنمية العواطف الوطنية . وكانت فلسفته متأثرة بالمثل الاعلى للشخصية و « بالانسانية المطلقة » وكان صديقا الى كل من غوته وشيللر . وقد اقترح خطة تربوية عرضها على فولف Wolf احد ثقاة الالمان فى هومر ، واحد العلماء الذين لعبوا دورا عظيما فى الحركة الالمانية الكلاسيكية . ومما اقترحه « لا تنحصر واجبات المدارس الثانوية فى تزويد الطلاب بالمواضيع العملية والكلاسيكية الضرورية حسب ، بل فى تزويدهم بالقوة التى تجعلهم يشعرون ، وبالحياة العاطفية والحسية التى تجعلهم جديرين بحياة انسانية مجدية » . وقد أكد المنهج الجديد على الدروس الكلاسيكية من حيث هى دليل الحياة ، وعلى الدروس الحديثة من حيث هى ضرورة من ضرورات تربية المواطن المسؤول . وكان من نتيجة هذه الخطة التربوية ان احتلت المدارس الثانوية الكلاسيكية منزلة رفيعة فى تربية البنين والبنات ، وازداد الاقبال عليها ، وحملت ٩١ مدرسة منها سنة ١٨١٨ لقب الجمنازيوم Gymansium وظلت وحدها تعد الطلاب لامتحان شهادة اتمام الدراسة الثانوية « ابيتور Abitur التى تخول حاملها حق الالتحاق باحدى الجامعات الالمانية .

وازاء هذه النزعة الكلاسيكية الشديدة والاهتمام باللغتين اليونانية واللاتينية التى ارهقت الطلاب تعالت الاصوات بضرورة اصلاح المدارس الثانوية ، بادخال دراسات حديثة ، فادخل ليدفج فيزه Wiese مدير التعليم الثانوى فى وزارة معارف بروسية بعض الاصلاحات فى سنة ١٨٥٦ . وفى شهر مارت ١٨٩٠ اعلن وزير معارف بروسية فى البرلمان ان القيصر

المتوسطة المعروفة بـ Mittleschulen ومدة الدراسة فيها ست سنوات ، تبدأ بالعاشرة من العمر (بعد اتمام السنة الابتدائية الرابعة) وتنتهي بالسادسة عشرة من العمر • ولم يقصد بها عند تأسيسها أن تتيح الفرصة امام متخرجيها ليواصلوا دراساتهم فى المدارس الثانوية وان حدث ذلك احيانا • وحيث ان الالتحاق بهذه المدارس كان اختياريا فقد كانت تستوفى اجورا دراسية قليلة اذا ماقيست بالاجور التى كانت تتقاضاها المدارس الثانوية •

انهذه المدارس نوع من المدارس الابتدائية العالية ، وكانت تعنى بالمواضيع العملية ، وتلزم الطلاب على أن يتعلموا لغة اجنبية واحدة (الانكليزية او الافرنسية) وقد احتفظت بتنظيمها خلال عهود «الامبراطورية» و « الجمهورية » و « النازية » وظلت كما هى لم تتأثر بتعاقب الاحداث التاريخية الكبرى كثيرا • ولكن النازيين ارادوا اثناء الحرب العالمية الثانية ان يستبدلوها بمدارس متوسطة متنوعة سموها Hauptschulen وعلقوا عليها اهمية كبيرة نظرا لكون هتلر هو الذى اشار بتأسيسها • وقد اقترح ان تكون مدة الدراسة فيها اربع سنوات تنتهي بانتهاء التعليم الالزامى ، على ان تضاف اليها صفوف تكميلية ، وان تكون الدراسة فيها عملية من جهة ، وتعنى بدارسة التاريخ والجغرافية والخلق القومى والتقاليد القومية من الجهة الثانية ، وان تكون دنيوية ، ونازية و « انتقائية » ، وان يقوم بهذا الانتقاء مديرو المدارس الابتدائية انفسهم بعد حصول موافقة الحزب النازى ، وبعد مراعاة كفاءة الطلاب الجسمية ولياقتهم العقلية • وقد ذهب بعض المطلعين الى ان من جملة الاسباب التى دعت الى تأسيس هذه المدارس اعداد طائفة من الفتيان يؤمنون بالنازية وبرسالتها وفلسفتها الاشتراكية ايمانا لا يتزعزع ، وتأدية واجباتهم المترتبة عليهم فى الاقطار المحتلة • وفى سنة ١٩٤٢ وضع الحزب النازى خطة لتحويل « المدارس المتوسطة » الى مدارس عملية سياسية • وحينما انتهت الحرب العالمية الثانية كانت هذه الخطة قد

ان المدرسة الابتدائية تتجسد فيها علاقة التعليم بالتربة ، وان مدرسة القرية عنوان الثقافة الريفية ، وانها الاداة التى تقاوم حركة « الفرار من الارض » . وتحقيقا لهذا الهدف اسس النازيون مجموعة من المدارس الابتدائية للتعبير عن وجود هذه الرابطة بين التعليم والتربة سموها « مدارس هانز ـ شيم » Hans-Schemm تخليدا لمؤسس « رابطة المعلمين الاشتراكيين الوطنيين » الذى صار وزيرا لمعارف بافاريا . وقد تلونت فاعليات المدارس الابتدائية ومناهجها بالعقائد النازية السياسية ، واستخدمها الحزب النازى فى توطيد دعائم الحركة الاشتراكية الوطنية ، ونصت مناهج الدراسة لسنة ١٩٤٠ على « ان الواجب الاول الذى يقع على عاتق المدرسة الابتدائية ، كما هو من واجبات الانواع الاخرى من المدارس ، وبمقدار ما يتعلق ذلك بالحزب والخدمات العمالية والجيش ، تربية الشباب الالمانى ليكونوا اعضاء فى المجتمع وليؤدوا قسطهم فى خدمة الزعيم والامة » . وصرح مربو النازية فى مناسبات كثيرة ان الاضرار التى تتعرض اليها المدارس الابتدائية يعرض المعين الذى تستمد منه الحياة الرسية قوتها وخلقها القومى الى الخطر .

المدارس الابتدائية

المدارس	١٩٣١	١٩٣٦	١٩٤٠
	٥٢ر٩٥٩	٥٢ر٣٧٠	٤٩ر٧٢٠
البنون	٣ر٨٤٢ر٧٨٩	٣ر٩٩٠ر٤١٧	٣ر٦٨٥ر٣٣٠
البنات	٣ر٧٤٧ر٦٧٧	٣ر٩٠١ر٧٦٧	٣ر٦٤٢ر٢٢٦
المجموع	٧ر٥٩٠ر٤٦٦	٧ر٨٩٢ر١٨٤	٧ر٣٢٣ر٥٥٦
المعلمون	١٤١ر٦٢٢	١٣٦ر٢٩٠	١٢٣ر٨٤٧
المعلمات	٤٨ر٧٤٩	٤٨ر٦٣٧	٤٧ر٥٠٤
المجموع	١٩٠ر٣٧١	١٨٤ر٩٢٧	١٧١ر٣٤٠

٢ ـ المدارس المتوسطة :

كان النوع الرئيسى للمدارس المتوسطة قبيل زوال النازية هو المدارس

افكار الطلاب ، وهيمنت على روابطهم الاجتماعية ، وبشرت فى نهاية القرن التاسع عشر وبالاتفاق والتعاون مع منظمة « الكتائب » بالافكار القومية والروح العسكرية وبالآراء التسلطية .

وفى سنة ١٨٦٠ اخذ اكثر اساتذة الجامعات يدعون الى الفكرة القومية ويتجاهلون التيارات الديمقراطية ، ومشت دعوتهم منذ سنة ١٨٩٠ يدا بيد مع دعوة « رابطة الوحدة الالمانية » التى اسسها الفيلسوف والمؤرخ الالمانى ترايتشكه وأدولف ستويكر Stoecker . وقد ساعدت هذه الرابطة على نشر الافكار اللاسامية ، وهاجمت النظم الديمقراطية بين مثقفى الطبقة الوسطى ، وبشرت بالعقائد الالمانية القائمة على الخلق القومى ، ودعت الى مذهب المحافظين .

ومن المنظمات الاخرى التى أثرت فى توجيه الطلاب الجامعيين الذين كانوا يعدون انفسهم لمهنة التعليم « دورات ضباط الاحتياط » . فقد استطاعت هذه الدورات ان تنشر الروح العسكرية وفلسفتها بين الطلاب .

جمعيات المعلمين :

تأسست فى المانية جمعيات لمعلمى المدارس الابتدائية مستقلة عن جمعيات معلمى المدارس الثانوية غايتها رعاية مصالح المعلمين وتحسين احوالهم ؛ وكانت تمثل طوائف ومصالح متباينة ، وتعكس الانقسام الاجتماعى بين معلمى المدارس الثانوية الذين اعدوا فى الجامعات الالمانية ومعلمى المدارس الابتدائية الذين لم يحصلوا على تعليم جامعى . وحيث ان الانقسام الاجتماعى وتباين عدد الجمعيات يتنافى وفلسفة الحركة النازية الكلية ورغبتها فى القضاء على أوجه التباين فى الافكار والعقائد وتوطيد دعائم التجانس الاجتماعى فقد تأسست فى سنة ١٩٢٩ «رابطة المعلمين الاشتراكيين الوطنيين» . وحينما انتقلت السلطة الى الحزب النازى احتلت هذه « الرابطة » مكانة كبيرة ، والغيت جمعيات المعلمين قاطبة ، وانتمى اليها حسب احصاء سنة

١٩٣٦ زهاء ٠٩٧/٠ من المعلمين . ولم تكن هذه الرابطة مؤسسة مهنية حسب ، بل كانت بأقسامها الاربعة وبفروعها الاختصاصية السبعة مؤسسة تربوية عظيمة . وقد لعبت دورا كبيرا فى ادارة التعليم ، وتعيين المعلمين ، وتثقيفهم ثقافة سياسية ، وفتح دورات تربوية فى مقرها الدائم . وكانت تتصل بالحزب النازى اتصالا وثيقا ، وتسيطر عليها « الدائرة الرئيسية للمعلمين » الكائنة فى مقر الحزب نفسه .

ادارة التعليم

اذا اردنا ان نفهم الطريقة التى يدار بها نظام التعليم فى المانية فينبغى ان نحدد العلاقة القائمة بين الحكومة المركزية من جهة والولايات الالمانية الاخرى من جهة ثانية . وقد تبدلت هذه العلاقة منذ سنة ١٩١٨ تبدلا كليا. فقد كانت الولايات الالمانية قبل هذا التاريخ خاضعة لحكم الامراء الذين كانوا قبيل سنة ١٨٧١ احرارا فى تدوير شئونهم ، والذين لم تنتقص الوحدة الكبرى من استقلالهم . فمن هذا انهم جعلوا ادارة التعليم شأنا من شئون الولاية ؛ وجعلوا الجيش والسياسة الخارجية شأنا من شئون الحكومة المركزية . ولكن سلطات الولايات الالمانية قد ضعفت بعد سنة ١٩١٨ واشتد نفوذ السلطة المركزية . وتبدو هذه التطورات فى التأثير العظيم الذى تركه « الرايخشتاغ » ، وفى التغيير الذى طرأ على اسماء الولايات . فبعد ان كانت تسمى « دويلات Staaten تسمى ايالات Länder . وقد نتجت هذه السلطة المركزية عن انتقال سلطات الولايات الكثيرة الى المركز الجديد وهو الرايخشتاغ . حتى ان دستور فايمر قد نص على « ان قانون الرايخ ينقض قانون الولاية » .

ومع حدوث هذا الانتقال فى السلطات من الولايات الى الحكومة المركزية فان سلطة التعليم ظلت كما هى بالرغم من التوصيات والتعليمات

التى كانت ترسلها الحكومة المركزية الى الولايات . وقد ضاعف النازيون سلطة الدولة المركزية ، فالغيت برلمانات الايالات المختلفة فى سنة ١٩٣٤ ، واستمر وزراء المعارف على عملهم فى الايالات ، ممثلين للحكومة المركزية فى برلين ، ولم يعد الموظفون فى كل ولاية « موظفى ولاية » كما كانوا سابقا بل اصبحوا من « موظفى الرايخ الالمانى » . وقد اثر هذا التبدل الاخير فى مركز جميع المعلمين ورجال ادارة التعليم ، وازداد عدد وزراء الرايخ باضافة « وزير معارف الرايخ » .

وتختلف بروسية كل الاختلاف عن الولايات الالمانية الاخرى . فقد كانت منذ سنة ١٨٢٥ مقسمة الى مقاطعات ، وكل مقاطعة يديرها عامل او محافظ(*) وكانت هذه المقاطعات تنقسم ايضا الى مناطق اصغر سميت بالالوية(**) يديرها متصرف(***) . وقد كانت المقاطعات والمناطق ، بالرغم من تفاوت سعتها تتمتع بحقوق متساوية ، وكانت كل واحدة منها تعنى بناحية معينة من نواحى التعليم .

ولقد قسمت كل منطقة الى وحدات ادارية اصغر تقارب وحدة القضاء عندنا Kreise ؛ كما قسمت جميع الولايات الى وحدات ادارية مماثلة . وتعتبر وحدة القضاء اول وحدة ادارية تتفرغ من ادارة الولاية المركزية نفسها الا فى بروسية وبافاريا وساكسونى . وكانت الالوية على نوعين : ريفية Landkreis ومدينية Stadtkreis ويدير النوع الاول المتصرف Landrat الذى يتصل اداريا بالمحافظ ، ويدير النوع الثانى موظف بلدى هو Oberbürgermeister وكان موظفا بلديا يتمتع ببعض السلطات منها سلطة الشرطة . واخيرا يقسم كل لواء مدنى الى أقسام اخرى وهى :

(*) Oberprasident.
(**) Regierungsbezirke.
(***) Regierungsprasident.

Gemeinden ، ويرأس كل قسم موظف يدعى Bürgermeister

وقبل ان ندرس مدى تأثير هـذا النظام الادارى فى نظام التعليم وادارته ينبغى ان نميز بين « التفتيش » و « الادارة » تمييزا تربويا • فالتفتيش يتعلق بطرائق التدريس وهو امر داخلى ، اما الادارة فتتناول الاشراف والانفاق على شئون التعليم وعلى غيره وهو أمر خارجى • ولتوضيح ذلك نقول تقع مسؤولية التفتيش على الدولة (على كل ولاية قبل سنة ١٩٣٤ وعلى الرايخ بعد هذا التاريخ) ؛ اما الادارة فتقع مسئوليتها على اللواء •

وحيث ان التنظيم الادارى فى بروسية(*) كان يختلف عن التنظيم فى الولايات الالمانية الاخرى فاننا ندرج صورة لتنظيم التعليم فيها :

لقد كانت دائرة « المحافظ » تحتوى على قسم يسمى « مديرية المدارس الثانوية » ، ويرأس هذا القسم موظف ، يساعده فى عمله ١٢ مفتشا • وتنحصر وظيفتهم فى تفتيش المدارس الثانوية ، بما فى ذلك الاشراف على الامتحانات وعلى ملاك المعلمين •

اما التعليم الابتدائى والمتوسط والمهنى فقد كان يشرف عليه « المتصرف » ؛ وكانت فى كل منطقة من المناطق « مديرية للكنائس والمدارس » يرأسها مدير يساعده عدد من الموظفين المختصين بشئون التعليم •

وقد حذت جميع الولايات الالمانية منذ سنة ١٩٠٦ حذو بروسية فى ادارة التعليم ؛ وهى انه ينبغى على جميع الالوية المدنية والريفية واقسامها الادارية ان تؤسس المدرسة الابتدائية وان تنفق عليها وان تقدم كل ولاية مساعدات مالية الى الالوية اذا تعذر عليها سد نفقات التعليم الابتدائى • وتختلف المدارس المتوسطة فى هذا الصدد عن المدارس الابتدائية • فليست

(*) كانت بروسية اول ولاية المانية اسست فيها وزارة للمعارف سنة ١٨١٧ ، وظلت هذه الوزارة قائمة الى ايام الحكم الجمهورى حينما غير اسمها وصار « وزارة العلوم والفنون والتعليم » •

الولايات ملزمة بتأسيسها والانفاق عليها ؛ ولا تسمح بتأسيسها الا اذا استطاعت ان تسد نفقاتها . وكانت اكثر المدارس الثانوية ، باستثناء عدد قليل من المدارس الخصوصية التى الغاها النازيون ، مدارس خاصة بالبلديات .

المناهج والكتب المدرسية

أشرفت الولايات الالمانية طوال القرن التاسع عشر على طبع الكتب المدرسية ، وخضع المؤلفون الى ارشادات الحكومات وتعليماتها . ووجه الامبراطور فى سنة ١٨٨٩ عنايته الى تدريس التاريخ ، وطلب من المدرسين والمؤلفين ان يؤكدوا على « ان قوة الدولة وحدها تستطيع أن تصون الفرد واسرته وحريته وحقوقه » ، وان ملوك بروسيا « جاهدوا بانفسهم فى سبيل رفع مستوى العمال » ، و « ان اجور الطبقة العاملة واحوالها المعاشية قد تحسنت فى ظل الرعاية الملكية تحسنا عظيما ومتواصلا » . وقد اشارت تعليمات السلطات الحكومية عقب سنة ١٨٨٩ الى الاغراض نفسها ، وطالبت ان تثير اللغة الالمانية فى نفوس الشباب « الحماسة الوطنية » ، وان تملأ قلوبهم بعظمة العقل الالمانى ، وان تبعث « الخلق القومى » فى نفوسهم .

وكان كتاب التاريخ الذى وضعه هاينزه Heinze لدور المعلمين سنة ١٨٩٨ مثالا صادقا للتعبير عن هذه الاتجاهات فى تدريس التاريخ . اما الكتاب الثانى الذى قام بدور فعال فى صوغ عقول طلبة المدارس الثانوية ، والذى تكررت طبعاته فى عهد الامبراطور ، فهو كتاب فردريك نويباور Neubauer . ولعل أهم ما دعت اليه كتب التاريخ فى هذه الفترة هى تنمية الروح القومية والعسكرية ، وتدعيم الفكرة التسلطية ، وتقديس الامبراطورية .

وبانهيار المانية سنة ١٩١٨ ادرك رجال الجمهورية ان حاجتهم الى كتب

دراسية لنشر الآراء والنظم الديمقراطية قد اصبحت ماسة ، وان منع استعمال كتب التاريخ القديمة فى المدارس قد اصبح ضرورة من ضرورات العهد الجديد . ومن اجل هذا ألغى وزير معارف بروسيا سنة ١٩١٩ الكتب التاريخية المقررة القديمة ؛ وقامت الولايات التى نشأت فيها حكومات يسارية بتنقيح الكتب المدرسية ، والغاء قسم قليل منها . ولكن بروسية بالرغم من هذا كله لم تقم بحركة جذرية ؛ فاحتفظت بتقاليدها القومية ، ورعتها مدة من الزمن طويلة . من ذلك انها الغت استعمال احد الاطالس الجغرافية الذى تجاهل رسم الاراضى التى فقدتها المانيا بموجب معاهدة فرساى رسما واضحا ، وحثت طلبة المدارس بوجوب دراسة المشاكل الكثيرة التى يعانيها الالمان المغتربون ، وتبنت فكرة الوحدة الالمانية ، واشارت الى أراضى النمسا من حيث هى « نمسا المانية » ورددت المصطلحات القومية المألوفة « كالخلق القومى » و « النوردى » و ؛ الزعامة » وغيرها . وكانت التربية البدنية تهدف الى « اخضاع » الشباب الى مفهوم « الزعامة » والقيادة . وبالرغم من قيام الكتب المدرسية بالاشارة الى الواجبات المدنية ، والتجانس الاجتماعى الا ان كلمتى الديمقراطية والجمهورية لم تذكر فيها .

وكانت الكتب المدرسية ، لاسيما كتب القراءة والمطالعة ، التى تردد « الاممية » و « والسلام » ، و « المحبة » ، و « الاخوة » و « الديمقراطية » تطبع بصورة خاصة تحت اشراف الحلفاء فى الولايات التى تألفت فيها حكومات يسارية ؛ وكانت كتب قراءة ولاية ساكسونيا تضم مقالات للكاتب الفرنسى هنرى باربوس Barbusse المعروف بكراهيته للحروب، وبمقطوعات شعرية من نظم الشاعر الالمانى فرتس فون اونرش Von Unrich للغرض نفسه . غير ان الوضع لم يدم طويلا ؛ فقد اخذت الروح القومية تتوغل فى الكتب المدرسية كلما تردت احوال المانيا السياسية والاقتصادية ،

ونشطت الحركات اليسارية واليهودية العالمية ؛ وعبرت كتب التاريخ المقررة في المدارس الابتدائية أولا والثانوية ثانيا عن هذه المساوىء العامة ، وظهرت بصورة خاصة في سلسلة كتب التاريخ التي وضعها تيبنر Teubner، وفي كتب الواجبات الاخلاقية والمدنية ، وتحدثت عن خسارة المانية ، وتقلص رقعتها وفقدان اراضيها ، وعن جور معاهدة فرساى والجراح العميق الذى تركته في جسم الامة الالمانية . لقد كانت تتحدث في الحقيقة عن كل ما يتصل ببعث الروح القومية وتقوية معنوية الامة الالمانية . ومن هذه الكتب المقررة الكتاب الذى وضعه غيزة Giese وطبعه ١٤ مرة لغاية سنة ١٩٢٧ ، والذى بلغ عدد النسخ المطبوعة منه ٤٧٤٫٠٠٠ نسخة .

اما تدريس الجغرافية فقد كان يستهدف تنمية حب « التربة » الالمانية في نفوس الطلاب ، وتعشق المنطقة التي يعيشون فيها ، والوطن الذى ينتمون اليه . ومن اشهر كتب الجغرافية التي ظهرت في تلك الفترة الكتاب الذى ألفه كل من فيشر Fischer وغايزتيربيك Geisterbeck فقد تناول في بعض فصوله قضية بولندة ، وأراضى غربى المانية ، واواسط اوربا ، واحتوى على فصل خاص عنوانه « حياة المانيا الاقتصادية ومعاهدة فرساى » ، وتضمن مطالبة المانية بمستعمراتها السابقة ، فقال بهذا الصدد : « نحن بحاجة الى أراضى نسكنها ونملكها لكى لا تمتص المجتمعات الاجنبية الزيادة في سكاننا ، وتصبح لها (سمادا ثقافيا) ؛ ولنا حق في المساهمة بانهاض الاقوام المتأخرة ... ويحتاج الالمان كافة الى مستعمرات جديدة .... »

الكتب المدرسية أيام الحكم النازى :

وفي هذا العهد سيطرت الدولة سيطرة تامة على الكتب المدرسية المقررة ، لا سيما في اواخر ايامها ، وعهد الى دار النشر الالمانية بطبع

الكتب المدرسية ، ووضعت الحكومة النازية سلسلة منها لاستعمالها فى جميع مدارس الرايخ الثالث ، واصبح عدد الكتب المقررة فى المدارس الثانوية ١٠٣ بدلا من مئتى كتاب ، وفى المدارس الثانوية ٩٧ بدلا من ٥٠٠ كتاب .

ان المبادىء الرسمية المقررة التى تستند اليها مناهج الدراسة ظهرت فى التعليمات الخاصة بمناهج الدراستين الابتدائية والثانوية لسنة ١٩٣٨ و سنة ١٩٤٠ وهى : « لا ينحصر واجب المدرسة الابتدائية فى ايصال مجموعة من المعارف الى الفرد ليستعملها فى حياته اليومية ، بل تنمية قوى الشباب الجسمية والعقلية جمعاء، وصيانتها فى سبيل خدمة الشعب والدولة. وعليه فلا محل لاى درس من الدروس فى جميع مناهج الدراسة لايساهم فى الوصول الى هذا الهدف ؛ وان جميع الدروس التى تستند الى اسس تربوية لا يصح تدريسها ، او ينبغى الا تجد لها محلا فى مناهج الدراسة » . وبعبارة أخرى ، ان « التدريس الموحد » الذى نادى باستخدامه المصلحون من رجال التربية والتعليم قبل سنة ١٩١٨ وطبق بعضه فى فترة الجمهورية والذى عماده دراسة الحياة المحلية والاقليمية والعادات عن طريق الزيارات والرحلات والسفرات ، قد عمل به النازيون وحسبوه اسلوبا تربويا نافعا .

وقد عكس تدريس التاريخ المفاهيم العامة التى كانت تستند اليها الحركة النازية ، وزود الطلاب بمعلومات حديثة عن الدولة الالمانية ، وبعث فيهم حب الشعب الالمانى وتقديس الوطن الالمانى ، وغذاهم بتربية سياسية قومية . وكان « الطريق الى الرايخ » من احسن كتب التاريخ التى ظلت مقررة حتى سنة ١٩٤٤ . فقد تضمن دراسة تاريخية متصلة الحلقات ، بحيث جعل من الحركة النازية خاتمة طبيعية لتاريخ المانية ؛ ولم يعط « الجمهورية » اهمية كبيرة ، بل اختصها باربع صفحات فقط ! ولكن الكتاب تناول « الحرب السرية » التى كانت تشنها « الكتائب الحرة »

والمنظمات العسكرية الاخرى ضد معاهدة فرساى ، وهاجم اليهود واليهودية العالمية ، والاشتراكية التى جاءت بها العناصر اليسارية ، وبسط حياة هتلر ومنهاج الحزب النازى بسطا تاما حتى سنة ١٩٣٣ ؛ وذكر شهداء سنة ١٩٢٣ الثلاثة عشر ؛ وذهب الى ان هتلر حاول ان يتجنب ويلات الحروب ، ورغب فى عقد « اتفاقية معقولة » فى الشرق ؛ ولكن موقف البولونيين الصارم حال دون عقدها ، معتمدين فى ذلك على مساعدة بريطانية ، وان بولندة شنت حملات من الدعاية المغرضة « ضد المانية وضد كل شىء المانى » مما ترك اسوأ الاثر فى النفوس ، وارتكبت سلسلة اعتداءات على الحدود الالمانية ، وتعرض الالمان الى الاهانات والتعذيب ، وفر قسم كبير منهم الى المانية . ثم يقول الكتاب ان اعلان الحرب لم يكن الا دفاعا عن النفس . وبعد ان يتناول قصة الحرب العالمية الثانية حتى حصار ستالينغراد يؤكد الكتاب ان الدماء الزكية التى ضحى بها جنود المانيا لم تكن الا « من اجل المانية واوربا » .

ومن الكتب المهمة الاخرى كتاب « طريق الخلود » الذى كان مقررا فى المدارس المتوسطة الخاضعة لسيطرة الحزب النازى Hauptschule ويقع الكتاب فى مجلدين ، تحلى صدر المجلد الاول صورة جميلة لهتلر وصورة أخرى تمثل « طريق الخلود » ممتدا خلال عصور التاريخ المختلفة . وقد نقشت على جانبى الطريق احداث ومعارك تاريخية فاصلة . ويبدأ الكتاب بسرد حياة هتلر ، ثم يلى ذلك سجل « ابطال المانيا الكبرى » ومنهم الطيار الشهير فرنيرز مولديرز Mölders ورومیل ؛ وذكر معارك حربية فاصلة مثل حصار سيواستبول ، ونهاية البارجة بسمارك البطولية ؛ ثم ينتقل بالطلاب الى تاريخ أبعد ، الى التاريخ الذى ترعرع فيه آباؤهم ، والى عهد « الجمهورية » . ومن ابطال هذا العهد اصحاب القمصان السمراء امثال شلاغيتر Schlageter ، وغورنغ ، وهورست فيسل ، وهيربرت

نوركوس شهيد « شبيه هتلر » . وقد افرد الكتاب فصلا واحدا الى الحرب العالمية الاولى ، وهو الزمن الذى نشأ فيه اجداد الطلبة . وسرد بعض ابطاله ، وافضى عليهم هالة التقديس والتمجيد ؛ وخص الفصل الاخير من المجلد أوائل تاريخ المانية الحديث وذكر بطولة بسمارك ومولتكه وكروب .

اما المجلد الثانى فيبحث فى تاريخ المانية بصورة خيالية ، ومما جاء فيه : نحن الالمان اصلاب الارساس الجرمانية الذين مكثوا فى وطنهم النوردى ليصونوا حتى يومنا هذا دم اجدادهم وتربة اجدادهم من حيث هم الخلف النقى للنورسيين » ، وان الدم الجرمانى قد ظل نقيا بينما اختلطت الارساس الاخرى باساس ثانوية .

ونستطيع ان نعد كتاب « طريق الخلود » آخر مرحلة تطورية من مراحل تأليف الكتب التاريخية وفق المبادىء النازية . وقد تم تأليفه بالتعاون مع « معهد الرايخ لدراسة تاريخ المانية الجديدة » الذى كان يديره والتر فرانك و « رابطة الرايخ لدراسة تاريخ المانية القديم » و « وكالة الرايخ لتقدم الادب الالمانى » و « رابطة المعلمين الاشتراكيين الوطنيين » .

ويصور كتاب « القراءة الالمانية للمدارس الابتدائية » الافكار النازية تصويرا رائعا . فهذا الكتاب الذى أقرته وزارة المعارف الالمانية سنة ١٩٣٧ كان يحتوى بالاضافة الى « الدم والتربة » و « الشعب والزعيم » دعاء مدرسيا أوصى بترتيله فريك وزير معارف تورنجيا . وكان اكثر كتب القراءة تطرفا الكتاب المقرر فى مدارس الحزب . فقد ظهر الجزء الاول منه سنة ١٩٤٤ ، وضم فى دفتيه دعاء وضعه هيرمان كلوديوس احد شعراء الشباب الاشتراكى المحبوبين منه : « رباه ! أعن الزعيم ، واجعل عمله من عملك » .

تدريس الدين

من المشاكل التى واجهت التعليم طوال القرن التاسع عشر مشكلة تدريس الدين . فكانت هذه المشكلة التى تتصل بعلاقة الدولة بالتعليم والكنيسة بالتعليم تختلف من ولاية الى أخرى ، وقد تعاظمت فى الولايات التى يتألف سكانها من مذاهب مختلفة ، لا سيما فى بروسية حيث تبلغ نسبة البروتستانت فيها ثلاثة اخماس السكان .

وبدأت أول محاولة فى بروسية لابعاد سيطرة الكنيسة عن المدارس سنة ١٧٨٧ حينما الف لتس اول « مجلس للمدارس الثانوية » فى وزارة المالية لابعاد المدارس الثانوية عن النزاع الطائفى الذى اخذ يشتد آنذاك ولاخضاع التعليم لسيطرة الدولة ، لاسيما بعد ان التحق المجلس المذكور بوزارة الداخلية . وبانشاء وزارة معارف فى بروسية سنة ١٨٢٧ استمر اتصال الكنيسة بالتعليم الابتدائى ؛ ولكنه ظل فى الوقت نفسه خاضعا لسيطرة الدولة . وفى سنة ١٨٧٠ استغل بسمارك مطالبة الاحرار فى ابعاد الكنيسة عن التدخل فى ادارة التعليم وتربية الناشئة واتخذه سلاحا لمهاجمة الاطماع السياسية للكنيسة الكاثوليكية ؛ واستطاع فالك وزير معارف بروسية سنة ١٨٧٢ ان يضع تعليمات خاصة بتفتيش المدارس الرسمية والخصوصية ، وحصر تعيين مفتش مدارس الالوية والمناطق بيد الدولة ، واقصى اكثر المفتشين من رجال الكنيسة الذين بلغت نسبتهم ثلثى عدد مفتشى المدارس الابتدائية من تفتيش المدارس الابتدائية ؛ ولم تتخلص المدارس منهم جميعا الا أيام الحكم الجمهورى الذى جعل التفتيش عملا فنيا ، وترك لرجال الدين حق التمثيل فى المجالس المدرسية المحلية . فلما تسلم النازيون مقاليد الحكم سلبوا هذا الحق سنة ١٩٤٢ .

وتجدد موضوع تأسيس مدارس مذهبية مختلطة لا واحدة سنة ١٩١٨

حينما طالب «الاشتراكيون» و «الديمقراطيون» ان تؤسس المدارس على أساس المبدأ المختلط. بينما نادى «المحافظون» و «حزب الشعب» و «الحزب المركزى» على اساس مبدأ المذهب الواحد ، بحيث تضم كل مدرسة ابناء مذهب واحد ، وهكذا انقسم الرأى العام الى فئتين : فئة تريد ان تتمسك بحقها فى تأسيس مدارس طائفية ، واخرى تريد ، وتؤيدها فى ذلك الدولة ، ان تؤسس مدارس غير طائفية . وقد عالجت جمهورية فايمر هذا الموضوع علاجا عمليا حينما أقر دستورها ان تربية الجيل الناشىء تربية صحيحة وروحية وجسمية اعظم واجب يقع على الآباء ، وانه حقهم الطبيعى فى الحياة ، وان واجب الدولة هو تفتيش هذه الفعاليات التربوية ، وتعليم الشباب وامدادهم بالمعلمين ، وتجهيزهم بالادوات واللوازم الضرورية ، وان المعتقدات الدينة ينبغى ان لا تقف حائلا دون التحاق الاطفال باى نوع من انواع المدارس التى يختارونها ، وان من حق الآباء أن يطالبوا بفتح مدارس ابتدائية فى مناطقهم تدار وفق معتقداتهم الدينية الخاصة وفلسفتهم فى الحياة ، بشرط ألا يؤدى ذلك الى عرقلة سير نظام التعليم العام ، ومع ان الدستور حاول بهذه المتناقضات العجيبة ان يوفق بين الكنيسة والدولة فقد ظلت اكثر المدارس « طائفية » . ويقصد بالمدارس الطائفية التى نص عليها الدستور تلك التى يتألف جميع ملاكها ، باستثناء مدرسى الرسم والموسيقى ، واكثر طلابها من طائفة واحدة . وقد نص على انه يجوز لطلبة المذاهب الاخرى ، بناء على موافقة اوليائهم ، ان يلتحقوا بهذه المدارس اذا تعذر عليهم الالتحاق بغيرها .

واصبحت علاقة المدارس الطائفية بالدولة وبتدريس الدين من امهات المشاكل التربوية التى رافقت العهد النازى . وقد شاهدت المراحل الاولى من حكمهم تساهلا فى تأسيس المدارس الطائفية ، وعقدوا اتفاقية مشهورة مع الفاتيكان سنة ١٩٣٣ حول علاقة الكنيسة الكاثوليكية بالتعليم ؛

ولكنهم عادوا ونقضوا هذه الاتفاقية سنة ١٩٣٦ وشنوا هجوما قويا على المدارس الطائفية . وفى السنة نفسها عقد المجلس الطائفى اجتماعا لبحث العراقيل الكثيرة التى وضعت فى طريق المدارس الطائفية ، واستنكروا الاجراءات التى اتخذتها الحكومة . واخيرا قرر النازيون الغاء المدارس الطائفية ، وذهبوا الى ان اولياء الطلاب قد اصبحوا ساخطين عليها ، وان بقاءها مضر برغباتهم . واخذوا يؤسسون مدارس ابتدائية مختلطة تضم بين جدرانها طلابا ومعلمين ينتمون جميعا الى مذاهب دينية مختلفة سميت « بالمدارس الالمانية العامة »(*) . وقد امتازت عن المدارس المذهبية المختلطة القديمة بنزعتها النازية ، كما اوضح ذلك الاستاذ الفريد بويملير Alfred Bäumler ممثل هتلر فى الشؤون التربوية والثقافية والعقائدية فى الحزب الاشتراكى الوطنى واحد كبار موظفى معهد الدراسات العلمية للشؤون اليهودية حينما قال : « انها مدرسة تختلف كل الاختلاف عن المدرسة التى اسسها الاحرار الماركسيون ... انها المدرسة المذهبية التى تربى كل شاب المانى تربية روحية نازية فى كل درس من دروسها كى يترعرع فى أحضان العقيدة التى وضعها هتلر » .

اما فيما يتعلق بتفتيش دروس الدين وتدريسها فقد احتفظت بروسية لنفسها بحق تعيين مفتشى الدين ، ولم تسمح لرجال الدين ان يدرسوا فى مدارسها ، بل تركت الامر بيد سلطات التعليم المحلية ، وخولت مفتشيها ان يقوموا بتفتيش دروس الدين دون التدخل فى محتوياتها ، والا تتعارض مع الواجبات المدنية .

وقد جعلت المادة ١٤٩ من دستور فايمر درس الدين الزاميا فى جميع المدارس الا المدارس الدنيوية ، واوصت ان يستند الى مذهب المجتمع السائد ،

(*) Deutsche Gemeinschule

وان يكون للدولة حق تفتيش دروس الدين . وكان ذلك تراجعا من الدولة وانتصارا للكنيسة . واستطاعت النازية ان تضع لتدريس المواضيع الدينية وتفتيشها اسسا عامة لا سيما بعد ان عقدت الحكومة الالمانية مع قداسة البابا سنة ١٩٣٣ اتفاقية خاصة . ومع ان هذه الاتفاقية كانت تتعلق بالمدارس الكاثوليكية الا ان الحكومة الالمانية قد طبقتها على جميع المدارس الطائفية الاخرى . وقد نصت المادة ٢١ من الاتفاقية المذكورة على ما يأتي :

« تؤلف الدروس الدينية في المدارس الابتدائية والابتدائية العالية والثانوية والمهنية قسما أساسيا من مناهج الدراسة . وينبغي ان يجرى تدريسها وفق مبادىء الكنيسة الكاثوليكية . ان توجه الدروس الدينية عناية خاصة لتنمية الوعي الوطني والمدني والاجتماعي بين الطلاب ، وغرس الشعور بالواجب في ضوء العقيدة المسيحية والقواعد الخلقية اسوة بما تفعله الدروس الاخرى . ان تقرر مفردات المناهج والكتب الدينية بالاتفاق مع السلطات الدينية التي لها الحق في ان تثبت من حصول الطلاب على تربية دينية تتفق وتعاليم الكنيسة الكاثوليكية ومطالبها وبالاتفاق مع السلطات المدرسية » .

ولم ينفذ النازيون بنود الاتفاقية كلها ، اذ كانوا قد وطدوا عزمهم على الغاء الدروس الدينية من جميع المدارس ، وتوسلوا باساليب عدة منها : نقل ساعات دروس الدين من الصباح الى بعد الظهر ، واحلال دروس التربية البدنية محلها ، وانقصت ساعات تدريس الدين في المدارس الابتدائية والثانوية ؛ وقرر وزير معارف الرايخ الغاء الدروس الدينية من مناهج الدراسة المهنية ليتسنى للطلبة ان يستعينوا عنها بفاعليات مدرسية أخرى ، واعفى بعض طلبة المدارس الثانوية الذين جاوزوا الرابعة عشرة من العمر من تلقي دروس الدين لينصرفوا الى « الدروس التي تتعلق بالدفاع عن

الرايخ » ، ثم عممه على طلبة المدارس المتوسطة ، وحرر مناهج المدارس النازية الداخلية منها .

واذا كان هدف الدروس الدينية فى المدارس الابتدائية خلال القرن التاسع عشر هو تدريس الكتاب المقدس وأصول الدين واستظهار مجموعة من الترانيم ودراسة القواعد الاخلاقية والعقائد الكنسية وتاريخ الاديان غير المسيحية فى المدارس الثانوية فان محتويات المناهج الدراسية لم تتبدل كثيرا فى العهد النازى بل تبدلت طرق التدريس والنظرة الى الدين ، وظهر ذلك فى اتجاهين معينين : فقد حاول « الالمان المسيحيون » ان يجعلوا الدين المسيحى يتماشى مع العقائد النازية ويحتفظ فى الوقت نفسه بصفته المسيحية ؛ وحاول « الوثنيون المحدثون » ان تحل « النظريات الاساسية لعقيدة المانية » محل الدين ، وشجبوا المسيحية ، أو ان تحل « النظرة الرسمية عن الله » محل المسيحية كما قال شبير وزير الاقتصاد . ولكن النازية لم تستطع ان تحقق اهدافها السياسية فى تدريس الدين ، ولم تتوصل الاتجاهات اللامسيحية فى التعليم ، لاسيما فى الارياف ، الى نتائج عملية . وكان اثرها فى غربى وجنوبى المانيا أقل من أثرها فى شمالها وشرقيها .

تعليم الراشدين

بدأت حركة تعليم الراشدين فى الوقت الذى اسس فيه لاسال اول منظمة اشتراكية فى المانية . وبتأليف « الحزب الاشتراكى الالمانى » سنة ١٨٧٥ انتشرت هذه الحركة بين اوساط العمال ، ولاقت نجاحا كبيرا ؛ واستطاع العمال ان يتزودوا بثقافة عامة ؛ ويدركوا ان « المعرفة قوة » . ثم أخذ الاحرار يعنون بحركة تعليم الراشدين ، فأسسوا « جمعية تعليم الشعب » سنة ١٨٧١ . وتطورت هذه الحركة تطورا عظيما فى القرن التاسع عشر لاسيما بعد ان تزعم هذه الحركة روبرت فون أيرد بيرغ Erdberg الذى

اصدر فى سنة ١٩٠٩ مجلة خاصة تبحث فى شؤون الثقافة الشعبية ، والذى اظهر زيف حركة تعليم الراشدين القائمة على نشر المعرفة فقط(*) ، ودعا الى ذلك النوع الذى يصـــوغ شخصيـة الفرد عن طريق اختيـار القيم الانسانية(**) . وتجسدت نظرياته فى « المدارس العاليـة الشعبية » التى تأسست على غرار المدارس الشعبية الداخلية الدانيمركية(***) . وتأسست اول مدرسة شعبية فى احدى المناطق الواقعة على الحـدود الدانيمركيـة ، وانتشرت منها الى مناطق اخرى . وتأثرت المدارس الشعبية العالية ، كما يقول الاستاذ صامويل ، بالعقائد القوميـــة والرسيـــة التى سادت عهـد الامبراطورية ، وبآراء فون أيرد بيرغ . وتقدمت تقدما كبيرا ايضا فى عهد الجمهورية واصبحت بعضها مدارس داخلية وبعضها الآخر خارجية . ولم تساهم الجامعات الالمانيـــة فى حـركة تعليم الراشدين مساهمـة تذكر ، بخلاف الجامعات البريطانية .

وبانتصار الحزب النازى فى المانية الغيت هذه المدارس وحلت محلها مؤسسات أخرى(****)، شبيهة بالمدارس الايطالية المعروفة بـ «دوبولافورو» Dopolavoro وكانت معاهد مسائية يشرف عليها الحزب النازى بواسطة وزارة معارف الرايخ ؛ وتتصـــل اتصالا مباشرا بمنظمة العمال المعروفـة بـ « من السرور قوة » والتى ترتبط « بجبهة العمل الالمانى » وقـــد بلغ عددها سنة ١٩٣٩ حوالى ٤٠٠ مؤسسة ، وعدد طلابها ٢٥٠٫٠٠٠ .

(*) Verbreitende Volksbildung.

(**) Gestaltende Volksbildung

(***) تأسست هذه المدارس سنة ١٨٦٠ اى فى الفترة التى انحطت فيها الدانيمرك سياسيا وعسكريا ، وكان الغرض من تأسيسها بعث حيـــاتها وتجديدها ، والاهتمام بالقسم الاعظم والمهم من سكانها ، وهم الفلاحون .

(****) Volksbildungsstätten.

التربيـة البدنيـة

يعد فردريك يان Fredrick Jahn اول من نهض بالتربية البدنية فى اوائل القرن التاسع عشر • ومع ان القرن السابع عشر قد شاهد نوعا من التعليم الذى لم يعن الا بالقيم الدنيوية عناية كبيرة كرشاقة الجسم والرقص وركوب الخيل والمبارزة ، وان هذا النوع « النبيل » من التعليم قد تكامل فى « أكاديميات الفرسان»(*) الا ان المربين لم ينظروا الى التربية البدنية من حيث هى جانب مهم من جوانب عملية التدريس الا فى نهاية القرن التاسع عشر • اما فى القرن الثامن عشر فان طغيان النزعة العقلية جعلت المفكرين يحسبون الفكر الانسانى غاية تسمو على جميع الغايات ، وحسبه لايبنتز « أحسن ما فى جميع العوالم الممكنة » واهتموا بالخبرات التى تتصل بحياة الانسان وسعادته ، لا بالخيرات والقيم الروحية المسيحية • واهملوا تنمية الجوانب الاخرى من شخصيته • وقد ضمت « حركة حب الانسان » هذه الآراء ، وانتقلت بالانسان من عالم ما وراء الطبيعة غير المحدود الى عالم الطبيعة المحدود ، واستهدفت تفجير قواه غير آبهة بالقيود التى فرضتها المسيحية اللادنيوية ، ورفضت فكرة وجود آله يستقر وراء الطبيعة ، وادعت انه يحيا ويتحرك فى الطبيعة نفسها ، واعتقدت اعتقادا راسخا بقيمة الفرد ، وطالبت ان تكون تربيته طبيعية بعيدة عن القيود والاغلال ، وان تراعى عملية التربية قوانين نموه وان تقلل من استظهار الدروس ، وان تعنى بتربيته البدنية ، وان يكون المرح من احدى خصائص الحياة المدرسية •

وكان يوحان كريستوف فردريك كوتس متس Guts Mutts اول من درس الرياضة البدنية فى المانيا (١٧٨٥ - ١٨٣٧) ، وأول من

(*) Ritterakadamien

درسها باجراء تمارين بدنية فى كل يوم دراسة منتظمة • ولقد ادرك قادة الالمان ، لاسيما بعد هزيمة المانية فى معركة ينا سنة ١٨٠٦ ، ضرورة توسيع دائرة التربية البدنية لتؤدى رسالتها فى بعث الامة الالمانية ، وان تعنى التربية فى العقل والجسم والروح • وقد كانت لآراء بستالوتزى وفيشته التربوية أثر كبير فى هذا التوجيه الجديد الذى ظهر فى مناهج الدراسة الثانوية التى وضعها همبولدت • واخذ الالمان ينظرون الى التعليم من حيث هو الاساس الذى تقوم عليه صحة الامة الالمانية وقوتها ، ومن حيث هو وسيلة من وسائل الدفاع لا الاعتداء ، ومن حيث انه يستند الى اسس تربوية واجتماعية حرة • وقد بدت هذه الاتجاهات واضحة فى مؤلفات فردريك يان ، وكانت صلة التعليم بالحركة القومية ، لا سيما فى بروسية ، من ابرز خصائص الفترة الواقعة بين « معركة ينا » و « مؤتمر فينا » •

نظريات يان فى التربية البدنية :

كان فردريك يان عالما متضلعا ومؤلفا فى علوم اللغة الالمانية ؛ وقد قادته تتبعاته اللغوية الى حب « الجرمانية » ، وأوضح فى كتابه « الرياضة البدنية الالمانية » المطبوع سنة ١٨١٦ قيمة اللهجات فى الحياة القومية ، واشار الى انها تعبير غنى عن خصائص الامة الالمانية الموروثة • وكانت نظريته فى التربية البدنية تقوم على ادراكه لصفتها الكلية الشاملة لا الفردية الضيقة • ولعل فردريك يان قد تأثر بنظريات الاغريق • وبآراء بستالوتزى وبكوتس موتس • وقد اخرجها من جدران المدرسة الداخلية الى الهواء الطلق : الى المروج والغابات ، حيث يشترك فيها صغار الناس وكبارهم ، أغنياؤهم وكبارهم ، وحسبها اداة لخدمة المجتمع والمحافظة عليه من فاتح اجنبى ، ولم يحسبها اداة مدرسية فقط ؛ ورأى ان تكون « رياضة دفاعية » Wehrerziehung او تربية بدنية عسكرية •

وباشتراك الطبقة الوسطى فى « الحروب التحريرية » ، وتحرير المانية

من السيطرة الاجنبية شعر « يان » ان آماله قد تحققت ، وان الاجسام القوية والارادة الحديدية قد ساهمت فى حركة التحرير • وحينما صدرت « مراسيم كارلسباد » التى افتتحت عهدا من الارهاب والاضطهاد ضد العناصر القومية الغيت « التربية البدنية » والقى القبض على فردريك يان ، وزج فى السجن حيث امضى فيه سنتين ، واستمر الحظر فى بروسية لغاية سنة ١٨٤٢ • ومع ان بعض المراسيم التى صدرت سنة ١٨٢٠ وسنة ١٨٣٧ قد اجازت تدريس الرياضة البدنية الا انها لم تشق طريقها الى المناهج بصورة رسمية الا بعد سنة ١٨٣٧ ، وصارت فى العابها وحركاتها « مدرسية » لا « رياضة دفاعية » • وقد أدى أدولف شبيس Spiess (١٨١٠ - ١٨٥٨) خدمات جليلة ، وافتتح فى برلين سنة ١٨٥١ « معهد الرياضة البدنية المركزى » ، واهتم بالالعاب السويدية وحيث ان هذا المعهد كان مرتبطا بوزارتى المعارف والحربية فى بروسية ، وصار مركزا لتدريب الجنود وغير الجنود فقد خضعت التربية البدنية الى الروح العسكرية البروسية ، واصبح تدريب معلمى الرياضة البدنية منوطا به ، مما كان له اعظم الاثر فى تاريخ التربية البدنية فى المانية • وفى اواخر القرن التاسع عشر بدأت تظهر حركة « الاعياد الرياضية القومية » Turnfeste او المهرجانات التى اخذت تنظمها الجمعيات الرياضية المختلفة ، والتى لعبت دورا مهما فى المظاهرات الثورية القومية التى حدثت سنة ١٨٤٨ ، وصارت مظهرا اعتياديا من مظاهر الحياة الالمانية • وفى سنة ١٨٦٠ اقامت الجمعية الالمانية للتربية البدنية استعراضا رياضيا رائعا ، واقامت استعراضا آخر احتفالا بذكرى « موقعة لا يبزج » القى فيه المؤرخ الالمانى الشهير ترايتشكه خطابا مهما • وازداد عدد هذه الاستعراضات السنوية وعدد الجمعيات حتى بلغ سنة ١٩١٤ حوالى ١١٤٩١ جمعية ، ضمت زهاء ١٫٤١٣٫٥٥٨ شخصا • وفى سنة ١٩١٨ أسس مارك براندنبيرغ جمعية رياضية عامة انتسبت اليها جمعيات نمساوية

وبوهيمية كثيرة ، وقد اتصف نشاطها باتجاهات قومية متطرفة وبدعوة لا سامية .

واذا القينا نظرة على التربية البدنية فى الفترة الواقعة بين منتصف القرن الثامن عشر الى نهاية القرن التاسع عشر نجد انها ، كما يقول الاستاذ صامويل ، قد سايرت فى نموها تطور الحياة الاجتماعية والسياسية للامة الالمانية ، وان طلائعها قد بدت مع « حركة حب الانسان » ، وانها عبرت عن الروح الاستقلالية للطبقة الوسطى . فحينما غذاها فردريك يان وحولها فى اواخر القرن التاسع عشر الى حركة رياضية من نوع خاص Turnen جعلها تتصل اتصالا وثيقا بآمال شباب الطبقة الوسطى ومطامحهم ؛ هؤلاء الشباب الذين نفخ يان فيهم روحه ، ودربهم تدريبا جيدا ، بحيث استطاعوا ان يقاتلوا فى معركة تحرير الوطن الالمانى جنبا الى جنب مع الجنود البروسيين .

ولم تستمر التقاليد البروسية فى التربية البدنية بعد انهيار المانية سنة ١٩١٨ ؛ ومع ان « مؤتمر مدارس الرايخ » الذى انعقد سنة ١٩٢٠ فى ظل النظام الجمهورى قد اكد على ضرورة العناية بالتربية البدنية وجعلها واجبا مهما من واجبات الدولة ؛ ومع ان الدولة قد اولت التربية البدنية ومؤسساتها اهتمامها الزائد ، ورفعت مستوى « معهد الرياضة البدنية المركزى » وجعلته « الكلية البروسية للتربية البدنية » ، واعدت المتخرجين لدخول « المعهد الجامعى للرياضة البدنية » واصبح عدد ساعات التربية البدنية الالزامية فى المدارس الابتدائية والمتوسطة ثلاث ساعات ، وفى مدارس البنين والبنات الثانوية اربع ساعات فان التربية البدنية لم تلعب فى ظل الحكم الجمهورى دورا مهما فى حياة المانية السياسية والاجتماعية كما لعبت من قبل . فقد كانت اكثر الاحزاب السياسية يسارية ؛ وكانت تستهدف بعث الروح « الديمقراطية » والقضاء على الروح القومية فى التربية البدنية

التى ساهمت فى تحـــرير البلاد من السيطرة الاجنبية ، والتى ظهـرت نتائجها البطولية فى الحرب العالمية الاولى • ولم تستطع الا بروسيـــة ان تحافظ على تقاليدها القومية ، وان تمجد حياتها ومؤسساتها العسكرية ، وان تتجاهل الخطط التى وضعتها «الجمهورية » فى اضعاف الروح القوميـــة والعسكرية • فوجهت جهودها الى « المدارس البروسية الرسمية الداخلية » ، واحيت فيها القومية الالمانية ، وسارت عـلى غرار « المؤسسات العسـكرية » التى كانت قائمة قبل سنة ١٩١٨ •

وحينما تسلم هتلر مقاليد الحكم اهتم بالتربية البدنية وعين هانس فون تشيمر اوند اوستن(*) قومسيرا للرياضـة والالعاب فى حكومـة الرايخ ، ثم صار « زعيم الرايخ » للرياضة والالعاب ، ورئيسا « للجنة الرايخ للتربية البدنية » • وقد ألغى جميع الاندية الرياضية الخصوصيـــة والحقها جميعا بمنظمة جديدة سماها « رابطة الرايخ الالمانى للتدريب الرياضى » التى يرجع اليها الفضل فى تنظيم دورة الالعاب الاولمبية التى جرت فى برلين سنة ١٩٣٦، والتى سميت بعدئذ « برابطة الرايخ الاشتراكية الوطنية للتدريب الرياضى N. S. R. L. » وكانت وظيفتها الاساسية تنظيم النشـاط الرياضى الذى تقوم به الدولة والحزب النازى • اما الدولة فقد كانت فعاليـاتها محصـورة بالمدارس والجامعات ، ولعبت « رابطة الطلبة الاشتراكيين الوطنيين » دورا مهما فى النشـاط الرياضى الجامعى ، واصبحت « اكاديميـة الرايخ الثالث للتدريب الرياضى » الواقعة فى مدينة سباندا و الكلية الوحيدة المعترف بهـا لتدريب معلمى الرياضة البدنيـــة • واما الحزب فقد كانت التربية البدنية تجرى فى منظماته المختلفة ، كمنظمة شبيبة هتلر ، و « جبهة العمل الالمانى » التى استهدفت بعث الروح الرياضية بين العـــمال بواسطة منظمـة « من السرور قوة » •

(*) Hans von Tschammer und Osten.

التعليم العـــالى

يجرى التعليم العالى فى ٢٣ جامعة ، وتسعة معاهـد عالية للهنـدسة ، واربعة للزراعـة ، وخمسـة للعلوم الاقتصـادية ، واثنان للبيطـرة وثلاثة للاحراش والغـابات(*) ، ومن معاهد أخرى أهمها : المعهـد الطبى فى

(*) واليك قائمة باسماء الجامعات والكليات الالمانية مبوبة حسب تواريخ افتتاحهـا :

الجامعـات :

هايدلبرك ١٣٨٦ ، كولونيا ١٣٨٨ ، لا يبزيك ١٤٠٩ رستوك ١٤١٩ ، كرايفسفالد ١٤٥٦ ، فرايبورك ١٤٥٧ ، مـاربوك ١٥٢٧ ، كونيتسبرك ١٥٤٤ ، يينا ، ١٥٥٨ ، فيرتسبورك ١٥٨٢ ، توبينكن ١٤٧٧ ، كيسن ١٦٠٧ كيل١٦٦٥ هاله ١٦٩٤، كوتنكن١٧٣٧، ارلانكن١٧٤٣، مونستر١٧٨٠، برلين ١٨٠٩ ، بون ١٨١٨ ، مونيخ ١٨٢٦ فرانكفورت ١٩١٤ ، هامبورك ١٩١٩ ، ماينس ١٩٤٦ .

كليات الهندسة :

براونشفاك ١٧٤٥ ، كارلسرو ١٨٢٥ ، دريزدن ١٨٢٨ شـتوتكارت ١٨٢٩ ، هانوفر ١٨٣١ ، مونيخ ١٨٦٨ دارمشتات ١٨٦٩ ، آخن ١٨٧٠ ، برلين (وتدعى الآن جامعة الهندسة) ١٨٧٩ .

كليات الزراعة :

فاينشتيفان (الحقت الآن بكلية الهندسة فى مونيخ) ١٨٠٤ ، برلين (تابعة الآن لجامعة برلين الشرقية) ١٨٠٦ ، هوهينهايم ١٨١٨ ، بون (الحقت الآن بجامعة بون) ١٨٤٧ .

كليات البيطرة :

هانوفر ١٧٧٨ ، برلين (تابعة الآن لجامعة برلين الشرقية) ١٧٩٠ .

كليا ت الاحراش والغـابات :

تاراندت (ملحقـة الآن بكلية الهندسة بمدينة دريزدن) ١٨١٦ ايبرسفالده (تابعة الآن لجامعة برلين الشرقية) ١٨٣٠ ، هانوفر مينـدن (تابعة الآن لجامعة كوتينكن) ١٨٦٨ .

درسدن (تأسس سنة ١٩٠٧) ، وكلية يوستوس ليبك للزراعة فى مدينة كيسن (١٩٤٥) ، وكلية البستنة والزراعة فى هانوفر (١٩٤٨) .

لقد بلغ عدد الجامعات فى المانية سنة ١٩٣٩ أى قبل الحرب العالمية الثانية ٢٣ جامعة وعدد طلابها وطالباتها ٣٩٫٢٣٦ ؛ وبلغ ، بالاضافة الى ذلك ، عدد المعاهد العليا المستقلة كـ « مدارس الهندسة العليا Techniche Hocheschulen عشرة وعدد طلابها ١٠٫٣٠٧ . اما « مدارس التجارة العليا » Handelschochschulen فعددها أربعة .

ومن الجامعات الالمانية ما يرجع تاريخ تأسيسها الى القرون الوسطى ، واشهرها جامعة هايدلبيرك . فقد تأسست هذه الجامعة فى سنة ١٣٨٦(*) ؛ ومنها ما يرجع تأسيسها الى القرن الخامس عشر ، واشهرها جامعة لايبتزك وتوبنكين وغرايفزفالد . ويعزو المؤرخون اسباب نشوء هذه الجامعات فى هذا العصر الى عدة عوامل منها : (١) الانشقاق الدينى الذى حدث فى الكنيسة المسيحية ؛ فبعد ان كان قسم من طلبة العلم الالمان يذهبون الى جامعة باريس للدراسة صار من المتعذر عليهم بعد هذا الانشقاق تلقى علومهم هناك ، (٢) رغبة الامراء فى تأسيس الجامعات ورعايتها ، (٣) ظهور النزعة الانسانية فى الدراسات الانسانية و (٤) عهد الاصلاح وأثره فى القرن السادس عشر . فقد حفز هذا العهد ملوك اوروبا وامراءها البروتستانتيين

كليات التعليم :

فرايبورك ١٧٦٥ ، كلاوستال ١٧٧٥ .

مدارس العلوم الاقتصادية :

لايبزيك (تابعة الآن لجامعة لايبزيك) ١٧٨٩ ، برلين (تابعة الآن لجامعة برلين الشرقية) ١٩٠٦ مانهايم ١٩٠٨ ، كونيكسبرك ١٩١٥ ، نورنبرك ١٩١٩ .

(*) وقد تأسست قبل هذا التاريخ جامعة براغ سنة ١٣٤٨ ، وجامعة فينا سنة ١٣٦٥ .

على تأسيس عدد من الجامعات تساند آراءهم ومصالحهم • وعلى هذا الاساس تأسست جامعة هاربورك ، وينا Jena ؛ بينما أسس الكاثوليك جامعتهم فى فورتسبورغ Würzburg • ويعود الى (٥) ظهور النزعة العقلية وروح البحث العلمى • وقد انعكستا عند تأسيس جامعتى هاله Halle فى سنة ١٦٩٤ وكوتنكن Göttingen فى سنة ١٧٣٦ •

وألحقت الاحداث التى تعاقبت بعد الثورة الافرنسية اضرارا فادحة بالجامعات الالمانية ، وتوقفت فى بعضها حركة التدريس • ففى نهاية القرن الثامن عشر ، أغلقت أو اندثرت ١٨ جامعة من الـ ٣٠ جامعة التى كانت قائمة ، وانقلبت بعضها الى كليات لتدريس اللاهوت •

وقد قال فردريك وليم الثالث بعد الهزيمة التى منى بها ينبغى ان نعوض عن القوى المادية التى خسرناها بقوى روحية • وفى مهب هذه النفحة الروحية تأسست « جامعة برلين » البروسية القومية سنة ١٨١٠ ، وجامعة بون سنة ١٨١٨ • ويعد هذا العهد بدء نشوء الجامعات الالمانية الحديثة •

وكان فلهلم فون همبولدت الصوت الداوى الذى ارتفع ليقيم جامعة برلين وفق تقاليد القرن الثامن عشر الذى اتصف بالنزعة الانسانية • فقد كان هو نفسه متشبعا بها ، ولذلك فقد عارض ان تستهدف الجامعة تحقيق اغراض نفعية ضيقة ؛ وذهب الى ان بروسية تحتاج قبل كل شىء الى اعداد قادة وموظفين أقوياء فى الروح والرأى والعقيدة ، ومزودين بتلك القيم الثقافية العامة القائمة على النزعة الانسانية ، لا حائزين على مجموعة من المعلومات الفنية • وقد استعان بآراء بعض المفكرين الالمان امثال شيلنج Shelling فى « محاضراته عن طرق الدراسة الاكاديمية » سنة ١٨٠٣ ، وفيشته فى رسالته عن « خطة تأسيس جامعة فى برلين » سنة ١٨٠٧ وغيرهم • وقد تركت آراؤه هذه آثارا مهمة فى طبيعة الجامعات الالمانية الجديدة •

ولم تكن الجامعات الالمانية فى القرن الثامن عشر مستقلة فى شؤونها ، وانما كانت خاضعة الى امير الولاية ، وكانت مؤسسات حكومية تتعهد باعلان ولائها الى الولاية • غير ان سياسة همبولدت استطاعت ان تقيم جامعة برلين على أسس جديدة ، وجعلتها « هيأة ذات امتياز » تتمتع بحكم ذاتى ، مما كان له تأثير عظيم فى جميع الولايات الالمانية ، وصارت للجامعات الالمانية خصائص تميزها عن غيرها •

خصائص الجامعات الالمانية :

وتتلخص أهم خصائصها قبل سنة ١٩١٨ بما يأتى :ـ

اولا ـ الاستقلال العلمى : وتتمتع به وتحافظ عليه الهيأة التعليمية التى تتألف من الاساتذة والعميد • ومن أهم واجبات الهيأة التعليمية ترشيح الاشخاص لملء الوظائف التدريسية الشاغرة ، وتعين المحاضرين • ويشرف على الجامعة « مجلس الجامعة » الذى يتألف من بعض الاساتذة المنتخبين •

ثانيا ـ حرية المدرس : فقد كان الاستاذ والمحاضر حرا فيما يدرس لا تعيقه كثير من القيود السياسية او غير السياسية ، وحرا فى اختيار مواضيعه التى سيحاضر بها طلابه ، ولا يتقيد بمنهج ثابت •

ثالثا ـ حرية الدرس : والخاصة الثالثة ، وهى تعزى الى همبولدت ، حرية الدرس التى لم يكن لها مثيل فى الجامعات الانكليزية ولا الامريكية • فقد كان الطالب الالمانى حرا فى حضور ما يختار من المحاضرات ، وحرا فى الانتقال من جامعة الى أخرى • وحيث ان المنهج لم يكن ثابتا فى أكثر الدروس وخاصة فى الفنون والآداب صار الانتقال من جامعة الى اخرى ممكنا • وكان أصحاب هذا الرأى يرون ان ترك الطالب حرا فى الدرس ينمى فيه روح المبادءة الفكرية ، والمسؤولية الشخصية ، ويساعده على أن

يتلمذ على أحسن الاساتذة المختصين فى كل جامعة من الجامعات ، ويحرره من الاستماع الى عدد معين من الاساتذة وفى جامعة معينة ويرى بعض المربين ان اتباع هذه الطريقة قد يؤدى الى تشتيت جهود الطلاب ، وقد يدعو الى التراخى فى القيام بواجباتهم ، ويسبب ضياعا فى أوقاتهم .

عدد الطلبة فى الجامعات والمدارس الهندسية العليا

السنة	الجامعات	المدارس الهندسية
	العدد	العدد
١٩١٧	٦٤ر٩٧٨	٦ر٦٠٥
١٩١٨	٧٢ر١١٣	٧ر٦٥٣
١٩١٩	٨٩ر٣٢٨	١٥ر٧٤١
١٩٢٠	٨٦ر٥٨١	٢٠ر٧٧٣
١٩٢١	٨٧ر٢٩٧	٢٣ر٢١٥
١٩٢٢	٨٤ر٤٤٠	٢٦ر٦٤٠
١٩٢٣	٨٥ر٣٩٤	٢٦٦٥٢
١٩٢٤	٦٨ر١١٤	٢١ر٨١٧
١٩٢٥	٦٠ر٤٥٨	٢٠ر٢٤٧
١٩٢٦	٦٤ر٥٧٣	٢٠ر٨٥١
١٩٢٧	٧٢ر٢٦٥	٢٠ر١٦٧
١٩٢٨	٨٢ر٣٢٢	٢٠ر٠٤٥
١٩٢٩	٩٣ر٠٩٠	٢١ر٣٤٧
١٩٣٠	٩٠ر٧٤٣	٢٢ر٦٥٠
١٩٣١	٩٥ر٨٠٧	٢٣ر٧٤٠
١٩٣٦	٤٨ر٥٥٨	١٠ر٩٢٨
١٩٣٩	٣٩ر٢٣٦	١٠ر٣٠٧

تلك هى حالة الجامعات الالمانية قبل سنة ١٩١٨ • أما بعد هذا التاريخ فقد ادخلت عليها بعض التعديلات التى حورت فى خصائصها العامة لاسيما فيما يتعلق بالحريات المذكورة منها :

كانت الجامعات الالمانية تستمد أكثر نفقاتها من الدولة لانها قد تأسست فى الاعم الاغلب بمساعدة الامراء ، ولان الاجـــور الدراسية التى كانت تتقاضاها ضئيلة والهبات التى تمتلمها قليـــلة • وقـــد اعتمدت فى أواخر القرن التاسع عشر على الحكومات المحلية اعتمادا كبيرا • فبعد ان كانت اعانة حكومة بروسية السنوية الى الجامعات تبلغ قرابة ٤ر١٥٠ر٢٥٤ ماركا بلغت ١٦ر٦٤٧ر٢٦٩ ماركا فى سنة ١٩١٨ • ولا يخفى ان زيادة هذه الاعانات المالية تؤدى الى زيادة سيطرة الدولة على التعليم الجامعى • فقد كان فى كل جامعة بروسية مثـــلا موظفـا Kurator يمثـل الحكومة ، ويتعاون مع السلطات الجامعية فى القضايا الادارية فقط • ولكن لم تقتصر وظيفة هذا الموظف على التعاون ، بل تعاظم شأنه وزاد نفوذه زيادة كبيرة فى الاوساط الجامعية • فاذا أضفنا الى ذلك كله حقيقة أخرى وهى ان انتخاب مدير الجامعة لا يكون نهائيا الا بعد مصادقة وزير المعارف ، وان الترشيحات لسد الشواغر فى ملاك التدريس لا تكون نهائية الا بعد مصادقة وزارة المعارف ، وان الاستاذ ليس الا موظفا يتناول راتبه الشهرى من خزينة الدولة ادركنا مدى ما كان للدولة من نفوذ فى ادارة الجامعات الالمانية • ولا شك ان هذا النفوذ يقوى ويضعف تبعا لقوة مدير الجامعة وضعفه ، وتبعا لعقلية وزير المعارف ونفسيته •

وبالرغم من ان الفكرة القومية(*) قد لعبت دورا مهما فى الجامعـات

(*) كان العالم الالمانى هاينرش فون ترايتشكه Von Treitscke من اشهر الاساتذة الذين غرسوا الفكرة القومية فى نفوس الطلبة الالمان واقاموها فى قلوبهم وحببوا العسكرية اليهم • وقـد هاجم اليهود هجوما عنيفا ، وشن حملات منظمة على الاشتراكية ، وامتد نفوذه الى الجامعات الالمانية قاطبة •

الالمانية منذ سنة ١٨٦٦ فاننا نستطيع ان نتلمس بعض الاتجاهات الاخرى التى ظهرت فيها • وكانت هذه الاتجاهات الجديدة ترمى الى غير ما كان يرمى اليه ترايتشكه واتباعه من تربية قومية ، ومن قوة حديدية ، وارادة على الحياة ، وعزيمة ماضية • فقد كانت فى الاعم الاغلب اتجاهات يسارية تبنتها أقليات فكرية مؤمنة ومناضلة • وكان يرأس هذه الفئة فيرشاف Virchaw استاذ علم الامراض فى جامعة برلين ، واحد مؤسسى « الحزب التقدمى » ، ومن خصوم بسمارك ، والاستاذ تيودور مومسين Mommsen استاذ التاريخ القديم فى جامعة برلين منذ ١٨٥٨ ، وسكرتير الاكاديمية البروسية للآداب والعلوم (١٨٧٤ - ١٨٩٥) ، والحاصل على جائزة نوبل فى الآداب سنة ١٩٠٢ • وقد كان ايضا من خصوم بسمارك ، واحد ممثلى « الحزب التقدمى » فى مجلس النواب البروسى من سنة ١٨٦٣ - سنة ١٨٦٦ •

حياة الطلبة :

أما حياة الطلبة فقد كانت مليئة بالصخب والمبارزة والشراب ، وهذا ما دعى لفيفا من الطلاب والاساتذة الى تأسيس جمعيات لمحاربة هذا الانهيار فى حياة الطلاب المدرسية ، وانتشالهم من الهوة العميقة التى وقعوا فيها والنهوض الى مستوى اجتماعى واخلاقى عال • وقد اشار غوته نفسه الى هذه الحياة الصاخبة فى سيرته الخاصة • وقد سعت هذه الجمعيات الى الحد من « المبارزة » ، ولم تجز اللجوء اليها الا فى الحالات التى يقررها « مجلس الشرف » •

وقد كانت الجامعات الالمانية بعد الحرب العالمية الاولى عرضة لانتقادات كثيرة ، لاسيما من العناصر اليسارية ، فقد طالبت ان تضع الحكومة الالمانية سياسة جامعية جديدة ، وتقوم باصلاحات واسعة ، وان تتنازل الجامعات

عن قواعدها الاجتماعية الضيقة وتواجه حقائق الحياة العملية الحاضرة(*) . وكان الاستاذ ماكس فيبر من أشهر الناقدين . فقد دافع عن التقاليد القديمة للدراسة الجامعية ، واراد ان يحافظ على الروح الموضوعية فى البحث والتدريس والتتبع ، ومما قاله : ان قاعة المحاضرات ليست محلا للمهوشين ، وان الاستاذ ينبغى ان يكون معلما لا « زعيما » ومدربا للتفكير الصحيح لا داعية لفكرة سياسية ، وان يتخصص فى فرع معين من فروع الاختصاص . وفى هذه العزلة والتخصص فى الاخص يحصل الاستاذ على تلك الخبرة النفسية التى لا يستقيم البحث والتتبع الا بها . وكان يعتقد ان أقلية ضئيلة جدا تستطيع ان تصل الى هذه المرحلة الاختصاصية . ولذلك فقد وصف الدراسة العالية بأنها « شأن من شئون الارستقراطيين العقلية » . وقد تصدى له أريك فون كيلر Kahler وهاجم نظريته فى التخصص بالاخص ، وقال انها تعكس علينا « الدراسة البورجوازية » ؛ وطالب ان يكون العالم زعيما يربى ، ونبيا يلهم ، يصل الى الحقيقة بالتصور والالهام لا بالبحث المفصل ، ويخاطب حلقة مصطفاة من الحواريين لا الجماهير . وحينما تصدى ترويلتش الى آراء كيلر لم يذهب الى ان الدراسة فى الجامعات الالمانية قد اصبحت مثالية وانما ذكر انها تحتاج الى بعث وتجديد ، ولكنه رفض نظرية كيلر رفضا باتا وحسبها قائمة على أفكار فى القيادة موهومة ؛ وانها بهذا الاعتبار غير عقلية ، وغير ديمقراطية .

(*) لقد ظهرت كتب كثيرة فى هذه الفترة تبحث فى مشاكل التعليم الجامعى منها كتاب « الجامعة الجديدة » لاوتوماردیترش Dittrich (١٩١٩)، وكتاب « بعث المانيا والشباب الجامعى » لماكس كروندل Grüindel ١٩١٩ . وأهمها جميعا كراس « الدراسة من حيث هى مهنة » . لماكس فيبر Weber وكراس (الثورة فى الدراسة) لارنيست ترويلتش Troeltsch (١٩٢١) .

• كان كارل هاينرخ بيكر Becker وزير معـــارف بروســـية فى سنة ١٩٢١ وفى ١٩٢٥ ـ ١٩٣٠ اول من وجه عنايته لدراسة مشكلة التعليم الجامعى • وقد وضع كتابه « آراء فى اصلاح الجامعة » سنة ١٩١٩ ، وبحث المشكلة نفسها فى كتابه « طبيعة الجامعة الالمانية » الذى الفه سنة ١٩٢٥ • ونظرا لما كان يتمتع به بيكر من شهرة علمية واسعة فان آراءه ومقترحاته قد أثرت فى نظـــام التعليم العام وفى الجامعـــات نفسها • وقد صرح ان الجامعات الالمانية تحتاج الى اصلاح ، ولكنها من حيث الاساس تقوم على قواعد متينة • وحيث ان الجامعات الالمانية كانت تمر فى فترة انتقال وتنتقل من العهد الامبراطورى الى العهد الجمهورى فقد ساعدت آراؤه هذه عـلى توجيـه الجـامعـات ، وكانت فرصـــة مؤاتيـة لاحـداث تبدل أســاسى ، ولكنه ، كغيره ، لم يدرك أثر التطورات الاجتماعية والسياسية التى أعقبت الحرب العالميـة الاولى ادراكا واقعيـا ؛ ولـم يستطع ان يكيف نفســه الى الاتجاهات الجديدة التى جاءت بعد انهيار المانية القومية • وربما ذهب بيكر الى ان التطورات السياسية اليسارية هى التى كانت سببا فى انهيـار المانيـة السياسى والاقتصادى والصناعى وليست جامعاتها •

عدد المدرسين فى الجامعات الالمانية

(ولا يدخل فى هذا العدد مدرسو المعاهد الهندسية العليا)

	١٨٢٠-١٨٥٠	١٩٠٣	١٩٣٢
اســـتاذ	٥٣٤	١٠٤٧	٢٠٦١
استاذ منـدوب	١٧٢	٦١٠	١٥٧٧
المحاضرون	٢١٤	٨٣٤	١٧٥٣

أما أهم المشاكل التى واجهت عهد الجمهورية فهى رغبتها فى الحاق

اكبر عدد ممكن من الطلاب بالجامعات ممن ينتمون الى طبقات اجتماعية مختلفة بدلا من ان يلتحق بها افراد طبقة معينة . وكان مما عملته بروسية لتحقيق هذا الغرض أنها أقرت سنة ١٩٢٣ شهادة ثانوية جديدة أجازت لحاملها ان يلتحق باحدى الجامعات الالمانية اذا تعذر عليه ان يحصل على شهادة الدراسة الثانوية Abitur المعروفة . ولكن لم ينـــل هذه الشهادة الا عدد ضئيل من الطلاب ، ولم يلتحق بالجامعات من خريجي المدارس الثانوية الجديدة وهي Deutsche Oberschule Aufbauschule الا نسبة قليلة ايضا . والحقيقة ان ٣٩ر٤٧ ٠/٠ من طلاب الجامعات قد تخرجوا من « الجمنازيوم » و٢٦ ٠/٠ من « الريال جمنازيوم » و ٢٠ ٠/٠ من « الاوبرريال شوله » . وهكذا نجد ان طلبة الجامعات الالمانية كانوا فى العهد الجمهورى من خريجي المدارس الثانوية العلمية التقليدية ، وان هذه الجامعات احتفظت بتقاليدها الموروثة ، ولم تبدل فيها حتى طرق التدريس .

أما حرية التعليم فقد نصت عليها المادة ١٤٤ من دستور فايمر ؛ وقد تمتع بها اولئك الاساتذة الذين آلمهم ان تزول المانية القومية وتحل محلها المانيـة الديمقراطية اليسـارية والذين الصقوا شتى التهم بالجمهورية الجـديدة . ولا يخفى ان الروح الالمانيـة بعـد سـنة ١٩١٨ هى التى كانت سائدة بين أكثر الاساتذة . وكان من اشهرهم لينهارد اســتاذ الفيزياء فى جامعـــة هايدلبرك . فقد ترك العـلم الامبراطورى يرفرف على معهـــده الفيزياوى ولم يستبدلـه بعـــلم الجمهورية ، وصـــار بعـد ذلك من مشاهير العلماء النازيين ، لاسيما بعد ان الف كتاب « الفيزياء الالمانية » سنة ١٩٣٧ و « كفاح العالم الالمانى فى الدراسات النورديكية (الشمالية) » . وأخـذ الاسـاتذة القوميون يقاومون خصومهم من الاساتذة ، ويحرمونهم من حق التعبير عن آرائهم احيانا ، كما حدث لغرتردين Dehn فقـد اضطر هـــذا على ان

يتخلى عن كرسى الاستاذية فى كلية اللاهوت بعد ان تم ترشيحه وصادق عليه وزير المعارف تحت ضغط الاساتذة القوميين الذين ادعوا أنه اهان الجيش الالمانى • وكما حدث للدكتور ليسنك Lessing استاذ الفلسفة فى « مدرسة الهندسة العليا » فى هانوفر سنة ١٩٢٥ حينما اتهم بأنه قد نشر مقالة مس بها كرامة هندنبرغ فقد اضطر على أن يترك منصبه ايضا بالرغم من مساندة وزير المعارف بيكر له •

وحينما تأسست جمعية الطلبة الديمقراطيين (Asta) وانضم الطلبة القوميون المتطرفون فى رابطتهم المعروفة Hochschulring deutscher Art وفى Deutsche Gildenschaft التى تأسست سنة ١٩١٩ حدثت تطورات أخرى فى حياة الطلبة الالمان • فقد بشر طلبة الجمعية الاخيرة ، التى كانت متصلة بحركة الجوالة Wandervögel بنظرية رسية وهاجموا معاهدة فرساى ، ودعوا الى توحيد المانية • ولم يكتف الطلبة القوميون بهذه الجمعيات بل أسسوا جمعيات طلابية أخرى ، غير جمعيات الطلبة النازيين التى سيأتى الكلام عنها ، استعملوها فى محاربة الجمهورية • وقد ألف الطلبة الديمقراطيون « جماعة الطلبة الجمهوريين » سنة ١٩٢٢ • وكان هدفها محاربة القومية والقضاء على الروح العسكرية بين طلاب الجامعات • كما تألفت جمعيات أخرى عكست حياة العصر السياسية والاجتماعية والتعليمية • وينبغى ان نتذكر ان كثيرا من اساتذة الجامعات لم يرحبوا بالنازية ، وظلوا يتمسكون بالتقاليد القديمة ويهزأون بالديمقراطية الجديدة ويمجدون الروح العسكرية وبالفكرة التسلطية فى الحياة ، ولم يصبح جميعهم نازيين •

وفى سنة ١٩٢٦ تأسست « جمعية الطلبة النازيين » • وحيث ان الطلبة النازيين كانوا قد انضموا قبل هذا التاريخ الى الجمعية الطلابية القومية المتطرفة التى مر ذكرها ، وبسطوا نفوذهم عليها فقد عظم سلطانهم فى « جمعية الطلاب

الالمان ، Deutsche Studenenschaft وفى الانتخابات التى أجرتها جمعية الطلبة الديمقراطين (استا) سنة ١٩٣٠ - ١٩٣١ أحرز الطلبة النازيون والقوميون أغلبية ساحقة فى كل جامعة المانية ما عدا جامعة بون . ونجد ان الاتجاهات الجديدة ، وخاصة فى الجامعات الحديثة كجامعة فرانكفورت وكولون وهامبورك ، كانت تسير جنبا الى جنب مع الحركة النازية بينما أظهرت جامعات بون مثلا وفرايبورك ،حيث تقوى العناصر الكاثوليكية ، مقاومة شديدة الى النازية لاعتبارات دينية . وحينما صار هتلر رئيسا لحكومة الرايخ ازدادت سيطرة النازية على الجامعات الالمانية ، وازدادت الرقابة على الاساتذة ، واقصى الاساتذة اليهود او من كانت زوجاتهم يهودية من الجامعات ، وجعلت نسبة الطلبة اليهود ١ر٥ ٠/٠ ، ومنعوا من الحصول على شهادة الدكتوراه منذ سنة ١٩٣٧ تطبيقا « لقوانين نورنبيرغ التى شرعت سنة ١٩٣٥ » ، وابعدت فكرة العلم للعلم من الجامعات الالمانية ، وفكرة البحث عن قوانين مجردة لا تمت الى حياة الامة الالمانية بصلة ، واشاع الاستاذ ولترفرانك من مشاهير المؤرخين النازيين فكرة جعل الدراسة فى الجامعات الالمانية « العلم الكفاحى » أو كما سماه Kämfende Wissenschaft ومعناها أنه ينبغى على الجامعات الالمانية ان تلامس « الحياة » ، فتدرس العلوم الرسية Rassenkunde والعلوم العسكرية Wehrfissenschaft وان تعنى بعلم الحياة وعلم تحسين النسل .

ولم تتبدل صلة الجامعات المالية بحكومات الايالات كثيرا ، غير ان تشكيل « وزارة معارف الرايخ » سنة ١٩٣٤ وصلاحياتها فى تفتيش الجامعات ادى الى فرض درجة من السيطرة المركزية . وقد طرأ على الادارة الداخلية فى الجامعات تبدل اساسى أثر ظهور تعليمات شهر نيسان سنة ١٩٣٥ التى أقرت مبدأ القيادة فى الجامعة . فلم يعد رئيس الجامعة

شخصا ينتخبه الاساتذة ، وانما صار موظفا تعينه الحكومة ، ولم يعد يتمتع بسلطات واسعة ؛ فقد اصبحت مهمة مجلس الجامعة ومجالس الهيئات التعليمية الاخرى استشارية فقط . ونتج عن هذا الحد من استقلال الجامعات العلمى حد فى حرية التعليم .

وكان الاساتذة والطلاب ينتمون اجباريا الى منظمتين مهمتين . فقد انضم الاساتذة والمحاضرون الى « رابطة معلمى الجامعات الاشتراكيين الوطنيين » التى تتفرع من « رابطة المعلمين الاشتراكيين الوطنيين » . وكانت تستهدف توجيه الفعاليات الجامعية توجيها نازيا ؛ وكان رئيسها لغاية سنة ١٩٤٤ والترشولتسه Schulze أحد زعماء النازية ، وكانت لها فروع فى مختلف الاقاليم ، ومقرها العام مدينة ميونيخ .

اما الطلاب فقد انضموا الى رابطة مماثلة هى « رابطة الطلبة الإشتراكيين الوطنيين » التى تأسست سنة ١٩٣٤ . وقد كانت ترمى الى العناية بشؤون الطلاب الثقافية والاجتماعية و « تربية الالمان تربية سياسية وعقائدية » ، وكان رئيس هذه الرابطة الدكتور شيل G. A. Sheel زعيم طلبة الرايخ » ، ومقره العام مدينة ميونيخ . وكان يمثله فى كل جامعة من الجامعات « زعيم الطلاب » .

الاستشراق فى الجامعات الالمانية :

كان من نتائج « تعريب » البحر الابيض المتوسط ونشوء مراكز ثقافية على شواطئه ، ان وجه الاوربيون عنايتهم الى دراسة اللغات الشرقية بصورة عامة والعربية بصورة خاصة ؛ وتعرفوا على فطاحل فلاسفة العرب والمسلمين امثال ابن سينا ، وابن رشد ، والغزالى ، وابن الهيثم ، وغيرهم . واشتهر الالمان بهذه الدراسات ، واحتلوا مكانة عظيمة بين الشعوب الاوربية ، وافتتحوا مراكز علمية فى مختلف الجامعات والمدن الالمانية .

ومع ان الحربين العالميتين قد اضعفتا حركة الاستشراق الا ان المانية قد ظلت تحتفظ بمكانتها حتى يومنا هـــذا ، واشتهرت كثير من مدنها بالدراسات العربية والاسلامية منها : هامبورغ ومونستر الواقعة فى مقاطعة ويستفاليا ، وكوتنكن ، وبون ، ومانس ، وماربورغ ، وهاله الواقعة فى المانية الشرقية.

ولعـل مدينـة هامبورك من أهم المدن الالمـانية التى اهتمت واشتهرت بالدراسات العربية والاسلامية ؛ ففى هذه المدينة استطاع المستشرق الالمانى المعروف بيكر ان يواصل بحوثه ، ويقوم باصدار مجلة « الاسلام » ؛ وفى مدينـة كوتنكن اخرج الاستاذ فرديناند فوستنفلد مؤلفاته الكثيرة فى تاريخ الادب العربى منها : معجم الادباء لياقوت الحمـــوى ، وسيرة ابن هشام ، وكتاب اخبار مكة للازرقى ؛ وفيها نشأ يوليوس فالهاوزن البحاثة الشهير فى التاريخ العربى .

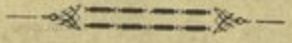
أما فى مدينة بون فتولى الاستاذان بيكر وليتمان فى « المعهد الشرقى للجامعة » الذى يرأسه الاستاذ شبيس الدراسات العربية والاسلامية . وقد عرف الاخير بمؤلفاته وتحقيقاته الكثيرة فى الكتب العربية منها : « رسالة فى تاريخ الآداب العربية » (صدرت سنة ١٩٣٢) ، و « اخبار الهند » لابن فضل الله العمرى (١٩٤٣) و « مناقب الاوزاعى » وكتاب « الواضح المبين فى ذكرى من استشهد من المحبين » للشيخ علاء الدين مغلطاوى .

وفى مدينة ماينس تأسس معهـد شرقى بعـد الحرب العالمية الثانية ، واخذ يواصل بحوثه فى دراسة حضارة الامة العربية والشعوب الاسلامية ؛ وقد اصبحت هـــذه المدينة مقرا « للجمعية الشرقية الالمانية » المعروفة . وتشتهر مدينـــة فرانكفورت بالاستاذ هلموت ريتر مؤلف كتاب « المكتبة الاسلامية » وأحد الاخصائيين المعروفين بدراسة المخطوطات الشرقية .

ويقوم الاستاذ فوك صـــاحب المؤلفات والدراسات الخاصـــة بعلوم الحديث ، وأحسن من كتب عن تطور اللغة العربية باخراج طبعة جديدة

لفهرست ابن النديم • ومن المستشرقين المعروفين البروفسور كارل بروكلمان مؤلف كتاب « تاريخ الآداب العربيـــة » وشبولر مؤلف كتاب « ايران فى القرون الوسطى » الذى يعد فى طليعـــة الباحثين فى التاريخ الاسلامى ، وكريمر فى كتاب « سقوط مملكة القدس » ، وفير نشر مؤلف « قاموس اللغة العربية الحديثة » • ويباشـــر البروفسور كاسكل فى اخراج الجزء الثالث من كتاب « البدو » لمؤلفه المستشرق المعروف اوبنهايم •

تلك هى لمحـة خاطفة عن جهود المستشرقين فى الجـامعات والمعاهـد العلمية الالمانية ، وانتاجهم العلمى فى العلوم العربية والاسلامية •



مصادر البحث الاساسية

1. Fletcher, A. W., Education in Germany, Cambridge, 1934.

2. Kandel, I. L., Comparative Education, 1933.

3. Samuel, R. H., Thomas, R. H., Education and Society in Modern Germany, London, 1949.

الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٧	الهامش	Kindom	Kingdom
١٣٧	٩	شيكاغو	هارفارد
١٦٠	٩	طوال	طول
١٧٥	١٨	وكلة	وكلية
١٩٤	١٣	الافرنسيون	الافرنسيين
١٩٥	١	المثقة	المثقفة
٢٠٦	١٦	البورازية	البورجوازية
٢٥٣	١٧	النهوض	النهوض بالتعليم
٢٧٨	١٧	يستطيعون	يستخدمون
٢٨٢	١١	كبكرا	كبيرا
٢٨٤	٣	تمنح	تمنع
٣١٠	١٧	بيل	بيبل
٣٣١	١٥	النازى	النازية
٣٣٨	١٨	تسمى ايالات	اصبحت تسمى ايالات
٣٤٤	١٠	يستند	لا يستند
٣٥٠	٩	٠ ان	،وان
٣٥٠	١٢	٠ ان	،وان
٣٥٤	٢١	كبارهم	فقراؤهم
٣٥٥	١٧	درا	دورا
٣٦٩	١٥	تضاف كلمة (تقوم على) بعد كلمة الالمانية	



A.U.B. LIBRARY

DATE DUE

JAFET LIB.
- 2 JAN 2016
Circulation Dept. 4

JAFET LIB.
21 NOV 2002
Circulation Dept. 4

A.U.B. LIBRARY

379:D876dA:v.2:c.1
الدجيلي، حسن
الدولة والتعليم
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01023580

379:D876dA v.2
الدجيلي
الدولة والتعليم .

379
D876dA
v.2